جامعة دمشق
مديرية الكتب والمطبوعات
المكتبة

تاريخ الوطن العربي القديم

بـــلاد الشـــام

سورية ولبنان وفلسطين والأردن


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

منشورات جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة دمشق
مديرية الآداب والمعلومات
المكتبة

تاريخ الوطن العربي القديم

بـــلاد الشـــام

سورية ولبنان وفلسطين والأردن

تأليف
د. فيصل عبد الله
أستاذ في قسم التاريخ

جامعة دمشق

١٤٢٣ - ١٤٢٤ هـ
٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

فهرس المحتويات

- مقدمة ٧
- مدخل إلى تاريخ بلاد الشام القديم ١١
- **الفصل الأول:** تاريخ وحضارة الشام في الألف الثالث قبل الميلاد ٢٩

الفصل الثاني: الأكاديون والأموريون /العموريون في الشام قبل السامية والساميين: من منتصف الألف الثالث حتى منتصف الألف الثاني ٦١

- **الفصل الثالث:** السلالة اليمحاضية /الحلبية/ الأمورية /العمورية/ ودورها ونهايتها وبدء التدخل الحثي في الشام ٩٧
- **الفصل الرابع:** تدمر: موطن الأموريين ومحطة للأشوريين ١١٥
- **الفصل الخامس:** الالاخ المنسية ١٢٧
- **الفصل السادس:** المضمون الحضاري لنصوص آلالاخ ١٥٩
- **الفصل السابع:** الغزو الأجنبي والقرون الغامضة ١٨١
- **الفصل الثامن:** أوجاريت والأوجاريتيون ٢٠٧
- **الفصل التاسع:** إيمار وحضارتها ٢١٩
- **الفصل العاشر:** سورية والتنقيب عن أصول أنظمة الكتابة واختراع الأبجدية الأقدم ٢٣٣
- **الفصل الحادي عشر:** الآراميون ودولهم حتى احتلال الاغريق ٢٥١
- أسماء المهن والأشغال بالأكادية ٢٦٩
- مصطلحات إنجليزية وفرنسية ٢٧١
- الأسانيد والمصادر والمراجع ٢٧٣
- فهرس الأسماء العام ٢٧٣
- أسماء ملحقة بموضوع الكتاب ٢٧٧
- جدول زمني وخرائط وصور توضيحية ٤٢٧

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

مقدمة

تعتمد كتابة التاريخ القديم عامة وتاريخ سورية القديم خاصة على مصدر أصلي واحد هو الآثار الكتابية والمعمارية والفنية التي تم إخراجها من تراب تلال المدن القديمة خلال القرنين الماضيين. أما النصوص الموروثة من دينية أو تراثية روائية، فهي لا تشكل مصدراً لكتابة التاريخ القديم إلا بقدر ما تتلاقى مع المصدر الأصلي المنوه عنه وهي حالات نادرة وأشرنا إليها في مكانها، وتبقى أي "النصوص الموروثة" مصدراً لحقل آخر من الدراسات التاريخية الدينية كالدراسات الكتابية التوراتية أو الانجيلية المسيحية أو القرآنية الإسلامية.

وهذه الدراسات ترتبط بالفترة الزمنية لكتابة كل مصدر، وأقدمها (التوراة) الذي بين أيدينا وتم تدوينه خلال القرن الرابع ق.م ولا يقع في نطاق ما نسميه التاريخ السياسي القديم لسورية والعراق الذي ينتهي مع الغزو الفارسي في نهاية القرن السادس ق.م بل يقع في فترة الغزو الفارسي ثم غزو الاسكندر المكدوني وبداية العصور الهلنستية في الشرق.

فكتابنا يعتمد إذن على الوثائق المباشرة من كتابية أو أثرية أولاً وعلى ارتباط الوثائق بالزمن المحدد لهذه المرحلة القديمة الطويلة من تاريخ سورية أي بين ٣٣٣٣ ق.م حتى ٣٣٣ق. حيث أن الرقم الأول تقريبي أما الثاني وهو الغزو المكدوني فهو مؤكد.

ولن نشير هنا إلى النقص الكبير في كتابة تاريخ سورية باللغة العربية. لسبب بسيط هو أن اكتشاف الوثائق والآثار كان وما يزال وقفاً على الأوروبيين ثم الأمريكيين وبالتالي فلهم حق النشر، كما أن المشاركة الوطنية السورية ما تزال في البدايات، ولعلي كنت أول من أوفدته جامعة دمشق لدراسة الكتابة المسمارية التي دونت بها معظم النصوص القديمة.

لقد كتب عن تاريخ سورية القديم زملاء جامعيون قبلي، فلهم الشكر والامتنان، وكتب آخرون من هواة أو مختصين من خارج النطاق الجامعي، ولكنني لم أشر إلى أي من هذه الدراسات للأسباب التالية:

١ ـ لا توجد دراسة متكاملة لجميع المصادر الأصلية المشار إليها.

٢ ـ إن وجدت بعض الترجمات المهمة فإنني قد عدت إلى الأصل الأجنبي وهذا يغنيني عن العودة إلى الترجمة المتواضعة.

٣ ـ إن تخصصي بالكتابة المسمارية يُتيح لي التأكد من صحة ترجمتها إلى اللغات الأوربية (الفرنسية، والانجليزية، والألمانية) وهذا غير متوفر لدى المترجمين ومعظم المؤلفين.

٤ ـ إن هدفي هو نشر محتوى النصوص والوثائق، والإشارة إلى مترجميها ودراساتهم، ثم تبيان قيمة هذا التاريخ وأثره في حضارتنا المعاصرة.

يجب الإشارة في هذا الصدد إلى أن التاريخ وكتابته ومنهجه لا يتنطح لوضع فرضيات أو نظريات. وإذا اضطر إلى ذلك فإنه يتوقف عند غياب الشاهد الكتابي أو الأثري، ويتخلى عن الرواية إذا لم تُثبَتْ من خلال شواهد وشروط أخرى معروفة.

وحاولت ألا أكون داعية لأي اتجاه أو عقيدة، بل أن أكون منتمياً إلى كل التاريخ والحضارة في وطننا العربي الكبير، وحاولت نقل ما اكتشف من نصوص أو محتواها على الأقل، ونقل معطيات الآثار المعمارية والفنية.

وقد وضعت في كل زاوية ومكان من هذا الكتاب إشارات المصادر والمراجع.

وأنا أتحمل كل مسؤولية عما ورد في كتابي، وخاصة ما يتعلق بالتفاسير اللغوية ومقارناتها، لأنها خطرة، ولا تشكل إلا عاملاً واحداً من عملية الكتابة التاريخية، وهذا ما أشرت إليه في الفصل المتعلق بالساميات واقتراحي بتبديله إلى شاميات، وآشور إلى (أ) سور، ثم سور، وسور (ية)! كما في شمس وسمس وشمش... وهكذا.

بقي أن نشير إلى أن هذا الكتاب يمثل خبرتي التي بدأت بالتخصص بالدراسات المسمارية في باريس منذ عام ١٩٧٩ حتى ١٩٨٥ وانتهت مع آخر الدراسات المنشورة عن مصادر التاريخ السوري القديم عام ٢٠٠٣، ويُمثل معرفتي لمعظم المنشورات العربية السابقة، وخبرتي التدريسية في جامعة دمشق والجامعات الأخرى في القطر وخارجه.

فيصل عبد الله

حزيران ٢٠٠٣

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

مدخل إلى تاريخ وحضارة بلاد الشام القديم

١ - بدء الاهتمام بتاريخ بلاد الشام.

٢ - اعتبارات ثقافية وسياسية وجغرافية.

٣ - اللوحة الزمنية والمكانية.

٤ - الأسماء الطبيعية والجغرافية.

٥ - فجر الحضارة والتاريخ في بلاد الشام.

٦- الاستقرار والسكن الباكر في بلاد الشام.

٧ - صناعة الفخار المبكر ونشوء الثقافة أو الحضارة الشامية.

٨ - ثقافة العبيد ٦٥٠٠ - ٣٧٠٠.

٩ - بدء ظهور المدنية.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - بدء الاهتمام بتاريخ بلاد الشام:

بدأ الاهتمام بتاريخ بلاد الشام القديم أي سورية وفلسطين ولبنان والأردن منذ مطلع القرن التاسع عشر، وتحتل سورية اليوم المرتبة الأولى من حيث اهتمام علماء آثار العصور القديمة ومؤرخيها بها، وسبب ذلك ظهور عشرات المدن المطمورة تحت ترابها، خلال النصف الأخير من القرن العشرين، وأهمها: ماري وأوجاريت وآلالاخ وإيمار.

واهتم البريطانيون واليهود بتاريخ فلسطين وآثارها أملاً في العثور على شواهد تتطابق مع التوراة والنهج الصهيوني في طمر التاريخ الفلسطيني العربي وتقديم أي معطيات أثرية على أنها من زمن نشوء الديانة اليهودية!..

وبلغ عدد البعثات الجامعية العالمية التي تعمل في حفائر منظمة، قرابة سبعين بعثة، حتى تاريخ كتابة هذه السطور في تشرين الثاني من عام ٢٠٠٣، وقد تطور العمل الأثري السوري، فبرزت شخصيات عالمية في حقل الآثار في وزارة الثقافة ـ المديرية العامة للآثار والمتاحف، وجامعة دمشق.

إلا أن مستوى الاهتمام الرسمي، لا يوازي الأهمية والخطورة الناجمة عن عمليات التنقيب الأخيرة، كما أن الجامعات لم تدخل بعد إلى هذا الحقل العلمي الواسع، الذي يجلب الشهرة والسياحة والمكانة العلمية، ويمنع الآخرين من أن يظلوا أسياد كتابة تاريخنا القديم.

إن العمل الأثري ـ اليهودي في فلسطين لم يكشف عن أي دليل كتابي أو معماري مباشر على روايات الكتب الدينية عن معبد سليمان أو أي منشأة أخرى تعود لأدوار التاريخ الديني الموسوي أو الإبراهيمي أو الداودي أو السليماني، وهي الأدوار المذكورة في الكتب الدينية كروايات شفوية دونما تأييد تاريخي.

إن القرن العشرين قد انتهى وسيحمل القرن الواحد والعشرين المزيد من إقبال الجامعات على التنقيب عن آثار سورية، إذ بات معلوماً أن هناك المئات والمئات من المواقع المطمورة لا تزال تحت التراب.

أما في فلسطين فقد نُشرت كتب وأبحاث كثيرة التي تفضح محـــاولات تزويـــر التاريخ الفلسطيني القديم، وتجييره لعالم "دولة إسرائيل" التي اســتمرت بقــوة الســلاح والاحتلال والدعم الأمريكي الأوربي.

وقد بدأت العمارة والحضارة في الشام وفلسطين خاصة منذ عشرة آلاف سنة علـى الأقل، وظهرت الكتابة والتاريخ منذ خمسة آلاف سنة، وتعد سورية ولبنان أم الحضـــارات والعمارة والكتابة، كما أنهما أم الإنسان المتحضر المعاصر، أينما كان، بسبب ظهـــور أول الأبجديات في أوجاريت وصُور، ونشرها في العالم من قبل الفينيقيين.

إن الحدود الحقيقية لسورية والعراق، هي حيث يكـــثر المتكلمـــون بالإيرانيـــة، والكردية، فيما وراء جبال زاجروس، وهكذا فإن ماري آخر مدينـــة ســـورية قديمـــة، ولكنها أول مدينة عراقية قديمة وسط الفرات، ولقد أدت ماري دور الوسيط التجـــاري والسياسي بين الجنوب والشمال المتنافسين دائماً، فقد كان التنافس بين الجنوب والشمال مريراً بين سومر (جنوباً)، وأكاد (شمالاً)، وكذلك بين بابل وأشور، ومـــاري وحلـــب وسورية المركزية، المتمثلة بحلب وحماة وحمص ودمشق. إنها حلقات متنافســـة فـــي وطن لغوي وبيئي واحد.

٢ - اعتبارات ثقافية وسياسية وجغرافية:

إن حدود الشام أو سورية القديمة، مرتبطة باعتبارات ثقافية ولغوية، أكثر منهـــا برقعة محدودة من الأرض، وقياساً على تلك الاعتبارات يمكن القول:

١ ــ إن وجود البحر في الجهة الغربية، قد سمح بظهور نشـــاط عـــدد مـــن المـــدن الساحلية، أهمها:

أوجاريت، عمريت، جبيل، صيدا، صور وغزة حيث أدّت دور المركز التجاري الدولي خلال العصور القديمة، وكانت صلة وصل بين الداخل السوري وعـــالم البحر الأبيض المتوسط.

٢ ــ تشكل السهول المتداخلة مع جبال الساحل أي البقاع، وعكار، والغاب، والعمـــق، محور اتصال نحو الداخل من الجنوب إلى الشمال، بما فيها الفتحة الكبيرة بيـــن الجبال، وهي فتحة سهل حمص، التي تبدأ عند مصب نهر الكبير.

٣ ــ عندما نتوغل في الداخل، نكون وسط سهول سورية المركزية أو الوسطى، حيث تقع فيها مدن العالم القديم، مثل حلب وحماة وحمص ودمشق.

٤ ــ كلما توغلنا في سهول الشرق تزداد مساحة الهضبة السورية، ويبدأ الإحساس بنقص الماء والخضرة، ونحن نعلم أن دمشق تعيش بفضل بردى، وغوطته، وحمص وحماة بفضل العاصي ووادية، فهي ليست سوى واحات في وسط قاري جاف، لا يستطيع استقبال سوى عدد قليل من السكان البدو المنتقلين.

٥ ــ أما في الشمال الشرقي، فيبدو الفرات عند هبوطه من مناطق جبال الأناضول متوجهاً نحو البحر الأبيض المتوسط، حيث يصل إلى أقرب نقطة منه عند جرابلس أو كركميش القديمة، ولكنه سرعان ما ينعطف بشدة ويختار طريق الداخل القاري الشرقي الجنوبي، حتى يصل إلى الخليج العربي، ماراً في العراق، ليشكل تلك الوحدة التاريخية والطبيعية.

السومريون والشاميون:

لم تكن الشام توضع في مقدمة البلاد التي عرفت ما يسمى بحضارة دويلات المدن، أو دويلات المعبد ــ المدنية، وهي التي ظهرت في جنوب العراق في بلاد سومر في بداية فجر الحضارة، وهو ما حدث في مصر في الوقت نفسه تقريباً. إن هذه القفزة الحضارية أنهت العصور الحجرية الحديثة، وانتقل فيها الإنسان إلى عصر المدينة الكاتبة في نهاية الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق.م. وقد كان المؤرخون والآثاريون يعتقدون أن سورية لم تتصل بسومر، أو بمصر في تلك المرحلة المبكرة، ولكن الحفائر الألمانية، بإدارة الأستاذة الكريمة إيفا شترومنجر، التي سكنت جبل عروده، وحبوبه الكبيرة على الفرات منذ ما يُنيفُ على ربع قرن، منذ عام ١٩٦٦، قد أظهرت خطأ الاعتقاد السابق، وأثبتت أن سورية كانت على اتصال بسومر، منذ منتصف الألف الرابع ق.م، حيث تظن شترومنجر من خلال أبحاثها الآثرية، أن مجموعة إنسانية قد سكنت هنا، ربما كانت قادمة من أوروك، من بلاد سومر، أو أنها على اتصال وثيق بها، من حيث أقامت على الفرات.

وهكذا زال الاعتقاد القائل: إن سورية لم تدخل عصر حضارة المدن المعبد، إلا بدءاً من الألف الثاني ق.م، ثم جاء الاكتشاف الكبير الذي أخرج سورية إلى صدر الساحة الدولية، عند اكتشاف إيبلا/إبلا، واكتشاف محفوظاتها الكتابية المسمارية، التي زاد عددها عن خمسة عشر ألف رقيم فخاري، أو طيني.

لقد كان الحظ من نصيب الإيطالي الآثاري الشاب (عام ١٩٦٨) باولو ماتييه، هذه المرة، حيث دخل نادي الرواد المكتشفين من أوسع أبوابه في تلك الفترة، التي وقع فيها على تمثال ذُكِرَ عليه اسم ايبلا... التي كانت مفقودة، وظهرت بعد أكثر من أربعة آلاف سنة، من الاندثار تحت التراب. لقد كُتِبَ لي حظّ نشر خبر اكتشاف ايبلا في ذلك الوقت من عام ١٩٦٨، عندما كنت صحفياً في جريدة الثورة، حيث كان النبأ أكبر الأنباء بالنسبة لمؤرخي التاريخ القديم آنذاك، وما يزال نبأ اكتشاف إيبلا وما قدمته، يثير أكثر ما يسمى فضولاً علمياً، بل محاولات يائسة من قبل عدو إسرائيلي يهودي، يهوى تزوير الحقائق العلمية، ويرفض أن يكون أسلاف السوريين العرب إيبلائيين، وصناع حضارة إيبلا، فقد حاولت إسرائيل وحلفاؤها، منذ اكتشاف إيبلا، تشويه بعض الأسماء واللعب على مخارج الأصوات، لتبديد وتبديل لفظها ومعناها، وتوظيفه في خدمة مخططها، الهادف إلى محو التاريخ القديم للعرب، وجعل كل ما هو قديم، يتصل بثقافة اليهودية أو العبرية وحسب، إلا أنه لا يصح إلا الصحيح، ولم تنجح تلك المحاولات، إلا في أوساط الصهيونية وأصدقائها، وليس هناك من عالم أو مؤرخ تناول مضمون تلك التأويلات، والتفاسير اللغوية اللفظية، فالتاريخ لا يبنى على التأويلات والألفاظ. لقد تبين أن إيبلا عاصمة سورية الشمالية استطاعت أن تتحول إلى قوة اقتصادية متوازنة، واستطاعت أن تتحول إلى دولة قوية، طالما نأت عنها القوى المجاورة، ولم تجعل منها مسرحاً للصراع الدولي. وهذا ما كان محالاً إذ إنّ ثروة البلاد وحاجة العراق ومصر للأخشاب والثروات الزراعية، قد حال دون تحولها إلى امبراطورية كبرى، كما حدث في مدن الجنوب العراقي، وفي مدن مصر، والأناضول.

لقد كانت إيبلا حالة نادرة، وكادت، أو أنها وصلت إلى لحظة عادلت فيها كبرى امبراطوريات العهود القديمة، ثم دثرتها قوى الأكاديين الرافدية، وسيأتي الألف الثاني بموجة حضارية جديدة.

إن الأموريين هم الذين أصبحوا أسياد العراق وسورية، بدءاً من الألف الثاني قبل الميلاد، ويعود إليهم أسباب انهيار دول ومدن الألف الثالث الأكادية والسومرية. والأموريون أصلاً من طينة الأكاديين، وأولاد عمومتهم، تكلموا بلغتهم، وسلكوا درب التنقل، والاستيطان نفسه، وهو من بادية سورية العربية إلى الشمال، وإلى الشرق وإلى الجنوب، وما أن أطل الألف الثاني حتى شكل هؤلاء مدناً وامبراطوريات جديدة نذكر منها: بابل في العراق، وآشور في شمال سورية والعراق، وماري، وحلب وبمخد أو بمحاض وألالاخ وأوجاريت وإيمار وقادش ودمشق وسمأل وحداتو وتل بارسيب.

وبقيت الحقيقة الثابتة، وهي أن هذه المدن الأخيرة ــ ما عدا آشور ــ لم تستطيع الخروج من دائرة الضغط المصرية العراقية القديمة، ولم تستطع الوصول إلى المستوى الامبراطوري. وزاد في الطين بلة أن دخلت قوى أخرى على المسرح وهي:

الحثيون، والحوريون، ثم الميتانيون، ثم الفرس، واليونان، والرومان، فكثر اللاعبون، ولم يتمكن المسرح السوري من تحمل هذا العدد الراقص.. ومن يعلّم التاريخ، والماضي على حقيقته، يستطيع أن يقدر تلك الأسباب، كي يصل إلى مستقبل أفضل.

ترى هل سنتمكن من تقديم الجواب خلال استعراضنا لواقع التاريخ الآثري السوري!.

إن الجواب يكمن خلف كل كلمة مما يأتي...

إن توزع المدن والدويلات والطوائف البشرية قد جعل من سورية أرض لقاء وانفتاح، وعبور، فهي مغرقة باتصالها مع الشرق حتى أنها تشكل خزانه البشري، فهي (أصل الأكاديين والأموريين ــ والآراميين ــ سكان العراق القديم)، وهي التي نقلت إلى بحر إيجه معارف التقنية الكتابية، والحسابية، والحرفية، وهي المخزن الذي خرجت منه أكبر كميات الذهب والفضة في العالم. ومن صوء مائها تزوّد العالم القديم بالحبوب، ومن جبالها بالأخشاب، ولم يكن ينقص روادها مخترعي الأبجديات أن

يسطروا للعالم القديم إجابات فلسفية تتعلق بالخلق والوجود والموت، فكانوا أول من أبدع نظريات الخلق في أوجاريت، وأول من بنى معابد للتأمل، والعبادة، ولم يكن الفكر التوحيدي في النهاية إلا رد فعل على التعددية التعبدية، وعلى الفلسفة الأولى البسيطة القائلة بضم كل العبادات وآلهتها في مجمع تعبدي إلهي واحد، دون التفرد القبلي، أو الطائفي لإله معين، لقد كان كهنتها أوائل المتنبئين أو الأنبياء العارفين بالغيب، وظهر في نصوص ماري، أن إله البحر أدد، وكان معبده في حلب قبلة الباحثين عن النبوءة والوعد من الملوك العراقيين والسوريين على حد سواء.

إن سورية موطن الفكر الإنساني القديم، وما يزال المؤرخون يكتشفون ضخامة هذه الحقيقة بعد كل اكتشاف أثري.

إن دعم التخصص في الآثار السورية ولغاتها، وإقامة المكتبات، والمراكز المتخصصة، لا يقل أهمية عن أي مشروع قومي اقتصادي، إن لم يفقه.

٣ - اللوحة الزمنية والمكانية:

إذا أردنا تلخيص المراحل الزمنية من خلال انجازاتها الحضارية، فإننا نستطيع تقديم هذا الجدول المبسط:

١٢٥٠٠ ــ ٨٥٠٠ سنة ق.م	نهاية العصر الحجري القديم Paleolithic إلى العصر الحجري الحديث Neolithic، أي المرور من حضارة غير مؤرخة إلى حضارة المنتجين الزراعيين في: أبو هريرة، ومريبط، والكوم.
٨٥٠٠ ــ ٣٥٠٠	حضارة المزارعين والقرويين، في سهول العمق، مثل جديدة وبقراس على الفرات، وتل الرماد، وتل أسود، حول دمشق.
٣٥٠٠ ــ ٢٨٠٠	حضارة أوروك ــ جنوب العراق، وحبوبة الكبيرة في سورية على الفرات، وتل كناس، وجبل عرودة.
٢٨٠٠ ــ ٢٠٠٠	عصر البرونز القديم، إبلا، ماري.
٢٠٠٠ ــ ١٦٠٠	برونز أوسط، ماري، إبلا، وأوجاريت، وألالاخ.
١٦٠٠ ــ ١٢٠٠	برونز حديث في أوجاريت وألالاخ، وإيمار.

١٢٠٠ ــ ٦٠٠ ٦٠٠ ــ ٣٣٣	دور الممالك الحثية الحديثة في كركميش، وممالك الأراميين في دمشق وغيرها. هيمنة آشورية وبابلية. وأخيراً هيمنة فارسية.
٣٣٣ق.م ــ ٦٣٢ بعد الميلاد.	احتلال الاسكندر المقدوني ٣٣٣ق.م، وبداية عصور الهلنستية التقليدية (الكلاسيك)، في سورية والشرق عامة، بما فيها الاحتلال الروماني والبيزنطي الذي دام منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى الفتوح العربية وتحرير البلاد العربية من سيطرة الفرس والروم ابتداء من عام ٦٣٢ بعد الميلاد.

٤ - الأسماء الطبيعية والجغرافية:

يعتبر الإطار الجغرافي لبلاد الشام شاملاً لكل من أقطار سورية ولبنان وفلسطين والأردن. حيث إن تعبير بلاد الشام لم يستخدم إلا في العصور الوسطى من قبل الجغرافيين العرب. أما سورية فإن إسمها مشتق ولا شك من شور وأشور[1] تلك المملكة الشهيرة التي كانت عاصمتها الأقدم شوبات أنليل في موقع تل لبلان قرب القامشلي في سورية ومؤسسها الأول شمشي أدو في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. واستخدم تعبير سورية بصفته الحالية للمرة الأولى من قبل هيرودوت في القرن الرابع قبل الميلاد. أما لبنان فقد ذكر كإسم جغرافي للمرة الأولى في أوائل القرن الثامن عشر

---

(١) إن أحدث موسوعة عامة عن التاريخ القديم للمشرق العربي وجواره هي:

J.M sassom, Civilzations of the Ancien Near East, 4 vol, New York, 1995.

انظر الفصل المتعلق بسورية وفلسطين والأردن ولبنان.

وانظر الموسوعة التقليدية للتاريخ القديم (CAH) مؤلفة من ٦ مجلدات The Combridge Ancient History (1962 - 1991).

ويهمنا هنا المجلد الأول والثاني.

وانظر لمزيد من المقارنة:

E. Cassim. J. Bottero; J. Vercouter, die Altorientalischen Reiche, 1-3, Fisches Weltgeschichte,
2-4, frankfurt main, 1965-196.
J. deshayes, Les civilisations de l'Orient ancien, Paris 1969.

من قبل شمشي أدو الأول الألف الذكر في نصبه الذي يذكر[1] أنه قام بحملة إلى (بلاد لبنان mat - Libano).

أما اسم فلسطين فقد ذكر للمرة الأولى مرتبطاً باسم فلست Philist في الوثائق المصرية والفلست هم مجموعات شعوب البحر التي استقرت في ساحل جنوب فلسطين ويعتقد أنهم قدموا من جزر بحر إيجة والقارة الأوربية في القرن الثاني عشر وهو زمن غزو هذه الشعوب لشواطئ سورية ولبنان وفلسطين حتى مصر كما سنبين لاحقاً.

أما الأردن فاسم ولا شك محلي أموري أو عموري وذكر في العهد القديم والمصادر الكلاسيكية كاسم للنهر الشهير باسمه.

وهكذا يبدو أن أسماء أقطار بلاد الشام منفردة أقدم من حيث ذكرها في المصادر من اسم الشام المرتبط بالتاريخ العربي الإسلامي ولكن تجب الإشارة في هذا الصدد إلى أن شام كاسم جغرافي لا بد أنه كان موجوداً في المصادر الكتابية والشفوية قبل استخدامه من قبل العرب، ومن المؤكد أن الشام هي البلاد التي قطنتها القبائل والسلالات القديمة الأمورية/العمورية والآرامية سواء المذكورة في المصادر التقليدية (الكلاسيكية اليونانية وكتاب العهد القديم) أم المصادر المباشرة المعاصرة المكتوبة بالمسمارية أو الأبجدية وسوف نكتشف هذا الموقع من خلال الفقرات التالية في هذا الفصل. ولو أردنا استخدام المقارنة اللغوية البحتة فإن حرف الشين في شام مثله في شور حيث أن القلب إلى السين أمر جائز في اللغات السامية... وبما أن بادية الشام

---

(١) من أجل جميع أسماء العلم والجغرافيا الواردة في هذه الدارسة ومعاينتها ومواقعها والدراسات المفصلة عنها ن:

Reallexikon der Assyriolgie (= RLA).

وهي حالياً بإدارة D.O. Edzard: وظهر منها سبعة مجلدات وهي بالألمانية والإنجليزية والفرنسية. من أجل الجغرافيا وأسمائها في العصور القديمة فلا غنى لنا عن الموسوعة الثمينة:

Rollig, Répertoire géographique de Textes Cunéiformes (RGTC), 11 vol, Wiesbaden, 1974-1993.

حيث يمكن استشارتها من أجل جميع الأسماء الجغرافية المنشورة في النصوص المسمارية والمستخدمة في هذه الدراسة.

والحجاز هما مسرح الإنسان الرعوي والزراعي منذ أقدم العصور؛ فإن من المنطقي أن يتغير لفظ «شام» و «شور» وغيرها مثل «شمش» إلى سام و «سور» و «شمس».

وعليه فإن سام وسامية هي شام وشامية، وشور أي (أ) شور هي «سور» و«سورية» وهكذا. وبذلك ترتبط لغات هذه الأسرة بعضها ببعض من حيث الزمان والمكان والإبداع الحضاري. فما تزال أقدم النصوص الكتابية تظهر بين الشام والعراق، وما تزال بواديهما مرتعاً مناسباً وصافياً للسكان البدو والحضر على حد سواء، ويتواصلان بدون توقف مع الحجاز ومصر ليشكلا وحدة جغرافية وحضارية متناسقة ومتشابهة.

من جهة أخرى تقع الأقطار الشامية الأربعة (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) على مفترق القارات القديمة فهي معبر الإنسان فيها ومعبر أفكاره وتجارته. وتشكل فيما بينها وحدة جغرافية بدون حواجز طبيعية، فإذا استثنينا سلسلة جبال لبنان الأولى والثانية وجبال حرمون التي تحجب نسبة كبيرة من أمطار الشامية فإن سورية الشام تشكل هضبة منفتحة على الأردن والحجاز بادية عريضة من شمال الحجاز حتى ضفة الفرات اليمني، وهو ما يعرف بالشامية، أما الشرق فلا يوجد أي حاجز طبيعي مع العراق، وهناك مدينة مثل ماري ــ قرب أبو كمال على الحدود تمثل حضارة وادي الرافدين الأوسط بدون إمكانية تعيينها بقطر دون آخر. أما الحدود الطبيعية فتبدأ في جبال زاجروس الإيرانية شرقاً، حيث تتبدل اللغة والعرق والحضارة. أما الشمال فحدوده الطبيعية هي قمم جبال الأناضول التي تمثل هي الأخرى حدوداً لغوية وعرقية. أما جهة الغرب فإن البحر الأبيض المتوسط يشكل جبهة مفتوحة على بقية شطآنه الشمالية الغربية الأوربية والجنوبية العربية الأفريقية. وقد كان مسرحاً مباشراً لحضارة بلاد الشام «الفينيقية» قبل الأغريق بقرون عدة. أما سلاسل الجبال الساحلية الشامية والإنهدامات الكبرى في فلسطين كالبحر الميت ووادي الأردن التي لم تشكل أي عائق بين الداخل والساحل، بل تخللت الجبال ممرات متعددة وفتحات تيسر انتقال الإنسان وعبور الغيوم المتوسطية. إن الثروة الطبيعية لبلاد الشام تقتصر على الزراعة والتجارة ونقل إن لم نقل تندر فيها المعادن والأحجار الثمينة ولذا فإن وثائقها تحفل

بذكر المواد الأولية المستوردة من الأناضول ومن إيران وأفغانستان ومن قبرص وكريت[1]. وقد عوضت الطبيعة عن ذلك النقص في المواد المعدنية بالغنى الزراعي إذ إن الأمطار الشامية كافية لتجعل من أرضها حلة خضراء في الربيع رغم أن كميات هطولها تتراوح بين ١٠٠٠مم٣ في المناطق الساحلية و ٢٠٠مم٣ في البادية ومنها حوض مدينة دمشق. ولحسن الحظ أن سهول حوران الجنوبية والسهول الداخلية في حمص وحماة وحلب وكذلك الجزيرة الشرقية المقابلة لجبال طوروس تحظى بكمية تزيد على ٤٠٠مم٣ وهي كافية لزراعة بعلية غنية. وسوف نرى أن بداية التوطن ونشوء مراكز المدن الأولى في نهاية الألف الرابع قد تركز في شمال سورية مقابلاً نظيره في جنوب العراق، والفضل في ذلك يعود إلى الزراعة البعلية للحبوب التي فاقت بجودتها وغناها مراكز الجنوب المروية بمياه الفرات ودجلة.

٥ - فجر الحضارة والتاريخ في بلاد الشام:

نلاحظ من خلال الدراسات المتعلقة بمرحلة ما قبل التاريخ في الشام والرافدين أنّ عصور ما قبل التاريخ تبلغ ضعف المدة الزمنية للمرحلة التاريخية، فهي تمتد من الألف العاشر حتى نهاية الألف الرابع، وتميزت باستخدام الحجر ثم الفخار والنحاس والقصدير وأخيراً البرونز الذي يتميز به بداية فجر الحضارة والأدوار التاريخية اللاحقة. كما يتميز فجر الحضارة ببلوغ المعرفة والتقنية الزراعية أوجها. ويمكن القول أن الشام وفلسطين تحديداً كانت المسرح الباكر لعملية التوطن والاستقرار بعد هجر حياة الكهوف. ولعل موقع أريحا في فلسطين أول مهد لحضارة العصور الحجرية الحديثة في الألف التاسع، حيث بنى الإنسان بيوته الأولى في التاريخ، وأعطى لقب العمارة والمعمورة لحضارته. وكانت ذروة التطور في مراحل ما قبل التاريخ متمثلة بما يدعى الثورة الزراعية الأولى في الألف الرابع وفجر الحضارة، حيث تمكن الإنسان الشامي والعراقي القديمين من وضع أسس الزراعة الحديثة وتدجين حيواناتها.

---

(١) من أجل توصيف جغرافي حديث والمراجع الأقدم، ن: مدخل أطروحتنا للدكتوراه بعنوان:
Les relations internationales entre le royaume de Yamhad (Alep) et les villes de la Syrie du Nord au 18 ème s.av.J.-C. Paris I - Sorbonne 1985. M. Birot, J.Dresch, la médliterrannée et le Moyen Orient Paris 1956 n. 193.

وما يزال الإنسان يحتفظ بتقنيات وأسماء وألقاب تلك المرحلة. وقد تجلى ذلك بظهور ثلاث ثقافات تحضيرية في الشام والعراق. في تل العبيد وتل حسونة وتل سامراء.

٦ - الاستقرار والسكن الباكر في بلاد الشام:

ذكرنا أن وقوع بلاد الشام (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) في مفترق قارات ثلاث هي آسيا وأوروبا وأفريقيا جعل من الأناضول بجبالها طوروس مفتاحاً نحو أوروبا، وإيران ومن جبال زاجروس بوابة العراق والشام نحو الهند والصين وآسيا الصغرى وجنوب روسيا، ومن سيناء بوابة أفريقيا. وتتميز باتصالها بصحراء العرب الكبرى عن طريق بادية الشام. وتطل على المتوسط من خلال ساحله الشرقي كله، ويختلط المناخ الصحراوي بالجاف بالمتوسطي الرطب ليكون مناخاً معتدلاً مائلاً إلى الجفاف من خلال صيف طويل وأمطار ساحلية سخية وداخلية شحيحة.

وتمتد هذه الصحراء من خلال جنوب العراق وتكريت شمالاً وتهبط إلى تدمر وعمان ومعان على شاطئ البحر الأحمر وتدخل إلى فلسطين ــ أريحا والنقب لتلتقي مع سواحل المتوسط.

إن بلاد الشام الشمالية قد ارتبطت منذ أقدم العصور بوادي الفرات ودجلة اقتصادياً وثقافياً. ولذا فإن مدينة مثل حلب من أكبر مدن شمال الشام والقريبة من نهر الفرات (٧٠ كم) فقط قد أقامت علاقات زراعية واقتصادية مع وادي الفرات منذ الألف الثالث ق.م علماً بأن الأراضي الزراعية الحلبية والفراتية الشمالية تتسزرع بعلياً نظراً لكفاية هطولها كما تتمتع بأنها قصيرة وشتوية تساعد على إملاء حوض المياه الجوفي.

ومما لاشك فيه أن هناك تعارضاً مناخياً وتضاريسياً بين شمال الرافدين الشامي ــ العراقي وبين الجنوب العراقي، إذ يبدو لنا وللوهلة الأولى أن تنظيم الري في الجنوب قد أدى إلى نشوء مبكر للزراعة والمستقرات المدنية الأولى. بينما كشفت الحفائر المعاصرة في شمال سورية عن أن المستقرات الزراعية المدنية المبكرة قد تكون سابقة لما هو حاصل في الجنوب العراقي وأنها نمت وتطورت بفضل زراعة منتظمة وكانت تحصل على سقارتها بعلاً وبدون جهد، وذلك بفضل هطول الأمطار في

الموسم الشتوي على سفوح طوروس وسهول حلب. وإذا كان هناك بعض التعارض الزراعي بين الشمال السوري والجنوب العراقي إلا أن البلاد الشامية الشمالية والعراقية الجنوبية محرومة من الأخشاب والمعادن العادية والثمينة، لذا توجب استيرادها سواء من الأناضول وإيران أو من مصر. فالعاج والذهب يأتيان من أفريقيا والخشب من سواحل لبنان وسورية. والرخام والنحاس من قبرص واللازورد والفضة والحديد (اعتباراً من القرن الثالث عشر ق.م) والقصدير من إيران والهند وأفغانستان. وكانت سواحل شبه الجزيرة العربية والخليج العربي مصدراً لمثل تلك المعادن وخاصة النحاس والأحجار الكريمة[1].

إن هذا الوضع المتمثل بنقل هذه المواد من أماكن بعيدة يتطلب قيام علاقات واسعة كما يستجر واقعاً أمنياً يهدد التجارة الدولية سواء من قبل سكان الجبال أو سكان البادية، وهو ما تمثل بصراع الحضر والبدو، ولهذا فقد طرحت مشكلة التنظيم السياسي والعسكري مما أدى إلى توسع نفوذ الدول منذ وقت مبكرة وخلق علاقات دولية تتجاوز الشام والعراق ومصر. فمنذ وقت مبكر حاولت دولة سومر السيطرة على عيلام وإيران، وكانت الأناضول خطراً دائماً يهدد سهول سورية، وحاولت مصر مد نفوذها ليصل إلى وادي الفرات. وهكذا يتعذر الحديث عن تاريخ قديم للشام ضمن حدود معينة، بدون تتبع آثارها حتى أفغانستان وبحر ايجة والقوقاز. كما يجب ألاّ ننسى أن إنسان هذه المناطق الأسيوية والأفريقية المتوسطية قد شرع وفي أوقات متناسبة في

---

(١) انظر من أجل الزراعة والسقاية وبداية التوطن الزراعي في العصور القديمة:

Jacosem, Salinity and irrigation Agricilture in antiquiy, malibu, undenal, publication 1982.

وللمقارنة ن:

Field, ancient and Modern Man in southwestern Asia Miami I 1956;2,1961.

ولا بد هنا من مراجعة تقارير الحفائر الحديثة في شمال سورية المنشورة في حوليات المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية خلال العامين المنصرمين، والتي كشفت عن بداية الزراعة البعلية المنظمة بصورة تدعو للاعتقاد بأن مراكز المدن قد بدأت من خلال عمليات جمع وتخزين وإدارة الفائض من المحاصيل الزراعية. وكان هذا بداية لازدهار مدن مثل ماري / تل الحريري شوبات انليل تل ابلان (قرب القامشلي).

الانتقال من زراعة عصور ما قبل التاريخ إلى زراعة فجر الحضارة والتاريخ التي ما زالت عناصرها الأساسية في زراعتنا الحديثة، وهذا الانتقال والتبدل الجذري هو الذي يعد أساساً لظهور الحضارة الأولى والباكرة في شمال سورية والعراق القديمين. ويمكن القول أن سورية وفلسطين تمثلان قمة تطور العصر الحجري الحديث المتأخر وتبعتها الجزيرة السورية العليا بأوائل فخارياتها الملونة المتميزة عن بقية أنحاء المشرق العربي والأسيوي، ولا نستطيع هاهنا تتبع ظاهرة انتشار الفخار، ولا بد من العودة إلى الدراسات المتخصصة لمن يود المزيد. ولكن تتحدد سمات الحضارة النطوفية الحجرية (٩٥٠٠ ـ ٨٨٠٠ق.م) في وادي الأردن وموقع المريبط في الفرات الأوسط وتل أسود قرب دمشق حيث تظهر البيوت المستطيلة للمرة الأولى وتظهر الأسوار والقبور ومستودعات تخزين المواد الزراعية وحظائر المواشي ويظهر أوائل[1] الفخار الأبيض الفج، ويظهر إلى جانب هذا ما يدعى تقديس الجماجم وفن صناعة النصب والتماثيل.

٧ – صناعة الفخار المبكر ونشوء الثقافة أو الحضارة الشامية:

يمكن لتطور صناعة الأواني وخاصة الأواني المصنوعة من غضار الكلس الأبيض والرمادي أن يكون قد أذن ببدء التمايز الفني والثقافي بين مراكز إنتاج الفخار في حوض الفرات وشمال سورية وجنوب العراق والأناضول في أواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث ق. م. وهي مراكز سكانية بدوية ونصف حضرية تمارس الزراعة ورعي الأغنام والماعز والأبقار والخنزير. وقد أثبتت مواقع مثل تل حسونة وتل الدباغية في شمال الجزيرة السورية وعلى سفوح زاجروس وجود مثل هذه المواقع منذ الألف السادس ق.م، وظهر فيها أنماط معمارية مستطيلة وبيوت سكنية ومخازن واسعة للحبوب من اللبن الطيني المجفف. وقد امتدت ثقافة حسونة – الدباغية حتى إيران. وشكلت قاعدة واستمراراً في ثقافة سامراء التالية، التي تسجل تقدماً تقنياً وفنياً واسعاً في

---

(١) ن:

K.kenyon Excavations at Jericho 2 vol, Londres 1960-1964.
Moortgat tell Chuera in Nordost Syria, Cologne Opladen 1960.
CIFA, Schaeffer, Ugaritica, 5 vol, Paris 1939-1968.

مجال صناعة الفخار. وقد كشفت حفائر تل الصوان عن مخطط قرية زراعية انموذجية تعتمد الري المنظم، وقد ظهر فيها سور حماية، ربما كان للحيوانات، وتعتبر مواقع استقرار سورية مقارنة مع جوارها العراقي غير مهتمة في هذه الفترة (حوالي ٦٠٠٠ ق.م) بلوع وزينة الأواني الفخارية، كما أن العمارة في تل حالولة ما تزال تحن إلى البناء الدائري الشكل، في حين كانت الثقافة السامرائية العراقية تتطور نحو ثقافة تل العبيد، التي ستظهر بداية في تل صبي أبيض على البليخ وفي مواقع على نهر الخابور، حيث ظهر فخار العبيد بأجمل أشكاله في المشرق العربي وجواره. ويمكن أن نرى من خلال ذلك تزايداً سكانياً وتطوراً زراعياً وعمرانياً في شمال سورية والعراق على حد سواء. وظهرت بعض الأعمال الفنية في القبور وجدران البيوت تمثل حيوانات النمر وطيور الصقور التي اعتبرت بداية التفكير الرمزي في الشام. وظهرت مشخصات فنية أنثوية صغيرة. ثم تطورت صناعة الفخار من حيث الشكل واللون وظهرت البيوت متلاصقة الواحد جانب الآخر، إلى جانب ظهور ساحة جماعية. ولكن هذه المواقع لا تشكل مدناً بمعنى الكلمة حتى هذا المستوى من التطور[1].

٨ - ثقافة العبيد ٦٥٠٠ - ٣٧٠٠:

دلت الحفائر الحديثة على وجود ثقافة العبيد في أعمق طبقات تل العويلي في جنوب العراق وقد امتد تأثيرها ليشمل الرافدين وسورية شمالاً والخليج العربي جنوباً. وقد تميز بظهور نشاط زراعي واقتصادي مكثف وبيوت واسعة ومتعددة

---

(١) من أجل الاستقرار وصنع الفخار في شمال سورية:

P.M.M.G. Akkermans, Villages in the steppe. Later Neolitic settlement and subsistance in the Balikh valley northesn Syria.

وهي أطروحة دكتوراه في جامعة امستردام.

وللمقارنة ن:

J. Cauvin P. Sanlaville, Préhisoire du Levant, colloque CNRS, paris 1981; Paléorient 15, 1990.

مجموعة أبحاث مؤتمر مركز الأبحاث في باريس (CNRS).

الغرف. ويؤدي الفخار المزين بالرسوم الهندسية والملون الدور الأساسي في تعريف ثقافة العبيد[1].

٩ - بدء ظهور المدينة:

حدث ما يسمى بالثورة المدنية (ما بين ٣٧٠٠ ــ ٣١٠٠ ق.م). وتجلى هذا في مجال العمارة والتقنية والفن، وتنظيم المجتمع مما خلق تراكماً اقتصادياً وإدارياً أدى إلى ظهور الحاجة إلى الكتابة واختراعها! وظهرت هذه المراكز المبكرة في جميع أنحاء المشرق في العراق وسورية ومصر وتركيا وإيران وكان لكل منها مميزاته الخاصة. وكانت مدن بلاد الشام أقرب إلى ثقافة أوروك التي ولدت في الشمال نتيجة التبادل التجاري واختفت معه عام ٣١٠٠. وستغدو مدينة أوروك السومرية المثال الأقدم على التطور نحو المدينة في العراق والشام على حد سواء. المعبد أو القصر الذي اكتشف في جبل عرودة وحبوبة الكبيرة قرب الرقة الأقدم على التمدن في سورية حتى لحظة كتابة هذه السطور، ويظهر التطور المدني هذا من خلال طبقة من النخبة تقبع خلف تشييد الأبنية الكبيرة[2]. ويظهر بينها تراتبية اجتماعية وربما دينية ويتربع في قمتها شخصية حملت صفة ملك وكاهن في آن واحد. وكان يقود أعمال الحياة اليومية وكذلك الاحتفالات والحروب مما جعله يبدو مسيّراً للعالم في عصره. وظهر نظام العد أو الحساب من خلال الحاجات إلى التعليم والتأشير وتثبيت الملكيات أو الأحداث. وهكذا ظهر في سورية التي تلقت دروسها الأولى من جنوب العراق أوائل الألواح الرقمية الكتابية الممثلة بطبعات كرات وإشارات نظام عدّ خاص.

---

(١) من أجل مدخل وتعريف بثقافة العبيد:

S.Abboud Jasim the Upaid period in Iraq.

حفائر حديثة في منطقة حمرين وهي ضمن سلسلة:

BAR International Series 267. Oxford 1985.

(٢) أكثر من عشر بعثات أجنبية قدمت تقارير حفائرها لتنصب جميعها في حصيلة علمية مفادها أن المراكز المدنية في شمال سورية قد خلقت نتيجة تراكم إنتاج الحبوب البعلي وتسويقه من قبل نخبة إدارية ومالية.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١- بداية الألف الثالث:

عندما تَظْهَرُ المواقع المدنية الباكرة في شمال الجزيرة السورية تبدو كنظراتها في إيران ــ سوزة، حتى دلتا مصر، متأثرة جداً بالثقافة الأوروكية، وهذا يعكس ولا شك التوسع الاقتصادي والعسكري لبلاد سومر، وتعكس الكتابات الباكرة حاجة عواصل سومر للمواد الأولية من البلاد البعيدة. وقد رافق هذا التوسع تغلغل سكان جدد من البدو القادمين من سورية وشمال جزيرتها الذين حلوا محل ثقافة أوروك من المستوى الرابع. ويبدوا أن الشمال قد بدا مشكلاً وحدة جغرافية متصلة مع إيبلا قرب حلب اليوم. والواقع أن اكتشاف إيبلا قد برهن وللمرة الأولى أن شمال سورية الشامية يشكل وحدة سياسية ذات لغة اكادية باكرة، ولكنها تحافظ على التقليد السومري من خلالها اقتباسها الكتابة ومصطلحات اللغة السومرية. وقد أدّى القصر في مدينة إيبلا الدور الأول في الحياة الاقتصادية ولم يكن للمعبد أي دور في ذلك، وسنرى ذلك بصورة أوضح في ماري في بداية الألف الثانية. وعندما يظهر عصر الأكاديين بقيادة شروكين المعروف بـ صارجون/صارغون Sargon فإن هذا الأخير يعلن أنه وضع أبناءه على رأس المدن السومرية، وهذا إشارة إلى تبدل سياسي سبق الإشارة إلى بواكيره في التبدل البشري والسكاني في عصر ازدهار سومر. إنهم الأكاديون الذين عرفوا كأقدم الساميين وكان محور قدومهم وتغلغلهم في جنوب الرافدين هو محور بادية الشام ــ العراق الرافدي[1].

٢- تاريخ وحضارة إيبلا:

إن اكتشاف محفوظات إيبلا المسمارية بين ١٩٦٩ ــ ١٩٧٤ قد بدل مفهومنا عن تاريخ سورية الشامية في الألف الثالث قبل الميلاد وكذلك موقع العراق القديم

(1) A. Falkenstein Archaische texte aus Uruk, Berlin 1936.
M.W Green H.Nissen Archaische texten aus Uruk II Zeichnliste der archaischen Texten aus Uruk ABFU 11, Berlin 1987.

بالنسبة للشام. فقد كان الاعتقاد السائد، وكان هذا الحال بالنسبة للوثائق المكتوبة، أنه لا توجد مراكز حضارية في الشام تعادل نظيرتها في العراق في الألف الثالث وأنه يجب الانتظار حتى بداية الألف الثاني حيث تظهر محفوظات ماري على الفرات الأوسط.

وكانت معارفنا عن سورية ولبنان والأردن وفلسطين في الألف الثالث تقتصر على بعض الإشارات الكتابية غير المباشرة وورود أسماء بعض الأماكن ووجود بعض الآثار التي ترتبط بفترة سلالة أور الثالثة السومرية ونهاية الألف الثالث قبل الميلاد.

شرعت البعثة الإيطالية لجامعة روما، بحفائرها الأثرية في تل مرديخ، بإدارة الآثاري الشاب باولو ماتيه عام ١٩٦٤، تحت وطأة الاعتقاد السائد آنذاك، وهو أن ثقافة العصر البرونزي الأوسط بين ٢٠٠٠ ــ ١٦٠٠٠، هي التي تشكل مدخل سورية إليها، وهو ما يسمى بداية الثقافة في سورية Paleo Syrian Culture، وبذلك فإن دور سورية، يقتصر على كونها أرض عبور للنفوذ الرافدي البابلي، والمصري، وأن هذه الفترة الحضارية القديمة قد انتهت بين عام ١٦٢٥ ــ ١٦٠٠، إثر الاحتلالات الحثية المبكرة، بقيادة خاتوشيلي الأول ثم ابنه مورشيلي الأول بعد تدميره الالاخ، وحلب، ثم بابل.

كان واضحاً منذ البداية ضعف، مثل هذه النظرية، لأن المدن لم تكن لتولد وتنتهي هكذا، بل يحتاج تطورها، واختفاؤها إلى مئات السنين.

وهكذا فإن المدن التي قضى عليها الحثيون لابد أنها ترجع بثقافتها إلى زمن لا يقل عن ألف سنة، ولكن هذا يحتاج إلى أدلة مباشرة. وقد كانت حفائر مدينة الالاخ قد قامت دليلاً متواضعاً على إمكان تطور ثقافة سورية مستقلة، منذ بداية الألف الثالث، وقد ذكر ليوناردو وولي، أن قصر الالاخ الذي يعود إلى القرن السادس عشر، يرقد فوق طبقات أقدم تعود إلى الألف الثالث، وأن القصر كان قد هدم من قبل حاتوشيلي الأول. وقد ذكر وولي أن عناصر عمارة قصر الالاخ قد انتقلت من خلال البحر إلى

قصر كنوسوس في كريت. كما أن تحليل بعض العناصر الثقافية الأخرى، أظهر تطوراً ثقافياً محلياً خاصاً، وليس مجرد استعارة أو تقليد من مصر والرافدين. ولم تكن الأدلة السابقة كافية لدحر نظرية التقليد والاستعارة، إلا بعد ظهور إيبلا كشاهد قاطع على الثقافة المحلية السورية المتطورة.

وكان تل مرديخ قد بدأ يوحي بتلك الشواهد قبل اكتشاف اسم المدينة الأصلي إيبلا وقد أظهر الفحص المبدئي للفخار السطحي أن هناك دورين أساسيين للتمدن السوري في الشمال، يبدأ الأول في النصف الثاني من الألف الثالث، والثاني في القرون الثلاثة الأولى من الألف الثاني، وكان واضحاً أن تل مرديخ يمكن أن يكون تتمة، أو رديفاً للمعطيات الثقافية التي ظهرت في تل عطشانة ـ آلالاخ.

وهكذا أظهرت تنقيبات البعثة الإيطالية منذ عام ١٩٦٤ أن الدور المزدهر من حياة تل مرديخ تتمثل بالطبقات الأثرية الأعمق، التي ترمز لها البعثة الإيطالية بـ:

٢ ب١ Tell Matdikh II B I بين ٢٤٠٠ - ٢٢٥٠ - ٢٠٠٠ في عصر البرونز القديم، ويلي ذلك دور مرديخ ٣ من ٢٠٠٠ - ١٨٠٠، ثم مرديخ ٣ ب ١٨٠٠ - ١٦٠٠، الذي يقع في عصر البرونز الأوسط ١ - ٣، وتحول التل إلى خراب مهجور بعد أعمال عدائية، تنسب إلى الحثيين الغزاة الجدد، وأقيم فوق أطلال مركز المدينة، قرية حديثة، أي في العصور الفارسية، والهلنستية.

واستخدم من أجل هذا، أحجار المدينة القديمة، وهي القسم الذي يدعى مرديخ ٦٠٠٠أ-ب VI A. B (٥٣٥ ـ ٦٠ق.م)، كما بنيت كنيسة في أسفل المدينة، من حجارتها القديمة.

وقد حصلت البعثة على نتائج مهمة في نهاية موسم الحفائر الخامس:

وهي تحديد هوية الموقع، فقد عثر على قطعة كبيرة من تمثال، أو نصب نذري في سفح المركز، خارج موطنه الأثري الأصلي، وقد ترجمت الكتابة المنقوشة على

كتف التمثال، حيث تبين وجود اسم مدينة إيبلا، مما سمح في النهاية بمطابقة تل مرديخ مع إيبلا، وهي المدينة المهمة المعروفة لنا سابقاً من خلال نصوص سومرية، وأكادية، تعود بخاصة للألف الثالث ق.م، كما ذكرت في نصوص آشورية أحدث، وكذلك في وثائق حثية ومصرية، وكان بعض المجتهدين من علماء الآثار، قد توقعوا وجودها، أي إيبلا في شمال حلب، على ساحل المتوسط، داخل الحدود التركية المعاصرة. وقد كَشَفَتْ خمسةُ مواسم متتالية ١٩٦٨ ــ ١٩٧٣ من التنقيب عن أبنية، وصروح رفيعة المستوى، تعود إلى مستوى مرديخ آ ــ ب M III A - B. (٢٠٠٠ ــ ١٦٠٠ق.م).

وظهرت أهمية مدينة إيبلا في عصر الثقافة المبكرة في سورية، التي يدعوها باولو ماتيه، الدور السوري العتيق، أو القديم Paleo Syrian (أي البرونز الأوسط Midll Bronz)، وهو يعاصر عهود مدينتي اسين ــ ولارسا، الشهيرتين في جنوب العراق بين ٢٠٠٠ ــ ١٨٠٠ق.م، أما بالنسبة لطبقات المدينة التي سبقت عهد حمورابي البابلي ١٧٩٢ ــ ١٧٥٠ق.م، فقد تم الكشف عن بوابة كبيرة في الجنوب الغربي، وهي تؤدي إلى مصطبة كبيرة، عُثر فيها على بقايا معبدين في مستوى المدينة المنخفض، وقد كرسا للإله رشب أو آدد وشمش، وعثر على معبد آخر في مركز المدينة من جهة الغرب، وهو مكرس لتقديس الربة اشتار، عشتار، وعثر على زقاق من البيوت الخاصة، ومقبرة في مستوى المدينة المنخفض من جهة الغرب، وعثر كذلك على قسم محدود من القصر الملكي في قمة المركز من جهة الشمال، وكشف المنقبون عن قسم كبير من القصر الإداري للمدينة من جهة الغرب. وقد بنيت جميعها في عهد الثقافة القديمة السورية، ويذكر ماتيه أن إيبلا قد أقامت علاقات وطيدة مع مدن الأناضول، وبخاصة المراكز التجارية الآشورية العتيقة في كبادوسيا، ويضيف بأنه لا تتوافر دلائل قاطعة عن أوضاع سورية من جهات مجاورة، وبخاصة بلاد الرافدين،

في القرنين الأولين من الألف الثاني، ولكن من المحتمل أن إيبلا وهي المركز المدني القوي، قد أدّت دوراً مهماً في تأسيس الثقافة السورية العتيقة، واستمر هذا الدور حتى ١٨٠٠ق.م تقريباً، وتعد حلب عاصمة بلاد يمحاض مركزاً حضارياً مهماً وسلطة سياسية في شمال سورية في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ويعتقد مانيبه أن إيبلا قد تحولت في هذا العصر إلى مدينة ثانوية، في دائرة السلطة الحلبية القريبة منها، بدليل ذكرها في نصوص آلالاخ، حيث تم زواج ملكي بين عائلتي المدينتين الملكيتين.

١- تنقيبات القصور الملكية :

اكتشف القصر الملكي الكبير عام ١٩٧٤ ويعود إلى عصر البرونز القديم ٢٤٠٠ ــ ٢٢٥٠، ويمتد على مساحات كبيرة، وقد أعطى هذا القصر معلومات كونت ما يعرف بثقافة سورية في الألف الثالث ق.م المركز الإداري، والاقتصادي والسياسي للمدينة، التي كانت معاصرة للأدوار الحديثة، من السلالات الباكرة، وللأدوار الأولى للعصر الأكادي الرافدي. مما يدل على أن إيبلا في هذا العصر كانت مركزاً لقوة سياسية تمتد إلى حدود طوروس شمالاً، حتى قطنة ــ حمص الحديثة جنوباً حتى الأمانوس غرباً، حتى حوض البليخ شرقاً واكتشفت قاعة العرش الكبرى. وقد عُثر إلى جانب القاعة على محفوظات الدولة الكتابية بأعداد كبيرة (حوالي ١٥٠٠٠ لوح) ومواد أثرية نفيسة، كانت قد قدمت إلى القصر كهدايا أو ضريبة.

نستطيع التعرف على ملامح فن العمارة السوري من خلال هذا القصر، حيث بقيت آثار كافية للدلالة على ثقافة العمارة السورية، ورغم النهب الذي تعرض له القصر، بعد حرقه، كما يقول باول مانيبه، فقد عُثر على بعض الحلي الذهبية، وبعض أعمال النحت النافر على حجر كلسي، ونحت على الخشب، والذهب واللازورد، وأجزاء تمثال لأمير وأميرة، وعدد من صفائح الذهب التي كانت تزين أثاث القصر، وكمية من اللازورد الطبيعي غير المصنع، والمستوردة من جهات إيران، وعدد من

المزهريات الرخامية، والجصية، المصنعة في مصر، ومن قصر ممنفيس في عهد فراعنة الامبراطورية القديمة.

وتتضمن هذه الألواح معلومات استثنائية، وبخاصة عن السكان، واللغة، والإدارة، والاقتصاد، والمجتمع والدين. إنه باختصار أقدم مركز ثقافي وحضاري لسورية وبلاد الشام عامة، يوازي عصر أكاد في الألف الثالث ق.م.

لقد ظهرت ثقافة متكاملة ومتعددة من خلال حفائر القصر الملكي، ومن خلال النصوص التي ترجمت حتى الآن إلى الإيطالية، ولغات أخرى، ولم يترجم إلى العربية سوى المضمون، ولم تترجم المجلدات التي تجاوزت العشرة.

وهناك كثير من الدلائل التي تشير إلى أن أصول هذه الثقافة تمتد إلى أوروك، جنوبي العراق، حيث عثرنا على بداياتها في جبل عروده وحبوبة الكبيرة، وتل كنعاس على الفرات الأوسط، في منطقة سد الثورة، وحوض الرقة، ونعلم أن هذه الثقافة أي ثقافة أوروك المبكرة قد امتدت حتى وصلت إلى الأناضول، ويعتقد ماتييه من خلال الحفائر أن آثار هذه الثقافة الأوروكية المبكرة (بداية الألف الثالث)، وكذلك جمدة نصر (نهاية الألف الرابع)، قد ظهرت قرب إيبلا على نهر قويق، ويضيف: أن أثر أوروك السومري المبكر، قد دفع بالثقافة السورية المبكرة، وأظهرها في شمال سورية، وكانت موازية ومعاصرة لثقافة ما قبل فترة حكم السلالات في بلاد الرافدين، حتى العهد الأكادي الشروكيني.

وقد اكتسبت الثقافة السورية القديمة بميزاتها الأصلية التقليدية، المستقلة، منذ تلك الفترة المبكرة لحكم السلالات بين ٣٠٠٠ ـ ٢٣٥٠ ق.م، كما تحددت البنية الدينية والاجتماعية، وبخاصة المظاهر الحضارية السورية المتميزة عن نظيرتها العالمية، أو العراقية المعاصرة.

فقد كان سكان إيبلا وشمال سورية، كما في غيرها من مواطن المشرق العربي القديم، يتكلمون لهجة أكادية غربية، تقابل نظيرتها الشرقية العراقية، إلا أنهم كتبوا

لغتهم آنذاك، بالنظام الكتابي المسماري السومري، الذي اقتبس من خلال اقتباس سورية لثقافة أوروك، وجمدة نصر المبكرتين، وكانت بنية هذه اللهجة أكادية صرفة، تتميز عنها بميزات اللهجات الغربية السورية، الداخلية، والساحلية الشمالية، وعبرت عنها محفوظات إيبلا التي طمرت بعد تهديم المدينة عام ٢٣٠٠ق.م، وتمثلت ديانة إيبلا السورية القديمة بوجوه إلهية مقدسة، ذات أصول محلية خالصة، ومشهورة مثل:

دجن ــ وإشتار عشتار ــ ورشب ــ رشف ــ وكميش، وهناك أسماء آلهة غير معروفة، مثل: كورا، ونيداكول، لكننا سنتعرف عليها في العصور التالية:

وتتجلى الثقافة الدينية هذه في أعمال فن وبناء ملكي، ولا تتوضح لنا معالم الثقافة الدينية الشعبية، ويلاحظ أن الفن قد تجلى هو الآخر من خلال أعمال القصر الفنية، ذات الصفات والمميزات الطبيعية القاسية، وقد انتشر هذا النمط الطبيعي إلى الغرب والساحل السوري، ليكون وحدة فنية سورية طبيعية متقدمة، وقد كانت جذور هذا الفن الطبيعي قد بدأت في وقت مبكر لدى كبار الفنانين الطبيعيين المرهفين، الأكاديين الرافدين في عصر شروكين خاصة ثم انتقل إلى سورية من خلال ماري وإيبلا.

لا توجد معلومات واضحة عن علاقات إيبلا مع بقية المدن المعاصرة التي ذكرت في نصوص سومرية وأكادية، مثل: أوروك ولاجاش، وأجاد أو أكساد، وقد سارع بعض رجال الدعاية والصحافة الغربيين ــ استناداً إلى تصريحات وتفسيرات متسرعة من بعض اللغويين الإيطاليين ــ سارعوا إلى الربط بين أسماء مدن سورية ذُكرت في نصوص إيبلا، ولكنها مجهولة الموقع، ومدن أخرى فلسطينية، ذكرت في التوراة، في عصر كتابة هذا الأخير في القرن الرابع الميلادي، مستغلين بذلك عدم وصول ترجمات صحيحة وموثوقة لنصوص إيبلا في فترة السبعينات من هذا القرن، أما الآن (ونحن في عام ٢٠٠٣)، فقد نشرت معظم النصوص الأساسية، وتبين عدم صحة تلك المطابقات غير الواقعية، كما أن التاريخ يحتاج إلى شواهد مادية وليس مجرد مقاربات لغوية.

إن صلات إيبلا مع مساحات واسعة من أراضي سورية والعراق القديمين، لأمر طبيعي، تدل عليه مخلفات أثرية مادية، أما الدلائل النصية، فلا تزال فقيرة، ولكن يبدو أن إيبلا قد أقامت علاقات مع وادي الفرات، بدءاً من مدينة كركميش - جرابلس - وإيمار - مسكنة - وتوتول، بين الرقة ودير الزور، وماري قرب أبو كمال، على حدود سورية والعراق. وشملت هذه العلاقة أيضاً وادي البليخ، والخابور، ودجلة، حيث تذكر مدينة هناك اسمها ككمو، وخمبازي، ولكن علاقات إيبلا مع كيش غير واضحة من خلال النصوص، إلا أنها تذكر أن أميراً من إيبلا قد زار كيش في بلاد أكاد، ولكن لا يوجد ذكر لعاصمة الأكاديين آنذاك أجاد، التي أسسها شروكين، مؤسس الإمبراطورية الأكادية، كما لم تذكر عواصم ومدن سومر الشهيرة، سوى في بعض القوائم المعجمية.

ويذكر اللغويون الطليان المشرفون على ترجمة نصوص إيبلا ونشرها وجود علاقات خاصة مع مدينة ماري، وأن هذه الأخيرة قد دفعت جزية للأولى، خلال فترة معينة على الأقل. ولكن لا صحة لما شاع من خلال بعض التفسيرات عن قيام حرب بين إيبلا وماري، وانتهاء ذلك بنصر كبير عليها. من جهة أخرى هناك كأس حجرية من الديوريت عثر عليها باولو ماتيه، مدير التنقيبات الإيطالية، وقد أرجع مكان صنعها إلى مصر في عصر فراعنة الامبراطورية القديمة في منتصف الألف الثالث - عثر خرفرن Khrfren، من السلالة الرابعة - وكذلك عثر على غطاء جصي، ظهر عليه اسم بيبي الأول Pepi، من السلالة الرابعة. وتدل هذه اللقى على أهمية إيبلا السياسية والاقتصادية، بنظر فراعنة العصر الإمبراطوري القديم، وإلا لما كانوا أرسلوا مثل هذه الهدايا القيمة إلى القصر الإيبلي.

وهكذا نجد أن عظمة اكتشاف إيبلا لا يكمن في عمارتها وفنونها المتميزة وحسب بل في محفوظاتها الوحيدة في الألف الثالث، والتي كنا ننتظر مثلها من أرض الرافدين السومرية، أو الأكادية، أو البابلية، أو الآشورية، إن ظهور هذا الكنز

الكتابي، في سورية هو ما يعبر عنه بأنه ثورة وانقلاب في مفاهيم التاريخ القديم، وسلمه الزمني السابق. وهو الدليل الوحيد على أقدم ثقافة سورية شامية عربية.

لقد سمح لنا اكتشاف إيبلا، باكتشاف عمارة سورية وفنها قديم معاصر لسومر وأكاد، وسمح لنا باكتشاف لهجة أكادية قديمة، لم نعثر على نظيرها في بلاد أكاد نفسها حتى هذا اليوم، وهذا يعني أن أصول العربية التي نتكلم بها اليوم تبدأ من هنا على مستوى النص على الأقل.

كما أننا اكتشفنا فرعاً جديداً من ثقافة أسلافنا السومريين والأكاديين، وما يزال الباب مفتوحاً لاكتشافات مماثلة، وستبقى إيبلا وحضارتها مثار نقاش وأخذ ورد في السنين المقبلة، إلا أن ترجمة محفوظاتها، ونشرها باللغة العربية مهمة قومية، تحمي تراثنا من تفسيرات العدو الصهيوني الذي يعبث ويفسر تاريخنا وفق أطماعه السياسية، وأخيراً يمكن تلخيص أهمية إيبلا بالقول: إنها ليس إلا سومر وأكاد الغربيتين، وليست سوى موطن آخر لثقافة العرب والعالم.

٢ ـ ألواح إيبلا الكتابية :

لابد لنا من تقديم بعض التفصيلات عن مضمون الألواح الكتابية، ونكرر قبل ذلك أنه لا يوجد حفائر أثرية قدمت وثائق كتابية غنية مثيلة لما عثر عليه باولو ماتيه في تل مرديخ قرب حلب في سورية. ويجب أن نعود القهقرى إلى عام ١٩٢٩، عند اكتشاف أوغاريت ــ حيث يمكن القول إن الاكتشافين متعادلان، رغم أن هناك اختلافاً أساسياً بين ما قدمته هذه الأخيرة وإيبلا، حيث إن أوغاريت قدمت وثائق مسمارية مقطعية، وأبجدية مسمارية، متنوعة الموضوعات، تتعلق بالقرنين الرابع والثالث عشر قبل عصرنا المسيحي، ولكنها لم تملأ فراغاً أو نقصاً كبيراً، كالذي حدث بعد اكتشاف إيبلا، فقد أدت الحفائر الإيطالية قرب حلب إلى واقع تاريخي جديد، أهمه أنه قد كشف النقاب أو التراب عن إمبراطورية جديدة، معاصرة لمثيلاتها، مثل أكاد ومصر، ولم يعد شاروكين وامبراطوريته التي أسسها نحو ٢٣٧٠ وحيدين في العالم الرافدي القديم.

ومن جهة أخرى، فإن اسم مدينة إيبلا لم يكن مجهولاً لدينا قبل اكتشافها ، فقد ذكرت في كتابات الملوك الأكاديين، الذين حاولوا السيطرة على سورية، للوصول إلى البحر وما وراءه، ولكن تلك التنويهات إليها لم تكن كافية لتقدير أهميتها وحجم ثقافتها فقد كتب شروكين الأكادي في حولياته:

«إن الإله دجن قد وهبني البلاد العليا، وهي ماري، وبرموتي، وإيبلا، حتى غابات الصنوبر، أو الأرز (في الأمانوس)، حتى جبال الفضة» (أي جبال طوروس غالباً) وربما كان هذا حافزاً لخلفه نارام سين، الذي ذكر في حولياته هو الآخر:

«منذ خلق العالم، لم يقتحم أي ملك مدينة أرمانوم (ربما حلب)، وإيبلا.. فقد شق الإله نرجال الطريق أمام نارام سين، الملك القوي، وأعطاه الملك في أرمانوم وإيبلا».

وهكذا تلتقي هذه المعلومات الخارجية مع اكتشاف إيبلا على أرض الواقع.

سبق أن ذكرنا أن التقط باولو ماتيه بيديه أكثر من ١٥٠٠٠ نص بين كامل ومتكسر متنوعة الأحجام، والأطوال من ٤ ــ ٨ ــ ٣٦ سم، ويتضمن بعضها ٣٠ عموداً كتابياً على كل وجه من اللوح، وقد كتبت هذه الألواح بالنظام الإشاري الكتابي السومري، من جهة أخرى كانت اللغة السومرية، لغة الكتابة، والتجارة في الألف الثالث، ثم اندثرت بسبب تطوير الأكاديين لنظامها الكتابي التصويري إلى آخر يدعى المقطعي المسماري، فكان أسهل من حيث عدد الإشارات المستخدمة، حيث انخفض إلى ٥٠٠ بدل ٣٠٠٠ سومرية. وكان هذا خطوة أخيرة لما قبل اختراع النظام الكتابي الأبجدي. واستخدمت الكتابة أولاً في المسائل الزراعية والتقانة، ومن ثم أضاف الإيبلي خصائص لغته إلى الإشارات المسمارية السومرية، واستخدم أصوات إشاراتها، وتبين وجود بنية لغوية إيبلائية، من أفعال وأسماء وضمائر، وتبين أنها لهجة أكادية ذات خصائص غربية إيبلائية.

وبذلك فُتح حقل جديد من الدراسات اللغوية، حيث توافرت نصوص أقدم من نصوص أوجاريت بألف سنة، ولكن البحوث اللغوية ليست يسيرة، بسبب ازدواجية لغة الكاتب الإيبلائي، فقد استخدم اللغة السومرية، حتى في الكتابات الإيبلائية غير

الحسابية، أو الإدارية، أي الرسائل. وهكذا لابد من معرفة قراءة السومرية لقراءة الإيبلائية.

هذا ويتألف مضمون المحفوظات من معلومات إدارية وسجلات دخول وخروج المواد الأولية، والمنتجات الرفيعة، والمعادن الثمينة، وتسليم المواشي، وتوزيع المؤن، وهناك بعض الرسائل، والوثائق الرسمية، والمعاهدات العامة، التي تتعلق بالحياة السياسية لذلك العصر.

ومن جهة ثانية لم يظهر نصوص تذكارية، أو حوليات، كالتي عثر عليها في بلاد الرافدين، وهناك نصوص تعليمية، ومعاجم صغيرة، تفيد بدراسة لغة إيبلا ولكن مايزال ينقصنا الكثير في البعد السياسي.

وأخيراً هناك بعض النصوص القليلة، ذات الطبيعة الأدبية والدينية، وهي أساطير وملاحم، وأدعية، وصلوات، وطقوس، ولكنها ليست سوى إشارات محفوفة بمخاطر التفسير، إلا أن النصوص الإدارية تبقى المصدر الأساسي لفهم قيمة هذه الثقافة الجديدة.

٣ ـ اتساع علاقات ايبلا :

كانت إيبلا ترتبط بعلاقات مهمة مع حوض الفرات الغربي، أكثر مما هو الحال مع الغرب، والبحر المتوسط، وذلك بسبب الحاجة الزراعية والاقتصادية، إلا أن ذلك لم يمنعها من إقامة علاقات مع مصر، بدليل العثور على مزهرية مصرية، نقش عليها اسم ببي الأول، وخفرن Chepren من عهد الامبراطورية القديمة، وهناك ذكر لمدينة أوغاريت في لوائح جغرافية، وربما اراوا، أو جُبلا ـ جبيل ـ ولكن الأمر لم يؤكد بعد. وتعكس النصوص الإدارية مدى اهتمام السلطة الإيبلائية بأراضي الفرات، والشمال، والشرق عامة، إذ يرد اسم كركميش، وحران، وماري، ولجر، وأورسم، وهناك عشرات القرى والمدن، التي دونت أسماؤها بشكل مطابق لما هو الحال في نصوص ماري، وألالاخ، ولكن المدهش هو غياب اسم مدينة حلب - خلب - أو

بمحاض، ولا يزال الاعتقاد قائماً أن كان للمدينة اسم آخر في العصر الأكادي العتيق، وهو ارمان أو أرمي، ولكن هذا الأمر ليس مؤكداً حتى الآن.

إن تركيز إيبلا على الفرات، وسهول الجزيرة، أمر طبيعي نظراً لكون حوض لفرات مركز الحضارات القديمة، وعلى ضفافه نشأت الزراعة، والصناعة، والتدوين، والكتابة، فقد استعار الإيبلائيون الكتابة من بلاد سومر، وأقامت علاقات تبادل اقتصادية، أدت إلى تكدس ثروات كبيرة فيها، وجعلت منها قوة سياسية، واقتصادية ترقى إلى مصاف سومر وأكاد ومصر.

٤ ـ أول نظام ملكي سوري :

لقد عرفنا من خلال نصوص إيبلا ـ خمسة ملوك ـ حتى الوقت الحاضر، وهم:

اركب دمو، واجرش ـ حلم، وار ـ انوم، وأبروم، وإيبي ـ سيبيش، وقد علمنا أن الأخير هو ابن سابقه، وعلمنا أن هؤلاء الملوك قد استخدموا اللقب السومري المعروف (إن En)، وهو ما يعادل بلغة إيبلا (ملكوم)، أي ملك، ونجد في النصوص تعبير (ملكتوم) أي ملكة، كما لوحظ (إن) السومرية، تعادل بأكادية العراق تعبير (بلو Belu) أي بعل وسيد، ومولى، أما الملك فهي (شاروم)، ويعادلها لوجال Lugal بالسومرية، ويعادلها بالإيبلائية الخازن، أو نائب الملك. إن التعبير (لوجال) يدل على الملك بلاد الرافدين، ما عدا أوروك، حيث يستخدمون بدله (إن)، أما سورية فالصورة معكوسة، ونجد أن مملكة ماري – المنطقة الوسطى – قد استخدمت الحالتين، حيث يمكن للملك أن يدعى تارة (إن)، وأخرى (لوجال)، من جهة أخرى لا يمكن القبول باستنتاجات جورج بتينانو، أن هناك نظاماً ملكياً منتخباً، وأن الملك يعين لمدة سبعة أعوام، فالأدلة التي ذكرها غير مقنعة. فقد بنى بتينانو استنتاجه على سجلات توزيع مواد أو هدايا خلال سبع سنين؟ في حين أن التسجيل قد جمع ولخص أعمال القائمين على المستودعات خلال سبع سنوات، كما أن وجود لقب (إن)، قبل أسماء كبار المسؤولين، لايثبت أن هؤلاء كانوا ملوكاً بصورة دائمة، كما لا يثبت توزيع الحبوب

لحاجات الملك، أو لشخصيات أخرى، يحملون أسماء مشابهة لسابقيه، أننا أمام مجلس استشاري للملك، لأن الأسماء تتكرر في العائلة الواحدة، كما أن طقس المسح بالزيت لا يقدم أية معلومات إضافية، لأنه عادة قديمة في المشرق العربي، ونلاحظ استمراره فيما بعد، وبخاصة في الأعياد الآشورية، ومناسبات أخرى في مدينة ماري. ويمكن من جهة أخرى أن نفهم مما تقدم أن الملك الإيبلائي، مجبر على الحفاظ على بعض التقاليد القديمة القبلية أو العائلية، مما يعني أنه لا يتمتع بسلطة ملكية مطلقة، ويبدو أنه كان يدير السياسة الخارجية والداخلية، ويسطر المعاهدات الدولية، ويوزع الوظائف، كما توجد سلطة أخرى إلى جانبه، هي سلطة مجلس الشيوخ، وهي مشابهة لما هو عليه الحال في آشور، في القرن التاسع عشر ق.م، حيث توجه التقارير إلى هاتين السلطتين، أي الملك، ومجلس الشيوخ، كما تدل بعض النصوص على وجود قضاة يتمتعون بسلطات ملكية (لوجال)، وجدير بالذكر أن هذه الإشارات النصية لا تقدم معلومات كافية، لمقارنة وظائف القاضي هذا مع نظرائه في عصور لاحقة ولكن تبقى مشكلة مهمة هي بناء الإدارة الحكومية، أو الحكومة بالمعنى المبسط، حيث إن هذا البناء لم تظهر معالمه، وبالتالي لا نستطيع فهم شيء يذكر عنه، ونعلم أنه يدعى في آشور (بيت المدينة)، أي (بيت أليم)، بالأكادية الإيبلائية، والآشورية، أما مدير الحكومة فيدعى بلهجة إيبلا (أدنو)، وبلهجة آشور (ليموم).

٥ ـ الطبقة النخبوية والمجتمع :

من الواضح – من خلال النصوص – أن العائلة الملكية وأفرادها يتمتعون بامتيازات خاصة، ويستفيدون من موقعهم، لزيادة ثرواتهم، وتنميتها، فقد وزع الملك المسمى (إيريوم) إدارة مدنه على الذكور من أبنائه، أما البنات، فقد كان هدفه إيجاد عريس مناسب من بين حكام الأقاليم، فقد أصبحت إحدى بنات ابريوم زوجة ملك إيمار، على الفرات. ومن جهة أخرى لا يبدو أن الملكة الأم تتمتع بوظائف، أو سلطة مهمة، أما بقية المستويات الاجتماعية في إيبلا فلا يختلف عما هو عليه الحال في سورية، والعراق

القديمين، وهنا مشكلة الفروق بين العبيد والأحرار، ولا يُعلم تماماً مصدر أو شروط العبودية، وليس واضحاً إذا كان المصدر من البلاد الأجنبية، إلا أن ظاهرة العبودية، تبدو كغيرها من سمات المجتمعات القديمة، وتتألف غالبية السكان من الفلاحين، والعمال اليدويين، ويأتي بعدهم مجموعة الموظفين، والإداريين، والفنانين، والتجار، الذين يمارسون أنشطتهم دون أن نتمكن من تمييز ما هو عمل خاص أو عام، وهي المشكلة التي نواجهها في بلاد آشور، ويلاحظ أن الملكيات والمشاريع الكبرى هي بأيدي كبار العائلات، وهي التي تمتلك السلطة أصلاً، لذا فإن ملكية الفرد البسيط لا تبدو لنا واضحة، ولكن التجار كباراً وصغاراً، كانوا يستفيدون من الرحلات والانتقال، كما في آشور القريبة من إيبلا، ويفيدنا ما هو مسجل في المحفوظات الخاصة بالعائلة الملكية، فهم المزيد من أوضاع الأفراد العاديين.

٦ ـ الأوضاع الاقتصادية :

إن مصدر ثروة إيبلا زراعي، ويتألف من الحبوب، والزيوت، والزيتون، والحيوانات، والنواجن، وتبدو لنا أرقام رؤوس الحيوانات ضخمة جداً في بعضها، وتبلغ الالاف أحياناً، وبخاصة الأغنام، التي قد يصل عدد رؤوسها إلى ٨٠٠٠٠ (ثمانين ألف)، وهو رقم كبير جداً، وهذا يسمح، ولاشك، بنهوض حركة صناعية نسيجية مهمة.

هناك سجلات لآلاف القطع، من الثياب المحاكة، وهي ليست مستوردة، وإنما مسجله كضرائب لحساب الإدارة المدنية، ونعلم أن حركة تجار آشور معروفة من مصادر خارجية ـ من الأناضول ـ ولا نملك محفوظاتها الخاصة، فالحالة معكوسة بالنسبة لمدينة إيبلا، ولكننا نعلم أن الملك وأمراءه ليسوا ـ في النتيجة ـ إلا تجاراً بين بقية التجار، ولكن يتمتعون بمزيد من الامتيازات، وهناك ما يدعو للاعتقاد بأنهم كانوا يدفعون حصتهم من الضرائب إلى بيت مال المدينة (بيت أليم).

إن ما يقدمه الملك الإيبلائي إيريوم إلى الإدارة المدنية، يقع ضمن هذا الإطار، علماً بأن القصر، وإدارته، يعودان للملك، هذا ويمكن القول إن التجارة عمل شخصي

حر، إلا أن حصة الدولة منها واجبة على كل تاجر، وهذا ما يجعل مفهوم التجار الإيبلائي قريب من مفهومنا المعاصر.

لقد كان تجار إيبلا يهتمون بالمواد المعدنية، وهي غير متوفرة في بلادهم، ولهذا فقد سعوا إليها عن طريق البحر، أي من قبرص، ومصر، كما سيكون عليه الحال في فترة لاحقة، أيام الأموريين الفينيقيين، وليس مستبعداً أن القوافل قد وصلت إلى الأناضول بحثاً عنها، ويظن أن تجار إيبلا، وآشور، وأمورو، قد استجلبوا القصدير من أفغانستان، وآسية الوسطى، وكذلك الأمر بالنسبة للأحجار الكريمة، وبخاصة اللازورد[1] (لابيس لازولي).

إن كمية نمواد المعدنية النادرة في محفوظات إيبلا كبيرة جداً، إذ يسجل أحد النصوص كمية ١٧٤٠ منا من الذهب، أي ٨٧٠كغ!، ويمكن مقارنة هذا الغنى السوري بنظيره في القرن الحادي عشر، زمن صعود آشور في شمال شرق سورية والعراق، إن غرابة الأمر تتمثل في أن هذا الغنى والثروة قد جُمعا في وقت مبكر من تاريخ سورية القديم. وقد جمد قسم من هذه الثروة في المعادن النادرة، كما استخدمت الفضة، وغيرها في عمليات البيع والشراء والمقايضة.

لقد كانت الغاية النهائية تأمين طرق آمنة وحرة للتجارة، ومصادرها المواد الأولية، وهذا ما يطرح مشكلة الاتصال والعلاقات العامة مع الجيران، مثل الأناضول ومصر.

٧ ـ العلاقات الدولية :

لقد كان قسم من ثروة إيبلا يأتي عن طريق الضرائب، أو الجزية المدفوعة، من مدن حليفة، أو تابعة، فكان لابد من استمرار فرض سيطرة إيبلا، أو إبرام معاهدات مع القوى المماثلة، وذلك لتأمين سلامة طرق التجارة، وهناك سجلات لبعض المدفوعات التي قد تكون جزية، أو مجرد رسوم على بضائع معينة.

---

(١) اللازورد (حجر كريم سماوي الزرقة ويدعى بالإنجليزية والفرنسية: Lapis - Lazuli ou Lazurite.

أما المدن التي يمكن القول: إنها دفعت جزية، أو ضريبة بضائع فهي على الأغلب: حران، واريتوم، واورسوم ــ ودوب، وجميعها تقع في سهول سورية على الفرات.

وهناك إشارة أدبية غير أكيدة، على قيام حملة عسكرة ضد ماري، كما ليس مؤكداً قيام معاهدة مع مدينة آشور؛ إذ قراءة اسم آشور في النصوص غير مؤكدة. وهناك عشرات النصوص التي تسجل معاهدات غير واضحة.

هذا وتسمح لنا النصوص الإيبلائية بفهم الواقع الحضاري والعمراني لسورية، قبل خضوعها للسلطة الأكادية الشروكينية، وقد بدت آنذاك إمبراطورية لا مركزية، تعتمد على استقلالية المدن والإمارات، وبروز مدينة إيبلا على رأس الإمبراطورية التجارية والسياسية يدل على ذلك.

وكان توجه إيبلا السياسي والاقتصادي آنذاك نحو الفرات،وسهوله الغنية، رغم وجود علاقات وتجارة كبيرة مع الغرب السوري، وهكذا أصبحنا نفهم أن هناك ثقافة وحضارة سورية متجانسة، مركزها الشمال، والشمال الشرقي، وسوف ترث آشور هذا الميراث الغني، بعد أقل من قرنين من سقوط إيبلا بأيدي الأكاديين، وسيكون الآشوريين مراكز تجارية في جميع أنحاء الأناضول منذ مطلع القرن التاسع عشر ق.م.

٨ ـ الدين والعبادة والألهة :

كانت أسماء آلهة إيبلا أكادية، وغريبة اللهجة، إلا أن الإله دحن Dagan، هو الإله الرئيس لها، وأصوله أكادية ــ أمورية، من بادية الشام، وصار سيد نهر الفرات فيما بعد.

وعرف من آلهة إيبلا، الإله (سيبيش) الذي يعادل شمس، والإله أدا ويعادل – حدد – هدد، وعرف من الآلهة الشهيرة الإله كميش، ورسب ــ رشف ــ والإله اشتار ــ عشتار المذكر، ومؤنثها عشتارته، والإله ليم والمعروف في ماري، وهناك وجوه إلهية غير معروفة سابقاً، مثل دمو، وكورا، ونيداكول، وآلهة سومرية مثل أنكي ونينكي وحورية، مثل أشتابي، إله الحرب، والإلهة خبات، وإشارا، وعرف اسم آشور بين أسماء العلم.

هذا وما تزال الطقوس الإيبلائية غير واضحة، إلا أن القائم على إدارتها يدعى باشيشو Pashishu ـــ الذي يسمح ـــ ويساعده آخرون، يدعون أشيراتوم، واشارتوم، كما يوجد ذكر لكاهن يدعو نبيتوم، وهو التعبير الذي يطلق على الكاهن المتنبئ بأحوال الناس، والغيب؟ وسنعرف المزيد عن وظيفة نبو (أي نبي) في عصر حلب وبابل.

وقد عرفنا مثل هذه الوظيفة في ماري، تحت اسم أبيلو، أي المتنبئ، وقد جرت احتفالات إيبلا الدينية، على شرف آلهتها المحلية، وتشهد النصوص الطقسية الأخرى، مثل الصلوات والأدعية، والأناشيد، على صلة وثيقة بديانة سومر، وهذا يؤكد من جديد وحدة الثقافة والحضارة في سورية/الشام والعراق القديمين.

وقد ظلت بعض النصوص من عصر شروكين التي عثر عليها في ماري غير مقروءة ولم تنشر. كما أن بعض معلومات نصوص أور الثالثة لبست أقدم من النصوص التأسيسة لماري ـــ نص يخدون ليم الشهير (نهاية القرن ١٩) ببضع عشرات من السنين.

إن الرُّقم أو الألواح الطينية المكتوبة بالمسمارية التي عثر عليها المنقبون الطليان تعتبر في حقيقة الأمر السجل والمحفوظات الملكية، إذ عثر عليها في محيط قاعة القصر الملكي وقد رتبت على رفوف خشبية باستثناء الكبير منها الملقى على الأرضية، والمدور منها وضع في سلال. وقد كان مجموع الألواح المكتوبة الكاملة ١٧٢٧ واقل من عشرة آلاف قطعة أو كسرة مهمة يمكن جمع الكثير منها للحصول على لوح كامل. وهكذا فقد جهد المنقبون الطليان، وعلى رأسهم مكتشف إيبلا الأستاذ باولو ماتيه لتقديم هذه المحفوظات بأجمل حلة، مما مكن اللغويين من ترجمة ما يقرب من عشر مجلدات حتى اليوم. فصار مصدراً وحيداً بلا منازع – حتى الآن – عن الشام والعراق في آن واحد... إذ لم يعثر في العراق بعد على ما يماثل هذا الكنز الكتابي العظيم. وللمرة الأولى يعد اللغويون ستمئة لوح مكتوب يمثل السجل الملكي لتوزيع الحصص الشهرية من الألبسة على بلاط القصر. وقد كانت الألواح مصفوفة

على مجموعات من عشرة. كما أحصى الأثاريون اللغويون ثمانية ألواح تسجل كلها المواد المعدنية الأولية المسلمة للقصر والقادمة من مدن وعواهل آخرين. كما عثر على السجل السنوي للمعادن الثمينة. وكانت الرسائل الرسمية والمراسيم الملكية والمعاهدات السياسية، والتقارير الخاصة بالبلاط قد رتبت في أعلى الرفوف. وإلى جانب ذلك وجدت نصوص تعويذية وسحرية ونسختين من إجراءات تنصيب ملك إيبلا. وعثر في المستوى الأدنى من مجموعات النصوص التعليمية أو المدرسية التي كان يحتاجها الناسخ أو الكاتب وخاصة لائحة إشارات المقاطع السومرية وما يقابلها بلهجة أو لغة إيبلا الأكادية. وكان في إحدى زوايا الرفوف نصوص متعلقة بالإدارة الزراعية، وتربية الحيوانات وسجل للذبائح والأضاحي من استهلاك القصر من الخرفان. وعثر على وثائق ومختصرات تتعلق بعمل الكاتب في مكان النسخ والتعليم، حيث عثر على أقلام عديدة من العظم ونصوص متعلقة بتسجيل الحبوب والمواد الغذائية التي يصل عددها إلى ٢٥٠ لوح.

٩ ـ تاريخ إيبلا : Ebla والأحداث :

هناك صعوبة تتعلق بإعادة كتابة أحداث تاريخ إيبلا، ذلك أن النصوص تكتفي بالتأريخ بالشهر وذكر بعض أحداث الوفاة، ولا شيء يسمح بتجميع سنوات متتالية كما هي الحال في جنوب بلاد الرافدين. ولا يوجد تكرار لحدث يسمح بربطه بآخر. كما لا يذكر الملك في النصوص باسمه بل بلقبه وهذا يمنعنا من تتبع سنوات حكمه. وكذلك الحال بالنسبة للملكة وبقية أسماء العائلة الملكية. وتم الكشف عن أعداد كبيرة من الأسماء الملكية الإيبلائية بعد قراءة أولى للمحفوظات التي تمتد على بضعة قرون وأجيال.

ولم نستطع أن نتعرف إلا على شخصين ملكين هما اجرش ـــ خلم Igrish Halam وإركب دمو Irkab – Damu، ولقبهما (إن En) السومري يقرأ (ملكوم Malikum) أي ملك وهذا خلاف ما عليه الأمر في العراق حيث نقرأ الإشارة

السومرية نفسها (شروم sharrum). وقد تم التعرف على شخصية ثالثة هي إشر دَمو Ishar–Damu بدون أي لقب جانب اسمه، ولكنه اعتُبر ملكاً لأنه يرد دائماً في رأس قائمة أسماء علم، بدت وكأنها أسماء عواهل إيبلائيين، هذا ولم يتمكن اللغويون الطليان حتى اليوم من التثبت من أسماء علم أخرى ذات أهمية ملكية. ولكن ازدادت الأمور وضوحاً بعد اكتشاف بعض النصوص المهمة منها أدعية احتفال تنصيب ملوك إيبلا وكان يوجد على رأس النص أسماء مثل ساجيزو sagisu وابني – ليم Ibni- Lim ويعد هؤلاء من أقدم حكام سورية. وتقدم العمل في ترتيب النصوص وأسمائها بعد جهود مضنية من محاولات مطابقة الشكل والمضمون للألواح، حيث توصل اللغويون إلى تنظيم مقبول للحوليات سنةً بعد سنة. وتم الاستعاضة عن غياب ألقاب شخص الملك واسمه بأخذ أسماء منصب الوزراء الذين ظن لأول وهلة أنهم ملوك، وقد تم التعرف على عملهم بوصفهم وزراء كبار، كما تبين أن هذا المنصب يؤخذ بالوراثة أباً عن جد. وهكذا تم الحصول على سلالة كبار الوزراء حيث يحمل اللقب أروجوم Arrugum و لو – أرينوم Lu Arennum وأرولوم Arrulum الذي يسبق اسم الوزير من مثل الوزيرين الشهيرين ابريوم Ibri'um وإبي زكير Ibbi – Zikir كما سمحت دراسة النصوص المقارنة بالتعرف على أسماء نساء القصر، وخاصة الزوجات والبنات والأخوات حيث تم ترتيب مكانتها من خلال موقعها بين بقية الأسماء وأوضاعهن الاجتماعية منذ صغرهن حتى وفاتهن وحصولهن على التقدمات الجنائزية. كما تم اكتشاف طريقة عمل المحاسب الذي يوزع التقدمات من المعادن والأقمشة. حيث استُخدِمَ سجل شهري للمعادن الثمينة، وسجل آخر أكثر تحديداً للوزن والقيمة. مما سمح بوضع ترتيب لنوعين من التسجيل. وهكذا استطاع المؤرخون اللغويون ترتيب وفهم بعض الأحداث الملكية الإيبلائية، حيث تعرفوا على التعابير المستخدمة في النصوص عند وفاة الملك اركب – دمو Irkab-damu وزواج الملك والملكة وموت الوزير ابريوم أو الملكة أو ولادة وريث العرش ارهق دمو Ir'aq - Damu. وهناك تعابير

أخرى تم قراءتها وتخبرنا بولادة الأمراء وزواجهم ووفاتهم، وهذا ما سمح بتصنيف النصوص وفق تسلسل زمني مقبول. وتم تحديد العبارات الخاصة بطقوس الدفن الإيبلائي، ومعرفة أن الشخصيات التي منحت ألبسة ومجوهرات هي شخصيات ملكية متوفاة، ومنحت ذلك كجزء من طقوس الدفن، ومثال ذلك حالة الملكين اجرش خلم واركب دمو، والوزير ابريوم وكذلك عرب ـ دمو والد الملكة دبور ـ دمو. وتم وضع سلم زمني تقريبي لتسلسل هذه الأحداث. وقد كان تعبير «زيت الرأس» هو التعبير الخاص بطقس الدفن حيث تكرر أكثر من مرة واستخدم كمظهر للأشخاص الذين حدثت الوفاة في منازلهم. ويمكن تحديد تاريخ إجراء العملية من قبل هؤلاء الأشخاص كما أمكن إجراء مقارنات تاريخية تحدد من خلالها تسلسل سلالات حكام أجانب ومعاصرين لأحداث الدفن. وهناك إمكانية أخرى لفهم الأحداث وترتيبها بين إيبلا وماري من خلال رسالة إنا دجن Enna-Dagan ملك هذه الأخيرة، أي إيبلا إذ تم وضع ترتيب للمعاصرة بين ملوك المدينتين، حيث إن ماري لم تقدم بهذا الخصوص سوى كتابات تذكارية على بعض المشخصات دون أي إشارة زمنية أو مكانية.

باختصار فإن محفوظات إيبلا تقدم معلومات تاريخية على مدى ثلاثة أجيال من الحكام، فقد أدخلت الكتابة إلى مدينة إيبلا في عهد كن ـ دمو Kun-Damu، وهذا ما يجعل من إيبلا مع مدينة جرسو، وهي عاصمة دولة لاجاش في العراق، أقدم عاصمتين لأقدم دولتين نستطيع التعرف عليهما اليوم، واحدة في جنوب العراق والثانية في سورية الشام.

ويعد الملك التالي لإيبلا اجرش ـ خلم مشيد القصر الإيبلائي المكتشف حالياً، حيث تتعزز قوة إيبلا، ويصبح الوريث التالي اركب دمو قادراً على موازنة قوة مدنية ماري، حيث يقدر أن مملكته قد ضمنت سهول إنطاكية في الغرب وكذلك كركميش شمالاً وسهول حماة جنوباً. فهي يمكن أن تعادل مملكة بمحاض وعاصمتها حلب التي سنتعرف عليها في العصر الأموري أو العموري التالي. وأخيراً يُظن أن آخر ملك وهو الرابع إشر ـ دمو قد أفل في عهده نفوذ إيبلا وتعرضت للهيمنة.

١٠ ـ دولة إيبلا ومؤسساتها :

كان المجتمع الإيبلائي الشامي مجتمعاً ملحقاً بالقصر الملكي وذلك خلافاً لما عليه الحال في لاجاش العراقية الجنوبية حيث يتمركز حول المعابد. أي لم يكن للمعابد في إيبلا أي دور تمويلي أو اقتصادي، وهو ما سنلحظه في مملكة ماري وقصرها الشهير في بداية الألف الثاني. وهكذا نجد أن معظم السكان العاملين يشتغلون في القصر ومؤسساته حيث أمكن للمنقبين واللغويين تقدير عدد المطابخ بعشرين مطبخاً ولاحظوا وجود ١٤ حلاقاً و٢٨ موسيقياً و٩ لاعبين على الرباب أو القيثارة و٢٨ ممثلاً. وهناك ما يماثل هذا العدد من المستخدمين في البلاط. أما البنية التحتية الاقتصادية فقد تم إحصاء ٦٠١ عربة و ٢٦٠حصان و ٥٠٠ حداد وهذا الرقم الأخير يبين لنا أهمية صناعة المعادن في إيبلا.

قد بنى ملوك إيبلا قصوراً ثانوية في الأرياف التابعة لهم، حيث يوجد فيها الحريم والأطفال والمرضعات الخ، وكان بعض المنشآت هذه يحمل صفة دينية ومكاناً للتعبد أو التأمل. وقد أعطى الوزير ابريوم المثال حيث امتلك هو وابنه خليفته إبي ـــ زكير قصراً بحارمه وأطفاله وراقصاته دون أن يكون للملك قصراً في المكان نفسه. وللأسف إننا لم نعثر على معلومات كافية عن عائلة الوزير إبريوم رغم معرفتنا بعض أشقائه وأمه ذات اللقب أما ـــ جل ama-gal أي الأم الكبيرة، ولكن لم يظهر له أي أخت، بل ظهرت أخت الملك وهي دينب ـــ دولوم Dinib-dulum دينب دولوم وارزادو ولم يظهر له أخوة ذكور. وقد كان الناسخ الإيبلائي يشير إلى الأخوة الأشقاء وأبناء الملك دون الأخوة من الأب وهذا هو السبب أن إشر ـ دمو لم يذكر له أخوة اشقاء بل شقيقات.

من جهة أخرى تذكر النصوص وجود قرية تدعى دوزيجو Dusigu وهو اسم الملكة أم الملك وكانت من أملاك الوزير إبريوم وعائلته. وتفيدنا صلات القربى الأمومية بين العائلتين الرئيستين في إيبلا حيث تبلغ المرأة مرتبة تهيمن فيها على

العرش دون بقية زوجات اركب ــ دمو، إذ تعمل على صعود ابنها إشر ــ دمو على العرش على حساب بقية الأمراء.

١١ ـ حكم القلة الإيبلائية وملكية الأراضي :

هناك شخصيات من الدرجة الثانية أو الثالثة بعد الملك والوزير وكانت تلقب بـ (شروم) وهو لقب الملك في بلاد الرافدين كما نوهنا أعلاه. إلا أن سلطاتهم تقع في حيز مزارع أو قرى صغيرة وقد تعرفنا عليهم من خلال النصوص التي تسجل هداياهم للملك والوزير، والتي تعتبر ضريبة مفروضة عليهم. وكان لهم أهمية بحيث يستطيع الواحد منهم الزواج من بنات الملك. فكانوا يشكلون طائفة أو قلة مدنية حاكمة بزواجهم من العائلات الملكية وقد يظن أن هؤلاء الزعماء يمثلون عشائرهم البدوية من حيث علاقتهم مع السلطات الملكية بعد استقرارهم واعتمادهم على الزراعة والرعي.

أما ما يتعلق بملكية الأرض فقد أظهرت النصوص الإيبلائية بوضوح أن الملك كان يهبها للقلة من الزعماء، كما أن ملكية الأرض لم تذكر في النصوص إلا لأفراد أو مزارعين بالتحديد ــ وعدم ذكرها لا ينفي وجودها إطلاقاً وبذلك يظن أن ملكية الأراضي تنحصر بالدرجة الأولى بالملك وعائلته والوزير وعائلته ومن ثم زعماء القبائل والعشائر. وقد لوحظ أن الملكيات الكبرى للأرض تتوزع بين أيدي هذه القلة النخبوية الإيبلائية سواء أكانت أراضيَ بعليةً أو مرويةً وتشمل القرى والمدن بسكانها أو فلاحيها ويمكن ملاحظة هذه الظاهرة أي ملكية القلة أو النخبة في العصور التالية في ألالاخ واوجاريت كما تظهر في وثائق ماري في القرن الثامن عشر وفي مدينة حلب وملكها ياريم ليم في بلاد يمحاض المترامية الأطراف والمعاصرة لماري وملكها الشهير زمري ليم.

ولكن يجب أن نلاحظ وجود بعض الأدلة على منح الأرض إلى ملاك عاديين وليس بالضرورة للنخبة فحسب، حيث يقوم هؤلاء باستثمارها لحسابهم مقابل خدمات للمانح، وباختصار يمكن القول إن الملكية العامة هي للملك وأسرته وهو الذي يمنح النخبة ويجوز

أن يمنح هؤلاء أراضيّ إلى أشخاص عاديين. إلا أننا نلاحظ غياب ملكية المعبد في إيبلا، وهذا يتوافق مع طبيعة الملكية الزراعية في شمال الجزيرة السورية والعراق وكذلك في بابل وأكاد، وهو يتناقض واضح مع طبيعة المكلية في الجنوب السومري حيث ظهر كمؤسس لدولة المعبد والمالك للأراضي الزراعية. ولكن هذه الظاهرة ستختفي لصالح القصر حيث ستنتقل التقاليد الشمالية إلى الجنوب. وهكذا نرى أن القصر هو المالك الحقيقي للأراضي الزراعية وهو الذي يقدم البذار والأدوات الزراعية وحيوانات الجر للفلاحين، وهو الذي يراقب الدورة الزراعية السنوية. أما الثروة المكتسبة فتوظف لصالح الملك وعائلته والدولة وموظفيها وخاصة موظفي القصر وأخير الأفراد العاملين في الخدمة الملكية أو الزراعية. ويمكن الإشارة هنا إلى أن ظهور حكم القصر في العراق مرتبط بظهور الأكاديين وعلى رأسهم شروكين الذي يعد مؤسس أول إمبراطورية تحكم من القصر. وفي ذلك إشارة أخرى إلى أصول الأكاديين الشامية.

١٢ ـ رموز الديانة الإيبلائية :

لا يوجد كثير من النصوص الأدبية والدينية التي تعطينا فكرة عن ممارسة الطقوس الدينية إلا أننا استطعنا تكوين فكرة عن آلهة إيبلا في الألف الثالث ق.م من خلال القوائم الاسمية التي تتضمن الهدايا والتقدمات للآلهة في المعابد في مدينة إيبلا وغيرها؛ إذ نجد على رأس قائمة الآلهة المعنية ثلاثياً مؤلفاً من كورا kura والرعود أدد/ حدد والشمس/ شمش. ويبدو أن كورا إله خاص بمدينة إيبلا، وكان أمراء الدن التابعون لملك إيبلا يقسمون يمين الولاء في معبده في مراسم خاصة بذلك، كما أن زوجة الإلهة بارما Barama تشكل معه الزوج الإلهي اللذين يتماهى معهما الزوجان الملكيان، باعتبارهما يمثلانهما على الأرض. ويعتقد المتخصصون الإيطاليون الذين يترجمون ويفسرون نصوص إيبلا حتى اليوم أن أصل كورا وباراما ليس محلياً أو أكادياً. ولكن المجمع الديني الإيبلائي مليء بأسماء آلهة سومرية وأكادية وسورية غربية كما لاحظنا، ويأتي في رأس القائمة حدد وشمش ورشب /رشف Rashap إلى

الجحيم والأوبئة. ولا شك أن احتكاك السوريين الإيبلائيين مع جيرانهم الأناضوليين القدماء وفي طليعتهم الحوريون قد أدخل بعض الآلهة ذات الأسماء الشمالية غير المحلية مثل الآلهة أداما والإله أشدابيل وذلك في وقت مبكر من الألف الثالث وظهرت وكأنها آلهة محلية في معابد إيبلا وما حولها. وهذا ما يبعث على الاعتقاد بأن الحوريين من سكان الأناضول القدماء قد هبطوا من الجبال المجاورة للعمل في السهول السورية والإيبلائية منذ الألف الثالث ق.م. وما كان من القادمين الجدد من الحوريين في الألف الثاني إلا أن تبنوا هذه الآلهة القديمة وكأنها آلهة سورية ومحلية. وأخيراً هناك إله يدعى كاموش kamosh ويظن أنه قادم من الأناضول منذ الألف الثالث ومن ثم تحول إلى كاموش أحد الآلهة المهمة في أرض مؤاب، وهناك كثير من أسماء الصفات والنعوت التي ذكرت في النصوص تتعلق بآلهة عامة ورمزية مثل إل/إله وملك وإشار Ishar العادل ودار Daar الدائم الأبدي، وهناك أسماء أخرى ذات صفات عامة أخرى مثل دمو/دم ليم/قبيلة، ولم يسجل في النصوص ظهور طقوس خاصة بهذه الآلهة ولكنها كانت مبجلة وذات قيمة عقائدية تقليدية. وسوف نلاحظ تردد أسمائها في نصوص ماري واوجاريت فيما بعد، حيث ستدخل في تركيب أسماء العلم وهو ما نلاحظه مستمراً في الأسماء المركبة ذات المعاني الإلهية الجميلة في التراث العربي. حيث ما يزال اسم الإله /إيل El حاضراً في الأسماء الدينية[1].

---

(١) إن الدراسات المنشورة عن إيبلا قد بلغت المئات من العناوين وتشمل الدوريات وخاصة (ARET): و(MEE).

ويمكن العودة إلى:

Poul Garelli, Jean Marie Durand Hatice Goanmet Catherine Breniquet, Le Proche Oricut Asiatique tome 1 Paris 1996 P. xxxiv

حيث نجد قائمة بأهم المنشورات ونذكر هنا بعضها:

P. Matthiae Ebla un impero ritrovato Turiny 1977.

مترجم إلى الإنجليزية:

An Empire rediscovered Garden City 1981. G. Pettinoto Ebla un impero inciso nll'argila Milan, 1979.
A.Archi the Archives of Ebla K.R Veenhof Cuneiform Archives and Libraries 1986, 72 - 86.

منها في العربية: إسماعيل، جبرائيل... ونحوها.

٣ - دولة ماري في الألف الثالث:

إن الحفائر الحديثة في ماري للأسف لم تكشف حتى الآن عن وثائق تعود لزمن يقدر في النصف الأول من الألف الثالث، إلا أن رسالة أو وثيقة واحدة عثر عليها في حفائر إيبلا كتبت من قبل عاهل ماري المدعو إنا دجن Enna- Dagan ويقدر زمنياً أنها كانت موجهة إلى ملك إيبلا المعاصر السابق الذكر اركب ـ دمو. وتأتي أهمية رسالة إنا دجن من كونها وحيدة، وتعد الأقدم في تاريخ ماري وإيبلا تقريباً، ويذكر «أن دجن» في رسالته أسماء أسلافه الأربعة من الملوك وفتوحهم وحروبهم يذكر اعمالـه وحروبه مقارنة بهم. وهذا ما يجعل من مدينة ماري مملكة فراتيه سورية شامية الأعتق في المشرق العربي وتعود لحوالي القرنين الخامس والعشرين والرابع والعشرين ق.م. وهناك كثير من المدن المذكورة في هذه الرسالة ولكن للأسف أن الموقع غير معروف على المستوى الجغرافي. وتوحي الرسالة بأن العاهلين الأولين المدعوين أنوبو Anubu وسأمو Sa'umu كانا المؤسسين لسياسة التوسع والفتوح. ثم يتوصل اشتوب اشتار Eshtup - Ishtar إلى ميناء ايمار على الفرات الذي يعد بوابة ايبلا وحلب ـ فيما بعد ـ على الفرات والجزيرة ثم يعمد العاهل الأخير ايبلول إبل إلى دفع عملية الفتوح حتى كركميش ـ شمال حلب ثم إلى الأناضول حيث يذكر مدينة خزوان Hazuwan وهي العاصمة الشهيرة ـ فيما بعد ـ خشو Hassu في زمن خلفه البعيد والشهير زمري ليم حيث عثر في قصره على بعض الكتابات النذرية لكبار موظفي الملك ايبلول ـ إبل، ويبدو بعد كل ما تقدم من هيمنة لماري أن إيبلا كانت مضطرة لدفع أتاوة مهمة لهذه الأولى ويمكن أن يفهم أن الرسالة قد صيغت بهذه اللهجة التذكيرية كي يبقى ملك إيبلا حليفاً تابعاً له.

وهناك وثيقة إدارية تبين أن إيبلا قد دفعت إلى ايبلول ابل ٧٦٢ كغ فضة. ويهبط هذا الرقم إلى أربعة كيلو غرام فضة في عهد خلفه المدعو نيزي Nizi ويتضاءل مبلغ الأتاوة من الذهب أيضاً في عهد ملك ماري انا ـ دجن. ثم يتوصل ملك إيبلا

اركب دمو إلى توقيع معاهدة سلام مع ماري التي تعد الأقدم من نوعها في التـــاريخ. ويظهر فيما بعد من خلال وثائق إيبلا اسم ملك يدعى إيكون أشار Ikûn Ishar الذي لا يدوم طويلاً. أما آخر ملك معروف لماري من خلال الوثائق فيدعى خيـــدار Hida'ar حيث تكون المدينتان أي ماري وإيبلا في مستوى سياسي متوازن. وتعود أهمية مـــاري بالنسبة إلى إيبلا من خلال عدد المرات التي تذكرها النصوص الإيبلائية حتى قبل ذكر مدينة إيبلا بالذات! (١).

تغيب المعلومات عن مدينة ماري فـــي العصـــر الأكـــادي ـــ الشـــروكيني /الصارجوني. وهناك بعض الوثائق المكتشفة حديثاً التي قد ترتبط بهذا العصـــر مـــن حيث الزمن، إلا أنها لم تنشر حتى الآن. من جهة أخرى عثر على قطعة نذرية مـــن البرونز مقدمة من بنات ملك أكاد نارام سين (حفيد شروكين) الذي يذكر اســـم مـــاري وعلاقته معها. هذا وأغلب الظن أن مؤسس السلالة الأكادية شروكين قد استولى علـــى ماري في إحدى أول حملاته العسكرية غرباً، وفي أول سنة من حكمه غالباً. ولا شك أن هذا تم بعد إنهاء السيطرة الأكادية على أعالي الفرات ـــ الجزيرة حيـــث عاصمـــة المملكة المدعوة في النصوص نجار Nagar وتسيطر على سهول الحسكة المعـــاصرة. وقد كانت ممالك نجار وماري وإيبلا أقوى الممالك المسيطرة فـــي شـــمال الجزيـــرة والفرات، وامتدت سيطرتها إلى الأناضول شمالاً. وبعد الصعود السياســـي الصـــاعق للسلالة الأكادية تهاوت هذه الممالك سريعاً بدءاً من نجار وماري حيث ظلـــت إيبـــلا كأبعد وآخر معقل سياسي سوري منافس، ولكنها لم تستطع المقاومـــة هـــي الأخـــرى ودمرت على يد القوة الشروكينية الهادفة إلى ضم العراق والشام القديمين تحت ســـلطته العالية. وقبل أن يتقدم شروكين إلى ماري قام بحيازة المدينة المقدسة توتـــول موطـــن دجن قرب دير الزور والتابعة تقليدياً لسلطة ماري منذ الألف الثالث، ومن هنـــاك أعلـــن

---

(١) من أجل أسماء العلم الدينية وديانة إيبلا.

A. Archi, Eblaite Personal Names and Semitic Name giving ARES 1 Rome 1988.

شروكين لقبه (ملك المعمورة) الذي كافأه به الإله العتيق دجن كما يقول في حوليته. ثم تضيع آثار ماري ولا نجد لها أثراً كتابياً في مدينة إيبلا، بينما تفود الاكتشافات الأخيرة في حفائر ماري، وعلى مستوى النصوص، إلى اكتشاف لائحتين متقطعتين من أسماء حكام ماري وعلى رأسهم شخصية تدعى إديدش ididish الذي دام حكمه دهراً يصل إلى ستين عام كما تذكر الوثيقة آنفاً، وقد كان معاصراً للملك الأكادي نارم سين وشاركالي شاري، ويليه مجموعة من اثني عشر اسماً حتى حنون دجن Hanun - Dagan المعاصر لأخر ملوك سلالة اور الثالثة المدعو إبي سين Ibbi sin ويبدو أن حكم هذه السلالة قد استمر حتى القرن العشرين ق.م وعاصرت انهيار حكام سلالة اور الثالثة. من جهة أخرى نلاحظ أن اللقب الوظيفي شكانكو الذي كشفت عنه بعض وثائق ماري لا يعني سوى حاكم عسكري لصالح ملك أجاد /أكاد Agadé، وليس كما كان يظن أنه يتمتع باستقلال في ماري تجاه سيد دجن الأكادي. وقد استمر خلال حكم شروكين وابنه ريموش وحفيده نارام سين، وكان تابعاً لسلطة القصر الملكي الأكادي في تل براك في شمال شرق سورية حيث عثر على قرميد نقش عليه اسم نارام سين. وظهرت علائم الثورات والاستقلال للمدن السورية في أواخر عهد هذا الأخير، حيث راح الأمراء المحليون يتخلصون من سيطرة أجاد لصالح استقلالهم الذاتي.

وقد ظهر استقلال ماري خلال عصر سلالة اور الثالثة وخاصة في عصر اورنامو الذي زوج ابنه من أميرة مارية تدعى ترم أورم Taram Uram هي ابنة أبيل – كين Apil - kin شكنكو، حاكم ماري. وللأسف لا توجد ألواح مسمارية توضح لنا هذا الدور، وكل ما عثر عليه من خلال الحفائر، هو بعض طبعات أختام حاشية وخدام هؤلاء الحكام، شكنكو، وكذلك بعض الكتابات التأسيسية القصيرة للمعابد. وعثر على كتابة وحيدة تتعلق بالسقاية في حوض الخابور شمال سورية. إلا أن عظمة هذا الدور غير الواضح تتجلى بالتماثيل التي يصنعها الحكام لأنفسهم مثل تمثال بوزر عشتار puzur Eshtar. وأخيراً فإن نهاية هذا الدور غير معروفة أيضاً. ولعلها كانت بسبب

التبدل السكاني والسياسي الناتج عن تدفق موجة الأموريين /العمورين القادمين من سورية وبواديها وسواحلها المتوسطية منذ بداية القرن العشرين قبل الميلاد. ولعل ماري تعرضت لهذا الغزو في النصف الثاني من القرن العشرين ق.م وليس بالمستطاع إقامة الصلة بين نهاية آخر شكنكو وظهور السلالة البدوية الأمورية في ماري من خلال مؤسسها يجد ــ ليم Yagid – Lim. ولعل المدينة عاشت فترة هجر حيث توزعت السلطات السياسية في القرى المحيطة بماري، كما استمرت الحياة في مدن المراكز الدينية الشهيرة مثل ترقا Terqa وبتوتول حيث استمر السكان والزوار من جميع أنحاء سورية والعراق بزيارة معابد دجن وشمش برعاية سلالات أمراء محليين. كما يظن أن قصر ومعابد ماري ظلت مشغولة وتقام في معبدها الرئيس الطقوس الاعتيادية. وعندما أعيد ترميم وسكن المدينة في عهدي يخدون ليم Yahdum – Lim ويسمخ ــ أدو Yasmah - Addu فقد كان لفخامة تلك الأعمال أن اندثر أو خرب الكثير من محفوظات الألف الثالث الكتابية وكذلك آثار فترة التحول الآنفة الذكر. وعندما ستظهر السلالات الأمورية الجديدة القادمة من شمال الجزيرة الذين دعوا بني سمال Ben Sim'al نظراً لسكناهم شمال الفرات والخابور فإن الوضع السياسي في سورية كان مفتتاً، ولم يكن هناك من قوة معتبرة سوى دولة إشنونا Eshnunna التي امتد نفوذها حتى مناطق ماري.

٤ – البناء والعمارة الشامية:

إذا كانت الوحدة السياسية عسيرةً خلال المسيرة الحضارية في الألف الثالث في بلاد الشام أو سورية بشكل خاص، فإن هذا الأمر سوف يحدث في وقت لاحق من الألف الثاني. إلا أن الوحدة الحضارية تتجلى في جميع مدن الشام والعراق ومن الخابور حتى الخليج العربي؛ إذ نلاحظ أن المدن والقرى تظهر بمظهر واحد يتجلى بالأزقة الضيقة والمتعرجة التي تفصل بين مجموعات المساكن ذات الأسطحة المتصلة ببعضها وباحات واسعة أحياناً تتجول فيها الحيوانات الأليفة والدواب والبيوت وحجرها

صغيرة ذات نوافذ ضيقة، وتبدو جميعها ضئيلة في ظل أبنية القصر والمعابد. ولم تكن المعابد ذات هندسة أو مخطط موحد. فقد كان المعبد البدائي ذا شكل غير منتظم وزواياه منحنية، ومن ثم يبني معبد مربع الشكل وآخر مستطيل وكانت جدران معبد خفاجة بيضوية. ولكن مهما كان المخطط فإننا نجد في جميع المعابد التقسيمات الداخلية نفسها. وأولها فسحة أو فناء المدخل ثم قاعة المعبد وفي صدرها المذبح حيث تتوزع من حوله بعض الغرف أو الحجرات . وغالباً ما تكون القاعة مستطيلة، ونجد تمثال الإله والمذبح أمام جدار قصير ووزعت المداخل في الجدار الطويل البعيد عن المذبح. وترتفع الزقورة قرب المعبد، وهي لا تخضع لمقاييس محددة لعدد درجاتها أو ارتفاعها وقد تزين واجهتها بالفسيفساء المتعدد الألوان. أما القصر فلم يكن له مميزات أفضل فقد كان حصناً ويتضمن مساحة كبرى وبلاط. يعد قصر ومعبد إيبلا في الألف الثالث مثالاً حياً في شمال سورية.

٥ - الفنون التشكيلية:

إذا قورنت الفنون التشكيلية، وخاصةً النحت، في سورية الشام في الألف الثالث مع نظيرها في العراق في اورك مثلاً فهناك انحدار واضح. ولكن نجد نظير تماثيل معبد إشنونا العراقية في مثلث الخابور السوري. ولكنها تماثيل بهيئة فجة وشكل مدور أسطواني وعيون جاحظة مصنوعة من الأحجار الملونة ومعشقة. وضع على الرأس شعر مستعار ضخم ومجعد أسود. أما تماثيل ماري وأشور فهي أكثر رشاقة وهناك الأنصبة واللوحات التذكارية التي تعد مصدراً تاريخياً إلى جانب كونها عملاً فنياً. وترينا جميع هذه الأعمال أزياء الماضي وسحنات الأشخاص، فقد كان لباس العصر الدارج مؤلفاً من جبة طويلة ذات ذيل على شكل لسان. إن المثال الأفضل لهذه الأعمال يأتي من أور وأوروك في العراق وخاصة أعمال تصوير الحروب. وتبقى المدن السورية في الألف الثالث مقلدة أو متواضعة في تشكيلاتها الفنية حتى الألف الثاني ق.م. وكان لظهور المعدن واستخدامه وخاصة البرونز الأثر الأكبر في تفهقر استخدام

الفخار في الشام والعراق ومعظم أنحاء المشرق، حيث نمت صناعة الأوانـــي والأدوات والأسلحة والمجوهرات وجميع أدوات الزينة.

٦ - التيارات الفكرية:

لا توجد ملامح واضحة لتيارات فكرية في هذا الوقت المبكـــر إلا أن اســتخدام الكتابة لم يكن مقتصراً على التسجيل المادي الإداري والتذكـــاري بـــل بـــدأ الكتـــاب السومريون بتسجيل أدعية وصلوات انتشرت خارج العراق في بلاد الشـــام ولكننـــا لا نملك سوى القليل منها في إيبلا، وتبقى نصوص صلاتيـــح وأدب وفـــارا مـــن أقـــدم النصوص الفكرية في العراق والعالم، ويجب الانتظار حتى الألف الثاني حتـــى نبـــدأ بالتمييز بين الإنتاج الفكري العراقي الرافدي أو الشامي السوري، حيث ســـنفاجأ بـــأن المشاهد الدينية التشكيلية الفنية، وكذلك النصوص تثبت أن الأصـــول لجميـــع الآلهـــة الرئيسة يبقى سومرياً عراقياً، وتبقى آلهة الشام الخاصة حتى الألف الثاني لتبرز بعض مواصفاتها. ومثال إيبلا السابق يعطينا فكرة عن هذا الوضع. إن الشعر والموسيقى في الألف الثالث يبقى حكراً على مدن جنوب العراق في أور ونيبور وشوروباك، حيـــث ظهرت أوائل الآلات الموسيقية التي تمثل العود وغيره، وظهر الموسيقيون بكثرة فـــي الأعمال النحتية. ولا شك أن الأعياد والاحتفالات الدينية قد مورست في جميع المـــدن بطريقة أو أخرى ولكن ما يزال ينقصنا المزيد من المعلومات التفصيلية حول ظهـــور النخبه المثقفة الشامية. وأخيراً فإن أمثلتنا عن التيارات الفكرية المتواضعة في الألـــف الثالث تتعلق بطبقة الحكام، وعلى رأسها الملك. وقد قدم هـــؤلاء مـــا يكفـــي لمعرفـــة عقيدتهم القائمة على إرضاء حاجاتهم الإلهية والدنيويّة ونراهم وحدهم يبرزون أعمالهم في الحرب والسلم والعدالة وتوزيع الرحمة وتشييد الصروح وما يزال ينقصنا الكثـــير حول ما الذي كان يفكر الناس به، وما الذي كان يشغل بال الفرد العادي.

الفصل الثاني

الأكاديون والأموريون في الشام

قبل الساميين والساميين

((منتصف الألف الثالث حتى منتصف الألف الثاني))

١- شامية بدل سامية.

٢ - الأكاديون (الشاميون) ومحاولة التوحيد الأولى.

٣ - الأموريون او العموريون.

٤ - الأشوريون/السوريون في الأناضول ومحاولة التوحيد الثانية.

٥ - ثقافة العصر الأموري الشامي وتجارته.

٦ - تاريخ عمارة ماري.

٧ - قصر زمري . ليم . وطموح حمورابي البابلي.

٨ - مجموعة التماثيل الجصية الرائعة.

٩ - دَوْرانِ متألقان وموقفٌ دقيق.

١٠ - محفوظات ماري من السجلات والرسائل.

١١ - التأريخ الأثري الدقيق للنصوص.

١٢ - التجارة الدولية الواسعة.

١٣ - إنجازات الحكام.

١٤ - رسائل النساء على الفخار، وموقع المرأة.

١٥ - العرافة والتنبؤ.

١٦ - نظام الإدارة في ماري الأمورية.

١٧ - السر والوشاية.

١٨ - الملوك الأموريون وملكية الأراضي.

١٩ - عدل ملوك الشام.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١- شامية بدل سامية:

لعل هذا العنوان لا يثير غضب بعض المختصين أو أولئك الذين يتعلقون بثبات الأشياء الماضية والحاضرة. إن المقابلة اللغوية بين لغات أو لهجات الماضي الأكادي العربي قد يؤدي إلى الانزلاق في استنتاجات ليست متطابقة مع معطيات واقعية. ومن يتأمل بظروف مصطلح سام وساميات فلن يجده أكثر واقعية من شام وشاميات، من حيث الجغرافيا والبعد الحضاري واللغوي. ولسنا هنا بصدد استعراض تاريخي لهذا الأمر، فمن يريد المزيد فأبحاثنا منذ عشرين عام تصب في هذا الاتجاه الواقعي العلمي لدراسة المصطلحات.

إن المكان الطبيعي لاستعراض موجز عن النظرية السامية وما أؤمن من مصطلح جديد ألا وهو شام وشاميات بات هو هذه الفقرة من تاريخ بلاد الشام بعد نهاية حضارة الأكاديين وبداية حضارة العموريين وبدايات ظهور البدو (الأراميين) التي يطلق عليها تقليداً اسم «سامية» للحضارة وللغات وللهجات، حيث إن الاسم موضوع ومختار من قبل باحث يهودي "شلوتزر" منذ نهاية القرن الثامن عشر، وهو اسم ديني توراتي أولاً، وتؤمن بمعطياته بقية الأديان. إن هذا الباحث اليهودي قد أعطى ولا شك اسماً يتماشى وثقافته وأهدافه. أما اليوم فقد بدل الأوربيون هذا المصطلح نظراً لظهور وثائق تدل مباشرة على تلك الشعوب القديمة، وعلى رأسها الأكاديون والعموريون والأراميون، وبقي يشير لديهم للدراسات الدينية التوراتية، فقد أصبح علم التاريخ القديم يدعى بعلم الأشوريات ثم الأكاديات[1]. وهذه فكرة موجز عن الآشوريات والأكاديات أو الشاميات.

٢ - الأكاديون (الشاميون) ومحاولة التوحيد الأولى:

إن ظهور أجاد/أكاد Agade كعاصمة أولى للأكاديين (أجاديين) يعد أقدم تعبير سياسي لهؤلاء الذين قدموا إلى العراق من بادية الشام أو السام بقلب الشين أكادياً. وقد استمرت التقاليد الحضارية لهؤلاء الذين خلقوا المفهوم الأول للدولة الإمبراطورية التي

---

(١) راجع كتابنا «علم الأكاديات دمشق ١٩٩٠» حيث بيّنا أسباب الاستغناء عن المصطلح: ساميات..
وراجع كتاب أستاذنا: P.Garelli, L'Assyriologie, Paris 1972

تريد توحيد البلاد من مشرقها إلى مغربها، ومن البحر الأدنى «الخليج» إلى البحر الأعلى «المتوسط» أو العراق والشام. كما يظهر الملك من خلال الفن التشكيلي مؤلهاً وموضوعاً للدعاية السياسية الإمبراطورية، في حين غاب دور الحاكم المحلي ومعبد المدينة السومري. وكان ظهور شروكين الأكادي، صاحب أول رواية عن طفولة ملحمية مماثلة لقصة النبي موسى ورويت قبله بألف سنة على الأقل، مكسان السومري المعروف لوجال زاجيزي وإعلانه السيادة السياسية له ولاتباعه من ذوي الشعور السوداء مدعاة للقول بأن العرقية الأكادية «السامية» الشامية قد ظهرت لتقضي على العرقية السومرية. ولكن التحليل المنطقي لمعطيات النصوص والفنون التشكيلية قد برهن بما لا يدع مجالاً للشك أن الصراع كان سياسياً أكثر منه عرقياً، رغم الاختلاف اللغوي والعرقي الظاهري بين الشعبين السومري والأكادي ورغم تكاثر النظريات حول هذا الأمر الذي لا نستطيع التشعب فيه[1]. ولكن ما يلفت النظر هو تكاثر العناصر الأكادية في نصوص سومر قبل صعود هؤلاء للسلطة ودون أن يظهر أثار غزو أو تغلغل مفاجئ من قبلهم. من جهة أخرى، إن ظاهرة الغزو البدوي لا تبدو لنا واضحة إلا من خلال محفوظات ماري الملكية في القرن الثامن عشر ق.م، رغم أنها ظاهرة يمكن لها أن تتكرر قبل العصر الأكادي أو بعده، إذ إن البدو كانوا وما يزالون يتنقلون على حواف البوادي وأطراف المدن الرافدية بين الصيف والشتاء بحثاً عن الكلأ والماء. ولكن القبائل البدوية القوية لم تكن لتتوانى عن الانقضاض على المدن العراقية والشامية عند أول بادرة ضعف. وهناك أزمات حدثت فيها تغييرات سكانية وانتقال كثيف كما حدث عند بدء الانتشار الآرامي في الشام ثم العراق في القرن

---

(١) من أجل المزيد راجع:

F.R kraus Sumerer und Akkader Eien problom der altmesopotamischen Geschichte, Amesterdam 1970.

E. sollberger, Aspects du contactx suméro akkadien, Genawa, N.S, 8, 1960 241-314.

الحادي عشر ق.م . وقد حدث مثل هذه الظاهرة في حوالي العام ٢٣٠٠ق.م. حيث ترك آثاراً ما تزال موجودة حتّى اليوم، حين تعرضت فلسطين لاجتياح البدو، الذين أقاموا في خيامهم فوق أنقاض ما هدموه، تاركين وراءهم آثارهم من الفخار والمقابر الجماعية وطقوس تختلف من موقع إلى آخر. وهذا ما دعا بعض الأثريين للاعتقاد باختلاف تبعياتهم القبلية.

يبدو أن هؤلاء البدو قد تغلغوا حتى مصر حيث كانت الدولة القديمة في نهاية احتضارها وكانت الشام قد تعرضت لمثل هذا الغزو قبل ذلك. وهكذا تبدو الظاهرة عامة وشاملة، ولعلها أدت إلى هجرات باتجاهات متعاكسة؛ فهذا هو شاركالي شاري shar kali sharri (ملك كل الملوك) الأكادي يلاحق الأموريين /العموريين حتى جبل بسرى كما يذكر أي (بشرى) قرب تدمر وكانت هذه المطاردة بعد خمسين عام حيث حاولوا التغلغل في العراق قادمين من سورية. وهكذا فإن التبدلات المأسوية في هذا الوقت في جميع بلاد الشام وخاصة فلسطين، قد نتجت عن ظهور الأموريين الباكر.

إن ظهور الأكاديين وظهور دولتهم لم يعكس مثل هذه التبدلات الفجائية ولكننا منذ العصر السومري الباكر نلاحظ اختراط أفراد ومجموعات من البدو الذين يحملون أسماءً أكادية في المدن السومرية، وقد دونت أسماؤهم في ألواح شوروباك العتيقة وكذلك أبو صلابيخ وفي أور، إذ نلاحظ أن الأسماء ذات المقاطع دادا ولولو وميمي وغيرها هي أسماء أكادية، ويظن آخرون أن حملة هذه الأسماء قد سبق وجودهم وجود السومريين وهم أسلاف الأكاديين الأقدم[1]، وهناك من يسميهم سكان الفرات القدماء. وكان واحد من الشخصيات العتيقة يدعى لبخشو (م) Lubahshum حيث صعد على عرش أوروك. وتتكاثر هذه الأسماء كلما صعدنا شمالاً وتوجهنا غرباً إلى ماري وبلاد الشام، وتقل الأسماء السومرية، وتزداد العناصر الأكادية حيث نجد الملوك السومريين يؤلفون فرقاً منهم في جيوشهم. وكان كبير الكهنة في نيبجزرين وهو دودو Dudu من

(1) I.J Gelb the Anceint Mesapotamian Ration System JNES, 24, 1965, 230-243.

أصل أكادي، وآخر يدعى بوبو Bubu إلخ.. وهكذا يبدو أن شروكين لم يكن ظاهرة فجائية ولم يكن الأكاديون غريبين لدى السومريين. إلا أننا لم نكن نعلم أن الغرب الشامي أي سورية والأردن وشمال الحجاز هو محور اتجاه معظم الحركات السكانية منذ فجر التاريخ حتى الوقت الحاضر، وأن بوادي الشام الأكثر خصوبة وماءً هي مهد أقدم سكان الحواف والمدن في الشام والعراق على حد سواء، وليست الجزيرة العربية وحدها كما كان يظن سابقاً. وقد كان صعود شروكين عام ٢٣٧٠ ق.م. في عاصمته أجاد/أكاد قد ألحقه بهجوم على الشام بادئاً بمدينة ماري ثم اخترق سورية حتى وصل إلى جبال طوروس الغربية، وتتغلغل في الأناضول ودُعي بحق ملك المعارك وكان مؤسس أول دولة تضم الشام والعراق وتخومهما في عيلام والأناضول. وسرت قوافل التجار بين أرجاء هذه التخوم مستفيدة من هذه الوحدة الإدارية، وهذا ما أدهش معاصريه وبقي في أذهان الأجيال اللاحقة وفي ذهان خلفائه من أبنائه الأربعة، وجميعهم سلكوا ذات الدرب إلا أن ثالثهم نارام سين قد أوضح لنا من خلال كتاباته أنه أضطر للمجئ إلى سورية على رأس حملة عسكرية قادته إلى ماري وحلب ثم إلى الساحل السوري وجهات صور. وكذلك ذهب إلى قلب الأناضول غازياً محارباً، حيث ترك أنصبة حجرية تذكارية خلفه تدل على أعماله في ديار بكر وكردستان والسليمانية، وأقام له عاصمة ثانية في شمال سورية (تل براك) لتأمين الطرق التجارية. أما آخر ملوك أكاد شاركالي شاري فقد كان عليه أن يواجه بداية الموجة الأمورية القادمة من سورية وبالتحديد من جبل بشر Basar أو بشري الذي ما يزال يحمل الاسم نفسه قرب تدمر كما أسلفنا. وكانت معركته معهم بداية العاصفة الجديدة التي ستلف الشام والعراق بالغزو الأموري أو العموري كما هو معروف.

لقد كان أسلاف الأكاديين قد انطلقوا من الشام والحجاز إلى العراق، ثم عاد شروكين ليحي ذكرى أسلافه بإعلانه في سورية عن حملة فتوح قوامها ٥٤٠٠ محارب آنذاك. وعاد نارم سين محاولاً تثبيت أقدام امبراطورية أجداده، ولكن الأحداث

تسير باتجاه الموجه الأمورية الكاسحة. ــ رغم هذا فقد **زرع الأكاديون فكرة الوحدة بين الشام والعراق منذ فجر التاريخ وصار إلههم إيل El أو (الإله) هو الله عند العرب إلهاً أعلى واحداً**، وكانت آلهة سومر وعقائدها وفنونها قد سبق وتمثلها الأكاديون ونشروها في جميع أصقاع امبراطوريتهم وأساسها العراق والشام. وكان انفتاح الإدارة على تجارة الشرق والسيطرة على طرقه قادراً على استيعاب مختلف التنوعات الدينية والثقافية؛ إذ لم يسجل أي اضطهاد ديني أو عرقي في بلاد الشام، ولا سياسي واقتصادي. وكانت المواد التجارية تجوب المشرق من الهند إلى سواحل الشام مروراً بإيران والعراق والخليج العربي إلى مصر وما بعدها. وقد عبر عن ذلك شروكين في إحدى كتاباته حيث قال: إن فتوحه قد سمحت للمراكب القادمة من ملوخا (وادي السند) ومن مجان (عُمان) ومن تلمون (البحرين) بالرسو في ميناء أجاد[1]. وإذا كان الخليج العربي والهند وإيران والأناضول مصدراً للأحجار الثمينة والمعادن والأخشاب، فإن الشام وسواحلها كانت هي الأخرى مصدر أخشاب الأرز وهي بلاد العسل والنبيذ والزيت والسمن والجمال الطبيعي. وقد استمر الأكاديون وتابعوا في تقاليد سومر وحضارتها وخاصة في الدين والفنون التشكيلية وأضافوا تجديداً وإبداعاً تجلى في أعمال نارام سين النحتية الأكثر شهرة وفي مدينته الشامية في شمال سورية وتل براك. ولقد كان التوسع السياسي الشروكيني السريع وتنبه السومريين الجديد إلى ما فقدوه من سلطان سياسي، وظهور أخطار بشرية داخلية ممثلة بالعموريين وكذلك الجوتيين، في بلاد جوتي (إيران) وتخريبهم الأرياف والمدن وسيطرتهم على العراق لما يزيد على قرن من الزمان قد عجل في فقدان السلالة الأكادية سلطانها وعادت المدن السومرية من جديد للأخذ بزمام المبادرة السياسية، وهي التي تحملت عبء طرد الجوتيين الجبليين الذين لم يتوانوا عن أخذ ألقاب أكادية وسومرية، ولكن بصورة جديدة تجمع بين ماضيهم وحاضرهم الأكادي الإمبراطوري.

---

(1) P.Garelli, Proche Orient, 68.

٣ - الأموريون أو العموريون:

من جهة أخرى كانت موجه العموريين قد أخذت أشكالاً وأسماءً جديدة، فقد تبين أن تاريخ أشور الأقدم في شمال سورية قد حُفظ عن طريق الحوليات المتأخرة، فقد ذكرت اشهر الانطلاق إلى الحرب وأشهر الرعي وأشهر القمر سين وأشهر الحصاد إلخ.. وهي أشهر تذكر بحياة البداوة في سورية حيث ظهرت فروع أمورية مثل أهل خانا/حانا وبني يمين الذين ستذكرهم نصوص ماري. وكانوا يمارسون التجارة على نطاق واسع إلى جانب رعيهم وزراعتهم وكانوا أسياد القوافل المتجولة بين سورية والأناضول. وهم الذين سيكونون الورثة والشركاء لبابل في إحياء أكاد التي لم تُمنح من ذاكرة القادة الجدد. من جهة أخرى ساعدتنا فترة الإحياء السومري على فهم العامل الأكادي السياسي الذي لم يمت وفهم القوى الأمورية الجديدة الناهضة. ولنذكر أن العاهل السومري جوديا الذي يمثل قمة الصعود السومري الديني والفني الجديدين قد استحضر الأرز من الأمانوس السورية والأحجار من مجان مجن وملوخا. وأعلن تبعية البلاد له من البحر الأعلى إلى البحر الأدنى؛ أي من المتوسط إلى الخليج تماماً كما فعل الأكاديون ووحدوا العراق وسورية لأول مرة في التاريخ. ولكن الإحياء السومري وخاصة سلالة أور الثالثة قد حفظت لنا بعضاً من تعابيرها الحضارية قبيل انهيارها السياسي النهائي، فقد ترك أورنامو وابنه شولجي، أمثلة على طموحهما الأمبراطوري، ففي عهد أعقاب هذا الأخير وخاصة في عهد أمرسوين Amarsuen تعاظم تغلغل البدو المارتو أو الأمورو قادماً من الغرب الشامي. وقام شوسين ببناء سور للحماية من هجماتهم، ولكنهم تمكنوا من تجاوز التحصينات والانتشار في بلاد سومر حيث قطعوا الطرقات وتوقف التنقل والبريد، وخربوا المزروعات مما زاد الأسعار وانتشرت المجاعة. وقام ايبي سين بتحصين اور ونيبور وعهد إلى قائده ايشبي ارّاء Ishbi Erra مجابهة المارتو. ولكن

دونما فائدة حيث انهارت السلالة الملكية السومرية الجديدة ووقعت في يد الأموريين الشاميين الجدد في حوالي عام ٢٠٠٣[١].

"نحن نعلم أننا زائلون" هذه هي العبارة الأخيرة التي تعكس حال مدينة أور آخر أيامها وردت في نص أدبي ملحمي معروف زمن ايشبي ارا. فيلخص نهاية سومر وأور الثالثة. وقد أصبحت آشور وبابل وماري وحلب في أيدي سلالات أمورية شامية.

من جهة أخرى فإن مصر بدأت بالتعرف على بلاد الشام منذ زمن مبكر من الألف الثاني وامتد نفوذها ليشمل فلسطين وأجزاء من سورية وكانت جبيل /بيبلوس اللبنانية تحت الهيمنة المصرية تقريباً. وكان الساحل يعج بالتجار الذين ينقلون المواد الثمينة إلى مصر. ونعثر على تماثيل شخصية تكريميه لفراعنة السلالة الثانية عشر المصرية في معابد بيروت وقطنة واوجاريت. ومنذ عهد الفرعون سيسوستر الثالث sesostris (١٨٧٨ ــ ١٨٤٣) الذي وجه حملة ضد سيشم sichem لم يعد يذكر شيئاً عن حملات عسكرية. ونرى بعض أهل الشام وجوارها يغادرون إلى مصر طلباً للعمل. وقد امتد النفوذ المصري حتى النهر الكبير. وعلى طوال الشاطئ المتوسط كما شمل بعلبك حتى دمشق في الداخل. ولكن هذا لم يدم طويلاً إذ إن نصوص "اللعن" المصرية موجهة ضد هؤلاء الأموريين الثائرين القادمين من فلسطين وسورية. وتبدأ المدن الفلسطينية بالتحصين اعتباراً من عام ١٨٥٠ تقريباً وهذا يعكس الوضع الداخلي وتقلباته، وكذلك وجود هجرة إلى الخارج وهو مادعي فيما بعد بغزو الهكسوس. وتتبدد آثار الهيمنة المصرية في سورية ولا نعثر على أي ذكر لمصر في المحفوظات الديبلوماسية لمدينة ماري رغم ذكر حاصور في فلسطين وذكر رجل (مصري) Misri سرقت منه بضاعته وهو على طريق الفرات[٢].

---

(1) R.D Biggs, the Organization of Power SAOC, 46, 1987, 43-54.

(2) H.klengel, Syria 3000 to 300 B.C, Berlin 1992, 104...s
W.F. Albright, BASOR, 83, 1941, 33.
A.Goetze, BASOR, 127, 190.
G. Posener, Syria, 24, 161.

من جهة أخرى تحولت جميع مدن العراق القديمة إلى مقرات لسلالات أموريـة سورية أو شامية، وبصورة خاصة في اسين ولاسا واوروك وبابل ووصلـت بعـض السلالات حتى عيلام في إيران. وما إن ينتهي القرن التاسع عشر حتى يصبح الشـام والعراق أموريا بالكامل. وتوج ذلك بصعود حمورابي الأموري الشهير على عـرش بابل عام ١٧٩٢.

٤ - الآشوريون/السوريون في الأناضول ومحاولة التوحيد الثانية:

منذ نهاية الألف الثالث ٢٢٠٠ تقريباً ظهر الفخار السوري متميزاً في الأناضول شمالاً حتى البحر الأسود وغرباً حتى كيليكيا، ولم يطل القرن التاسع عشر من الألـف الثاني حتى انتشر التجار الآشوريون في عمق الأناضول وتركوا لنا محفوظاتهم التـي سميت المحفوظات التجارية الآشورية في كبادوسيا أي ديار بكر. وما تزال المصـدر الكتابي الوحيد عن بداية دخول الأناضول التاريخ على يد هؤلاء التجار. وكـان كـل مركز يرتبط بإدارة دعيت بيت كار (بم) bit kârim[1] وهو مركز استيراد وتصديـر ومصرف وغرفة تجارية وتحصيل الضرائب وفض الخصومـات، وكـان المركـز الإداري الأول في كانيش kanish وكانت العاصمة أشور تضم بيت اليـم bitâlim[2]، أي بيت المدينة الذي يدير تلك المراكز في الأناضول. وشـملت تجـارة الأنـاضول الأصواف السورية والقصدير مقابل الفضة ورؤوس الأموال ، ويقدر الباحثون نسـبة الربح بـ ١٠٠٪ مما سمح للآشوريين تكديس ثروة من تجارتهم ساعدتهم على بنـاء جيش قوي ستكون له شهرة في البطش والدفاع عن وحدة شمال سورية والعراق علـى الأقل.

وطور الآشوريون علاقاتهم مع الأمراء المحليين والأناضول علـى المسـتوى التجاري من جهة أخرى مما زاد تبعية بعضهم وزاد قوة في بعضهم الآخـر، ولكـن

---

(١) يمكن ترجمة العبارة الأكادية إلى بيت الكار (أي) بيت المهنة أو العمل.

(2) P.Garelli, les Assyriens en Cappadoce Paris, 1963, 390-393.

A.k Graysom Assyrian Rules of the third and second millenia B.C. to 1115 B.C, rimai, Toronto, 1987; J.R. Kupper.

الدولة الآشورية غدت امتداداً امبريالياً أو عالمياً وصارت القوة التجارية والعسكرية الوحيدة في الشام والعراق على حد سواء. ولكن هذا الحال لم يدم اكثر من قرن من الزمن، حيث دبت الفوضى والضعف لأسباب عديدة أكثرها مجهول. ولكن بقايا آثار هذه المراكز التجارية في الأناضول تدل على تخريب وهجر أحياناً، إلا أن التبدلات السياسية في سورية في حوالي عام ١٨٠٧ لا بد أن كان لها تأثير مباشر على ما تقدم، ألا وهو صعود شخصية من بني يمين الرافدية السورية على عرش آشور ويدعى شمشي أدو Samsi Addu الذي جعل من عاصمته الجديدة شوباط انليل قرب القامشلي اليوم مركزاً لإدارة إمبراطوريته الجديدة. **وهكذا فإن التبدلات السكانية التي سبق الإشارة إليها وهي صعود الأموريين من خلال بعض إشارات النصوص السومرية إليهم كبدو ساكني الخيام الذين لا يعرفون تقنية الزراعة الرافدية، قد أدت شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحوا أسياد المنطقة بكاملها في بدايات الألف الثاني، ويُعد شمشي ادو سابق الذكر وحمورابي ووالده في بابل المثال الأقوى على هذا الصعود السياسي السريع.** إلا أن تبدلاً واضحاً في العلاقات الدولية وفي مظاهر السكن والتبدلات السكانية الناتجة عن الحروب والأهوال الطبيعية تجلت في الهجرات والهجرات المعاكسة وفي نقل السكان وسبيهم. وهذه الظواهر ليست مقتصرة على زمن معين، لكنها لم تظهر في الوثائق الكتابية إلا اعتباراً من محفوظات ماري وسط سورية في القرن الثامن عشر ق.م. فقد عكست لنا نصوص ماري وجود بدو أموريين في بمحاض أو حلب وفي تدمر والبقاع والعمق وظهر منهم أسماء فروع وبطون مثل أهل خانا/ حانا على الفرات، وبني يمين وبني سمأل كما ذكرت محفوظات ماري جماعة تدعى خبرو[1] Hapru التي أراد بها أنصار الصهيونية الحديثة أن يكونوا عبرو وعبريون ليعطوا لأنفسهم امتداداً تاريخياً. وقد كتب الكثير من الدراسات في أوروبا وأمريكا حول الكلمة إلا أن النتائج واهية وغير أكيدة، ولكن من المؤكد أن "الخبرو"

---

(١) ن. دراستنا بعنوان "خبرو خبير" مشكلة حقيقية أم مفتعلة، دراسات تاريخية، ٣٢ ــ ٣٣.

جماعة أمورية مأجورة أو مرتزقة أو مطاردة لأسباب سياسية ويُعدُّ هذا الأكثر ترجيحاً، وهو ظاهرة عامة ومقبولة في ظل الظروف السياسية والحربية في الألف الثاني قبل الميلاد، وهو ما ظهر في شوباط انليل في تل لبلان أعلى الجزيرة السورية المعاصر ماري كما ظهر في نصوص ألالاخ في القرن السادس عشر ونصوص أوغاريت في القرن الرابع عشر، وفي نصوص تل العمارنة في مصر في القرن الثاني عشر حيث إن الهجرة المعاكسة ترجع لأسباب سبق ذكرها، إلا أن السبي ونقل السكان وظهور المرتزقة والمعارضة واللاجئين أصبح مرافقاً لمعظم الحملات العسكرية الأشورية والبابلية وغيرها من القوى المشرقية في الألف الثاني والأول، وهو أمر يحتاج إلى المزيد من البحث والتمحيص منعاً للالتباس والاستغلال من قبل الصهيونية المعاصرة. إذ لا يجوز حصر وقوعها على اليهود في فلسطين وحسب، بل شملت سكان أقاليم أخرى في الشام والعراق والأناضول. وهو نهج الدولة التي تهدف إلى الحفاظ على الأمن ووحدة أراضيها وسبيل لمعاقبة العصيان والثوار بنقلهم لا بقتلهم.

ويمكننا هنا أن نسوق مثالاً من نصوص ماري التي تذكر توطين جماعات من بلاد اكاد في أعلى الجزيرة السورية رابيقوم Râpiqum وتم الاستفادة من هؤلاء المنقولين وفق اختصاصاتهم حيث كان بينهم الكتاب والأطباء والكهنة وتم توزيعهم على بلاط الملك يسمخ أدو في ماري وأخيه اشمي دجن في إكالاتوم. وهناك مثال أكثر وضوحاً في أواخر عهد الملك زمري ليم في ماري. حيث نعثر على لوائح إحصائية لجماعة منقولة من مملكة اشلاكا ashlakka شمالاً إلى ضفاف الفرات. وقد حرص كاتب محفوظات ماري على تنظيم إحصائهم وفق اختصاصاهم كما فُصِلَ الأطفال عن الرجال، وذكر مكان إقامتهم الجديدة. وبعد هذا أقدم الوثائق المتعلقة بنقل السكان وتهجيرهم بالقوة لأسباب سياسية غالباً. ويطلق على هؤلاء التعبير الأكادي نسيخو nasihu الذي يترجم بالمُهَجر أو المنقول أو المنسوخ من أرضه كما يوحي جذر الفعل (ن س خ) والذي قد يعود إليها في يوم ما وفق تبدل الأحوال السياسية. والمثال الآخر

على العصيان وعقوبته هو ما حدث لبني يمين من البدو على الفرات فقد كانوا عرضة لهجمات ملك ماري الذي جعل من أسراهم عبيداً له في مقره ومزارعه، وتوجد وثائق لاحقه تدل على إمكانية استرجاع حرية الأسرى العبيد عن طريق دفع مبلغ معين كدية، وكثيراً ما كان الأمر يتعلق بشخصيات مهمة وقعت في الأسر والعبودية، وفي جميع الأحوال تعكس لنا نصوص أخرى إمكانية استيطان المنقولين أو المهجرين والدماجهم في المجتمع الجديد، لا بل منهم من توصل إلى إقامة سلالة وملك كما حدث مع الحوريين والكاشيين في شمال سورية وبابل[1].

٥ - ثقافة العصر الأموري الشامي وتجارته:

إن الامتياز الذي تتمتع به أراضي الشام الأمورية أو العمورية هي أنها تتحول إلى بساط أخضر طيلة فصل الربيع وهذا ما لم يحدث في الحجاز والعراق بسبب ندرة الأمطار. ولهذا ترتبط تحركات الإنسان بفترات الرعي، وينطبق هذا الأمر على قطعان القصر الملكي حتى البدو العاديين. ولذا فإن هذا التحرك قد يكون له نتائج كبيرة، إذ نلاحظ قطعان ملك ماري يخدون ليم ترعى في منطقة كخات kahat في أعلى الجزيرة شمال مدينة الحسكة اليوم، في حين أن قطعان يسمح أدو وهو ملك ماري الاشوري الذي طرد أو قتل هذا الأخير كانت قطعانه من الغنم تصل حتى منطقة حمص اليوم أو ما كان يدعى في زمنه قطنة الواقعة على بعد عشر كيلومترات منها شرقاً كما أن اشنونا العراقية التي كانت تهتم بمنطقة ماري قد كان هدفها تأمين مناطق رعي في البادية السورية الخضراء في الربيع، كما نرى قطعان البدو من بني سمأل /شمال يرحلون من حران شمالاً إلى سنجار وسهول في أعلى الجزيرة. وبالمقابل فإن البدو من بني يمين يسرحون في بادية تدمر، وحمص وحلب/ بمحاض ويصلون إلى سهلي العمق والبقاع وكثيراً ما وصلوا إلى شواطئ المتوسط. وكان من نتائج هذا التحرك

---

(1) J.R. kupper Les nomades en Mesopotamie au temps des rois de Mari, Paris, 1957, P. 120.

وجود قيود على المرور أو الرعي في جميع المناطق، وكان لابد من تسأمين حماية للقطعان تصل أحياناً إلى وجود جيش شبه مسلح. وهنا تنشسأ النزاعسات والحسروب الصغيرة ثم الكبيرة.

إن دراسة طرق التجارة والتنقل الرعوي في العصر الأموري ترينا أن المشسرق كان كثيف الطرقات التي تربط المناطق الرعوية بعضها ببعض. وخاصة تلسك الطسرق التي كنا نتوقع أنها غير قابلة للعبور بسبب قفرها ومثال ذلك الطرق التي تربسط تدمسر بماري وقطنه مباشرة أو ذلك الطريق الذي يبدأ بماري والمار بوادي أجيج مباشرة إلسى جنوب جبل سنجار (سيجار sigguru الأكادي) دون المرور بوادي الخابور، وبسالعكس فإن طرقاً أكثر شهرة مثل وادي الفرات بين ماري وبابل لسم يكسن يسستخدم إلا نسادراً وخاصة في عصر ماري حيث استخدم لنقل القصدير.

أما طرق المواصلات بين شرق وغرب الشامية والجزيرة وجوارهما فقد كسان هناك تسابق طاحن من أجل السيطرة عليها وكان أهمها شمالاً ذلك الذي يصسل وادي الديالى في العراق ثم الزاب الأعلى ثم وادي الدجلة حيث يتابع إلى أشور وإكسالاتوم، ونينوي ليصل إلى سهول أعالي الجزيرة بمحاذاة طوروس ماراً بتل بارسيب الشهير ثم إلى كركميش أو إلى ميناء الفرات الشهير ايمار بوابة حلب المعروفة. وقد كانت هسذه الطريق الدولية هي مسرح التجار الأشوريين السوريين الذاهبين إلى ديار بكر (أي كباد وسيل) إلى كانيش على نهر خاليس حيث مركز التجارة الاشوري السوري في أعماق الأناضول. وكان تجار ايمار ومركزهم السياسي والعسكري في حلب يعبرون طريقساً خاصة ومباشرة إما إلى البليخ أو إلى الخابور ثم إلى الأناضول[1].

لم يكن التنقل بهدف الاتجار أو الفتوح فحسب في العصر الأموري، بسل كسان الناس يتنقلون لأسباب دينيه كالحج وغيره، فهاهم أمراء بني يميسن الأموريسن فسي

(1) J.M durand J. – C.L. Margueron, A Propos d'un Cinquantenaire: Mari bilan et perspc tives, MARI 4,1985.

مناطق الشمال يقدمون نذورهم وأضحياتهم في ترقا وتوتول وهما معقل معبد الإله العتيق دجن dagan رئيس مجمع الآلهة الأمورية. وكانت نذور دجن تأتي من لارسا في جنوب العراق. ولا يمكن أن نتوقع أن الآلهة هي الأخرى تتنقل لتفقد الأماكن التي تعبد وتقدس فيها وهكذا فإن تمثال ربة نجار قام برحلة من نجار Nagar أي من تل براك شمال أعلى الجزيرة إلى وسطها مروراً بكل المدن التي تقدسها.

وهكذا فإن إدراك الأموريين لوحدتهم الثقافية الممثلة بذكرى سكناهم الأصلية قبل انتشارهم في كل الشام والعراق والمشرق عامة، وضرورة الاستمرار في إقامة العبادات والشعائر، وتقاليد الحفاظ على الروابط العائلية.. كل هذا يفسر لنا أسباب الترحال والتنقل الكثيف وخاصة العائلات الملكية التي وفرت لنا الكثير من الشواهد الكتابية. ونرى ملوك ماري مثل يجد ليم ويخدون ليم وزمري ليم يذهبون بأنفسهم إلى أعلى الجزيرة لتأكيد ارتباطهم الديني ونفوذهم السياسي، حتى إن زمري ليم ذهب بنفسه إلى شاطئ المتوسط إلى مدينة اوجاريت برفقة عمه والد زوجته ملك حلب ياريم ليم، وكان والده يخدون ليم قد أعلن في كتابته التأسيسية الشهيرة قيامه برحلة أو حملة عسكرية أوصلته إلى الأمانوس وشاطئ البحر المتوسط حيث غسل سلاحه، وهو ما ذكره من بعده ومن قبله ملوك الشام والعراق على حد سواء، حتى لو كان هذا على سبيل الدعاية السياسية، **إلا أنه يعكس رمزاً سياسياً ودينياً ممثلاً بالمعركة الملحمية بين البحر وأدد إله الرعد والعواصف الذي يجله أهل ماري. ولا ندري إذا كان زمري ليم قد أقام الطقوس على شاطئ البحر أو لا.** ونرى من جهة أخرى من خلال وثائق ماري وجود زائرين من بابل وما وراءها، حتى ابن ملك عيلام، حيث يُفسر هذا الحضور لأسباب سياسية وأخرى تنم عن رغبة في زيارة العواصم الغربية الأمورية الشهيرة. ويمكن أن نتصور المكانة الدولية لعواصم الأموريين من خلال السعي الدائم للتزاوج مع الآخرين بهدف تقوية الروابط العائلية لأغراض سياسية. فهذان يخدون ليم وزمري ليم يتزوجان من أميرتين حلبيتين، وهذا يسمخ أدو خصم حلب، يسعى للزواج

من أميرة حمصية ــ قطنية بهدف إقامة تحالف أقوى، وكانت بنات زمري ليم لا تجدن من يتزوجهن إلا بعض الحكام التابعين لوالدهن كزواج مصلحة، وكذلك الأمر بالنسبة لأخوات الملك المهددات بالبقاء عوانس. ولم يكن مقتصراً على العائلة الملكية المارية، بل نجد مثل ذلك لدى عائلات ملوك بابل واشنوانا وإكالاتوم وتوروكو، وكان كثير من زوجات الملوك الذين يدخلون حريمهم من الأجانب قد حصلوا عليهن إثر الحروب والغزوات أو الكوارث وقد كان هذا وصار من العادات التقليدية لدى الملوك وأنبياء الشرق عامة. وإلى جانب سعي ملوك الأموريين إلى حشد النساء في حريمهم كانوا يسعون بكل رغباتهم لاقتناء المهنيين والفنانين الأجانب في ظروف مماثلة، وقد يضم بلاطهم الدولي خدماً وفنانين من أصول نبيلة وقعوا في الأسر[1].

إن ممارسة هذه العادات تؤدي إلى تجميع أفراد من أجناس ولغات وثقافات مختلفة، ويؤدي هذا المزج بدوره إلى تقليل التعارض والاختلاف، بعكس ما يمكن اعتقاده عند قراءة سطحية للأمور. وقد لوحظ وجود طقوس خاصة تقوّي الصلات بين العائلات، وإقامة صلة دموية بين الأجانب نتيجة الزواج. كما يمكن للفرد أن ينتقل من تبعية قبلية معينة إلى أخرى. أما الزواج الديبلوماسي فهو سبيل آخر لتقوية الروابط العائلية. من جهة أخرى، نلاحظ وجود أسلوب مخاطبة خاصة بين أهل البلاط الأم ... مثل قول الصغير للكبير أبي أو أخي والعكس ابني ولدي الخ. بقصد التأكيد على ... ية العائلية كما أن استخدام كلمة (مولاي)، (خادمك)، لا تعني العبودية إطلاقاً، بل هو مولى وخادم ضمن العائلة الواحدة، فهو خادم البيت والمعبد والإله، واستخدامها ضمن هذا المفهوم يمكننا من تمييز التابع والمتبوع والملك من حكامه وحاشيته. **لقد كان هذا المحيط الأموري كبيت كبير واحد، حيث إن جميع الأفراد أعضاء في عائلته بدرجة مختلفة بقوته وكرامته.** وهذا ما يعد قدرة على التحمل الإنساني وهو ما ساعد

---

(1) J.M Durand, l'Organisotion de L'éspace dans le palais de Mari, lévy, le systeme palatial en Orient en Grece et a Rome, 1985, 39-110.

الملوك أن يعلنوا أنفسهم ملوكاً على جميع الأراضي المفتوحة. وكانت الصلات الدبلوماسية أغنى مما يتصوره المرء في الزمن الأموري، نتيجة كثرة تبادل الهدايا والعطايا بين الملوك والأمراء. فهناك أعمال فنية تشكيلية تنتقل من بلاط إلى آخر كهدية، فمن ماري إلى بابل مثلاً أو إلى حلب والعكس صحيح. ونعثر على نسخ كثيرة من هذه الأعمال عن طريق التعرف عليها اليوم، وقد أصبحنا نعرف طول المسافة التي قطعتها والتي تصل أفغانستان - مرخشي Marhashi وإلى كريت كرباتوم Karpatum غرباً. وهكذا لا يمكننا وصف هذه الثقافة بأنها محلية أو قومية إذ إنّ الحفاظ عليها منذ ذلك الزمن وفي أماكن متفرقة يدل على عالميتها وليس على قوميتها. وكنا نفاجأ في حفائر ماري عندما نكشف عملاً فنياً مقلداً وقد حافظ على ختم صانعه الأول وهذا يعكس سعة أفق واحترام للآخرين.

٦ - تاريخ عمارة ماري:

مضى أكثر من نصف قرن على اكتشاف مدينة ماري ــ تل الحريري ــ على حوض الفرات الأوسط السوري، بدأ الحفر فيها الأثاري الفرنسي أندريه بارو André Parot عام ١٩٣٣، واستمر مديراً للحفائر حتى عام ١٩٧٤، وتابع العمل من بعد جان مرجورون منذ عام ١٩٧٩، حتى يومنا هذا.

وكان أهم اكتشافين في المدينة، هما: القصر الملكي، ومحفوظاته المسمارية الأكادية، التي تغطي حقبة النصف الأول من القرن الثامن عشر ق.م، وعرف أن القصر هو قصر الملك زمري ليم، والمحفوظات هي محفوظات أعماله وإدارته وسجلاته، التي أصبحت عماد تاريخ سورية والعراق القديمين، وأساس الدراسات الأكادية والأشورية في جميع جامعات العالم.

فقد كنا لا نعلم شيئاً عن تاريخ سورية، والعراق، وبخاصة تفاصيل الحياة اليومية، قبل اكتشاف محفوظات القصر الملكي، أما بالنسبة لتاريخ العمارة والفن، وبخاصة النحت، فقد قدم هذا الموقع ــ تل الحريري ــ أغنى الأمثلة من عمارة وهندسة

وفن، بحيث لا يجاريه أي موقع آخر في العراق أو في سورية، وقد كانت المعابد أقل شهرة من القصر، ولكنها أغنت معارفنا التاريخية الدينية والعمارية.

وهكذا يمكن القول: إن تاريخ العمارة والآثار الفنية الأمورية الغربية لا تكتمل صورتها، ولا يمكن فهمها إلا بفضل دراسات مدينة ماري.

٧ - قصر زمري ـ ليم ـ في ماري، وطموح حمورابي البابلي:

إنه لمن النادر العثور على قصر من بداية الألف الثاني قبل الميلاد، ومن النادر أن نتمكن من تتبع جدرانه ـ عن طريق التنقيب ـ حتى ارتفاع خمسة أمتار.

وتتبع التقسيمات المعمارية لأكثر من (٣٠٠) ثلاثمائة حجرة، وبخاصة قاعة المحفوظات في القصر، والمعابد الأخرى، التي تدفع المرء أن يتخيل مجريات الاحتفالات الدينية، منذ أربعة آلاف سنة، ويسمح بذلك بقاء الآثار المعمارية، بوضع سليم، بما في ذلك شبكة تصريف المياه.

وقد كانت المصيبة التي وقعت في ماري، وأدت إلى دمارها، السبب في بقائها وانطمارها تحت التراب، حتى العثور عليها عام ١٩٣٣، لقد تمت نهايتها على يد الملك البابلي حمورابي، حيث ذكر في حولياته أنه دمرها، وخربها في السنة الثالثة والثلاثين، من حكمه، أي نحو ١٧٥٠ق.م، وتحولت المدينة الأشهر في تاريخ سورية، والعراق والأكثر نشاطاً، إلى خرائب وأنقاض ومساكن للرياح، والأوهام، ولم يدخر المهاجمون ثرواتها بالتأكيد، قبل أن يضرموا فيها النيران، ورغم هذا فقد بقي الكثير من كنوزها الفنية مثل التماثيل الصغيرة، وقوالب المعجنات والأختام الاسطوانية، وساهمت في إبراز صورة الحياة اليومية لهذه المدينة العتيقة. وهناك عدد من الدلائل التي تسمح بإعادة رسم صورة دقيقة عن القصر الملكي القديم، رغم أننا لا نستطيع تحديد طرائق تنظيمه، إذ نعلم أن الطابق الثاني قد خصص لشقق الملك السكنية وإدارته، وخصص الطابق الأول للمخازن والمؤن وسكن الخدم، وبقي أن نعلم ما هو

حجم القصر الذي يرتفع أكثر من ١٥م، ومعرفة مهمة ودور كل من القاعات الضخمة وسط البناء.

لقد كشفت الحفائر عن أن قصر زمري ليم، الذي يعود للقرن الثامن عشر، هو في الواقع المرحلة الأخيرة من سلسلة أبنية متتابعة، تعود إلى أواسط الألف الثالث ق.م، إلا أن هشاشة المواد الترابية لم تحافظ على المعالم المعمارية جيداً، ولكن أندريه بارو استطاع الكشف عن أربعة مستويات تعود للألف الثالث ق.م، ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى أقدمها.

وقد كشف جان مارجورون في المستوى الأخير منها، عن معبد وسط أبنية القصر، ولاحظ أن هناك تتابعاً في عملية البناء وفق المخطط نفسه، واستطاع أن يقرأ ــ أثرياً ــ هذا التتابع على جدار ارتفاعه ٦ ــ ٨ أمتار، أما المخطط فهو بسيط، وعبارة عن باحة رئيسة كبيرة، وقاعة ضخمة يحيط بها حجر صغيرة، وممرات وهي مجهزة بمذبح من أجل الإجراءات الطقسية، وهناك ممر آخر ينتهي إلى طرف البناء، ويضم عدداً من المذابح المتتالية، وقد ساهمت جمعية فرنسية خاصة بتمويل مشروع غطاء حماية لبعض الآثار المهمة.

ويضاف إلى هذا المعبد منشآتان معماريتان أخريان، هما: مرتفع مسطح أحمر بُني لغايات تعبدية، ويعود للألف الثالث، والمنشأة الثانية هي: بقايا زقورة بنيت على مصطبة مرتفعة مرتبطة بمعبد الإله دجن، حيث عثرت البعثة الفرنسية على الأسد البرونزي الشهير.

٨ - مجموعة التماثيل الجصية الرائعة:

لقد عثرت البعثة الفرنسية في ماري على مجموعة خاصة فريدة من نوعها، هي: تماثيل فنية هي الآن أروع ما عثر عليه في العراق، وسورية، والشرق عامة، حتى الوقت الحاضر، وكانت هذه المجموعة موزعة في مجموعة معابد، هي:

اشنار، واشنارات، ونيلي زازا، تمثل أعمال النحت الجصية هذه، جمالية خاصة لفن ماري، ومدرستها التي أصبحت محور الفن العراقي السوري، والشرقي.

وهي لا تقل، من حيث الدقة والجمال، عن أعمال أكثر شهرة مثل: الحاكم ابيخ ـــ ايل، وأورنانشه، والملك لمجي ماري، وايكوشاماجن، وهذا الانتاج يعود للألف الثالث.

أما بالنسبة للأعمال الفنية التي تعود للألف الثاني، أو مطلعه بالتحديد، فإنها أقل عدداً، وأكثر جمالاً وروعة فنية، وأمثلتها اشتوم ايلوم، وتمثال ربة الينبوع، أو اشتار الشهير، ويعد فن التصوير في ماري الأقدم من نوعه في المشرق عامة، ويشهد عليه الرسم الجداري الشهير، المعروف باسم احتفال التنصيب، وعندما نتأمل هذا المشهد التصويري فإنه يدل على أن هناك كثيراً من الصالات الملكية التي زينت برسوم مشابهة، ولكن ـــ للأسف ـــ لم يبق من آثارها سوى نتف، تدل على أنها كانت موجودة ذات يوم، وذهب مع الكارثة التي حلت بماري إلى الأبد.

وهكذا فإن جميع الوثائق والآثار الفنية، تثبت أكثر من مرة جذور مدينة ماري في القرن العشرين قبل الميلاد، ولكن يجب أن نبحث عن أسباب شهرتها في العصور القديمة، كما يجب التساؤل عن الأسباب التي جعلتنا كمؤرخين معاصرين، نضع مدينة ماري في مصاف منارة عالمية، ازدهرت وارتفعت وسط ـــ شرق سورية ومن حولها العراق وما وراءه.

٩ - دَوْرانِ متألقان وموقفٌ دقيق:

لم يتوصل المنقبون إلى المستوى الأثري الأقدم، الذي يدل على بدء السكن الإنساني في ماري، ولكن استطاع الآثاري أندريه بارو - كما ذكرنا سابقاً - أن يحدد هوية مستويين أثريين من تاريخ ماري، الأكثر أهمية وحضارة. المستوى الأول، هو: ـــ المرحلة الزمنية التي أُرِّخَتْ في أواسط الألف الثالث ق.م، وقد صعب على الآثاريين الفرنسيين تحديد بدايةُ ونهايةُ دقيقتين لهذه المرحلة، ولكن يدل على أهميتها مستويات متعددة من القصر الملكي، وعدد آخر من المعابد، ومساحات أثرية مسكونة

واسعة غنية، ولم يعثر على نصوص كتابية تزيد من قدرتنا على تحديد هوية هذه المستويات الجديدة، إلا أنه عثر على عدد منها ــ في حدود أربعين نصاً تقريباً ــ دلت على أن المرحلة الزمنية هذه تعود لعصر إيبلا المزدهر، أي العصر الأكادي، وهكذا فإن ماري تقع في صدارة المدن المزدهرة العراقية السورية القديمة.

ــ أما المرحلة التالية المزدهرة من تاريخ ماري، فتقع في نهاية زمن سلالة أور الثالثة، أي في القرن العشرين قبل الميلاد، وتنتهي بتدميرها من قبل حمورابي البابلي عام ١٧٥٠ق.م تقريباً، وينتهي تاريخ ودور القصر الملكي المدعو قصر زمري ليم، الذي قدم لنا محفوظاته المسمارية الأكادية الغنية، وآثاره النحتية، ورسومه وهندسته المعمارية، الأعتق في هذا الكون.

هذا ويقع بين هذين الدورين، أو المرحلتين العظيمتين، دور غامض أقل أهمية، غير محدد زمنياً أو أثرياً حتى الآن ويدعى عصر شكنكو.

وهكذا صار واضحاً لدينا أن هناك بضعة قرون من التاريخ والحضارة المزدهرين، في أواسط الألف الثالث، وبضعة ــ أقل منها ــ في بداية الألف الثاني، ومن المؤسف أن معارفنا العلمية الأكيدة تتوقف على وجود نصوص كتابية، وتبقى في شك دائم عند غيابها، وهكذا فإن عصر محفوظات قصر زمري ليم، هو الأكثر وضوحاً في تاريخ ماري.

وظهر لنا يقيناً أسباب ازدهارها وغناها، فهي موقع تقاطع طرق التجارة بين العراق وسورية (كدير الزور حالياً)، وصلة الوصل بين أعالي الفرات، وأسفله، ونعلم أكثر من هذا ــ من خلال النصوص ــ أن ماري محطة لتجمع الخشب السوري الساحلي، المتجه إلى العراق، ومعابره القديمة، ومقر تجميع وتوزيع المواد الأولية، القادمة من جنوب العراق، أي من دلمون ــ البحرين، وماجان ــ عمان، وملوخا ــ وادي السند وإيران، وهي موقع يجمع بين منتجات البادية السورية ــ العربية، وزراعات الفرات الأعلى، وأحواض البليخ، والخابور، وغيرهما، وهكذا فقد كانت

حركة التجارة وانتقال المواد، والأفكار كثيفة، من خلال نصوص ورسائل محفوظات ماري، وهذا ما سمح للسلطات المارية، أن تفرض رسوم خدمات ومرور على البضائع المارة فيها، فبلغت ذاك الغنى وتلك العظمة، إن مثل هذا الموقع المهم لمدينة ماري، ينطوي على خطر يهددها بصورة دائمة، ناتج عن خوف القوى المجاورة ومطامعها، وإن هذا الازدهار لايدوم إلا من خلال توازن دولي وإقليمي دقيق. وإن أكاد، وإيبلا تنتظران الفرص المناسبة، للحد من سطوة المدينة الفراتية القوية، والمساهمة في تدمير ذلك الدور الأول، أما الدور الثاني لازدهارها، فقد انتهى على يد حمورابي، الذي استطاع من خلال صراع مرير بين دول - المدن الأمورية - أن يبرز، ويحطم خصومه، واحداً تلو الآخر، وينتهي صراعه بالقضاء على دولة ماري، ويصبح السيد الأقوى في العراق وسورية الشمالية الشرقية، وتبقى سلالته من بعده، حتى وقت ليس بالطويل، وهو قدوم القوى الشمالية، الهندو ـ أوروبية ـ التي تمثلت بالغزو الحثي، الذي بدأ بحلب وألالاخ عام ١٥٩٥ق.م، وانتهى بخضوع العراق وسورية، وشمال مصر، للسيطرة الحثية لقرون عدة.

وبقيت ماري منذ غزو حمورابي تحت الرماد والغبار، الذي طمرها حتى رفع أنقاضهما حديثاً الأثاري أندريه بارو ـ والمؤرخ اللغوي جورج دوسان، وما يزال جان مارجورون، ينقب فيها كل سنة (كما أسلفنا)، ويقدم التقارير عن أعماله، في مجلة (ماري ـ دراسات)، وكذلك اللغويان المؤرخان جان ماري ديوران، ودومنيك شاربان اللذان تعاونت معهما، وأفادوني في دراسة تاريخنا القديم، سواء عندما كنت في جامعة السوربون ـ باريس ـ أو بعد انخراطي في التدريس في جامعة دمشق، حيث قمنا بكثير من الأعمال العلمية المشتركة، أولها حفائرنا في تل محمد دياب شمال سورية، ومجلتنا الجديدة ـ أمورو Ammuru التي تعنى بدراسات النصوص المسمارية من محفوظات ماري.

إن الآثار: أفعال مكتوبة، أو مصنوعة، والكتابة رموز، ووسيلة اتصال مختصرة وذكية، والمصنوعات هي الاختراعات التي نفذها الإنسان الفنان والمخترع بفضل المادة.

وقد كانت ماري غنية، وذكية برموزها، ونظامها الكتابي العتيق، فما تلك الكتابات، وما المادة التي كتبت عليها، حتى بقيت إلى أيامنا؟.

١٠ محفوظات ماري من السجلات والرسائل:

يعرف النظام الكتابي لمحفوظات ماري، بالمسماري، أو الاسفيني، لأنه يشبه شكل الاسفين، وبلهجة مارية غربية إلى حد ما.

وقد بلغ عددها عشرين ألف نص، ولوح تقريباً، ولا تمثل مكتبةً بالمعنى الحديث، إنما هي سجلات الأعمال الإدارية، والاقتصادية، والسياسية، للملك زمري ليم، الذي حكم في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وهناك جزء ضئيل يعود لبداية القرن التاسع عشر، ويشار إلى وجود رسائل الحاكمين التابعين للقصر الملكي، وأجوبة الملك زمري عليها، وهناك سجل حسابات للموظفين التابعين للقصر.

وهكذا فإن طبيعة محتوى محفوظات ماري، هي اقتصادية، إدارية بمعظمها، ودينية أدبية، بنسبة ضئيلة منه، من جهة أخرى، لابد من وجود نصوص أدبية ودينية، وملحمية، تُقرأ خاصة في مدرسة تعليم الكتابة والنسخ، أو ما كان يعرف بـ (بيت الألواح)، ولكن لم يعثر على هذا المكان في ماري حتى الآن.

بعد نشر المجلدين السابع والتاسع من نصوص ماري الاقتصادية، تبين مدى غنى المعلومات التي تعكسها تلك النصوص الجامعة المتكررة، نظراً لما تمثله من علم تسجيلي، فقد تعرفنا على أحداث وأعمال مهمة في ماري.

١١ ـ التأريخ الأثري الدقيق للنصوص:

إن ميزة النصوص الأثرية أنها تؤرخ بدقة، والتأريخ هو هدف من أهم أهداف عالم الآثار، فقد أرخت النصوص الاقتصادية لماري بالسنة والشهر واليوم ومساءً.. أحياناً.

وهكذا يمكن تأريخها وتصنيفها وفق نوع المادة، ووفق الزمن الذي تمت فيه، بينما لا تدل الرسائل الرسمية على تاريخ محدد، ولهذا فإن العمل الأولي في النصوص الاقتصادية، هو ترتيبها وفق سنوات تأريخها، ووفق أشهر السنة البابلية القديمة. ولا يوجد عند الأقدمين تأريخ سنة محددة واحدة، كالميلاد، أو الهجرة، بل أرخوا بذكر الحدث نسبة إلى سنة حكم ملك، أو سنة حدوث حادثة مهمة، ولهذا يصعب علينا الحصول على تأريخ عام.

وعندما نتمكن من الحصول على أسماء سنوات الملك الذي يليه فيحدث الانقطاع، وقد اتبع الأشوريون التأريخ وفق سنوات حكم ملوكهم، بينما أرخ البابليون باسم حدث مهم في السنة، وقد اتبعت ماري الأول، والثاني أحياناً، وقد استطاع المؤرخ م. بيرو M. Birot أن يحدد الاثنتي عشرة سنة الأخيرة من حكم زمري ليم بعد دراسات طويلة.

١٢ - التجارة الدولية الواسعة:

تفيدنا النصوص التجارية بمعرفة أسماء المواد الأولية، وهكذا لدينا قوائم بأسماء الطبيعة، والمواد السومرية، والأكادية في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد، ونجد قسماً كبيراً منها ما يزال يعيش في العربية المعاصرة، حيث انتقل إليها من الأرامية والأمورية، وعرفتنا نصوص ماري على واقعها، كصلة وصل قديمة بين سورية والعراق، وكذلك عرفنا أسماء العلم المستخدمة آنذاك، وتعرفنا على لهجات أخرى للغة الأكادية العظيمة. حيث كانت لهجة بابل هي الغالبة، بينما ساعدتنا نصوص ماري على التعرف على لهجة غربية سورية، كما أن تلك النصوص الاقتصادية الجافة، قد سمحت لنا بمعرفة مدى انتشار الأعمال التجارية لمدينة ماري، التي شملت العراق، وسورية، ولبنان، وفلسطين، والأناضول، وإيران، والبحرين على الخليج العربي، وكريت، وقبرص في البحر الأبيض المتوسط، كل هذا النشاط التجاري سجل في تلك النصوص زمن العصر الأشوري القديم، وبخاصة شمسي أدو وابنه يسمخ ــ ادو، وزمن زمري ليم الشهير.

وقدمت لنا النصوص أسماء العواصم الكبرى آنـــذاك، مثـل بـابل، وحلـب، وكركميش، وقطنة، وعكست لنا بعض الأحداث السياسية التي مرت بينها، ولولا تلـك النصوص، لكانت هذه المدن مجهولة لنا في تلك الحقب البعيدة، وكانت مميزات تلـك العصور، الحروب، والغزو، والاحتلال، إلى جانب العلاقات السلمية بيـن العـائلات الملكية، وتبادل الهدايا، والزواج بين أبنائها، مما يعطي صورة واقعية لما كـان عليـه التوازن الدولي. وهناك نصوص تعكس رغبة وطموح بعض الملوك ومحاولة الردع، وإقامة التوازن لدى بعضهم الآخر، وكانت نصوص ماري، ومن بعدها نصوص تـل العمارنة، خير مثال على الحياة السياسية في سورية في الألف الثاني قبل الميلاد.

١٣ - إنجازات الحكام:

لقد عثر على مجموعة نصوص في الصالة رقم ١٣٥، من قصر زمري ليـم، وتبين أنها رسائل حكام الأقاليم أو نواب الملك في المدن والقرى التابعة له، ومن أشهر هؤلاء الحكام ورسائله، هم: كبري ــ دجن حاكم ترقا، وبهدي ــ ليـم حـاكم ريـف ماري، ويقيم ــ ادو قائم مقام في مدينة شجاراتوم، وتفصح رسـائلهم عـن الأعمـال الموكلة إليهم من قبل مولاهم، وتتمثل بإدارة منطقتهم في مجـال الاقتصـاد، وتنظيـم استخدام اليد العاملة في مواسم الحصاد، والدراسة والتذرية، وكان من مهماتهم السـهر على إقامة الاحتفالات الدينية، وكان عليهم أن يصونوا المنشآت والبنى التحتية، فقد كان إصلاح القنوات في مواسم الفيضانات من أشغالهم الأساسية، وهنـاك رسـائل عديـدة تتعلق بهذا الموضوع.

وتتعلق بهؤلاء الحكام أمور أخرى، مثل القضاء، والشرطة، والحراسة، ومنـع السرقة، وملاحقة المجرمين، والقتلة، وقد وصلت إلينا رسـائل تتعلـق بمثـل هـذه الموضوعات زمن الحاكم المعروف يقيم ــ ادو.

وقبل هذا وذاك كان على الحاكم تلبية حاجات قصر سيده في ماري العاصمـة، فعليه أن يلبي طلب الملك وحاجته من الحجارة القاسية لأعمال النحت، ومـادة القـار،

والحيوانات بأنواعها، كما كان يطلب منهم إرسال المهنيين والفنانين إلى القصر، إلى جانب ذلك كانوا يقدمون تقارير دائمة عن كل ما يحدث في منطقتهم ـ ولدينا رسالة تخبر الملك عن الطقس والفيضان، وغيره من كوارث الطبيعة.

وكذلك تحركات السكان، وبخاصة البدو، وهكذا يخبرنا هؤلاء الحكام في رسائلهم عن أوضاع الحنانيين (أهل خانا البدو، وأنصاف المستقرين)، فقد كانوا ينخرطون في تبعية الملك أحياناً، ويثورون ضده أحياناً أخرى، وكذلك كان حال البدو من بني يمين، تلك العشائر القوية التي لم تكن تتردد عن غزو القرى أيام المواسم والحصاد، ولدينا أنباء عن قبائل أخرى تعيش في بادية الشام والعربية، وهم السوتيون أو الأموريون.

وقد سمحت لنا رسائل الحكام المتعلقة بهؤلاء القبائل أن نفهم طبيعة العلاقات البشرية السياسية والاقتصادية، بالإضافة إلى ما عرفناه عن مراسلات الملوك، وما تضمنه النصوص الاقتصادية، ونعلم من بعض الرسائل أن الحاكم يتدبر أمور المراسلين والموفدين الأجانب، وكان يمسك بعضهم، إذ كانوا في وضع خصومة، أو حرب مع الملك.

والخلاصة أن مراسلات الحكام تضمنت الكثير من التفاصيل المفيدة، وتعكس طلباتهم المتكررة للتوجيهات الملكية مدى إخلاصهم للعرش، وكذلك فقدانهم المبادرة الحرة، وعجزهم عن مجابهة الأخطار التي بدأت تهدد المملكة، وبخاصة ضغط البدو الدائم، وأطماع بابل و ملكها حمورابي، الذي كان سبب اختفائها كما رأينا.

١٤ ـ رسائل النساء على الفخار، وموقع المرأة:

هناك أكثر من مئتي رسالة، كتبت بالأكادية، على ألواح طينية تتعلق بموضوع نسوي، يفصح عن دور المرأة في المجتمع، والديانة والسياسة، وكانت بعض النسوة المغنيات موضوع رسائل تفصح عن رغبة الملك بمغنية مرموقة، أو امرأة جميلة، تضاف إلى محظيات القصر، إلى جانب الزوجة الأولى، وكان الزواج المتبادل بين العواهل والملوك والحكام، دليل تحالفات سياسية واقتصادية، وهكذا فقد تزوج زمري ليم ثانية، من ابنة الملك الحلبي القوي شبتو، كما دفع ببناته كزوجات

لنوابه في الأقاليم، بأمل توطيد علاقاتهم وإخلاصهم له، وكانت العلاقات تسوء بين الحمو وصهره، مما ينعكس على سياسة البلدين، كما أن إحدى بنات زمري ليم واسمها ارشتي أيا التي زوجت من ملك سيبار في العراق، لم تكن في وضع تحسد عليه ـ وكتبت إلى أبيها، ـ ترجوه أكثر من مرة الخلاص من هذا الوضع، بخاصة أن شقيقة حمورابي بالذات قد وُجِدَتْ في المكان نفسه، ولابد أن هذا قد تواكب مع تصاعد العداء بين العاصمتين، بابل وماري.

١٥ - العرافة والتنبؤ:

تتحدث بعض الرسائل النسوية عن أحلام، ورؤى ونبوءات، تطرح مسائل دينية بنظر سكان ماري في ذلك العصر، وقد مارس كهنتها علوم الفراسة، والنجوم، والتنجيم، واستخدام كبد الحيوان في الموضع الأخير، وجميعها معارف وممارسات، انتقلت إلى ماري من بابل وجنوب العراق.

إن أهم ما يميز ماري عن غيرها، هو ظهور النبوءة والتنبؤ، كوساطة بين إرادة الإلهية والإنسان، بمساعدة الكهنة، الذين يتمثلون حالات الحلم، والانخطاف النفسي، مما يفضي برغبات وأوامر تنسب إلى مصادر إلهية، وقد تشمل هذه الحالة بعض الأفراد العاديين، وليس الكهان وحسب، وقد درس المؤرخ لعلم الدراسات في ماري الأستاذ ج. دوسان، هذه الظاهرة كثيراً، وقدم لها أمثلة عدة، بخاصة أربع رسائل مرسلة من الملكة الحلبية الأصل شيبتو إلى زوجها زمري ليم، حيث تنقل إليه محتوى الرسائل التي أوحت بها الإلهة أنونيتوم، بوساطة الكاهن المتنبئ، وعندما يرى أحد الأفراد حلماً يتعلق بالملك، فإنه سرعان ما يهرع إليه ويخبره بمضمونه، ويتم التأكد من صحة النبوءة، بأن يؤخذ علامة ـ خصلة شعر أو جزء من ثياب ـ من الوسيطة المختارة، وتجري عليها بعض الطقوس الخاصة.

إن الاستعراض السابق لمحتويات بعض النصوص، يهدف إلى التعريف ببعض ملامح المحفوظات الطينية، التي استطاع الكشف عنها الآثاري الفرنسي الشهير أندريه

بارو عام ١٩٣٦، وقدمر أكثر من خمس وخمسين سنة على اكتشاف مدينة ماري، وقد تم ترجمة معظم النصوص، إلا أن الأمر لما ينته بعد، فهناك نصوص جديدة مكتشفة، وينتظر المزيد منها، وهناك حركة لإعادة الترجمة، ومراجعة النصوص المسمارية لماري من قبل زملائنا، الأستاذ الدكتور جان ماري ديوران، والأستاذ الدكتور دومنيك شاربان القائمين على دراسة محفوظات ماري، ونشرها حالياً، وعضوي البعثة الدائمة للحفر والتنقيب، وهما الأستاذان في السوربون في باريس، حيث أمضينا معهما سبع سنوات من العمل في هذا الحقل.

كما واجه هذان الاستاذان مشكلة مهمة، ألا وهي إعادة ترميم النصوص، ومحاولة العثور على بعض القطع التي كانت مفقودة في أماكن تخزين النصوص، وهذا ما سمح بإعادة ترجمة بعض النصوص المنشورة سابقاً، وقد تغيرت مفاهيمنا عن بعض المسائل العلمية المتعلقة بتفسيرها وفهمها، وزادت المساحة الزمنية والمعرفة التاريخية في عصر زمري ليم.

وكان انتقال الأموريين إلى بلاد جديدة يحمل معه الحنين إلى الأصول ويتجلى هذا الحنين بإطلاق أسماء الأماكن الأصلية على تلك الجديدة التي استقاموا فيها. وهذا ما أدى إلى مضاعفة أسماء الأماكن في نصوص ماري وفي جميع أصقاع المشرق حيث حوله الأموريون إلى مجمع ثقافي كبير واسع الأفق، فليس من الغريب إذا أن نرى سكان الجبال من الحوريين أو الكاشيين قد أقاموا سلماً في بابل، ونرى السومريين قد استمروا إلى حين في طقوس معابدهم القديمة. وكان اندماج هؤلاء يتعلق بمهنتهم وعملهم. ولم يكن غريباً أن يحمل الفرد اسماً حورياً كردياً (اليوم) ويحمل الأب اسماً أشورياً والعكس صحيح... ولعل هذا يدل ودونما برهان أكيد على إمكانية الحفاظ أو الحديث باللغة الأم وسط البلاطات الأمورية. ونلاحظ منذ عهد زمري ليم الذي قام بنقل عائلات من شمال الجزيرة إلى الداخل كثرة الاختلاط في الأسماء الحورية والأمورية

البدوية حتى في العائلة الواحدة. على أية حال يمكننا تصور طرق متعددة للاختلاط والذوبان في المجتمع الأموري، وهي ليست بالضرورة سليمة أو طبيعية فالحرب والثورات هي إحدى الوجوه الحقيقية أيضاً[1].

١٦ - نظام الإدارة في ماري الأمورية:

لقد ساعدتنا نصوص ماري الإدارية على فهم مؤسسات الإدارة والتنظيم في وقت مبكر من الألف الثاني قبل الميلاد لدى الأموريين في معظم مدن الشام والعراق. لقد صارت نموذجاً يقاس عليه في حال غيابها في أماكن أخرى. ويظهر لنا من خلال قراءة نصوص العقود والتسجيل والمراسلات الملكية معلومات في غاية الأهمية. فهي تزودنا بأسماء كبار وصغار الموظفين وأماكن وجودهم وأوضاع المجتمع وتنظيماته من بدو ومزارعين وصناع وملاك وملكيين. ويظهر لنا نظام القضاء والقسم الذي يأخذ شكلاً اجتماعياً وقفاً على المجتمع الأموري إذ إن القسم في القضاء وأمام الملك أو في العقود أو الرسائل يدلنا على الناظم القضائي المشترك في مدن الشام والعراق القديمين. ونعرف أدق التفاصيل عن سير النظام الملكي الأموري الجديد. ورغم أن هذه الوثائق تتعلق بمدينة ماري الفراتية السورية وبعهد ملك واحد من ملوكها وهو زمري ليم وخلال فترة النصف الثاني من القرن الثامن عشر قبل الميلاد وحسب إلا أن العلاقات الملكية ومراسلاتها جعلتنا نكتشف واقع ممالك مثل حلب وكركميش وقطنة وهو ما لم نعثر عليه في هذه المدن بالذات لتعذر التنقيب أو تأخره. كما أن مملكة الأشوريين الأموريين الأولى كانت مجهولة المقر والمؤسس، وكان هناك اعتقاد بأن أشور والأشوريين خليط عرقي يمثل تنوع أعراق العراق وسورية من الأناضول وإيران، إلا أن وثائق ماري كشفت وللمرة الأولى أن أشور لم يكن سوى إلهاً قبلياً متجولاً في البوادي الشامية والجزيرة وأن شمشي أدو هو مؤسس الدولة الأشورية البائدة في

(1) J.M durand, Unité et diversité au Proche Orient à l'époque amorite, CRRAI, 38, 1992, 97-128.

شوباط انليل قرب القامشلي في سورية، وعرفنا أن الآشوريين ليسوا في واقع الأمر سوى سوريي الأمس بنظر الإغريق الغزاة الجدد في نهاية عصور التألق القديم. إن حضارة الممالك السورية القديمة قد تجلت في استمرار القبائل المستقرة على تقاليدها القديمة مضيفة إليها الإرث الأكادي السومري ومطورة ذلك في صيغ سياسية وإدارية جديدة تضفي عليها تلوناً واختلافاً في إطار لغوي وديني وإداري بل ثقافي واحد[1].

لقد كان نظام الإدارة يتجلى من خلال مراسلات الحكام والتابعين الذين يؤدون القسم الديني للسلطة الملكية الأمورية التي تتطلب من الحاكم أو الإداري نقل أدق تفاصيل الحياة اليومية التي تجري في نطاق إدارته بدءاً بحالة الطقس وانتهاء بأدق الخلافات بين السكان وخاصة تلك المتعلقة بتوزيع المياه، أو النزاع على مناطق الرعي، أو إرضاء الآلهة وحالة المعابد والمتعبدين، ووجود أجانب أو لاجئين ومرور السعاة والمراسلين والحكام. وهكذا نتلمس وجود نظام إداري ملكي مركزي لا تمنح فيه السلطة الأمورية سوى القليل من إمكانية التصرف لحكام الأقاليم. وهناك رسالة لحاكم في الجزيرة يشكو فيها إلى ملكه شمشي ادو عدم إمكانية فض النزاع على مياه البليخ لأنه ليس صاحب السلطة الوحيدة، وأنه لا يمكن لاثنين أن يديرا ساقية المياه والقصد هنا أن الحاكم أمام قوة أخرى تستمد مكانتها من الملك فهو يعجز عن مواجهتها فيطلب من ... ماذا يفعل! وكان شمشي أدو يكتب رسائل إلى ابنه ونائبه في ماري قبل زمري ليم، ويطلب منه أن يطبق حرفياً ما جاء فيها، لا بل عليه أن يتصرف أمام المدن الأخرى وفق توجيهات ابيه. فهو الذي قرر أن زواج ابنه من أميرة حمصية، يعزز نفوذه في سورية الداخلية لمواجهة قوة حلب وحليفتها ماري وبابل. وكانت الإدارة الملكية تتطلب القسم من جميع تابعيها وخاصة الحكام (شبيتوم shapitum) والناظرين (أبو بيتيم abbu bitim). أما الشيوخ (سوجاجوم Sugâgum) فإنهم يمثلون

(1) J.M Durand, précurseurs syriens aux protocoles néo - assyriens: considération sur la vie politique aux bords de l'Euphrate, mélanges. P. Garelli, 1991, 13-72.

قبائلهم أمام السلطة الملكية، وخاصة عند إقامتهم في أراضيها. وكان على جميع هؤلاء تأمين سير الأعمال الزراعية ورفع حصة القصر دونما تأخير. وكان الحاكم أو شبيتوم أعلى سلطة قادرة على تجميع القوى العاملة والطلب إليها تنفيذ الرغبات الملكية المتعلقة بورشات العمل في القصر والعاصمة أو الأقاليم، ويأتي في رأس هذه الأعمال مواسم الحصاد والفلاحة، وشق القنوات وإقامة السدود والتحصينات. وكان الموشكينوم والبدو تابعين لمشايخهم ويخضعون مباشرة لإرادتهم في تنفيذ رغبات الملكية المركزية. وتقتصر مشاركتهم على المهمات الكبرى في الحروب والكوارث. وكان على جميع هؤلاء العاملين في نطاق السلطة الملكية بما فيهم رجال الدين أداء القسم التقليدي بأسماء آلهتهم والآلهة القومية بالمحافظة والإخلاص للملك وإدارته. وكان هذا القسم يشمل حتى أعضاء العائلة المالكة والنساء والحريم منهم، وهناك نصوص تذكر تقديم القسم لمجموعة من السكان بحضور أحد القادة العسكريين زمن زمري ليم وكان هؤلاء يمثلون الموظفين وكبارهم زمن ظهور العداوة مع البدو من بني يمين. فقد كان زمري ليم بحاجة لتأكيد تبعية السكان والموظفين له. وهناك مثال آخر مشابه زمن الحروب مع العيلاميين القادمين من الهضبة الإيرانية، والذين غزوا أعالي الجزيرة فقد كان على السكان تأكيد تبعيتهم لزمري ليم من خلال القسم، ونقرأ في إحدى النصوص نبوءة أحد الأنبياء الكهنة عن أن هجوم العيلاميين سيُرد ويُسحق، وأن الآلهة ستدافع عن العاصمة بنفسها، ونعلم أن قوات ملك عيلام الإيراني قد تغلغلت في شمالي العراق وسورية، وأعلن تبعية بعض الأقاليم له. ولعل هذا الموقف هو الذي دفع زمري ليم إلى طلب إعادة القسم الديني. ولا يوجد أدلة على أداء القسم في وقت محدد وخاصة عند صعود الملك إلى العرش، وإنما نلحظ هذه الظاهرة في أوقات الأزمات والحروب وهناك نص يتحدث عن قسم لأمير مدينة كارانا Karana شمال الجزيرة حيث أقسم الرجل على تبعيته للملك زمري ليم، ووعد بأن لا يقيم علاقة مع الأمير السابق، ويذكر النص أن خيانة الأمير لإدارة زمري ليم توجب على التابعين إبلاغه الأمر مباشرة وإلا

فإنهم يعتبرون حانثين بالقسم وتحل العقوبة عليهم. وكان القسم ينطبق على سكان جميع الأراضي حتى خارج النفوذ المباشر في حال إقامة أحلاف مع بدو المنطقة وخاصة بنى سمأل وبني يمين. وكانت حالات الحنث تكفر بالتطهير في المعبد. وإلا بالعقاب إذا تيسر للملك القوة اللازمة[1].

ومن جهة أخرى فإن إخطار الملك الأموري بأنفه الأخبار هو واجب كل موظف صغر أم كبر، ويتولى الحكام والقادة العسكريون شؤون إيصال الرسائل الفخارية مغلفةً ومختومةً على هيئة علبة فخارية صغيرة ومسطرة بالكتابة المسمارية المعهودة وبلغة أكاد الغربية الأمورية.

وهناك حالة خاصة ومهمة تتعلق بـ «حجب المعلومات» تظهر عند صراع بين القائد العسكري إيال بي ايل Ebal pi el وكهنة جيشه فهم يرغبون بإيصال معلومات وخاصة النبوءة مباشرة إلى الملك في حين أن القائد لا يرغب بذلك خشية إطلاع العامة على المعلومات،و عدم معرفة رجال الدين بالعلاقات أو اللعبة السياسية، وهكذا يقوم القائد بغربلة المعلومات أو حجبها عن السلطة الملكية. فقد كان لا يحق لأي مسؤول أو هيـ أن تحول بين المخبر ومعلوماته وبين الملك؛ إذ يجب أن تصل إليه مباشرة. وهذا يدلنا على أن التلاعب بالمعلومات يؤدي إلى خطر كبير تعاقب عليه السلطة الملكية. وبفض هذا النظا الإخباري وغزارته في العصر الأموري أتاحت لنا محفوظات ماري ر سائلها الحصول على كمية كبيرة من المعلومات اليومية المفصلة عن حياة الناس. ويوجد منها ما قد يثير غرابة الصحافة المعاصرة التي قد لا تهتم بدقائق الأمور. ونظراً لكثرة المعلومات فهناك كثير من قيل وقال في رسائل ماري، ولكن التوجيهات الملكية تتطلب دائماً تأكيد المعلومات من قبل كاتب الرسالة. وهناك بعض الحالات التي يتطلب فيها مزيد من الشرح وهذا لا يتم إلا بمقابلة الملك. ومن آداب تلك الرسائل تحاشي إعطاء نصائح للملك إلا أن التقصير والإهمال يعاقب عليها

(1) ibi. J.M Durand, précurseurs syriens.

المسؤول، وما إن ينتهي تقرير الرسالة حتى يعلن الكاتب أن الأمر يعود للملك.. وقد يقول الموظف في النهاية لقد قمت بواجبي بخدمة مولاي ولكم التصرف والقرار. وكل هذا يرينا أن الملك بحاجة ماسة لجميع هذه المعلومات كي يتمكن من ممارسة مهامه في إدارة شؤون البلاد والنجاح في إقامة العلاقات والأحلاف السياسية والقيام بردود الأفعال المناسبة في الوقت والمكان المناسبين. وإن أفضل الحكام هو الذي يقول دائماً وفي مطلع تقريره: «إنني خادمك في الحقيقة» وعندما يستخدم فعل كذب كاذب فهو للدلالة على عدم التعاون وإعطاء المعلومات الصحيحة أو وقوع ثورة، وكثيراً ما يوصف البدوي بذلك لأنه لا يعترف بالسلطة الملكية ويرفض الدخول في نظام مراقبة الموظفين الملكيين وأخيراً فإن الأخبار السيئة لم تكن تنقل للملك، فالخبر يجب أن يكون إيجابياً ومفرحاً وفي حال وقوع الكارثة فهناك خطر كبير بإعلان ذلك للملك أو السلطة الأعلى وهذه إحدى الصفات الخاصة بالعصر الأموري وإذا ما اضطرت الإدارة لفعل ذلك فلم تكن تتوانى عن الاحتماء بوظيفتها الرسمية في الدولة[1].

١٧ - السر والوشاية:

كان الملك زمري ليم يذكّر حاشيته بوجوب الحرص على أسرار الدولة إلا أن بعض الأمثلة تبين عكس ذلك وكان مجلس الدولة يدعى (الأمانة). وكان بعض المندوبين يطلبون من القصر لوائح موثقة بأسماء الأشخاص الذين يسمح لهم بسماع قراءة رسائل الملك أو المسؤولين. أما الوشاية فهي سبيل لقول أمر خطير لا يجرؤ المسؤول قوله مباشرة فيقول «نُمي إلينا كذا....»

وقد كان موظفو شمشي ادو ممزقين بينه وبين ابنه يسمخ أدو في ماري فالأول يريد أن يعرف كل شاردة وواردة في إدارة الدولة. وكان الموظفون قد أقسموا يمين الولاء للاثنين معاً، إنها حالة تعذيب للضمير نتلمسها في مراسلات الموظفين بين الاثنين.

---

(1) I.J Gelb, computer Aided Analysis of Amorites, A. S, 21, Chicago, 1980.

لقد كانت صورة الملك الأموري تجمع بين القاضي الأعلى الذي يُودع القسم القضائي، وكانت رهبته في قصره، تجعل منه جزءاً من عالم الألوهية. من جهة أخرى فإن القسم في العصر الأموري هو الرابط الإداري السياسي حتى على المستوى الدولي. وقد بقي هذا الأمر حتى العصور المتأخرة من الألف الأول، حيث يبدو أن الممالك الآرامية السورية قد مارست هذه الطريقة، ولكن لا يوجد أمثلة موثقة كما هو الحال في ماري. ويمكن اعتبارها خاصة بالمحيط السوري الشامي، ولم تعرف في عراق سومر وأكاد على نطاق واسع. وسوف يستعيرها الحثيون وتتجلى في معاهداتهم. **كما أن كُتّاب العهد القديم سيستخدمون طريقة القَسَم وضمان العهد مما يؤكد سورية وشامية هذا الالتزام الأخلاقي عن طريق القسم، ويتحول مع الزمن إلى "عقد اجتماعي" والتماثي يُعدُّ الأول من نوعه في تاريخ المدنية.** ولقد أوجد نظام الإدارة الأموري الجديد هذه الطريقة لضمان التبعية للدولة والملك بعد قرون من الفوضى التي أعقبت انهيار دول أور الثالثة وظهور الدول الأمورية[1].

١٨ - الملوك الأموريون وملكية الأراضي:

يمكن القول أن الملكية لجميع الأراضي تعود للقصر كما كانت للمعبد في عهد سومر الباكر. إلا أن الأمثلة الحية من نصوص ماري وبابل تعكس لنا واقع الملكية بصورة أدق، فمن حيث المبدأ يُعد الملك أغنى شخصية في المملكة فهو الذي يملك أكثر من أي شخص آخر. من جهة أخرى كان القصر مسؤولاً عن دفع الأجور شهرياً لجميع العاملين الزراعيين والمهنيين. ولكن توجد سجلات على منح وتمليك الأراضي لبعض الموظفين. من جهة أخرى لا يوجد ما يثبت أن الملك ادعى بملكية جميع الأراضي في مملكته أو في الممالك المفتوحة حرباً. فهو يستولي على أملاك الملك أو الأمير أو الشيخ المهزوم وأفضل مثل على ذلك هو حمورابي الذي استولى على

(1) J.R kupper, la Civilisation de Mari xive RAI Liége, 1967.
P. Garelli, La Voix de l'opposition en mésopotamie, 1973, Finet 199-200 I.

لارسا. وزمري ليم الذي استولى على أملاك يسمخ أدو وغيره. وإلى جانب ذلك فإن الملكيات الخاصة لم تمس. ويمكن للملك أن يستملك مواسم الحبوب في ظروف الحرب والمجاعة تدلنا نصوص متعددة في ماري وبابل وباختصار أن اراضي الملك ذات شقين هما بلتو biltu المؤجرة سنوياً؛ مالاً أو عيناً لمتعهدين يدعون إشاكو ishakku للحبوب وسندبكو sandabakku للتمور، حيث تقدم الدولة والقصر ما يلزم من أدوات وسقاية والثاني يدعى شُكُسُ shukussu وهي أراضي تمنح للموظفين كجزء من أجورهم. أما الثروة الغنمية أو الحيوانية فتعطى لرعيان متمرسين وتؤمن لهم الحماية اللازمة مقابل أجور ربعية أو اتفاقية. أما المنتجات التجارية فتوكل إلى شخصية تجارية تدعى تـ كار tamkaru وهو شيخ الكار أو التاجر المتعهد. ولا يجب أن يفهم مما تقدم أن جميع الأنشطة الاقتصادية هي من شأن الدولة أو القصر نقد تبددت هذه الفكرة مع توفر المحفوظات الملكية في ماري وغيرها. فإن الملاك والتجار الصغار ومتوسطي الحال موجودون ويمارسون أنشطتهم بكل حرية، إلا أن التوثيق والتدوين من أعمال القصر والحاشية والمؤسسات الحكومية وما يزال ينقصنا المزيد عن الواقع الشعبي الخاص، فهؤلاء لا يعطون أهمية كبرى لتسجيل أعمالهم إلا أن وجودهم محسوس وموثق إلى جانب أنشطة الدولة الكبرى، فهم الذين يمارسون تجارة الصوف مثلاً، وليس الدولة كما كان يظن سابقاً. ومن جهة أخرى فإن سلطة الملك موجودة لوضع حد لكل مخالفة أو شطط أو استغلال كما يبدو من الوثائق.

١٩ - عدل ملوك الشام:

كان يظن أن نصوص التشريع مقتصرة على وادي الرافدين أي بابل وسومر ولكن نصوص ماري قد وثقت ظهور ما يدعى الـ: ميشرو بالأكادية وهي مشروع مكتوب لحفظ وتطبيق العدل والحق بين الرعية، طالما أن الملك هو الراعي الحافظ لحقوق الناس والضعفاء والأرامل خاصة. وهناك تعبير آخر هو كِتُو الذي يعني الاستقرار ومراقبة احترام العادات والتقاليد الاجتماعية. وقد ظهرت التعابير الحقوقية

والعدلية في ماري وحلب وكردا (شمال الجزيرة) في جبال سنجار، فقد كانت ظاهرة منتشرة لدى ملوك الشام والعراق الأموريين. وكان الإعلان عنها في مراسيم تنصيب وصعود الملوك على العروش. وكان الملوك يستقون العدالة من إله الشمس (شمش) وكان ملوك سورية يبدأون تطبيق العدالة في قصورهم وحاشيتهم أولاً. وقد سجلت بعض مراسيم تطبيق العقوبات ضد المخالفين في قضايا المرهونين للدين في ماري وديار بكر. وكذلك أوضاع العبيد[1].

القوانين: رغم عدم وجود تشريعات مماثلة لعمل حمورابي أو من سبقوه من عصور سومر وهم شولجي واورنامو ولبيت عشتار. فإن وصول التشريع وأفكاره إلى مدونى العهد القديم أو التوراة وخاصة النبي سليمان الملقب بالحكيم يدعونا للاستنتاج أن التشريع الشامي والعراقي القديمين يغرفان من ينابيع الحضارتين السومرية والأكادية[2].

(1) D. Charpin, Mari entre l'Est et l'Ouest: politique, culture, religion, Akkadica, 78, 1992, 1-10.

(2) P. Garelli, Proche Orient, I, p. 126.

الفصل الثالث

السلالة اليمحاضية الحلبية الأمورية ودورها الحضاري، وبدء التدخل الحثي

١ - يمحاض /حلب.

٢ - ملوك يمحاض:

١ - سومواببوخ .

٢ - ياريم ليم .

٣ - حمورابي الحلبي .

٤ - أبائيل .

٥ - يا ريم ليم الثاني .

٦ - نقمي إيبوخ .

٧ - اركبتوم .

٨ - ياريم ليم الثالث .

٩ - حمورابي الثاني .

٣ - خاتمة.

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - يمحاض /حلب:

اكتملت قائمة السلالة الحلبية بتأكيد نسب ياريم ليم إلى سومو إيبوخ الشخصية الملكية الحلبية التي كانت غامضة لبعض السنين، ومعاصرة للملك الشهير شمشي أدو الأشوري، وصارت تؤلف تسعة ملوك تغطي حقبة تقارب من مئتي سنة تدخل في نطاق العهود المسماة زمن السلالة البابلية الأولى. إنها السلالة الحلبية التي حكمت في هذه المدينة التي يمكن أن يقال عنها إنها أقدم مدينة مأهولة على وجه المعمورة.

لقد ورد ذكر حلب للمرة الأولى في نصوص (ماري وشكر ـ بذر) منذ بدايات القرن التاسع عشر ق.م. واستمرت في الورود في النصوص المسمارية في محفوظات ماري وآلالاخ بصورة خاصة ثم في محفوظات مجاورة ومتفرقة في شمال سورية والعراق. لقد تميز دور حلب في هذه المرحلة بالقوة العسكرية والتجارية على حد سواء، وقد سجلت مئات النصوص الاقتصادية كميات كبيرة من المواد الأولية التي ترسل إلى ملوك حلب وتخزن في مستودعاتهم ويعاد تصديرها باتجاه البحر (بحر إيجه) أو الأناضول.

وقد اتجه رأي بعض المؤرخين والباحثين إلى أن طريق المواد الأولية تلك يبدأ من الصين وأفغانستان وينتهي في حلب وآلالاخ حيث يتابع إلى بحر إيجة والأناضول. وكان أهم تلك المواد على الإطلاق هو القصدير؛ وكانت حلب مركزاً مهماً لإنتاج وتصدير القمح والنبيذ والزيت.

لقد لاحظ الجغرافي الفرنسي ج. سوفاجيه أهمية مدينة حلب ومنطقتها، متسائلاً عن أسباب غناها الاقتصادي والبشري أكثر من أي مدينة سورية أخرى... رادّاً ذلك إلى الموقع والمناخ والتربة، تلك العناصر المميزة التي جعلتها، منذ ظهورها لأول مرة في الوثائق المسمارية في القرن التاسع عشر ق.م، مركزاً متميزاً في حضارة الشرق وتجارته، ونلاحظ أننا منذ أن تعرفنا على تاريخها المبكر، إذا بنفوذها التجاري والسياسي يصل إلى أعالي الفرات وشرقه حتى بابل وعيلام وإلى ما وراء ذلك من حدود.

لقد أُعجب كل من زارها بعمارتها وصناعتها وأكثر ذلك الإعجاب دقة وعلمية هو ما عبر عنه سوفاجيه[1] الآنف الذكر عندما قال: (لا اسطنبول، ولا القاهرة ولا دمشق ولا بغداد ولا أصفهان أكثر انشراحاً وشهرة وغنى بالماضي الغابر وذكرياته وعماراته العظيمة، ولا تمثل أيٌ منها ذلك القدر من الإتساع والجمال الخلاب، وذلك الحرص على الإتقان المعماري). هذه إنطباعات سوفاجيه عن حلب الحديثة نسبياً، إلا أن شواهدنا[2] عن الفترة المبكرة في التاريخ الحلبي تقتصر على الكتابات والرسائل التي لم يعثر عليها في حلب أو بمحاض نفسها، وإنما في ماري ومناطق أخرى شمالاً، إلا أن آلالاخ[3] ذلك الموقع القريب منها الذي اعتبر استراحةً ومركزاً ثانياً لحكم ملوك حلب ونوابهم من أبنائهم، قد قدم لنا أمثلة وشواهد مهمة على نمط العمارة الحلبية السورية كما نرى لاحقاً، إضافة إلى أكثر من أربعمائة نص مسماري يقدم معلومات عن الوضع الاقتصادي والتجاري لمنطقة حلب وبمحاض، ومما يذكر بالقتضاب، عن نمط العمارة هذا ما لاحظه وولى Sir Wooly بعد تنقيباته الطويلة، أن التزيينات المعمارية لقصر آلالاخ الحلبي، لابد أنه الأصل الأقدم للتزيينات المعمارية للقصر المسيني القديم! وهكذا نرى أن الدروس الحضارية التي تعلمها الإغريق من سواحل

---

(1) Sauvaget J.: Alep, essai sur le développement d'une grande ville syrienne, des origines au milieu du XIXe siècle; Paris, 1941. P.IX-X.

(2) Abdallah V.F.: Les relations internationales entre le royaume d'Alep/Yamhad et les villes de Syrie du Nord "1800 à 1594 av. J-C.".
حيث جمعت النصوص المسمارية المتعلقة بمدينة حلب. ومن ثم يجب مراجعة فهارس الأعداد السبعة من (MARI) وأول عدد من Ammurul من أجل الدراسات الجديدة حتى تاريخ كتابة هذه السطور الإضافية على موضوع الندوة الأصلي أي (١٩٩٧).

(3) Wise man, Donald J. The Alalah Tablets, London 1953. P.1-2.
إن نصوص مدينة الالاخ التي عثر عليها من خلال حفريات وولي في تل عطشانة قد احتفظ بها في متحف أنطاكية، حيث وقعت المدينة (لواء اسكندرونة) تحت وطأة السيطرة التركية، بعد تواطؤ المحتلين الفرنسيين ضد سورية عام ١٩٣٩.

سورية تعود لأبعد بكثير من زمن تعلمهم الأبجدية والكتابة عن طريق الأوغـــاريتيين والصوريين والجبلاويين (الذين دعاهم الإغريق بالفينيقيين). وهـــذا يعنـــي أن انتقـــال الأفكار والتجارة والمواد النفيسة يعود إلى زمن مغرق في القدم، أبعدَ مـــن أن نحـــدده بظهور السلالة الحلبية أو بدء الكتابة أو أي منعطف آخر.

إن ذكر السلالة الحلبية وترتيبها ومعرفة أصولها أمر يتعلق للوهلـــة الأولـــى، بالسيطرة السياسية والبشرية في شمال سورية ووسطها، ولكننا نعلم أن تسعين بالمئـــة من الوثائق المتعلقة بهذه السلالة هي وثائقَ تجاريةٌ وإداريـــةٌ، وأن الملـــوك الحلبيـــين كغيرهم من ملوك الشرق القديم كانوا تجاراً كباراً، وهو أمر عادي، فالملوك وأنظمتهم وخبرتهم هي التي كانت محور اقتصاد وتجارة البلاد.

وعلى هذا فإن وثائق تبادل الهدايا والمـــواد، والوثـــائق المتعلقـــة بالزيـــارات والمراسلات الشخصية لملوك حلب وعائلاتهم هي التي سمحت بالتعرف علـــى تلـــك السلالة وترتيب سلم زمني مقبول لها حتى وقتنا الحاضر[1].

ولنعد قليلاً إلى الساحة الجغرافية الاقتصادية والبشرية لحلب وبلاد يمحاض قبل أن نتعرف على ملوكها كل بمفرده ومعرفة شيء عن دوره في تجارة ذلك العصر.

فقد ثبت أن الموقع الجغرافي والاقتصادي لحلب أكثر أهمية من مـــاري وبـــابل وآشور نفسها[2]. فهي المنطقة التي تمتلك سهول رعي طبيعية وزراعية بعلية، وهـــي المدينة الوحيدة التي عاصرت معظم المدن القديمة، ولكنها الوحيدة التي ما تزال قائمة ومسكونة حتى وقتنا الحاضر، وهو السبب الذي يمنعنا من الحفر فيها والتعرف علـــى تل المدينة القديم. ولحسن حظنا أن الرافدين والأناضول وبعض المعلومات المصرية قد قدمت المستندات التي شكلت أساساً للتعرف على التاريخ السياسي والاقتصادي الأقـــدم

---

(1) F. Abdallah, ibid p.8.

(2) Francis JOANNES, l'itinéraire des Dix-Mille en Mésopotamie et l'apport des sources cunéiformes dans les pas des Dix-Mille (éd.Briant), PALLAS, 43, 1995 pp.173-199.

لهذه المدينة العظيمة. ولقد ظهر دورها السياسي مباشرة عند أول ظهور للقوى السياسية الأمورية في سورية والعراق القديمين[1]. إلا أن الاقتصاد والتجارة ظهرا أكثر وضوحاً وقوة، فقد كان الطلب المتزايد على الأخشاب والقصدير والمنتجات الزراعية الأخرى هو مركز التصارع الدولي آنذاك، كما هي الحال بالنسبة للطاقة البترولية اليوم[2].

وقد مثلت يمحاض وحلب مركزاً اقتصادياً يعتبر الأهم والأعظم في بداية الألف الثاني قبل الميلاد، إلى جانب وادي الفرات والخابور والبليخ، ومما يجدر ذكره هنا أن نصوص آلالاخ تقدم أسماء أكثر من مئتي تل حولها وعلى مسافة ثلاثين كيلو متر من حلب فقط، أضف إلى ذلك المواقع الكثيرة على مجرى نهر قويق.

كما أن محفوظات مدينة الالاخ[3] كشفت عن أسماء مواقع أخرى، قد تعرفنا على كثير منها مما أضاف أهمية أخرى لمدينة حلب، ذلك أن إيبلا على مقربة منها جنوباً (حوالي سبعين كيلومتراً)، وهذا يؤيد ذكر المدينة أي إيبلا في نصوص آلالاخ في وقت لاحق[4].

٢ - ملوك يمحاض:

يبدأ تاريخ حلب، ويمحاض بالظهور مترافقاً مع أسماء ملوكها وكان أقدم صاحب ليمحاض يدعى سوموا إيبوخ، تلك الشخصية التي لعبت دوراً أساسياً في

---

(1) Clay, Albert Tobias, Amurru, the Home of the orthern Semietes, philadelphia, 1909.
وهي أقدم دراسة ما تزال صالحة، إلا أن دراسة MARIS وكذلك ما ذكر من مراجع في اطروحتنا هو الأحدث.

(2) H. Klengel, Handel und Hundler in alten Orient, Leipzig 1979 P.H.1-9.
A. Archi: Chronologie relative des archives d'Ebla. Amurru I P, P.11.
وانظر الدراسات اللاحقة في هذا المجلد.

(3) Wiseman. AT VII Ebla.

(4) Wiseman. AT VII Ebla.

بدايات الصراع على النفوذ السياسي والاقتصادي في شمال سورية بين أشوريين وماريين وبابليين[1].

١ - سومو إيبوخ :

لقد اعتبر حتى الآن سومو إيبوخ[2] مؤسس السلالة الحلبية ووالد ملكها الشهير ياريم ليم، وقد خاض سلسلة من الصراعات ضد يخدون ليم ملك ماري وضد شمشي آدو ملك آشور من موقعه في شوبات أنليل/تل ليلان[3] في شمال سورية.

وهنالك مجموعة نصوص قدمت لنا معلومات حول هذه الشخصية وهي كتابات يخدون ليم التأسيسية والرسالتان الأولى والثانية من المجلد الأول لمحفوظات ماري، وبعض الإشارات الأخرى (MATI 7 P.55).

إن المعلومات المقدمة من تلك الوثائق تعكس صورة اقتصادية وسياسية مهمة لسومو إيبوخ. إذ يبدو أن نفوذه قد امتد إلى شرق الفرات في صراعه مع الآشوريين، ولكن لا نملك ما يكفي من الوثائق المتعلقة بالواقع الاقتصادي والتجاري زمن سومو إيبوخ، وبعد موته، فإن عرش حلب يؤول إلى ابنة ياريم ليم، حيث تغدو هذه المدينة عاصمة بمحاض في نصوص ماري، وتظهر لنا أهميتها الاقتصادية من خلال عدد لا بأس به من النصوص.

٢ - ياريم ليم[4] :

يذكر ياريم نفسه أن سومو إيبوخ والده (Mari, P.55) إضافة إلى طبعة ختمه التي تؤكد ذلك، وقد صعد إلى السلطة في زمن شخصيات كبرى في سورية والعراق (وهذا ما ظن) من خلال نصوص ماري:

---

(1) H. Kengel. Syria, 7000 to 300. B.C. Berlin, 1992, p.44.

(2) F. Abdallah: Les relations... P.47.

(3) D. Charpin: Shubat-Enlil et le pays d'Apum. MARI 5, P.129.

(4) Smith, S. Yarim. Lim of Yamhad RSO, 32, 1957, P.155-184.

فهو قد ذكر مع حمورابي ملك بابل، وزمري ليم ملك ماري وريم سين ملك لارسا، وإيال بيل Ibal-pi-El II ملك أشنونا. وياشوب يخد Yashub-Yahad ملك دير.

ومين جميل Sin Gamil ملك دينكتوم وأبلاخاندا ملك كركميش وأمود/ت بيل Amud-pi-El ملك قطنة[1].

ويمكن أن نوجز عهد ياريم ليم بما يلي:

فقد أقام علاقات طيبة مع صهره[2] زمري ملك ماري. ولكن هذا لم يمنعه من تطبيق سياسة المصلحة التجارية، وأكتفي فيما يعرف بأزمة الحبوب بينه وبين هذا الأخير. حيث سيطر على تجارة الحبوب وحاول استخدام ذلك للضغط السياسي على صهره من مركزه التجاري الفراتي إيمار (مسكنة). لقد بدت حلب خلال عهد ياريم ليم وقد امتد نفوذها الاقتصادي والسياسي من قطنة جنوباً حتى كركميش ثم أورشو، وخشو في الأناضول شمالاً وإلى إكالاتوم شرقاً على مقربة من آشور، أما الغرب فكان قريباً منها وكانت آلالاخ وميناؤها المينا (قرب أنطاكية) نافذة حلب على البحر، كما أن أوغاريت قد شكلت جزءاً هاماً من مساحة نفوذ حلب، وذلك من خلال معلومات خاصة وحديثة حول اتصالات وثيقة بين ياريم وزمري ليم من جهة وأوغاريت وجوارها من جهة أخرى، حيث قاما برحلة إلى تلك المناطق على ما يبدو[3].

وقد ظهرت يمحاض في عصر ياريم ليم كقوة كبيرة قامت بمساعدة بابل نفسها في وقت من الأوقات، ودار في فلك قوتها عدد من الأمراء والملوك الصغار[4] الرافدين والسوريين خاصة بعد زوال دولة شمشي أدو الأشوري، وقد ظهر الطموح الاقتصادي الحلبي آنذاك في أعالي الجزيرة والفرات من خلال مجموعة وثائق مهمّة.

(1) F. Abdallah: Les relations.. P.65.

(2) D. Charpin, Données nouvelles sur la poliorcétique à l'époque paléo-babylonienne MARI 7, P.193.

(3) Villard P. "La place des années de "kahat" et d'"Adad d'Alep" dans la chronologie du règne de Zimri-Lim.

(4) Durand J.M. MARI 7 P.41.

كانت بابل الصاعدة قد ورثت ثقافة واقتصاد سومر وأكاد ودخلت في عهد ملكها الشهير حمورابي في صراع قادها إلى احتلال ماري، وربما لم يسعفها الحظ في الوصول إلى حلب الغوية.

لقد تميز عهد ياريم ليم بنشاط اقتصادي واجتماعي مميز وقد قدمت لنا محفوظات ماري المجلدات (ARMT XXI; XXII; I, 2 XXIII; XXV) مجموعة نصوص مؤرخة في عهده تلقي الضوء على علاقات نشطة مع ماري شرقاً ومع أوجاريت غرباً وكانت المواد المسجلة في هذه النصوص، هي: هدايا ذهبية وفضية وبرونزية والمواد التجارية هي مواد زراعية كالحبوب والزيوت والخمور، والمعادن وخاصة القصدير.

وإن أهم السجلات المتعلقة بالمجوهرات هي تلك التي قُدمت إلى شبتو ابنة ياريم ليم عندما طلب يدها ملك ماري زمري ليم، وقد سجلت جميعها في سجلات ملك ماري (ARM XXV) ووصلت إلينا بعد حوالي أربعة آلاف سنة وتألفت هذه التقدمات (ترخاتوم Te-er-ha-at-um) من الذهب والفضة وغير ذلك.

هناك ذكر لهدية ذهبية وهي خاتم مقدم إلى السيدة نقمي لاناسي Nqini-Lanassi وهي مغنية ياريم ليم الموجودة في أوجاريت، وهذا أحد الدلائل المهمة على خصوصية العلاقة مع هذه المدينة (74.ARM 25, P) وهناك عدد آخر من النصوص يعكس هذا الواقع.

وهناك نص (645, 25, ARM) يذكر إبريقاً أو مزهرية من جزيرة كريت، وهذا دليل مبكر على الاتصال التجاري مع جزر اليونان القديمة.

ويبدو لنا من خلال نصوص أخرى نشرت مؤخراً[1] أن ملك ماري زمري ليم قد قام بأكثر من رحلة إلى بلاد يمحاض ولا بد أنه زار مدينة حلب وأوجاريت استنتاجاً

---

(1) P. Villard, AAD, MARI.

حول رحلة رمزي ليم إلى حلب، وأوجاريت. انظر: P.453 XXIII.

مما ورد من سجلات للهدايا التي وزعت أثناء رحلة بلاط ماري في بلاط الغـــرب أي بمخاض وأوجاريت.

وقد حرص ياريم ليم على إقامة علاقة اقتصادية وسياسية طيبة مع قطنة Qatna على عكس ما كان الحال عليه في عهد أبيه سومو إيبوخ[1].

وهكذا يمكن القول إن حلب قد كان لها علاقات وطيدة مع كل من ماري وبابل، وظهرت هاتان المدينتان مع حلب وكأنها تؤلف حلفاً سياسياً واقتصادياً واحداً، ويبدو هذا الواقع أكثر وضوحاً في عهد خليفة ياريم ليم بعد موته وهو حمورابي الذي يحمل اسم الملك البابلي الشهير ومعاصره، وأقام معه علاقات سياسية واقتصادية هامة.

إننا نستطيع القول إن عهد ياريم قد تميز بتجارة امتدت ما بين الخليج العربـــي والبحر الأبيض المتوسط، وفلسطين، وربما الجزيرة العربية وبلاد يمخاض، فقـد ورد ذكر مدينة فلسطينية هي حاصور (Syria 50.P.105)، والتي يعتقد أنهـا كـانت علـى طريق التجارة مع الجزيرة العربية.

ومما هو معروف أن الألبسة اليمحاضية تديتـوم Tadditumm (MU.DU) ذات مواصفات عالية ومرغوبة، وكانت تقدم هدايا من قبل ياريم ليم. (ARM XVIII)، إلـى أصدقائه، كما ورد ذكر ألبسة جبلة (جبيل بيبلوس حالياً في لبنان) [2] قدمت هدية مـن الملك نفسه وفي ذلك إشارة إلى أقدم مملكة لبنانية أمورية (وليست فينيقية).

هكذا يعكس لنا عهد ياريم ليم الوضع البشري والاقتصادي فـي بـلاد حلـب ويمحاض في أوج إنتشار المجموعة البشرية الأمورية، حيث امتد نفوذها فـي كـامل المشرق العربي ووصل نفوذ حضارتها إلى الهضبة الإيرانية.

---

(1) F. Abdallah, les relations. Z. 159.

(2) F. abdallah *Ibid. p.273.*

إن أقدم ممالك لبنان أو لبنون القديم هي جبيل وهي مملكة جبلاوية وعناصر سكانها أموريون فهي مملكة أمورية وليست فينيقية كما هو شائع.

لقد توفي ياريم ليم في حياة زمري ليم ملك ماري وخلفه ابنه حمورابي، وكان ذلك حوالي منتصف القرن الثامن عشر ق.م، وقد قدمت الهدايا فيما بعد إلى مقامه احتراماً وتقديراً[1].

وقد لاح في الأفق إبان موت هذا العاهل الكبير تحضيرات عسكرية وحربية كبيرة قامت العواصم الثلاث بتدبيرها وهي بابل وحلب وماري للدفاع عن جبهة الشرق العيلامية (R. Bi or 19, P.1695). ونعلم من خلال الهدايا المقدمة من قصر ماري إلى حمورابي ملك يمحاض (ana Hammrapi Shar YamHad) أن هذا الأخير قد خلف أباه وصعد على عرشه.

٣ – حمورابي الحلبي :

إن حمورابي بن ياريم ليم هو والد الملك الحلبي التالي أبائيل Abba-El الذي لم نعرفه إلا من خلال وثائق آلالاخ (456 AT VII). فقد عاصر بذلك زمري ليم خلال مدة حكمه وكذلك سميه ملك بابل، وشهد سقوط مدينة ماري على يد هذا الأخير حتماً. ولا نعلم لماذا لم يهرع إلى مساعدة صهره وزوج شقيقته زمري ليم[2]. ولعل ذلك كان مقصوداً في سياسة ذلك الزمن، إذ إن الملك الحلبي الجديد ربما كان يهتم أكثر بمنطقة أعالي الجزيرة والفرات ولا يعنيه خوض حرب قد تكون خاسرة مع بابل. فذهبت ماري ضحية هذه السياسة وانتهت على يد حمورابي البابلي.

وهكذا فإن قوة يمحاض وحلب السياسية قد بلغت أوجها وجنى ثمارها حمورابي بن ياريم ليم، وترافق هذا ولاشك بازدهار اقتصادي متميز عبرت عنه نصوص كثيرة[3]. فقد كثر ذكر أسماء الزائرين والرسل وهداياهم في معظم مدن الرافدين

---

(1) F. Abdallah, *Ibid,* P.127.

(2) *Ibid...*

(3) Abdallah. *Ibid.*

وشمال سورية، وكان نصيب حلب في عصر حمورابي مهماً وأساسياً في معارفنا عن التجارة في ذلك الوقت.

فقد أرسل ملك حلب الهدايا وخاصةً الثياب الحلبية إلى ماري حيث سجلت في السجلات الملكية، وقد دلت الوثائق على أن ماري كانت محطة تصدير القصدير القادم من عيلام وإيران باتجاه الغرب إلى حلب وكركميش وأوجاريت، ومن جهة أخرى فإن ماري كانت تستورد من بلاد الغرب وخاصة بمحاض الزيوت والخمور والعسل والصوف والأواني. وتُمثل الهدايا المتبادلة بين الأمراء والملوك رموزاً لتوطيد العلاقات السياسية والاقتصادية وهي دليل اليوم على مصادر الثروات ومواد التجارة آنذاك، وكان النبيذ من الهدايا الثمينة التي افتخر بها ملك ماري، وكانت زوجته الحلبية خبيرة بمذاقه وصنعه، ذلك أن المنطقة التي كانت تعيش فيها هي المنتج الأول للنبيذ في عالم ذلك الزمن (212. ARM XXIV P)، وقدمت لنا نصوص آلالاخ أمثلة متأخرة عن أسماء أشخاص يمتلكون مخامر لنبيذ (14, Wiseman A. T.P) وهناك أمثلة أخرى على انتشار زراعة وصناعة العنب في أعالي الجزيرة والفرات التي كانت مجال صراع للسيطرة بين ماري وحلب، حيث تمكنت هذه الأخيرة من احتلال مكان الصدارة في الإنتاج والتصدير الزراعي وقامت بتصنيع مراكب خاصة لنقله على الفرات على ما يبدو. فغدت المصدر الأول ليس لمنطقة ماري وبابل وحسب وإنما للساحل السوري اللبناني، وكانت جرار الأموريين الذين عرفهم الإغريق بالفينيقيين[1] المتجولين في البحر المتوسط مليئة بالخمور اليمحاضية والكركميشية! .(Tinet AFO XXV 23 RAI).A

---

(١) إن التسمية الحقيقية التي يجب أن ترافق تسمية الفينيقيين هي أمور وأموريين ذلك أن الشواهد المسمارية تثبت أن سكان العراق وسورية ولبنان وفلسطين والأردن وشبه الجزيرة العربية هم من الأموريين البدو أو الحضر خلال الألف الثاني ق.م ولن هذه الحقيقة التاريخية يجب أن تحل محل المصطلح الضيق الفينيقي اليوناني المتأخر.

إن ظهور أهمية صناعة وتصدير الخمور والزيوت من خلال نصوص تعود مبدئياً إلى عهد حمورابي وأواخر عهد أبيه يعني أن الزراعة قد واكبت ذلك التطور السياسي والتبادل التجاري بين أرجاء سورية والعراق ولبنان وفلسطين وبحر إيجه في المنظور القريب، وربما حتى أقاصي الشرق بالمنظور البعيد، وقد تكيفت ممالك ذلك الزمن مع واقع ازدهار التجارة، فقامت بفرض ضرائب العبور وصار الملوك يكتبون رسائل لطلب العفو من تلك الضرائب، فكان ملك كركميش يكتب إلى يسمخ أدو، (هذا الوفد هو لي، فأرجو ألا يتعرض له أحد، أما فيما يتعلق بالضريبة فـ..!) (11 Finet, ibid, ARM V. A) فقد كانت المراكب الفراتية تتوقف على أبواب ترقا[1] كي تدفع ضرائبها لحساب تمكارو Tamkaru، وبعض هؤلاء متخصص بنقل الخمور العائد لملك ماري، والضريبة تكون عادة إما من الفضة أو عيناً من المواد المتاجر بها، أي دفع بعض جرار من الخمر مثلاً، وقد بلغت نسبة ضريبة العبور حوالي ١٠٪ من قيمة البضاعة، وقد حاول كثير من التجار التهرب من دفع هذه القيمة كاملة (ARM5,9) ويذكر أندريه فينة في دراسته المطولة عن الخمور وصناعتها أن أمراء وملوك الشمال كانوا يفدون إلى ماري محملين بجرار الخمر والعسل، إلى جانب التجار الممتهنين، مما كان يعود بأموال نقدية وعينية مهمّة على قصر ماري، وقد ورد في أحد النصوص (ARM9, 156-7, 267) إن صدقي لاناسي Sidqi-Lanasi ممثل زمري ليم في بلاط كركميش قد استقرض الفضة من أجل أن يمول شراء ٥٠٠ جرة من الخمر، فكان ولا شك يحلم بربح هام إثر هذه العملية!.

تبدو لنا طقوس استهلاك الخمر بصنوفه الرفيعة ذات أهمية بالغة، فعلى المتذوق له أن يُطهر يديه قبل أن يلمس جراره، وليس سوى المراتب العالية الذين تشير إليهم النصوص كذواقين له مثل شيبتو زوجة الملك وصدقوم ماصي Siaqum-Masi الذي

---

(١) لا يوجد ما يدل على وجود ضرائب على تنقل الأفراد. ولا نعتقد بوجودها بل كان الأفراد يتجولون دونما قيود وكانت الضريبة تفرض على البضائع التجارية وحسب.

كلف بتذوق النبيذ الأحمر الذي أرسل من قبل حمورابي ملك حلب، واختيار عشر جرار خاصة لاستهلاك ملك ماري (rARM 10, 131, 15-19).

وإن النبيذ الطيب وبالأكادية يدعى طبوم Tabum[1] هو أعلى الأصناف ويخصص للاستهلاك الشخصي للملك.

وهناك النبيذ العادي للاستهلاك اليومي، وقد طلب زمري ليم من زوجته ذات مرة (ARM 10,133) أن تتذوق له النبيذ الذي اختاره هدية إلى (ماري شبري) أي إلى رسل بابل كي يحملوه إلى ملكهم، فلا بد أن زوجته الحلبية قد تدربت على تذوق النبيذ في منزل أبيها باريم ليم وقد كان سعر النبيذ أغلى عشر مرات من سعر القمح وأقل مرتين من سعر الزيت، وهكذا يمكننا أن نتصور قيمة هذه المواد مقارنة مع وقتنا الحاضر.

لقد كان الزيت من المواد المهمّة التي كثر تسجيلها في عهد حمورابي، وكان مصدره الاختوم الواقعة في تخوم حلب على ما نظن[2]، وكان نور سن ممثل زمري ليم في البلاط الحلبي مسؤولاً عن تأمين هذه المادة لملك ماري (ARM IXII P.268). كان واقع التطور الزراعي وتنوع الإنتاج قد دفع بممالك سورية وخاصة حلب وماري إلى البحث عن أراض جديدة في أعالي الفرات، مما دفع بعجلة التجارة ووسع نطاقها، وقد انعكس هذا التوسع التجاري الحلبي في المجال الديني والثقافي، حيث إن إله مدينة حلب المعروف أدد إله الطقس والرعد والمطر والعطاء، قد أصبح ذائع الصيت في فترة الازدهار هذه، وصار يتدخل في شؤون الملوك ويقرر مصائرهم ولا بد من استشارته واستشارة كهنته القابعين في ظل ملكهم الحلبي كي يفوزوا برضاه وبرضى إله الصاعقة والرعد.

---

(١) لاحظوا أصل كلمة (طيب) الأكادية، التي تستخدم في العربية نفس المعنى.

(٢) إن بعض تقاليد إنتاج الزيت الطيب وغيره التي تنسب اليوم إلى مناطق عفرين وغيرها في أيامنا هذه لا تعود إلى العنصر السكاني القائم حالياً وحسب بل إن هذا العنصر قد تعلم من التقاليد المحلية التي تعود إلى فترة ازدهار حلب الزراعي في القرن الثامن عشر ق.م.

ويشير ديوران Durand (MAEI 7, 55, 1993) في هذا الصدد إلى أن النظام العالمي آنذاك يتعلق بإله حلب أدد وحده! وما من ملك يجرؤ على مخالفة رغباته، وقد أثبت ديوران في دراسة جديدة، ومطولة، مدعمة بنصوص ورسائل حلبية وماريـة أن أصول ملحمة صراع إله الرعد والبرق أدد مع إله البحر يـم Yammu تعـود فـي أصولها إلى الأدب الأموري الشفوي الذي نـرى بقايـا ذكـره فـي تلـك الرسـائل (MARI 714) وهذا يدعم فكرة أن حلب كانت مركزاً ثقافياً تجمع فيه التراث الشـفوي الأموري القديم، ذلك التراث الذي انتشر فـي كـل أرجـاء المشـرق، ومنـه إلـى اليونان القديم.

٤ – أبائيل Abba-El :

يعد هذا الملك ابناً لحمورابي الحلبي بشهادة طبعـة ختمـه الموجـود فـي محفوظات آلالاخ، وقد حكم حلب بعد سقوط ماري، أي بعد النصف الثـاني مـن القرن الثامن عشر وعاصر الملك البابلي سمسو إيلونا بن حمورابـي (١٧٤٩ق.م) ولا يوجد سوى شاهد واحد متواضع على علاقة هذين العـاهلين (52 CT). مـن خارج محفوظات آلالاخ.

ويتوفر شاهدان آخران على مكانة الملك الحلبي الجديد واتساع نفوذه من مدينـة آلالاخ قرب المتوسط إلى شرقي الفرات كما كان الأمر في عهد جده سـومو إيبـوخ، وأثبت قدرة حلب على التدخل العسكري في بلاد الرافدين وتقديـم العـون للحلفـاء. (11AT) وللأسف إن وثائق آلالاخ لم تقدم المزيد عن عهد هذا الملك، كما أننا لا نملـك حتى هذا التاريخ وثائق من مصدر آخر[1].

---

(١) إن وقوع آلالاخ – تل عطشانة في اسكندرون المحتل من قبل تركية منـذ عـام ١٩٣٩ بفضـل التواطىء العسكري الفرنسي إبان الحرب العالمية الثانية، قد منع إقامة اتصالات في عالم التنقيب الأثري بين حلب ومصيفها الطبيعي آلالاخ وميناؤها الطبيعي أنطاكية والمينا في العصور القديمة.

٥ – ياريم ليم الثاني :

وهو والد السابق أبائيل من خلال طبعة ختم ذات رسم ملحمي كما ذكر على طبعة ختم خليفته نقمي إيبوخ (AT+7c). وللأسف ليس لدينا أية معلومات إضافية حول دور هذه الشخصية، إلا أن وولي Woolley. L.C يعتقد أن قصر آلالاخ في الطبقة السابعة. قد شُيد في عصره، وأن آلالاخ قد عاشت فترة ازدهار مميزة.

٦ – نقمي إيبوخ Naqme Epuh :

ينسب إلى هذا الملك عدد من الوثائق التي تعرّف به ملكاً على حلب ويؤرخ باسمه في آلالاخ (AT+&). ولكن لا نملك وثائق عن علاقاته الخارجية.

٧ – أركبتوم Ir Kaptum :

وهو ابن السابق ويظن أنه حكم حلب اعتباراً من ١٦٨٠ق.م وأقام علاقات طيبة مع أميتكوم أمير آلالاخ. كما كانت له علاقة مع مجموعة من الخبيرو الذين ذكروا في سنة من حكمه وعرفوا من خلال معلومات أخرى كبدو رحل في منطقة الرافدين وسورية.

٨ – ٩ – ياريم ليم الثالث وحمورابي الثاني :

وسيلي نقمي إيبوخ ملكان هما ياريم ليم الثالث وحمورابي الثاني ولا نمتلك عن علاقاتهم الخارجية معلومات واضحة سوى أن نهاية يمحاض وآلالاخ كانت في عهد آخرهما على يد الحثيين، حيث دخلت سورية في مرحلة جديدة وهي الهيمنة الحثية[1] وهي المرة الأولى في التاريخ التي تصل فيها مجموعات لغوية هندية – أوروبية إلى السلطة في بلاد الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين، ويصل نفوذهم إلى مصر. ولكن هذا لم يكن إلا البداية لهذا الاختلاط الدولي حيث تلاه النفوذ والسيطرة الحورية الميتانية،

---

(١) إن لغة الحثيين من أصل هندي – أوروبي ولا تمت بصلة إلى الأكادية المعاصرة لهم. وقد استخدموا الأكادية وكتابتها في أدبهم وتجارتهم وهم يسجلون أوائل الاحتكاك العسكري مع العنصر هندو – أوروبي والآري مع بلاد الشام والعراق القديمين. من أجل المزيد عن الحثيين والحوريين وخاصة الدراسات الحديثة. انظر: العدد الأول من: Amurru I P.7.

ثم يأتي دور المصريين ـ وهكذا يبدو لنا منتصف الألف الثاني ق.م وقد تعارف العالم بعضه على بعض حرباً وسلماً وبدا المشرق الناطق بالأكادية وفروعها كمركز للثقافة والمعارف العالمية، وتوافدت عليه القوى البشرية من أوروبة وآسيا بحثاً عن الاستقرار والتحضر.

ومما يجدر ذكره أن الحثيين عندما بدأوا احتكاكهم مع مملكة حلب كانوا يصفونها من خلال وثائق بوجاز كوي بالمملكة العظمى وملكها كان يحمل لقب الملك العظيم ورغم تضييق الحلقة العسكرية حول المدن السورية وحلب بصورة خاصة، فإن مستواها الثقافي والاقتصادي قد حول الغزاة إلى مقيمين دائمين يتبنون ديانة وكتابة مهزوميهم إذ صح التعبير، ويتحول الغزو العسكري إلى دفع بشري يهدف الاستقرار والاندماج في المجتمع الجديد المتطور.

٣ - خاتمة:

إننا نستطيع أن نقرر بأن الحاجات الاقتصادية لكبار الملوك بدءاً من شروكين الأول وصارجون وانتهاءً بحانوشيللي الأول هي التي كانت تلعب بمصير المناطق الخصبة في الشرق وسورية خاصة، وقد استطاعت حلب من خلال سلالتها الأمورية الأولى وخلال ما ينوف على قرنين من الزمن امتلاك النفوذ والسيطرة في منطقة واسعة من سورية والعراق القديمتين، واستطاعت أن تقاوم طويلاً النفوذين الحثي والحوري، إلى أن زال نفوذها السياسي على يد مورشيللي الحثي عام ١٥٩٥ ق.م تقريباً، وبقي لها كما لجميع بلاد الرافدين الهيمنة الروحية والمعرفية والكتابية خاصة، وبذلك فإن الطابع الحضاري الأكادي الذي تلون بألوان مدن ذلك العصر وعلى رأسها حلب وماري وبابل وجبيل. وما يزال هذا الطابع الحضاري قائماً وسائداً حتى يومنا هذا، وسيبقى لأنه عميق الجذور ومتين الأصول.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الرابع

تدمر أقدم موطن للأموريين ومحطة للآشوريين باتجاه قطنة

١ - اسم تدمر، وجبل بشري.

٢ - دور تدمر التجاري والعسكري.

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - اسم تدمر، وجبل بشري.

تحتل تدمر وسط واحة في البادية السورية الواسعة، والممتدة من منعطف الفرات حتى وادي سرحان في شمال شبه الجزيرة العربية. وعندما يصل الفرات إلى حلبيا (زنوبيا)، ينعطف باتجاه بابل مشكلاً بذلك فاصلاً طبيعياً إلى الشرق من جبال تدمر.

تبقى تدمر مرتبطة اقتصادياً وثقافياً بكل من حمص وحماه وحلب غرباً وشمالاً، وبمدينة دمشق وسهل حوران جنوباً. وقد استفادت من موقعها الاستراتيجي اعتباراً من الألف الثاني ق.م. وتشير نصوص عُثر عليها في ماري وكلتبه Kultépé وايمار Emar إلى الحياة البدوية في المناطق التدمرية؛ هذه الحياة لم تمنع من التعامل مع المراكز الحضرية على الفرات الأوسط، والمساهمة بصورة نشطة بحياتها السياسية والاقتصادية.

وقد ذكرت الحوليات الآشورية التدمريين، في الألف الأول ق.م، من بين السكان البدو الذين اصطدمت معهم القوات الآشورية. من جهة أخرى أن معلوماتنا قليلة جداً عن تدمر نفسها قبل العصر الهليني، حيث ستغدو مسيطرة على تجارة القوافل بين البحر المتوسط والهند[1].

وكان شاركاليشاري خليفة نارام سين الأكادي قد وصل إلى جبل بشري Bisri وهو يطارد الأموريين، وبذلك فإنه أول ملك أكادي يحدد أصول هؤلاء السكان، وذلك في جبهة تمتد من البادية السورية الشرقية الشمالية إلى غربي الفرات وشمال تدمر. ونلاحظ أن الوثائق المكتوبة والآثار المادية المؤرخة في الألف الثالث ق.م تتوافق مع ظهور الأموريين وتسربهم إلى سورية وبلاد الرافدين. وعندما ظهروا على صفحات التاريخ فقد كانوا أصحاب السلطة في تلك البلاد أيضاً. ونعلم أن هذه العناصر الجديدة قد تمثلت الثقافة السومرية ـــ الأكادية، وأن الوثائق المكتوبة العائدة للعصور الباكرة وحتى سلالة أور الثالثة، تذكر هؤلاء السكان الجدد القادمين

(1) Cf. TEIXIDOR (Javier), Un port romain du désert, Palmyre, *Semitica* XXXIV, p.7-8.

من الغرب والذين يتحدثون لهجة أكادية أمورية سامية/شامية غربية، وهي لهجة قد استخدمت في سورية والشام عامة، وسُجلت إلى جانب لهجات أخرى، كالأوجاريتية[1].

وكانت طبيعة العلاقات بين سورية والرافدين، زمن سلالة أور الثالثة اقتصادية أولاً، ولكن لا توجد شواهد مباشرة على ذلك، فقد سعى ملوك أور الثالثة، إلى إقامة علاقات اقتصادية بهدف تحقيق النفوذ السياسي. هذا ولدينا بضع شواهد على الأوضاع الاقتصادية التي كانت سائدة بين المدن السومرية والسورية في نهاية الألف الثالث، وخاصة في عصر جوديا ملك لاجاش، حيث تشير كتاباته إلى تجارة تمتد من البحر (الأعلى)، إلى البحر (الأدنى). وقد ذكرت جبال الأمانوس كمواقع لأشجار الأرز، التي استعملت كأخشاب بناء في جنوب بلاد الرافدين، كذلك الأمر بالنسبة إلى أخشاب مدينة أورسو وجبل (أعلى البلاد) إيبلا. وقد استوردت الحجارة من جبل بشري Bisri, Basalla جنوب تدمر، والرخام من جبل تدانوم الأموري Tidanu[2] ويظن أن حملة جوديا التجارية قد بدلت طريقها من أعالي الفرات إلى شمال سورية قرب إيمار (مسكنة اليوم). من جهة أخرى، فإن العلاقات بين أور وقطنة وجُبلا Gubla (جبيل في لبنان) تشهد على وجود طرق تجارية أخرى، تؤدي إلى فلسطين. هذه الطرق هي التي أوصلت النفوذ السومري غالباً، إلى الجنوب مروراً بالبادية السورية ومناطق تدمر ثم دمشق. وربما تؤكد الأبحاث والحفائق الحديثة في تدمر، ذات يوم، هذه الاحتمالات التي تؤيدها تلك الشواهد.

---

(1) Y.G.J. Gadd. CAH ½ p.625 pour l'invasion d'Amuru. Aussi G. BUCCELLATI, *Cities and Nation of Ancient Syria,* Rome, 1967, p.77. V.J.-R. KUPPER, *Les Nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari.* Paris 1957. P.178. Pour Les noms géographiques de notre époque v. RGTC 1, 2, 3.

(2) Cf. KLENGEL H. GESCHICHTE = *(Klengel GS) im 2 Jahrtausend v.u.z. III-Historische Geographie und Allgemeine Darstellung,* Berlin, 1970, p.126. V. aussi Thaureau-Dangin *Saki,* p.66; V. RGTC2.

٢ – دور تدمر التجاري والعسكري:

وتدعونا العلاقات المتطورة بين الرافدين وسورية في مجال التجارة، إلى التفكير أن العلاقات التقليدية بين لبنان والرافدين ترجع إلى هذا الوقت المبكر، حيث إن لبنان كان مصدر أخشاب الأرز، وإن تدمر كانت المحطة التجارية للقوافل المتجهة نحو قطنة ولبنان، وينطبق هذا على ما جاء في أدب الخلق والتكوين البابلي القديم، حيث إن غابات الأرز قد حدد موقعها في مناطق حرمون ولبنان[١].

فإن الموقف السياسي في سورية، في الألف الثاني ق.م، يسمح لنا، وفق المعلومات المصرية والإبلائية، بتسجيل بعض الملاحظات: أولها أن سورية كانت مؤلفة من عدد من الوحدات السياسية المحكومة من قبل عواهل أموريين غربيين، ينحدرون من قبائل بدوية سورية، قطنت في مناطق تدمر وجبل بشري بصورة خاصة. وتشكلت هذه الوحدات واستقرت في مدن مهمّة أو مجموعات متفرقة، لم تتوصل أبداً إلى تشكيل وحدة سياسية شاملة. ويُفسر لنا هذا دور سورية، والمدن الوسطى؛ حيث كان دوراً تجارياً واقتصادياً وسياسياً، ولكنه لم يكن قوة عسكرية تفرض نفسها على مناطق أخرى. ونفهم هذا الدور جيداً إذا علمنا أن سورية كانت غنية بالمواد الأولية. فما من شك إذاً أنها لم تكن بحاجة إلى تجهيز حملات للبحث عنها. وهكذا، وإن كنا لا نستطيع الحديث عن وحدة سياسية سورية في ذلك العصر، فإننا نستطيع الحديث عن اقتصاد سوري، هذا الاقتصاد الذي كان يتحدد من خلال علاقاته التجارية مع بلاد الرافدين، ومصر، وبلاد كانيش في الأناضول، في وقت متأخر في الدور الآشوري القديم، عندما امتدت طرق الرافدين الجنوبية إلى الشمال[٢].

ومن المؤسف، أن معلوماتنا قليلة جداً عن دور تدمر في بداية الألف الثاني وخاصة في عصر ماري. وتسمح لنا بعض المعلومات تلك أن نقول: إن تدمر كانت

---

(1) Cf. KLENGEL GS III p.127, Th. BAUER, *JNES* 16 p.253. V.P. GARELLI, *Les Assyriens en Cappadoce*, Paris, 1936, p.96.

(2) Cf. KLENGEL GS III p.95-96, 130, 135 n 76.

واحة ومركزاً للبداوة. فقد ذكرت اسماً جغرافياً في النصوص الآشورية القديمة من كلتبه Kultépé فكان بذلك أول اتصال تجاري بين تدمر/تدمُر والأناضول (E.Bilgic, AFO 15, 1945-51,36)، ويذكر الشيء نفسه في نصوص ماري (*ARM* V23, 16, 20) حيث أن تدمر هي موطن السوتو Sutû، وهم أموروبون وبدو في الأصل. ويدل تقرير الكونت دومنيل دوبويسون عن حفائره في معبد تدمر أن كانت هناك مدينة أمورية، (قد بنيت من قبل ساميين غربيين في البادية السورية). ويذكر اسم مكان آخر هو نسالا Nas'la في وثائق ماري (*ARM* V23, 17) ويتطابق هذا الاسم مع نازالا Nazala الهيلينستية الرومانية، والتي كانت تقع قرب القريتين الحالية بين تدمر ودمشق (وفق جورج دوسان في *ARM* VS. 130; *Akkadica* supp. I p.257). ومن الواضح أن مواقع هذه الأسماء الطبوغرافية هو على طريق التجارة المؤدية إلى فلسطين عبر دمشق.

فإذا أردنا أن نحيط بدور تدمر ومنطقتها في عصر ماري فمن الضروري موضعتها في إطارها الجغرافي والسكاني. فيجب إذاً أن نتطرق إلى المسائل المطروحة على المؤرخ، وهي العلاقات بين الحضر والبدو خاصة. وتقدم لنا محفوظات ماري وثائق غنية بهذا الخصوص. وقد سبق أن قام ج. ـ ر. كوبر J.-R.Kupper بجمع ونقد الشواهد المتصلة بالبدو، بصورة دقيقة تلك التي قدمتها نصوص ماري المنشورة قبل عام ١٩٥٧، وذلك في مؤلفه بعنوان: (البدو في بلاد الرافدين زمن ملوك ماري) (Les nomades en Mésopotamie au temps des rois de Mari) فقد نشر منذ ذلك الوقت عدد من الدراسات حول هذا الموضوع[1] وهي تلفت الانتباه إلى المشكلة الأساسية وهي العلاقات بين الحضر والبدو في سورية والعراق القديمين.

---

(1) Cf. G.DOSSIN; Les bédouins dans les textes de Mari, *Studi Semitica* 2, 1959, p.35-51, republié dans Akkadica, supp. I, Recueil Georges Dossin, Mélange d'Assyriologie (1934-1959), Akkadica Supplementum I, Leuven, 1983. En plus Cf. J.T. LUKE, *Pastoralism and Politics in Mari Period*, Michigan, 1965.

وتعالج هذه المقالات بالتتابع التجمعات البدوية الرئيسة في محفوظات ماري مثل: الحنائين واليمينيين والسوتيين، والأموريين وجماعة الخبيرو. وجدير بالملاحظة أولاً الإشارةُ إلى أن الأموريين لم يظهروا كبدو في محفوظات ماري؛ بل سبق أن تحضروا واستقرت سلالات منهم في سورية والعراق. كما ذُكر السوتيون في نصوص ماري، وهم الذين سبق ذكرهم في نصوص أقدم وظهروا كنمط من البدو والغزاة، حيث إن كلمة سوتو، كانت مرادفة لبدو أحياناً[1]. وتشير إحدى رسائل ماري إلى أنشطتهم التي تدل على فخارهم، واعتزازهم، وهو ما ورد في رسالة نشرها جورج دوسان والمشار إليها أعلاه، وهذه الرسالة قد وُجهت إلى يسمخ أدو، نائب الملك الآشوري في ماري بواسطة أحد موظفيه، المدعو تريم سكيم Trim-sakim. وتحدثنا الرسالة عن عملية منطلقة من قلب البادية العربية – السورية، بسبب ورود اسم تدمر ومدينة أخرى تدعى ناسالا Nasalâ (القريتان حالياً على الطريق بين دمشق وتدمر). وأخيراً مدينة قطنة في منطقة حمص. أما القسم الذي يهمنا في هذه الرسالة (*ARM*.V23)[2] هو التالي:

(لقد تجمع جزي زانوم وأبي ساري وخمي أوركو مع ألفين من السوتيين[3] كي يؤلفوا جيشاً (؟) ثم إنهم انطلقوا لغزو البادية في منطقة قطنة. ولكن سبق أن قام بضع وستون من السوتيين بتشكيل عصابة وانطلقوا لغزو تدمر ونازالا؛ ولكنهم عادوا صفر اليدين، بينما قتل التدمريون رجلاً من السوتيين. هذا النبأ المتعلق بالسوتيين قد وصل هنا، وأنا أرسله إلى مولاي).

لا تسمح المعلومات المستقاة من رسائل ماري والتي تطرقت إلى تدمر زمن السلالة البابلية الباكرة، بخط لوحة متجانسة عن تاريخها وعلاقاتها مع المدن المجاورة،

---

(1) Cf. *idid.* Recueil G. DOSSIN p. 320.

(2) Cf. *ibid.* p.257.

(3) Cf. ARM 166; v. *ibid* p.323 n2.

وخاصة مع قطنة الواقعة على حافة البادية العربية السورية، والتي كانت أكثر ازدهاراً من تدمر. ولكن نلاحظ وفقاً للرسالة هذه أن المدن الثلاث قطنة وتدمر وناسالا قد تعرضت لهجمات البدو السوتيين. إن واقع تدمر الذي حدا بأحد الموظفين بإعلام سيده بهذا الهجوم، يدل على أن نائب الملك الأشوري في ماري، كان مهتماً بالأمر، ولكن ماذا كان جوابه؟ وبماذا كان يهتم؟ وما العلاقة القائمة بينه وبين هذه المدن؟ فليس لدينا أية عناصر للإجابة عن هذه الأسئلة، ما خلا هذا النص الصغير الذي ذكرناه.

وهناك عنصر آخر يوضح دور تدمر، ألا وهو وجود علاقة وطيدة بين مملكتي ماري وقطنة، حيث نلمس هذا في الرسائل المتبادلة بين الطرفين. وتفيدنا معلوماتها بتحديد طرق التجارة آنذاك، وهي الطرق التي لم تتبدل حتى يومنا هذا:

- يفصل ما بين قطنة وماري الواقعة على نهر الفرات، بضع وثلاثمائة وخمسون كيلومتراً؛ ويمر الطريق الأقرب عبر البادية بمدينة تدمر الواقعة في منتصف المسافة تقريباً؛

- وهناك طريق ثانية معروفة، ولكنها أطول بكثير، حيث يجب صعود وادي الفرات حتى مسكنة/أي إيمار القديمة ثم الوصول إلى حلب، ثم التوجه جنوباً إلى قطنة مروراً بحماه، والطريق المركزية.

- وتمر الطريق الثالثة بين الطريقين السابقين مخترقة البادية اعتباراً من توتول عند ملتقى البليخ بالفرات، ثم يتجه نحو الرصافة، ثم السعن ثم سلمية وأخيراً قطنة.

ويبدو أن البادية السورية لم تكن مستحيلة الاختراق من قبل القوافل والمبعوثين في ذلك الزمن. حيث نعلم من خلال رسالة من سمسي - أدو ملك أشور مرسلة إلى ابنه ونائبه في ماري، أنه كتب إلى (مدينة ترقا) من أجل تقديم مؤونة عشر أيام إلى إحدى القوافل مما يسمح لها بالوصول إلى قطنة. فإذا قبلنا بأن إمكانية قطع مسافة خمس وثلاثين كيلومتراً في اليوم، فهذا يعادل الزمن اللازم من أجل قطع مسافة ثلاثمائة وخمسين كيلومتراً التي تفصل ماري عن قطنة مروراً بتدمر[1]. وعندما كان

(١) دوسان المقال السابق الذكر.

ملك آشور، الموجود في شباط - انليل/تل ليلان - شمال سورية، عادة، يكتب إلى قطنة، فإنه كان يرسل برسائله إلى ماري أولاً، ثم يطلب إيصالها إلى الأماكن المطلوبة (بالطرق العادية)، وبدون شك، عن طريق البادية (*ARM* 1, 11) ووفق رسالة دوسان[1]، هناك رسالة أخرى من سمسي أدو إلى ابنه تشير إلى طريق البادية هذا. ولكن كما لاحظنا، فإنه يوجد طريقان عبر البادية.

وكان على القوات الآشورية أن تعرج على ماري وقطنة، برفقة حاشية الملك الآشوري، الذي يوجه نصائحه إلى ابنه حسول تنظيم رحلته. فهو يطلب إليه أولاً، الإسراع باستطلاع مصادر المياه، وأن يوفد إليه الرجال الذين قاموا بالعملية للاستفسار منهم والتأكد من أن طريق الحملة قد أعد بكل العناية الممكنة (*ARM* 1, 1, 85, 11.5-14) ويفهم من عملية استطلاع مصادر المياه أن تحضير العملية يتم في البادية[2]. ونستطيع أن نتصور أيضاً أن تجميع القوات يتم في ترقا ثم تصعد بمحاذاة الفرات إلى توتول، حيث يبدأ الطريق الثاني باتجاه قطنة عبر البادية.

لقد تم تحقيق عدة رحلات بين ماري وقطنة عبر البادية، ليس عن طريق تدمر وحسب، ولكن عبر الطريق الأخيرة، المناسبة للذين يهبطون من جهة البليخ.

هذا وتتحدث النصوص عن اختفاء القطعان؛ فقد كتب ملك مدينة قطنة إلى يسمخ أدو نائب الملك في ماري: (فيما يتعلق بالقطعان، فلم أتوقف عن الكتابة إليك منذ أيام عديدة. ولم يتوقف جماعتك عن الإجابة بما يلي: (أجل، ستطلع القطعان). ولكن القطعان لم تطلع. والآن، قد أقسمت بالله من جديد، بل بعينيّ ما دامتا حيتين!، فلم أعد أثق بهذا! أما الآن فاطلع أنت مع القطعان، واطلعْ معك ابنتي)[3].

---

(1) Cf. Recueil G. DOSSIN p.323.

(2) Cf. *ibid.*

(3) Cf. *ARM II*, 51. V. *ibid., p.324.*

لقد كان للآشوريين علاقات مميزة مع قطنة، وبرهان ذلك قد ورد في عدد من رسائل ماري بوضوح، حتى إن إشارات سمسي أدو إلى مغامرته العسكرية في لبنان تدفع للاعتقاد بأن تلك الحملة قد تمت بموافقة اشخي أدو ملك قطنة.

ويمكننا أن نكتشف بفضل وثائق العصر وخاصة ماري، عدداً من الممالك السورية المهمّة، التي كانت تستخدم تدمر كواحة ومحطة للقوافل المتجولة بين بلاد الرافدين وسورية الشمالية والجنوبية. ويحول نقصان المعلومات المكتوبة بيننا وبين تأكيد هذا الدور. ولكنه سيغدو واضحاً خلال العصور اللاحقة، وسيبلغ القمة في العصر الروماني.

لقد تكونت هذه المدن بعد استيلاء الأموريين على السلطة في سورية وبلاد الرافدين، وخاصة في ماري وحلب وقطنة وكركميش. كما يوجد على الساحل مدينة أوجاريت التي ازدهرت في عصر البرونز الأوسط، كما أظهر ذلك التنقيبات الأثرية. وقد لعبت هذه المدن دوراً مهماً بفضل خصوبة أراضيها، وموضعها على الممر التجاري نحو الجنوب ونحو الشمال[1]. إنه لمن الواضح أن طريق الشمال يتقدم حتى الأناضول المركزية، وأن طريق الجنوب يمر بتدمر، ويتابع حتى دمشق ثم يتجه نحو حاصور في فلسطين أو أنه يتوجه مباشرة إلى لبنان.

إن نصوص ماري لا تعالج العلاقات السياسية بينها وبين مناطقها وحسب، بل تعالج قسماً كبيراً من سورية. فمن الواضح أن الاتصالات السياسية والاقتصادية قد سبقت عصر ماري، وكانت تمر عبر الطرق نفسها، أي من ماري إلى حلب عبر إيمار شمالاً، ثم نحو قطنة مروراً بتدمر.

هذا وترينا نصوص ماري مصلحة يمحاض/حلب في مناطق الرعي في البادية السورية وخاصة فيما يتعلق بقطنة. ويبدو هذا من خلال شواهد منذ عصر سومو –

(1) Pour le commerce, voir, "Trade in the Ancient Near East", *XXIIe RAI*.

ايبوخ، وتوضح هذه الشواهد أيضاً، واقع العلاقات بين حلب والقبائل البدوية في المنطقة (*ARM* V,15).

ونستطيع أن نستنتج من كل هذا أن الشروط الاقتصادية لسورية من جهة، والموضع الجغرافي لمدينة تدمر من جهة أخرى قد سمحا لها أن تلعب دوراً تجارياً، وأن تكون مركزاً هاماً بالنسبة للبدو، هذا المركز قد تسلكه الأموريون منذ نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. من جهة أخرى، فإننا نعرف مجموعة أخرى من البدو وهم السوتو Sûtû الذين ورد ذكرهم في المنطقة منذ عصر محفوظات ماري. وتسمح لنا هذه الوثائق بفهم الوسط السياسي والاقتصادي الذي يحدد العلاقات بين الممالك الأمورية التي تشكلت واستقرت في ماري وحلب وقطنة، وكذلك القوى الأخرى التي كونتها مدن سورية الرئيسة في الألف الثاني ق.م، حيث كانت رهن الصراع بين القوى الرافدية والأناضولية والمصرية. إننا نعلم كيف أن الأسباب الاقتصادية قد قادت شروكين الأكادي المعروف باسم سرجون وحفيده نارام سين نحو البحر الأبيض المتوسط عبر طريق الشمال أي عبر إبلا وأرمان، حلب (؟). ونرى يخدون ليم بعد أربعة قرون أي في نهاية القرن التاسع عشر ق.م، يعلن أنه قطع الأخشاب من الأمانوس، حيث لم يفعل ذلك أحد منذ وقت طويل، وذلك رغم معارضة قوية من قبل سومو ايبوخ ملك يمحاض. وسيصطدم شمشي أدو بقوة حلب فيما يلي من الزمن أيضاً، وسيبحث عن جميع الفرص كي يتحالف مع قطنة، وهي المدينة الخصم لحلب، وتقع إلى جنوبها في المركز السوري وبالقرب من لبنان. وبما أن شمشي أدو قد أعلن وصوله إلى تلك البلاد، فإننا نفترض أنه الأول الذي قاد حملة عبر البادية للحصول على أخشاب الأرز من لبنان، وقد سلك الطريق الأقصر وهو الذي يمر بين تدمر وقطنة، مستفيداً من الخصومة بين هذه الأخيرة وحلب (*GS* I p.115).

وهكذا فإذا لم تكن تدمر مركزاً اقتصادياً وسياسياً مهماً، فقد لعبت دوراً كبيراً بسبب استلاكها لمراع واسعة، كما كانت نقطة تجمع واتصال بالنسبة للبدو، وخاصة

بالنسبة للسوتيين الغزاة الذين يعيشون على الغزو والقنص في البادية العربية السورية، التي كانوا أسيادها. وقد أصبح هذا الدور الاستراتيجي على الطريق التجاري أكثر أهمية مع التطور في وسائط النقل. والتي ترتبط بظهور وسائط نقل جديدة وهي الحصان في القرن الثامن عشر قبل الميلاد والجمل اعتباراً من القرن الثالث عشر قبل الميلاد. ويؤرخ منذ ذلك العصر مكانة تدمر الهامة على الطريق التجاري الذي يصل بين أفغانستان وجنوب شواطىء المتوسط أي فلسطين ولبنان ومصر.

وفي الختام فإن المحفوظات الملكية في ماري قد أظهرت أن انتقال البضائع في المنطقة قد بلغ في زمنها (القرن الثامن عشر وما يليه بقليل ق.م) مبلغاً لم يعرف من قبل. وقد شمل هذا الانتقال الممتلكات الروحية والمادية بين الخليج العربي وجزيرته دلمون والبحر المتوسط. وقد كانت ماري وبقية المدن المذكورة آنفاً محطات بين أيدي التجار الذين يرتادون طريق القصدير الذي يذهب من آسيا الداخلية إلى البحر المتوسط، وذلك قبل أن تصبح واقعة على طريق الحرير[1]. هذا وتتحول تدمر في العصر الروماني إلى منارة لجميع الشرق الأدنى.

(1) Cf. L. OPPENHEIM, La Mésopotamie, portrait d'une civilisation, Paris, 1970, p.160.

الفصل الخامس
آلالاخ المنسية

١ - اكتشاف آلالاخ.

٢ - موقع تل عطشانة /آلالاخ.

٣ - تاريخ الموقع قبل آلالاخ.

٤ - بداية تاريخ آثار آلالاخ، المستويات ١٧، ١٣.

٥ - تأسيس المملكة والمستويات ١٢ - ٨.

٦ - ملوك يمحاض، الطبقة الأثرية السابقة.

٧ - آثار عصر الظلمات.

٨ - سلالة نقمبا، المستوى الرابع.

٩ - الملك العموري ادريمي وكتابته المسمارية ومدرسة النحت السورية.

١٠ - الكتابة التاريخية الفريدة.

١١ - السيطرة الحثية على آلالاخ.

١٢ - نهاية السكن في آلالاخ.

١٣ - ميناء آلالاخ، المينا. (بوسيديوم ويلاد ايجة الإغريقية).


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - اكتشاف الالاخ:

لا يستطيع أي إنسان معرفة قيمة حضارة الالاخ أكثر من الأستاذ ليونارد وولي Leonard Wooly، الذي كشف عن أنقاضها، بين عامي ١٩٣٦ ــ ١٩٤٩، وأشهر ماتوج كتاباته به، هو ذلك العنوان المثير بالإنكليزية: A Forgotten Kingdom.. London 1953. أي: مملكة منسية، وقد ترجمة إلى العربية فهمي الدلالات، وسبق أن ترجم إلى الفرنسية، وقد قيض لي أن أقرأ الكتاب بلغته الأصلية، ثم باللغتين الفرنسية والعربية، ووجدت متعة وفخراً بهذه المدينة المنسية، من قبلنا نحن السوريين، في كل مرة أقرأ عنها، لقد دار وولي حفرياته خلال سبعة مواسم في تل عطشانة، والمينا، قرب انطاكية في لواء اسكندرون السليب، من قبل الأتراك، بتواطؤ مع المستعمر الفرنسي عام ١٩٣٩، اللواء الذي سلخ عن وطنه الأم سورية، وما يزال ينتظر العودة.

لقد كان هدف وولي من تنقيباته في هذه المنطقة ــ كما يقول ــ الكشف عن روابط وصلات بين ما يسميه ــ الشرق الأوسط ــ وبلاد الرافدين، وبلاد الأناضول، بما فيها بحيرة فان، وأرمينية، وجزر بحر إيجه، واكتشاف طريق التجارة الطويلة، التي تبدأ في أعماق الشرق، وتنتهي في شمال سورية، وقد لاحظ أن المينا لم تكن ذلك الموقع الذي يسمح ببناء ميناء ضخم، يلبي حاجة تجارة نشطة، وأن ضيق المكان، وانحصاره بالجبال، يفضي إلى سهل العمق، والذي يمكن - وهو في الواقع كذلك - أن يكون قاعدة استقبال من الشرق، وانطلاق نحو الغرب على الساحل.

إن المرحلة (القرنين ١٦ ــ ١٤ ق.م)، التي يبحث عنها وولي تتميز بانحسار، أو غياب القوة الطامعة، والمحيطة، ومثل مصر الفرعونية، أو آشور وبابل، أو الأناضول، ومملكة الحثيين، التي كانت في طور النشوء.

لقد وصل وولي إلى سهل العمق مقتنعاً بضرورة التنقيب فيه، ولكن التلال كثيرة، ومن أين يبدأ؟.

لقد كانت أسبابه منطقية، وأدى اختياره موقع تل عطشانه إلى اكتشاف مدينة آلالاخ التي يقول عنها:

«إنها تحمل طبعات حضارة سومر العتيقة، وبابل، ومصر، والحثيين، والميتانيين، وقد أثرت ـ آلالاخ ـ في تطور الفن الكريتي، الذي يثير إعجابنا في قصر مينوس في كنوسوس، ونتعرف من خلال آلالاخ على ثقافة عصر البرونز في قبرص، وتشهد على امتداد تجارة جزر الإغريق إلى الشرق، في عصر ما قبل التاريخ ـ الإغريقية ـ وتلقي ضوءاً جديداً على مظاهر اقتصاد الامبراطورية الاثينية، وتصل مساهمتها حتى عصر النهضة الإيطالي، حيث نلمس مدى انتشار الحضارة السورية القديمة».

هذه هي النتائج التي أعلن عنها وولي، بعد سبعة مواسم تنقيب واسعة، وغنية، في تل عطشانة ـ آلالاخ في انطاكية، ومنطقتها المسلوبة، لواء اسكندرون، العربي السوري.

وقد نشر وولي أعماله بالتفصيل في مجلد اسم آلالاخ ALALAKH من قبل جمعية الآثار اللندنية، ونشر الأستاذ م. د. وايزمن M. D. Wizeman ألواح النصوص المسمارية في العددين ١، ٢ من الدورية المسماة:

Occasional Publications of The Brithish Instutue of Archeology in Ankara.

أي مجلة معهد الدراسات الأثرية البريطانية في أنقرة.

إن الحصاد العلمي، والفني، الذي تركه اكتشاف آلالاخ، فاق ويفوق، حتى هذه اللحظة، حصاد إبلا، ويعادل حصاد ماري، في بعض أسهمه، ويتمم، ويرسم حصاد أوجاريت برمته، ولو اكتشفت آلالاخ بعد هذه المدن الشهيرة، وكانت وما تزال تحت السيادة السورية، لكان كل طفل سورية يعلم أن آلالاخ محور أساسي في حضارة سورية القديمة، وأنها غيرت وجه التاريخ القديم، إذ لا يمكن فهم خصائصه في مجالات العمارة، والفن، والأدب إلا بمعرفة ثروة آلالاخ، وإن آخر محاولات الصهيونية الهادفة

إلى سرقة حصاد التاريخ القديم تتمثل بتجيير فن بناء المعابد، إلى بعض النصوص التوراتية، ولكن معابد آلالاخ الموجودة منذ بداية الألف الثاني حتى زمن الرومان، قد أثبتت أن هوية المعابد المعمارية الأقدم، هي هوية سورية، وجاءت معابد ايمار، التي تليها من حيث الزمن، لتثبت هذه الحقيقة، ولتضع آلالاخ بمرتبة الأنموذج الأقدم لعمارة سورية، استقى منها عالم المتوسط اليوناني منذ بواكيره، وكذلك سواحل لبنان، فلسطين، منذ بداية الألف الثاني ق.م.

٢ - موقع تل عطشانه/ آلالاخ:

إنّ أهم ما يميز موقع آلالاخ القديمة، أو تل عطشانة الحديث، أنه يقع في منتصف المسافة بين حلب والبحر الأبيض المتوسط، وعلى خط مستقيم، لا يزيد طوله على مئة كم، كما أن موقع المدينة العتيقة، يشرف على الطريق المؤدية إلى الأناضول، شمالاً عن طريق منافذ الأمانوس، وإلى الجنوب بطريق ساحلية، إلى لبنان، وأخرى داخلية إلى دمشق. لقد كانت آلالاخ مركز تجميع الأخشاب الأمانوسية، المطلوبة من بلاد الرافدين، كما كان لبنان مركز احتياجات مصر من هذه المادة الثمينة. لقد لاحظ وولي منذ استطلاعاته الأولى، أن مدينة آلالاخ قد أسست منذ بداية عصور البرونز (٣٠٠٠ ق.م)، بينما يعود السكن في سهل العمق المحيط بها إلى الألفين، السابع، والسادس، أي العصر الحجري الحديث، ويذكر وولي أن الموقع الجغرافي لمدينة آلالاخ وسهل العمق، قد لعبا دوراً متطابقاً، من حيث الأهمية في العصور القديمة، كما في العصور الحديثة، ونعلم أن مؤامرة سلخ اللواء عن سورية عام ١٩٣٩، والتواطؤ الفرنسي التركي، قد حرم ثاني أكبر المدن السورية حلب من نافذتها الوحيدة، والأقرب على البحر المتوسط، وبذلك فقد قضى المستعمرون الفرنسيون، والأتراك على تجارة حلب البحرية، وعلى امتدادها الطبيعي، في سهل العمق، وانطاكية، ناهيك عن خليج اسكندرون، وأهميته الاحترابية، بالنسبة لسورية عامة.

٣ - تاريخ الموقع قبل الالاخ:

لقد نقب وولي في تلال ثانوية قرب عطشانة، كان أولها تل الشيخ، الذي اكتشف فيه اثني عشر مستوى من آثار عصور، تعود لما قبل التاريخ وحسب، وتدل على تطور السكان الثقافي والزراعي، في العصور الحجرية القديمة، وقد حصل وولي على دمية تمثل الربة الأم، وهي من الحجر الذي نجد ما يشبه شكلها في الشرق، وأوروبا على حد سواء، وقد نحتت بصورة مجسمة، تبرز مفاتن الربة وأنثويتها، وقد نحتت بفضل أداة حادة من حجر الصوان، أو الأسود، الأوبسيدين، وتعود للعصر الحجري الحديث Neolithic كما ينوه وولي (ص٢٥)، من كتابه المذكور.

ولكن أمثال هذه التماثيل الدمية نعثر عليه في وقت لاحق من العصر النحاسي، وما بعده، في نجادة، وعربجية، وسورية الرافدين، والشرق عامة، منذ العصر الحجري الحديث، وبماثلها أيضاً ما نعثر عليه في وادي الفرات، من دمى طينية، وليست حجرية، منذ عصر العبيد، وفي أور والوركاء، ولكن صنعت الدمى الطينية في وضعية الوقوف، وليس الجلوس، كما في دمية العمق.

وعثر وولي على فخاريات بدوية، خشنة، مما يبرهن على استيطان الإنسان للمكان، منذ نهاية العصور الحجرية، وبداية عصر الفخار، وعندما وصل إلى مستوى آخر (رقم ١١)، حصل على فخار محلي أسود، وآخر مزين، ولكنه مستورد أو منقول، من قبل سكان الفرات، وسلطاته التي جاءت تبحث عن خشب الأمانوس، وهكذا عرف تل الشيخ الفخار الشهير المنسوب، إلى تل حلف المتطور، وكذلك فخار العبيد الفراتي، وأقام علاقات تبادلية مع الفرات، وسورية الداخلية، منذ فجر التاريخ، ثم عمد سكان العمق السوريين إلى إنتاج فخار مزين، مشابه لفخار الفرات المتطور، وقد أثبت انتشار هذا الفخار في مناطق واسعة، حتى الأناضول، أنه كان ينتج بسرعة على الدولاب، واستطاع أن يحتل مكانة تجارية واسعة.

واستطاع وولي أن يحظى ببعض الأختام، المصنوعة من العظم، وحجر الطلق، ذات الطبعات التزيينة الهندسية، إنها تمثل بدايات انتشار الأختام الكتابية، وجميعها تمثل التطور الفني، الذي وصل إليه أهل العمق، وحاجتهم لتعليم ممتلكاتهم، ويمكن القول: إن فن استخدام الحجر، ونحته قد بلغ حد الكمال، وفق احتياجات الإنسان. ثم أجرى وولي حفريات في تل آخر، ويدعى طبارة، على مقربة من تل عطشانه، حيث عثر على فخاريات مستوردة، أو أنها حملت من قبل غزاة شماليين، وقد عثر على ما يماثل هذا الفخار الأسود، والأحمر، في فلسطين في موقع خربة الكرك، وكذلك في مواقع أناضولية حثية، وقد طور أهل العمق الفخار الأسود، الذي يستخدم كمقلى ـ علماً بأن كلمة (مقلى) أكادية الأصل، مسجلة في نصوص منذ الألف الثالث، وكذلك كلمة الطبخ، فكان انموذجاً يحتذى به في الأناضول وسورية، وما يزال يصنع ويستخدم، حتى اليوم في سورية، وبخاصة في المناطق الساحلية والجبلية.

وكان الحثيون والقوقازيون قد بدأوا منذ وقت مبكرة بالتوافد على سهل العمق، سلماً وحرباً، واستخدموا هذا الفخار الأسود الذي دل على وجودهم وتغلغلهم في مواطن سورية، حتى فلسطين، ويظهر في المستويات الأعمق من تل طبارة قرب الشيخ، فخار ذو أعناق رفيعة، مماثلة لفخار أورورك، وهذا يدل على استمرار الاتصال بين سوريي العمق، ووادي الفرات، ونعلم أن فخار أوروك قد خلف مباشرة فخار العبيد، الذي تزامن مع فخار العصر النحاسي، في تل الشيخ، ولقد اختفت معالم آثار تل الشيخ، وطبارة، وظهرت قرى أخرى، وتبدلات سكانية اعتيادية، ولابد أن تل عطشانة قد بدأ من حيث انتهت كثير من التلال المجاورة.

٤ ـ بداية تاريخ آثار الالاخ المستويات ١٧ ـ ١٣:

لقد حفر وولي بئرين اختباريين، للكشف عن إمكان التعرف على المستويات الأثرية، وتقدير أعمارها، وقد وصل إلى الأرض العذراء على عمق ٤,٢٠م، حيث ينتهي المستوى الأثري الأقدم، ذو الرقم ١٦ و١٧، حيث جمع بعض قطع الفخار.

ويعتقد وولي أن هذين المستويين يمثلان بدء السكن والاستيطان، في تل عطشانة، ويتصف فخار المستوى ١٧، أنه مصنوع بوساطة دولاب الخزاف، وأن أصحاب هذه الثقافة قد قدموا من جهات قريبة، أي من سهول حلب، حيث تطورت حضارة أقوى، مما جعلها تمتد إلى سهل العمق المجاور، كمجال للتوسع الزراعي، والتجاري وأن سكان عصر البرونز السوريين، قد أسسوا مدينة جديدة، صار اسمها — أو كان اسمها — آلالاخ؟، وكان أول بناء يرتفع فيها، هو بناء بيت الإله، أو المعبد، ودامت المدينة قرابة ألفي عام، وقد أعيد بناء المعبد أكثر من مرة، في المكان نفسه، أكثر من خمس عشرة مرة.

ويشير هذا إلى أن بناة المعابد لم يتجرأوا على تغيير مكان بناء مقدس، أو أن يبدلوا بمخططه، وأهم ما يميز المعبد الأقدم هو: مكعب فخاري ٤ × ٥م٣، يظن أنه مذبح، أو قطعة مقدسة، من أثاث المعبد القديم، ومما دل على أهميتها أنها بقيت في المستوى السادس عشر، حيث أعيد بناء المعبد في المكان نفسه واستخدم كمكان لتقديم واستهلاك الأضاحي من الحيوانات، وكانت مساحة صالة المعبد تقدر بـ ١٨ × ٦متراً، مرصوفة بالبلاط الفخاري، واستخدم الكلس في الرصف، كما استطاع وولي أن يعثر على بئر خاصة بالمعبد، ويذكر أن الحجارة غير متوافرة في المحيط السهلي — وهي متوافرة في الجبال، على بعد بضعة كيلومترات، وقد عثر على بعض الصخور المنقولة، التي تزن ثلاثة أطنان مما يدل على أهمية البئر بالنسبة للمعبد. وعثر وولي على حجر زبنة للعيون، يشبه ما عثر عليه المنقبون في مصر، في عصر ما قبل السلالات، واستنتج من خلال ذلك، إمكان قيام تبادل اقتصادي بين سكان العمق ومصر في عصور مبكرة، وقد أنتج سكان العمق، بالإضافة إلى ذلك أنواعاً جميلة، ومتطورة من الفخار خلال أكثر من ألف عام، وظهرت أنماط في القرن الثامن عشر، أي عصر قمة آلالاخ، تعود بأصولها إلى تلك المرحلة المبكرة من المستوى السادس عشر (وولي ص٥٣)، ثم أعقب هذا الدور فترة انحطاط غير معروفة الأسباب، يمكن أن تقارن بالتقهقر الناتج عن زوال مرحلة أوروك، وحلول مرحلة جمدة نصر الفراتية، تلك

الفترة التي مهدت لظهور عصر سومر المزدهر. وبخاصة ما يتعلق بطلب الأخشاب، ويقابل هذا الدور مستوى ما بعد الخامس عشر، من طبقات آلالاخ الأثرية.

وقد كشف وولي على معبد المستوى الرابع عشر، وليبرهن على ازدهار المرحلة الانتقالية بين جمدت نصر، وسومر، فقد كان بناء المعبد أكثر متانة وقوة، وظهر الفخار بكثرة، مما يدل على غنى المكان، مع احتفاظ المعبد الجديد بكثير من مزايا العصور السالفة، وبخاصة المستوى السادس عشر.

كما عثر في معبد المستوى الرابع عشر على فخار جديد، ذي أنماط مشابهة، لما عثر عليه في كركميش ـ جرابلس ـ المجاورة لآلالاخ، ويلي ذلك المستوى الثالث عشر، حيثُ عثر على بيوت سكنية، وعثر على برهان أثري جديد، هو ختم اسطواني، فراتي، يؤرخ في عصر السلالات الباكرة، الذي عقب عصر جمدت نصر. وهذا يعني أن مستوى آلالاخ الثالث عشر، قد عاصر هذا المرحلة المزدهرة، من وادي الفرات، كما حافظ السكان على المعبد القديم، كرمز لتعلق السكان بعباداتهم القديمة.

٥ - تأسيس المملكة والمستويات ١٢ - ٨:

ظهرت أدلة أثرية مهمة في المستوى الثاني عشر، تشير إلى بدء المرلة المرحلة التاريخية، ومعاصرة السلالات الفراتية الباكرة، هذه الأدلة هي:

١ ـ اكتشاف أكوام اللبن الطيني، محدد الهوية، في بداية السلالات الباكرة، أي بداية الألف الثالث ق.م.

٢ ـ وجود مصاطب، وبيوت سكنية، أمام قصر المدينة.

٣ ـ وجود سلسلة من أعمدة فخارية، أمام قصر المدينة، تعد الوحيدة من نوعها، وتظهر للمرة الأولى في سورية، وهي مقتبسة من نظام معماري فراتي، عثر على مثيله في عصر جمدت نصر، وكيش، ومعظم قصور السلالات العتيقة.

٤ ـ العثور على ختمين اسطوانتين في معبد المستوى الثاني عشر، وهذا يكفي وحده لتأريخ المستوى في عصر السلالات الباكرة، ويثبت بدء تاريخ آلالاخ بشكل متواز مع تاريخ وادي الفرات العتيق، بشقيه العراقي والسوري.

وقد لاحظ وولي أن القصر الملكي، قد بنى حول المعبد، أو في مكانه تقريبا وبُني معبد المدينة الجديد، إلى جانبه، بعد إقامة شعائر خاصة قبل هدمها، ويعتقد وولي أنه اكتشف للمرة الأولى في تاريخ بناء المعابد، طرازاً معماريا سورياً، شمالياً، مزيتُه الأساسية وجود غرفة طابقية، وقد عثر على مجسم صغير، مشابه لنظيره في سلمية شرق حماة وسيقلده الآشوريون فيما بعد.

أما القصر الملكي، الذي ظهرت فيه الأعمدة سالفة الذكر، والتي تمثل حالة فريدة من نوعها، فقد استمرت في الوجود وبني إلى جانب القصر بيوت سكنية عائلية، ولا يوجد في هذا المستوى ما يدل على حدوث تغيرات فجائية، بل هناك ما يدل على دوام هذه الطبقة لفترة طويلة، تعاصر السلالات البكرة، في وادي الفرات، حتى منتصف الألف الثالث تقريباً، ويعتقد وولي أن السنة ٢٣٠٠ تقع في المستوى الحادي عشر، مستنداً إلى طبعة ختم على الفخار، علماً بأن العصر الأكادي يبدأ عام ٢٣٤٠ق.م، وعندما وصل وولي إلى المستوى الحادي عشر من حفائره، لاحظ أن سلطات المدينة قد أعادت بناء القصر والمعبد بالإضافة إلى كشف عدد من المنازل الخاصة، وقد زاد البناء نحو ست غرف، ولوحظ وجود آثار أقواس وعُقد، ويظن أنها اقتبست من وادي الفرات، إذ يلاحظ أن بناء العقد والأقواس قد استخدم باكراً في عصر السلالات الرافدية، وانتقل منها إلى أوساط سورية، ثم الالاخ التي ازدهرت تجارتها بفضل الطلب على الأخشاب، والمواد الأولية، التي انتقلت عن طريقها، وأشارت حمية مؤسس السلالة الأكادية شروكين ــ صارجون الأول، واراد التخلص من رقابة مدن سورية آنذاك، على تجارة الأخشاب، والقصدير والزيت، والنبيذ، فقام بحملات متكررة قادته إحداها إلى جبال الأمانوس، للسيطرة على بلاد الأخشاب، كما أعلن في حوليته الشهيرة، ويظن عالم الآثار وولي أن المستوى الحادي عشر مقراً لنائب الأكاديين، ويعتقد وولي أن ثورة ما نشبت ضد سيطرتهم، مما حدا بحفيد شروكين، الملك نارام سين، أن يكتب في حوليته الخاصة، أنه مشى بجنده إلى بلاد ـــ الأمانوس وجبال الأرز، الصنوبر، في جهات البحر الأعلى ــ أي البحر الأبيض المتوسط.

ولم يتمكن عالمنا وولي من العثور على أي أثر واضح يدل على هذه الأحداث في بناء الالاخ في الطبقة الحادية عشرة، المعاصرة لسلالة أكاد. وقد انتهت السلالة الأكادية بعد عهد نارام سين، بنحو ٢٤ سنة متأثرة الأوضاع الداخلية، وعودة الوعي السومري، وهجوم الجويتين القادمين من جبال شمال العراق.

إن تدهور الأوضاع السياسية في وادي الفرات، قد سمح بازدهار تجارة آلالاخ من جديد، وكشفت حفائر وولي عن قصر، وغرف ذات عقد وأقواس، ومعبد في المستوى العاشر المعاصر لسلالة أور الثالثة، وقد ذكر جوديا، ملك لاجاش، أنه استحضر الأخشاب، لبناء معبد ننجرسو، من جبال الأمانوس، ولم يختلف معبد المستوى التاسع، وقصره، عن سابقهما العاشر، بل يضاف إليه عثور الأستاذ وولي على ختم، ذي كتابة مسمارية، من نمط تل «كلتبة K ltepe»، في كبادوس، أو ديار بكر، شمال سورية، وجنوب الأناضول.

وقد كانت هذه الفترة، المعاصرة للمستوى التاسع، واسعة الأعمال التجارية، بفضل تجار آشور، والرافدين، واشتهرت مستوطناتهم، ومراكزهم التجارية في قلب الأناضول، ولابد أن آلالاخ لعبت دوراً مهماً في ذلك العصر، ولكن الدلائل الأثرية لم تكن كافية، من خلال حفائر القصر والمعبد وحسب، ولم يتسع نطاق عمل الأستاذ وولي إلى أبعد من ذلك، كما أن اسم آلالاخ لم يذكر في أي من نصوص مكتوبة.

عندما وصل وولي إلى المستوى الثامن من آلالاخ، لم يكتشف منه سوى البنية التقليدية، من آثار قصر ومعبد، دون أن يتطابق ذلك مع وضع سياسي متميز، رغم أن بداية الألف الثاني، وبخاصة القرن التاسع عشر، يتميز بظهور الهيمنة المصرية في سورية، وبخاصة في لبنان، وفلسطين، في عهد الفرعون سوستر (I) Sesostris، وسيظهر براهين تدل على التأثر بالتقاليد المصرية، فقد ظهر تمثال أحد الملوك، متأثراً بالأسلوب المصري، ويعتقد وولي أن آلالاخ قد عرفت مصر وحضارتها، عن طريق التعامل المباشر، ولربما الهيمنة السياسية، وأن ذلك قد ظهر له من خلال التحليل

الأثري للطبقة الثامنة، ولقد استحصل وولي على معلومات كافية عن المستويات السابقة من خلال بئرين اختباريين، بلغ أحدهما قرابة خمسة عشر متراً، واستطاع تسجيل ملاحظات من خلال الفخار والعمارة وبعض الشواهد الأخرى والوصول إلى النتائج الآتية:

١ ـ عرفت آلالاخ حضارة متطورة، خلال عصر البرونز القديم، وترافق ذلك مع حضارة وادي الفرات، وسورية، القريبة منها، وتشكل مفتاح عقدة تجارية بحرية، وأناضولية، علماً بأن الأناضول والشمال عامة، كانا يعيشان عصوراً بربرية متخلفة، في حين أن العراق وسورية، يعيشان إبداعات أقدم حضارة إنسانية.

٢ ـ لم يظهر خلال الألف الثالث، أي أثر للهيمنة الأجنبية.

٣ ـ استطاع صناع الفخار في آلالاخ، أن يتجاوزوا مميزات فخار جمدت نصر الشهير، وتمكنوا من إبداع فخارهم الخاص، المتميز الذي سبق صناعة أسلافهم، ووصل تأثيره إلى بحر إيجة، والأناضول، (ن، وولي ص٧٦).

٦ ـ ملوك يمحاض الطبقة الآثرية السابعة:

يتميز المستوى السابع، بأنه قريب من السطح، مما سمح بتوسيع مساحة التنقيب، وأهم اكتشاف في هذا المستوى هو النصوص المسمارية، التي أعطتنا قيمة كبرى للاكتشافات الأثرية، وحددت تاريخها، وأهمها: القصر، والمعبد، وبوابة المدينة.

وعثر على النصوص، في مبنى المعبد، القصر، ويبلغ عددها نحو ٤٠٠نصٍ، وتعطي فكرة واضحة عن وضع المدينة السياسي، والإداري، وتؤرخ النصوص في عصر ثلاثة ملوك ، هم: حمورابي، ياريم ليم، ونقمي ابوخ، ويقع هذا في زمن لا يتجاوز خمسين عاماً، أي زمن حكم حمورابي البابلي ١٧٩٢ ـ ١٧٥٠، وكان أبان Abban، ابن حمورابي الحلبي، ووالد ياريم ليم، أمير آلالاخ، الموكل من قبله. فقد كانت حلب المدينة، ويمحاض ـ يمخد Yamhad، اسم البلاد، من أقوى ممالك سورية آنذاك، وكانت آلالاخ مركز استراحة واصطياف، وتجارة، بفضل موقعها المتميز.

وكان ملك حلب الشهير، ياريم الأول، من أقوى ملوك معاصريه، مثل حمورابي البابلي، وريم سين، ملك لارسا، حيث تبعه آنذاك عشرون ملكاً أو أميراً، وهذا العدد أكبر من عدد أتباع بقية الملوك، وقد وردت هذه المعلومات في أحد نصوص ماري، وتعكس نصوص الالاخ أنشطة أمير المدينة، ياريم ليم، وآخر يدعى أميتاكو Ammitaku، وقد كانت الأبنية ــ كالنصوص ــ تابعة لعهد أمير الالاخ، المدعو ياريم ليم، وهو ابن حمورابي الحلبي، وهذا ابن ياريم ليم الأول، ملك حلب، وابن سوموا يوخ، مؤسس السلالة اليمحاضية الحاكمة، وهي سلالة أمورية، من سكان سورية، وباديتها كما ورد في فصول سابقة، وقد حصنت مدينة الالاخ نظراً لأهمية موقعها، وقربها من العاصمة حلب، وقد تميز هذا التحصين بوجود ميل أمام الأسوار، مما يسمح لرماة السهام بساحة أوسع للرمي، بدل أن يكون الرمي عمودياً وهذا يذكرنا بمدخل وسور أوجاريت الشهير.

وهذا نظام دفاعي خاص بسورية، وشمالها، وقد وصف أحد النصوص البابلية هذا النوع من التحصين السوري في الالاخ، وهو يناسب أساليب الحروب آنذاك، ومما يذكر أن بقايا البوابة للحصن، أو القلعة، تدل على مدى تقدم الفن المعماري العسكري السوري، في هذا الوقت المبكر، وكانت جدران القصر سميكة (٢,٤٠م)، وبعضها يشكل جزءاً من سور المدينة، ويعتقد الآثاري الإنكليزي وولي أن الالاخ كانت قلعة حصينة من الطراز الأول، في شمال سورية، في القرن الثامن عشر ق.م، (ن. ص٨٧)، ويعتقد أن ياريم الحلبي، قد بنى قصراً مهماً، إلى داخل قلعته، وأنه ليس عبثاً أن يطلب ملك أوجاريت، المدعو حمورابي أيضاً، من صديقه الحلبي تمكينه من زيارة قصر زمري ليم، في ماري! فقد كان أمراء العصر وملوكه يتبادلون الزيارات، بقصد التعرف على فنون العمارة، وأساليبها، ولاشك أن ملك حلب القوي، يحب أن يسكن قصراً يليق بمقامه، وجبروته، فقد عثر وولي على قاعة العرش في القصر، حيث استطاع تحديد مكان أربعة أعمدة خشبية، وعلى جانبها صالة انتظار، وصالة للراحة،

ومكتب النصوص المسمارية، وعثر على النصوص المسمارية في صالة صغيرة مجاورة لقاعة العرش، وكانت نصوصاً اقتصادية، وإدارية، وعثر على بعض قطع العاج وهو مادة ثمينة تاجرت بها آلالاخ مع مصر، وكان لها مصدرها الخاص، وهو الفيل السوري، الذي عاش في الألف الثاني، قرب حلب، والفرات، وكان ملوك يمحاض يستفيدون من عاجه، وبنيت الشقة السكنية الملكية كطابق ثان، قرب قاعة العرش، أما الغرف الأرضية فكانت مخصصة للحاشية والخدم والمطبخ وقد زينت معظمها بالرسوم الجدارية، التي لم يبق منها سوى ما دل عليها من مواد وألوان، ويؤكد وولي (ص٩١)، أن بعض التزينات الهندسية، قد عثر عليها في قصر مينوس في كريت فيما بعد.

لقد دل المستوى السابع على وجود علاقة وثيقة مع كريت، فقد تبين أن عناصر بناء قصر آلالاخ قد تكررت، ونقل كثير منها إلى قصر كنوسوس، وأهمها: البناء الحجري المصقول، واستخدام الخشب في البناء واستخدام الطينة الناعمة الشبيهة بالإسمنت والأعمدة الخشبية، والزينة النباتية في قاعة العرش، وتقنية زينة الرسوم الجدارية، وظهر مثلها في قصر مينوس فجأة، واختفى بعد العصر المينوي.

وبقيت عناصر بناء آلالاخ حتى القرن السابع ق.م، وبعد قصر ياريم ليم في آلالاخ أسبق بقرن من الزمان، من قصر كريت، وما من شك أن دروس العمارة والرسم الأولى قد تلقاها الكريتيون من قصر آلالاخ، بفضل التبادل التجاري والفكري، وزيارة الفنانين والمعماريين الكريتيين لمدينة آلالاخ، وفعل الكريتيون مثل هذا بالنسبة لمصر في وقت مبكر أيضاً، وقد استطاع وولي أن يثبت مقدار الاستعارة، والدين الكبيرين اللذين تدين بهما لهذه المدينة السورية العتيقة، وكشف وولي عن معبد المستوى السابع، الذي أسماه معبد ياريم ليم، وكانت مواصفات هذا المعبد الأثرية الممتازة، تعويضاً له عن فقدانه الأمل في العثور على قبور ملكية، فقد تألف مخطط المعبد من قاعة كبيرة محاطة بغرف للخدمة، ويوجد حجرة التعبد في العمق، وأقيمت

المائدة المخصصة للأضاحي، بمواجهة حائط المؤخرة، وهناك بعض الحجر التي تدل علي وجود طابقين في المعبد، على أقل تقدير، وبرج يطل علـــى المدينـــة، والســـهل المجاور، وقد انتثرت الألواح المسمارية على أرض المعبد المنهوب، وكذلـــك بعـــض قطع العاج المحطمة، وكان أهم الأعمال الفنية النحتية، رأس دعي باسم يـــاريم ليـــم، ويضاهي رأس شروكين العتيق، رأس آخر ذو تأثر فني مصري، يؤخذ كدلالة علـــى وجود نفوذ مصري في آلالاخ، زمن الأسرة الثانية عشرة، ويمثل هذان العملان الفنيان أصالة الفن السوري، في النصف الأول من الألف الثاني ق.م، ويمكن القول: إن الفنان قد استوحى نموذجه من أعمال سومرية قديمة، ولكنه نافٍ على معلميه، وصار عملـــه إبداعاً سورياً أصيلاً، وهناك عملان فنيان آخران من حجر السبج الزجاجي القاســـي، وقد صُنِعَ منه مزهريتان رائعتان، وشهد الفخار، وأدواته تكـــاثراً وازدهـــاراً كبـــيراً، وبخاصة في عصر ملوك آلالاخ، وتنوعت أشكاله وألوانه، حتى وصلت إلى الأربعين.

وظهر أثر السلالة الحلبية واضحاً في مختلف النواحي المعمارية، والفنية، وقـــد أظهر وولي من خلال استقرائه آثار الحريق، ووجود جثث بعض الضحايا من حراس قصرملوك حلب أن ثورةً ما حدثت في القصر، وأنهت حكم السلالة الحلبية، علماً بـــأن القرن السابع عشر ق.م، قد تميز بغزو الهكسوس السوريين لمصر، ولعـــل التبـــدلات السكانية آنذاك قد رافقها العنف هنا وهناك، وكانت السوية السابعة من آلالاخ ضحيـــة من تلك الضحايا.

٧ - آثار عصر الظلمات:

هناك مئتا سنة بين المستويين الأثريين، الســـابع والرابـــع، (١٧٣٠ - ١٥٠٠) تقريباً، وقد واجه وولي مستويان آخران، هما: الخامس والرابع، وقد أمل هو وســـدني سميث ـــ قارئ بعض نصوص آلالاخ ـــ بالحصول على بعض الشواهد الأثرية فـــي عطشانة، لأنهما يعتقدان أن هناك تطوراً طبيعياً خلال هذه المرحلة، ولكن - للأســـف - لم يعثر وولي على محفوظات كتابية، ولذا كان مضطـــراً للاعتمـــاد علـــى الشـــواهد

الأثرية، وهذه لم تُخب أمله، إذ تعرف على معظم مباني الطبقتين السابعة والسادسة، وبخاصة القلعة والسور والقصر، وكذلك فخاريات مماثلة لما ه موجود في مواقع سورية أخرى وفلسطين وقبرص، وكانت بعض قطع الفخار تحمل زينة من رسوم، وصور الحيوانات الرمزية، وكأنها كتابة تصويرية بدائية، وعثر وولي، للمرة الأولى، على زينة فخارية متعددة الألوان، باستخدام الأسود والأحمر، على أرضية برتقالية، ويقول (ص١١٠): أننا نجد مثل هذا الفخار في فلسطين كما عثر على نماذج أخرى تشبه ما عُثر عليه في قبرص، مما يشهد على استمرار التجارة مع قبرص وفلسطين والأناضول.

لقد ظهر في هذه الفترة فخار ذو مواصفات عامة، ذو لون رمادي، أو أسود، وانتشر في جميع أنحاء سورية ولبنان وفلسطين ووصل إلى مصر مع قبائل الهكسوس السورية الأصل الذين أقاموا في دلتا النيل، واستخدموه خلال قرون طويلة وقد استمر وجود هذا الفخار في تل عطشانة، بعد طرد الهكسوس من مصر، من قبل الفراعنة أي بعد ١٧٠٠ق.م، ومنتصف المستوى السادس.

وكانت التجارة مزدهرة في شمال سورية، مع الأناضول، وبحر إيجه، وقدم لنا المستوى السادس نماذج ممتازة ومبكرة من فخار (الفينيقيين) أي السوريين واللبنانيين والفلسطينيين، الذي انتشر في مواقع كثيرة من غرب المتوسط، مما يدل على مدى انتشار الصلات التجارية السورية.

عندما كان وولي يحفر في المستوى الثاني عثر على بعض قطع من الفخار المشوي، المغطى بطبقة زجاجية، والواقع أن فن صناعة قطع من الزجاج انطلاقاً من عينة صوانية، أمر معروف في مصر، منذ السلالة الأولى، في مطلع الألف الثالث ق.م، أما تزجيج الفخار فهو أمر مختلف، لأن الزجاج لا يلصق على الفخار بسهولة، وهو فن لم يعرف إلا في وقت متأخر، إذ لم يعرف في مصر قبل عصر الرومان، وعرف في بلاد الرافدين ــ من خلال بعض الأمثلة ــ منذ القرن السادس. أما الشواهد

الأقدم على فخار مزجج، فيرجع إلى قصور آشور، في القرن التاسع ق.م، ويعترف الآثاريون ـــ بصورة عامة ـــ أن الفخار المزجج عرف منذ بداية الألف الأول ق.م، والواقع أن العثور على فخار مزجج في عطشانة – المستوى الثاني – يعني أن السوريين قد عرفوا التزجيج، منذ القرن الثالث عشر ق.م، وهو أمر يبدو غريباً للوهلة الأولى، بخاصة وأن النموذج الذي عثر عليه وولي، يشبه كأساً مزججاً، من العصر الإسلامي في القرن الثالث عشر بعد الميلاد، وقد مر وولي بتجربة عصيبة، إذ لم يصدق للوهلة الأولى أن القطعة المزججة يمكن أن تعود إلى ذلك الزمن البعيد في الالاخ، إذ عثر فيما يلي من التقنيبات على كأس مزججة، من المستوى الخامس، وبعض القطع من المستوى السادس، وهذا يعني أن الفخار المزجج قد استخدمه السوريون منذ القرن السابع عشر ق.م، وهذا ما يعد ثورة في أوساط علماء الآثار، وكان العالمان جاد Gadd، وتومبسون، قد أشارا إلى وولي، بوجود نص مسماري، لم تفهم ترجمته إلا بصعوبة، وتبين فيما بعد أنه ليس إلا وصفة علمية سرية، لكيفية صناعة عجينة الزجاج، من أجل الفخار، وبذلك تحقق وولي من تأريخ اكتشافه، أي أن السوريين قد عرفوا صناعة الفخار المزجج، وما نسميه ـــ الصيني ـــ منذ القرن السابع عشر ق.م، ولابد أن الصين قد عرفته لاحقاً عن طريق تجار سوريين، أو عراقيين.

وقد فهم وولي أن أجيالاً من الصناع، قد حفظت سر صناعة الفخار المزجج، منذ ثلاثة آلاف وسبعمائة سنة، في نصوص سرية، لم يكن يعلم قراءتها إلا أصحاب المهنة! هذا ولم ينشر نص الوصفة، ويعرف على مستوى عالمي، إلا بعد القرن السابع ق.م، وبذلك يمكن أن نتصور مكانة مدينة آلالاخ من خلال امتلاكها سر صناعة الفخار المزجج، والمعروف بالقيشاني، والصيني، وقد سجل وولي للمرة الأولى، أن السوريين قد عرفوا صناعة القيشاني، أو الفخار المزجج، قبل غيرهم من شعوب المشرق.

لايوجد ما يدل على حدوث كوارث، أو تدمير، بين المستويين السادس والخامس، وهناك استنتاجات مقبولة، تقول: إن الغزو الحثي الأول قد بدأ مع نهاية المستوى السادس،

وقد استولى خاتوشيلي الأول على حلب - التي دعاها في وثائقه بالمملكة العظمى - ثم استولى على آلالاخ المدينة اليمحاضية الثانية، وبعد أن مشى الحثيون إلى بابل، اكتفوا بتبعية هذه المدن، وانسحبوا منها عسكرياً.

وقد حاول وولي العثور على أدلة أثرية، من خلال التنقيب عن قبور، أو مدافن عامة، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، سوى أنه وقع على بعض القبور المنزلية، وهي عادة فقراء المدن، بينما يظن أن هناك مقابر خاصة وجماعية للملوك والأعيان، وهو مالم يعثر عليه خلال تلك التنقيبات المحدودة، وعثر على قطعة من آنية ذات رسوم مصرية، وتحمل كتابة هيروجليفية، أو مصرية قديمة.

وقد قام تحوتمس الأول، ملك مصر، بحملة على سورية، أوصلته إلى نهر الفرات، حيث ترك نصباً تذكارياً، وصاد الفيل السوري في منطقة نيا، التابعة لمملكة يمحاض، هذا ولم يرشح عن حملة ملك مصر هذه، أي آثار احتلال، أو أعمال حربية، مما يجعلها أقرب إلى حملة استكشافية، وسياحية!.

وربما كانت الأعمال الحربية قد تركزت حول آلالاخ، حيث إن وولي يعتقد بحدوث هذا الأمر، نتيجة بعض الدلائل الأثرية، وأن تحوتمس الثالث، الذي غزا سورية بعد ثلاثين سنة قد سار على خطى أبيه؟.

ولكن مدن شمال سورية، تمكنت سريعاً من التخلص من سيطرة المصريين وظهر أن معبد المستوى السادس، الذي يضم قبوراً ــ وهي عادة جديدة ــ قد خُصِّصَ لعبادة الإله مثر الهندو ــ أوروبي الأصل، وأن الميتانيين الذين أصبحوا قوة سياسية شمال سورية، قد اصطحبوا معهم عبادة هذا الإله، الذي انتقل إلى الرومان فيما بعد، وقد احترمه سكان آلالاخ كعادة قديمة في الشرق وهي عبادة أوتقديس إله الصديق، أو الحليف، أو الحاكم الأجنبي، وقد اكتشف وولي معبد المستوى الرابع المتواضع وبقرب بابه قطعة تعليق ذهبية، وعثر على بوابة المدينة في المستوى السابع عام ١٩٣٩، وعلى تمثالين بازلتين في المستوى الخامس وهما إلهان توأمان في آلالاخ من العصر الميتاني.

واستمر التطور العام في المستوى الرابع، وذلك من خلال شواهد فخارية من مصادر مختلفة من سورية والبلدان المجاورة وهناك شواهد كتابتين ـ من تل العمارنة ـ تقولان:

إن تحوتمس الثالث قد نظم حملة ضد الميتانيين، وتخلص من هذا العدو اللعين، على حدّ تعبيره، وانتشر نفوذه في معظم أنحاء سورية، وأقام حاكماً يدعى تـاكو في آلالاخ، حكمت سلالته مئة عام ـ أي سلالة تاكو ـ التي تنتهي مع انتهاء المستوى الخامس، ويبدأ عهد نقمبا Niqmepa مع المستوى الرابع حيث عثر بين المستويين الأخيرين على منصب ثلاثي برونزي مصدره منطقة اورارتو على بحيرة فان، التي عرفت استخدام المعادن بصورة ممتازة وكانت تصدرها عن طريق آلالاخ والميناء إلى اليونان وإيطاليا عن طريق البحر.

٨ - سلالة نقمبا المستوى الرابع:

يؤرخ المستوى الرابع بين ١٤٥٠ ـ ١٣٧٠ق.م، وقد أعطى معلومات أفضل من جميع المستويات الأخرى، بسبب العثور على نصوص مسمارية في القصر الملكي، والحصول على السيرة الشخصية للملك ادريمي منقوشة بالأكادية المسمارية، على تمثاله، وقصره الذي بقيت معظم معالمه، وكذلك المعبد، القلعة، وبوابة المدينة، وبعض البيوت، وقرابة أربعين قبراً، وكميات من الفخار، والعاج، في القصر الذي بناه نقمبا، نظراً لأن جميع النصوص تؤرخ في عهده فوق بناء قصر المستوى الخامس وأضاف عليه أجنحة خاصة لسكن العائلة الملكية. وكذلك قام ابن نقمبا إليم ـ إليما، بتوسيع وإضافة أبنية للقصر، ويتألف بناء نقمبا من مجموعة، غرف حول باحة رئيسة، وخصّص ابنه قسماً إضافياً لقاعة العرش، مماثلاً لما رأينا في قصر باريم ليم، وتوجد أدراج تدل على وجود طابق علوي، ويعد مدخل القصر مهماً من الناحية المعمارية، ويبلغ عرضه ٨ أمتار، وقسمت فتحته بعمودين من الخشب، وبني الباقي من الحجر البازلتي، وهناك عناصر معمارية تذكر بقصر باريم ليم،الذي بني قبله بـ ٣٠٠ سنة، وقد لاحظ وولي عدداً من العناصر المعمارية التي يمكن أن نذكرنا بوجود تشابه مع

قصر كلوسوس الذي بني في العصور التالية. ويحتوي المستوى العلوي من القصر من جهة أخرى كثيراً من الغرف الممتازة، وعثر وولي على معظم حُجَر الخدمات، من مطبخ، ومستودعات، بالإضافة إلى المراحيض، والحمامات، من ذات النمط الذي ما يزال يستخدم حالياً في البنية السورية التقليدية، إضافة إلى تصريف المياه المالحة عن طريق قنوات فخارية.

وقد عثر على بعض النصوص المسمارية في إحدى غرف النوم، وعثر على مئات الصحون الفخارية في غرف أخرى وجميع أشكال الأباريق والنماريق الفخارية ذات الأنماط المختلفة المصنوعة محلياً والمقلدة والمستوردة وعثر على أدوات زينة عاجية مصرية مقلدة محلياً وعلى ذهب وزفير ولازورد وقطع زينة من نمسط بحر إيجه، وعثر على بعض أدوات الزينة المستوردة، مما يدل على حرص ملك آلالاخ على حيازة المنتجات الراقية، وعثر وولي على قطع وأشرطة وخيوط ذهبية وفضية وعاجية تستخدم لتعشيقها في الأثاث المنزلي الخشبي، وهو فن نراه يمارس حتى اليوم في أسواق دمشق.

إن توزيع أبنية القصر وغرفه وقاعة عرشه يعبر عن غنى ملك آلالاخ، ويدل على معرفة تقليدية بالعمارة، وفنون التزيين والتجميل، وقد عثر على غرفة الألواح المسمارية وقد تبعثرت في أركانها، في جناح القصر الذي أضافه إليم ليما، وعثر على ختم غريب من نوعه يحمل كتابة تصويرية مشابهة للمصرية أو الحثية ويؤرخ قبل ١٤٥٠ ق.م، وهذا دليل ــ حسب رأي وولي ــ على أن الحثيين قد اقتبسوا الكتابة، وطوروها في سورية الشمالية، وليس في الأناضول كما هو سائداً. وكُشف في هذا المستوى أيضاً عن بيوت جميلة، مطلة على العمق، وجميعها مؤلفة من طابقين، وأهم ما يلاحظ فيها وجود مرحاضين وهذا دليل تطور حضاري بالإضافة إلى المطبخ والحمام وجميع التمديدات الصحية الفخارية، وكانت الأسطحة الجميلة المنبسطة تستخدم للنوم في أيام الطقس الجميل.

هذا وبينما دفن الفقراء موتاهم في باحة بيوتهم، دُفِنَ الأغنياءُ في مقابرَ خاصة، كما يظن وولي، ولم يكن هناك طقوس معقدة للدفن، مما يدل على أن المعتقدات الدينية لم تحتل حيزاً كبيراً من حياة الناس، كما أن مخطط المعبد البسيط يؤيد هذا الواقع. أما القلعة فقد تحصنت وزِيْدَ عددُ مخازنها ودعمت أسوارها، ولكن هذا لم يمنع من تخريبها ذات يوم.

٩ - الملك العموري ادريمي وكتابته المسمارية ومدرسة النحت السورية:

كشف وولي عن مقعد العرش، وهو من البازلت في المستوى الأول، وعثر على تمثال ادريمي منفصلاً في حفرة مجاورة، ولكنه كان مهشماً، ومما يؤسف له ويتعجب منه أن معظم قطعه موجودة إلى جانبه! كأنها جمعت في هذه الحفرة، وخبئت بعد تعرض المعبد للنهب، على أمل أن يعود الفاعل إليه ذات يوم، ولكنه لم يعد، بل عثر عليه وولي كما خباه ذلك المؤمن، الذي حرص على تراث معبده، منذ ١٤٠٠ قبل الميلاد! إن الجمالية النحتية للتمثال بسيطة، بل بدائية، ولكن هدفها رمزي، وغير معلن، إن أهمية عمل النحات تكمن في احترامه لشخص ادريمي الملك، ويكمن في أهمية الكتابة المرافقة تاريخياً، إن هذه المدرسة النحتية السورية، ليست رافدية ولا مصرية، وهي عريقة خاصة، وقد لمسنا ملامحها، وبساطتها في أعمال إيبلا، وماري، وها هي الالاخ تؤكد عليها دون انقطاع، وبذلك تتأكد لنا تلك المدرسة الفنية السورية الابداعية، التي تقع بين مدرستين متميزتين دائماً، هما العراق، ومصر، ولطالما أرجع العلماء والآثاريون كثيراً من أعمال الفنانين السوريين إلى إحدى تلك المدرستين، بسبب نقص الشواهد العتيقة المتتالية.

يمثل امثال ادريمي فلسفة نحت دينية، حيث إن النحات لم يركز على جمالية التفاصيل بقدر ما كان هدفه إظهار هيبة الملك، وإفساح المجال لكتابة نص تاريخي، تعادل قيمته العمل الفني، إن الملك يبدو كاهناً متصوفاً أو متعبداً بسيطاً التف جسده برداء، وكأنه أحد الحجاج المسلمين بلباس إحرامه الأبيض، وقد اختفى الجسد ضمنه،

وظهر الرأس معصوباً، ومغطى بجلال واحترام. وبذلك يتأكد لنا من جديد استمرارية فكرة الفن السوري الديني الفلسفي البسيط. إن لحية التمثال الملكية قد ظهرت مختلفة لما نراه في تماثيل آشور وبابل ومصر حيث تظهر متقنة ومنحوتة ومفرزة، وهاهي ذي ـــ أي لحية ادريمي ـــ أكثر ما يقال عنها إنها لحية متعبد متصوف ومتزهد.

١٠ - الكتابة التاريخية الفريدة:

نقش النحات على جسد ادريمي مئة وأربعة أسطر، باللغة السائدة آنذاك خلال الألفين الثالث والثاني، وهي الأكادية بلهجاتها المتعددة، وهذه الالاخ تضيف لهجة ومزاقاً آخر لهذه اللغة العظيمة الأقدم في تاريخ التدوين البشري.

لقد كان العرش مزيناً بأسدين، منحوتين على اليدين، ولكنهما هشماً وللأسف، وظهرت الكتابة المسمارية تغطي مساحات التمثال، ومضمونها السيرة الذاتية للملك ادريمي، وقد كتبها المدعو ـــ شروا ـــ ويظن أنه رجل دولة في زمن ملكه، لأن اسمه ظهر في وثيقة أخرى أقدم، وقد حمل النص أخطاءً لغوية ارتكبها الكاتب، وكذلك النقاش.

وقد شرع بترجمتها العالم الإنجليزي سيدني سميث، ونشرها ولحقها كثير من التصحيحات منذ الخمسينات، من هذا القرن، حتى هذه الساعة، وقد أعلن وولي بعد تحقيق أثري ونصي طويل، أن ادريمي حفيد نُقمبا ابن إليما إليما، وتبع بذلك رأي العالم اللغوي سيدني سميث، وكان تحوتمس الثالث قد دعم تأسيس مملكة جديدة في آلالاخ، من خلال مؤسسها تاكو، مؤسس السلالة، وشملت أحلافها أراضي حلب ونيبا، وأماجو، وموكيشه، ونوخاسه، أي من البحر إلى النهر، أي الفرات مروراً بوادي العاصي، وقد ثار الميتانيون بعد موت تحوتمس الثالث نحو ١٤٤٧ق.م، واضطر أمنوفيس الثاني إلى إقصاء الميتانيين.

وقد صعد نقمبا على العرش في هذا الزمن، وحافظ على استقلاليته أمام المصريين والميتانيين وعقبه على العرش ابنه إليم إليما الذي كان طموحاً أكثر منه، واستفاد من التحالف المصري الميتاني الجديد حيث صار ملك حلب وآلالاخ (ن. وولي

ص١٥٨)، ولاحظ وولي أن قصره قد دمر، إثر ثورة ضده، وأنه أي إليم إليما قد توفي أو قتل، وعندما اعتلى ادريمي العرش بنى قصراً جديداً. ويعتقد وولي أن شوترنا الميتاني، الذي عقب أرتاتما، قد سعى لتحريك ثورة في حلب، ضد إليما، مما اضطر ادريمي الذي كان حاكماً في آلالاخ إلى الهروب مع عائلته إلى ايمار، وهو ما أشار إليه في الكتابة التي نقشت على تمثاله، وكان أشقاؤه ـــ حلفاء الميتانيين، ولا يستطيع الثقة بهم. ويقول في سيرته المذكورة: «امتطيت حصاني، واصطحبت عربتي، وأتباعي، وذهبت إلى هناك، وقطعت البوادي، وعشت بين محاربي البدو السوتو، وأمضيت ليلة في عربتي المغطاة، وذهبت إلى بلاد كنخو (ربما كنعان)[1]، في اليوم التالي، ووصلت قرب مدينة أميّا، حيث كان يسكن أقرباء من مدينة حلب، وآخرون (أبناء) من موكيشه، ونيبيا، ومحاربون من آماخ، وقد أتوا إلي ـ وأنا ابسن مليكهم، ولكنهم اجتمعوا ضدي في النهاية، فتوجهت مع صحبي إلى مكان آخر، وأقمت بين المحاربين البدو، من الخبرو وخلال سبع سنين»[2].

وقد امتد نفوذه إلى شاطئ كيليكية، حيث هاجم بعض القرى الحثية، حيث يقول: إنه سلبها، وحمل منها ما حمل، واقتسمه مع أعوانه وإخوانه، ثم عاد إلى موكيشيه، وإلى آلالاخ عاصمته، ويضيف قائلاً: «وأرسلت غنائم خاتي ـ بلاد الحثيين ـ إلى الجنوب، وعمرت بيتاً، وجعلت عرشي مثل عروش الملوك تماماً، وحاشيتي مثل حاشية الملوك، وأبنائي كأبنائهم، وجعلت بلاطي مثل بلاط الملوك تماماً».

هذا وتتوافق أوضاع القصر والقلعة، وما أصابها من تخريب، مع المعطيات النصية، في السوية الرابعة من آلالاخ، فأشاد ادريمي قصراً أفضل من قصر أبيه إليم، وحصن قصره ليحمي ملكه، ويذكر وولي أن الفخار، يعبر تماماً عن التبدلات السيا..ية

(١) إن ورود اسم مشابه لاسم كنعان كحالة فريدة في البادية، لايمكن أن يسمح لنا بإطلاق صفة الكنعانية على حضارة سورية القديمة، وخاصة أوجاريت، وآلالاخ، وغيرها من مدن الساحل، والأفضل إرجاع حضارتها إلى السكان الأصليين لسورية، وهم الأموريون (المموريون) آنذاك.

(٢) خبرو صفة أطلقت على البدو الأموريين الذين يمتهنون الغزو، كما سبق وأسلفنا.

والعسكرية في هذه المرحلة، حيث يعثر على فخار ذي مواصفات ميتانية... ويمتد هذا إلى المستويين الثالث والثاني، ويغيب هذا الفخار عن السوية الأولى، وهذا يفسر استقلالية آلالاخ، نظراً لندرة الفخار الميتاني فيها، وانتشاره في نوزي وتل براك.

ومما يذكر أن ادريمي كتب سيرته بعد ثلاثين سنة من عودته إلى العرش، وكانت المناسبة انتقال السلطة إلى ابنه أدد نيراري، كما يذكر في حوليته بعد أن أتم بناء القلاع والحصون ونشر الأمن والاستقرار. وهكذا بلغ ادريمي من العمر عتيا، وذكر أنه يفعل كسلفه، حيث نقل السلطة إلى ابنه وكان ذلك في نحو ١٣٨٥ق.م.

وقد صعد نجم الحثيين من جديد، بعد استلام عرشهم من قبل شوبيلو ليوما، وقام بالهجوم على سورية أولاً، وقد استخدم الدبلوماسية والسياسة، إلى جانب الحرب، وتحالف الحثيون مع الملك الحوري أرتاتما، ضد الميتاني سوماراً، وطلب السوريون آنذاك، وعلى رأسهم ملك قطنة، مساعدة مصر، فكتب هذا الأخير إلى أمينوفس الثالث، قائلاً:

«مولاي، أشعر بالحب لسيدي الملك، إن ملوك زنيزار، وتونانار، ونيبي، معكم مثل غيرهم...» إلا أن أمينوفيس لم يكن مهتماً بأمر حملة عسكرية على سورية، وكان منصرفاً إلى بناء المعابد، وربما أرسل بعض قواته بعد إلحاح الملوك السوريين، ومات أمينوفيس الثالث، وعقبه الرابع، حيث كتب له أدد نيراري، ابن عم ادريمي مباشرة (ن، وولي ص١٦٨)، راجيا الفرعون أن يأتي لنجدته، ويذكره كيف دعم تحوتمس الثالث مملكة جده تاكو، ويهدد الحثيون مملكته الآن، ويقول: ليرسل مولاي جنوده وعرباته ومندوباً عنه، ولكنْ شيئاً من هذا لم يحصل، ومات دون أن يرى نجدة بلاده نحو العام ١٣٧٠ ق.م، وتقدم الملك الحثي شوبيلوليوما، وطرد توشراتا من عرش ميتاني، وصارت سورية مفتوحة أمامه، حيث يقول: «لقد استوليت على حلب، وبلادها، وكذلك موكيشيه، وجاءني تاكوا، ملسك نيبا طالباً السلام»، ولكن بعض أمراء المدن نظموا أنفسهم، وتحصنوا على الفرات، في مدينة أراختو، وأرادوا مقاومة الغازي الحثي وحاول ملك حلب إرسال قواته، أو بعضها

لاستطلاع الأمر والانضمام إلى مقاومة محتملة، بالتعاون مع الميتسانيين، ولكن شوبيلوليوما سحق توشراتاً، وتوجه سريعاً إلى حلب، وأخذ موكيشيه، فعاد تاكو محاولاً إنقاذ مدينته، طالباً السلام دون شرط، ولكن بعض إخوته أرادوا المقاومة، كما يذكر شوبيلوليوما في حوليته، وأن أخاه أكيت (تيشوب)، تحصن ضده في بلاد نيبا قرب حلب، ويضيف شوبيلوليوما قائلاً عن أهل حلب، لقد تجمعوا ضدي صارخين «لنقاتل ضد الملك العظيم، ملك بلاد خاتي»، ولكن الملك العظيم، ملك بلاد خاتي هزمهم في آرختو، وأسر شقيق تاكوا، وآكيا، ملك أرختو، وساقهم أسرى إلى بلاد خاتي، وهكذا كانت نهاية مدينة آلالاخ في السوية الرابعة.

١١ - السيطرة الحثية على آلالاخ:

تمكن ولي من الكشف عن القلعة، التي بنيت وجددت في هذا الدور، وبقيت حتى عهد السوية الثانية، وكشف عن معبد بطابقين وقد اختفى معبد المستوى الرابع، الذي يعد نموذج المعبد السوري الحثي، ويدعى: حيلاني Hilani، وقد ثبت ذلك بفضل لوحة كتابية أيضاً، في السوية الثانية، ولكنها تعود للثالثة، وإنما أحرقت نتيجة التدمير الذي أصابها في مكانها الأصلي، وعثر على ختم حثي، ذي كتابة تصويرية، وهو ملكية موظف في آلالاخ، وعثر على مجموعة أخرى من الرقم الفخارية، ذات الطابع الحثي، والتي احتوت أسماء علم، ولكن اللغة تبقى أكادية بابلية وليست حثية، هذه الوقائع تدل على تغييرات تاريخية وسياسية، وأهمها: أن شوبيلوليوما قاد أقام ابنه نائباً في حلب، وألحق آلالاخ به، التي لم تفقد سوى موقفها السياسي، وعاد نشاطها الاعتيادي، وظهر فخار نوزي الأسود، المصنع محلياً، ليدل على الغنى بالمال، والأثاث. ويمكننا تأريخ السوية الحضارية الثالثة بين ١٣٧٠ و ١٣٥٠ق.م، هذا ويتبع ذلك موت العاهل الحثي، شوبيلوليوما، وخلفه مورشيلي الثاني، الذي ثارت المدن السورية ضده، ويعزى تدمير معبد المستوى الثاني إلى هذه الثورات، وقد تبقى معبد آخر في السوية الثانية، وتبدلت الطقوس لتصبح سورية أكثر فأكثر، مما يدل

على تلاشي السيطرة الحثية، وعثر في المعبد على تمثال ربة من اللازورد، مزينة بالذهب، وكذلك بعض الأواني النفيسة، والدمى، وكلها من نمط سورية جديد، مما يوحي بازدهار الفن السوري واستمرارية الطقس الديني، وقد زين معبد المستوى الأول بأسود منحوته من البازلت، ولكن أصولها من السوية الثانية، وكانت تزين مدخل المعبد، وهذه العادة الفنية أي نحت الأسود هي صفة وعلامة مميزة لفن النحت السوري/الآشوري، ويعتقد وولي أن نحت الأسود الضخمة، والثيران ذات الوجوه الإنسانية، التي تحرس قصور ملوك آشور، هي متفرعة، في النهاية، من هذه المدرسة النحتية السورية، التي يرجع تاريخ بدئها إلى السوية الثانية من آلالاخ، ونلاحظ استمرار استخدام أبنية المستوى الثالث في المستوى الثاني، نظراً لصغر المسافة الزمنية بينهما، وبخاصة القلعة والمعبد، وقصر الملك، والأبنية الإدارية. إلا أن تعزيزات سور المدينة تشهد على خوف سلطات من ثورة، أو ثورات مدن سورية الشمالية ضد المحتل الحثي. من جهة أخرى تعاظم وجود الفخار، والأواني المنزلية من نمط كريتي ولكنه مصنع محلياً، ذلك أن سكان سورية كانوا ذواقين للفنون المجاورة، وبخاصة الايجية ولم يتوان التجار السوريون عن التمتع بهذا الفن ونقله وبيعه في وادي الفرات وبحيرة فان والأناضول، والقوقاز، كما يلاحظ ميل سكان آلالاخ إلى فن بحر إيجة الكريتي من خلال بعض التيجان المرمرية، التي عثر عليها في المستوى الثاني، وقد لاحظ وولي أن المصباح الزيتي المرمري، من نمط ليدي – وليس – كريتياً – وقد ظن أول الأمر أنه مستورد، لكن تبين له في النهاية أنه مصنع محلياً، ولكن أصوله تعود لما قبل القرن الرابع عشر، وقد تكون أصولها من الكريت، ولكن آلالاخ حافظت على هذا النحت الجميل، كما دل وجود فخار وأوان من طرز رفيعة في المستوى الثاني، على استمرار ازدهار مدينة آلالاخ، وينتهي تاريخ المستوى الثاني نحو ١٢٧٠ق.م، هنا يعود المصريون من جديد لاحياء نفوذهم في سورية، حيث وصل رمسيس الثاني إلى نهر الكلب شمال بيروت، حيث يمكن

رؤية نصبه المنحوت في الصخر وهو يخوض معركة قادش الشهيرة عام ١٢٨٩ق.م تقريباً ضد الحثيين، حيث حارب ملك حلب إلى جانبهم، وقد نقش رمسيس على معبد أبي سنبل حملته، حيث عبر نهر العاصي، ويبدو جنود ملك حلب يعبرون هاربين سباحة، وعندما عقدت المعاهدة الحثية المصرية السلمية كانت آلالاخ من حصة النفوذ الحثي، ولكن نبلاء الالاخ، ظلوا يسكنون المدينة في بيوت فخمة، ولعلهم انضموا إلى نبلاء حلب الثائرين دائماً ضد النفوذ الحثي لأنهم يميلون إلى حلفائهم المصريين دائماً، وكان موتالي ملك الحثيين قد اضطر للقيام بحملة أخرى للقضاء على ثورة حلب، وبذلك ينتهي دور المستوى الأثري الثاني نحو ١٢٨٣ق.م ولكن يستمر السكن في المدينة إلى الدور الآتي.

١٢ - نهاية السكن في آلالاخ:

لقد انتهت السوية الأولى نحو عام ١١٩٤، وهي نهاية آلالاخ، وازدهارها الفني والمعماري، ولكن الزمن الطويل جعل المدينة مرغوبة السكن، والعيش، فقد عثر وولي على بيوت سكنية، وعين موضع المعبد، كما عثر على فخاريات ممتازة، من نمط مبسيني، منتشرة في مكان من هذا المستوى، وهي من صنع محلي وليس مستوردة وقد تعرضت السوية الأولى لعوامل الزمن؛ من حت وريح وعمل الإنسان، من حراثة وتهديم، وعثر على قبور دفن بالتراب، وأخرى بالحرق، وهي عادة قديمة من شمال الأناضول، وليست سورية، وكان المعبد بسيطاً في مخططه، واحتوى بعض الأعمدة وبلاطاً بازلتياً، ومزهرية جصية، وغيرها من أواني تقدمة تدشين المعبد. لقد عثر وولي على قطع تمثال ادريمي، في هذا المستوى وجمعت من قبل مجهول، خشية ضياعها، منذ القرن الرابع عشر ق.م، وعثر على مقعد العرش البازلتي، وكذلك مذبح منحوت من البازلت، وزين بنحت رأس بجعة، وعثر على ختم ذي كتابة حثية تصويرية، وملعقة عاجية لأغراض التلقيم الديني، وتمثال ربة، أو قديسة، ولكنه مهشم وللأسف، وعثر على رمح برونزي، ونصلات، وعلى

منحوتة رأس مقتلعة من نحت نافر من البازلت وكان جميع ما تقدم من لقى هذا المستوى، ليست في مكانها الأصلي، كنّا قد تحدثنا عنها في إطارها الزمني والمكاني، في الصفحات السابقة، وقد عثر وولي في مكان آخر على ختمين ذوي كتابة تصويرية غيرمقروءة ولكنه يؤكد الهوية السورية لآلالاخ، منذ أربعة آلاف سنة تقريباً ــ معلوم أن آلالاخ تحت وطأة الاحتلال التركي الآن ــ يقول وولي: «إن أغلبية المواطنين من أصل سوري، لم تكن تأتمن حتيي الأناضول». (ن، ص٢٠٩)، بل كانوا يبحثون عن دعم الداخل السوري، أو الذهاب بعيداً وطلب العون من مصر وفراعنتها، وترافق هذا المستوى الأول مع صعود نجم آشور من جديد، حيث استولت على بابل عام ١٢٤١، وحاولت تحجيم النفوذ الحثي، ودعم شمال سورية، وطرد الحثيون ١٢٠٠ تقريباً، ونحن نعلم أن هؤلاء المهاجرين الجدد المهاجمين من سكان شواطئ المتوسط الشمالية، قد بدلوا من واقع توزع السكان، والقوى السياسية آنذاك، وقد تابعت المدينة ازدهار، رغم الثورات والتبدلات السياسية حيث عثر وولي على قطع عملة ذهبية، تحت أحد جدران المدينة، وعلى حلق ذهبية، ولكن آلالاخ لاقت المصير ذاته عام ١١٩٤، بعد مرور غزو شعوب البحر، الذين كانوا يسيرون رجالاً ونساءً وأطفالاً وعربات مجرورة بالثيران، فكانوا قوة متحركة تجتاح كل شيء ولم يتمكن الحثيون من إيقافهم، وسيكون الآشوريون والمصريون أكثر قوة للتصدي لهم، وقد فلولهم، وبعد خمسين سنة حاول السوريون إعادة إحياء المدينة، حيث عثر وولي على قبر يحتوي منحوتة مصرية، وهي (جُعَل)، أو خنفسة رمسيس الرابع، ويعود تاريخها إلى ١١٤٠ تقريباً، ولكن المدينة لم يقم لها قائمة بعد، وبنيت مدينة أخرى على تل مجاور فيما بعد، ولكن لم يكن لها مجد مشرق كآلالاخ، ولم يعرف عنها شيء، وهكذا يكون مصير الالاخ مشابهاً لمصير أوجاريت ولا يعلم بالضبط أيهما تعرض للدمار قبل الآخر، إلا أن نهاية القرن الثاني عشر هي تاريخ أكيد لنهاية المدينتين العظيمتين آلالاخ وأوجاريت.

١٣ - ميناء آلالاخ - المينا - (بوسيديوم ويلاد ايجه الإغريقية):

اعتقد عالم الآثار وولي أن نهاية آلالاخ، وهي تبعد ٣٠ كيلو متراً عن البحر، قد تركت آثارها في مينائها القديم المينا، فراح يبحث عن واقع أفكاره في مكان مصب العاصي في المتوسط، وهو المكان الطبيعي للميناء، ولكنه لم يجد له أثرٌ، ولكنه عثر عليه قرب أحد المزارات السورية الحديثة على تلة مجاورة.

ولكن طبقاته الأثرية لا تعود لأبعد من القرن الثامن قبل الميلاد؛ ذلك أن النهر قد نحت التل القديم، وحمله طمياً إلى البحر! ولا يوجد ما يصل بعالمنا وولي إلى هدفه سوى المينا المعاصر لآلالاخ، أيام ازدهارها، وقد حفر إلى جانب التلة المذكورة آنفاً، ولم يعثر إلاّ على بعض المخازن البحرية التي استخدمت في تجارة سورية، وبلاد الإغريق، في زمن متأخر نسبياً، وفي موقع صغير مجاور على مساكن للعمال والتجار وعلى آثار فخارية، وختم تعود حتى القرنين الثاني عشر والثالث عشر، من جهة أخرى يروي هيردوت أن البطل الإغريقي أمفيلوك، الذي عاش في زمن حروب طروادة، كان ابن أمفيارواوس، أحد الفرسان السبعة، الذين قاتلوا طيبة Thébes، قد شيد مدينة بوسيديوم، على الشاطئ السوري، في القرن الخامس ق.م، ويذكر وولي أن هذا الميناء هو المينا غالباً، وهذا يتطابق مع واقع ما بعد غزو شعوب البحر، وقضائهم على الميناء، وحاجة التجارة الإغريقية السورية، إلى ميناء جديد، ويتطابق مع أساطير الإغريق، حول جبل كاسيوس ــ الأقرع ــ المطل على المينا.

وهناك أسطورة أخرى من العصور الوسطى، نقلت من قبل كاتب يدعى جان مالالاس، يقول: إن البطل الإغريقي كاسوس، الذي سمي الجبل باسمه، قد أقام مستوطنة على ساحل سورية الشمالي وأسكنها الكريتين والقبارصة، وتزوج أميرة سورية تدعى ــ عميقة ــ أي سيدة سهل العمق، وأصبح ملكاً وظهر من خلال الفخار آثار مثل هذه الروايات، إذ أن كاسيوس ليس إلا تاجراً إغريقياً تزوج سورية وأقام في الميناء أو في بوسيديوم، وكان التاجر والقرصان يعنيان شيئاً واحداً في ذلك الزمن.

وأظهر وولي إثر تنقيباته مخازن الميناء في المستوى الثالث، وعثر على فخار أثيني من القرن السادس، وتمثال صغير قبرصي وخنفسة مصرية وإناء زجاجي سوري – لبناني (فينيقي) وآنية جمالية مستوردة لحساب قصور الفرس، وعثر في المستوى الثالث على مزهريات مزينة برأس امرأة، وقد بدأت الحروب الفارسية الإغريقية عام ٤٩٠ق.م ودارت معركة ماراثون Marathon، وحدث الغزو الكبير بقيادة خسيرسيس الذي استولى على أثينا، وما لبث الفرس أن هُزموا في معركة سلاميس وبالتيه، وطال الصراع مئة عام، ولكن ظل التجار الإغريق يؤمون بوسيديوم، رغم الاحتلال الفارسي ولم تمنع الحرب والعداوة المصلحة والتجارة، وقد عثر على أمثلة تؤيد هذا الواقع التجاري في صيدا وأرواد وقبرص وظهر التعامل الاقتصادي السوري الرافدي، الإغريقي قوياً جداً خلال القرن الرابع، وكانت المواد المعدنية تأتي من القوقاز وفان وصدرت سورية ومصر الدمى الزجاجية الملونة وتماثيل إنسانية صغيرة ومواد الصباغة والتزيين ومواد صناعية أخرى، مستوردة من مناجم إسبانية وكان ميناء بوسيديوم مزدهراً، عندما بدأ غزو الاسكندر للمشرق عام ٣٣٣ق.م، وبدأ عصر جديد توسعت فيه التجارة في ظل السيادة الإغريقية والإدارة الموحدة الجديدة ولذا بدأ النحاتون يقدمون أعمالاً فنية مختلفة، تتماشى مع النمط الإغريقي وبخاصة الرأس، الذي عثر عليه وولي، وهو ربة المدينة الجميل الذي عثر عليه في المعبد وتحمل قوساً من سنابل القمح وعثر على نقود من عصر الاسكندر وخلفائه، وأسس سلوقس مدينة سلوقيا على بعد ٦كم، من الميناء عام ٣٠١ق.م قرب القدموس – بانياس – في سورية، وتعبر تفاصيل نحته عن مرحلة الاختلاط السوري الفارسي الإغريقي.

وقد غاب الميناء الإغريقي، (بوسيديوم) عن الوجود، خلال ٤٠٠سنة، حتى القرن الأول الميلادي، حين أحياه الرومان من جديد، وكان يمكن الملاحة حتى أنطاكية، بفضل العاصي، وعثر على أعمدة ذات صليب، مما يذكر أن انطاكية أصبحت مركزاً مسيحياً مهماً، ودمرت سلوقيا بسبب هزة أرضية عام ٥٢٦م، ولحقتها انطاكية أيضاً،

متأثرة بالزلازل، ولم يعد لمدينة انطاكية وميناؤها دورها التجاري، إلاّ في العصر العباسي. واحتلها الفرنجة الصليبيون عام ١٠٩٧، واستعادها صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٨م، وسمي الميناء باسم القديس سمعان، لأنه دفن بقربه.

وعثر على فخار من هذا العصر، من طراز سوري، جميل التزيين، وقد انتشر في سورية، ووصل إلى أوروبا، وهو مزين بكتابة عربية، وقد نقل الإيطاليون صناعة الفخار المزجج، والفيشاني من إنطاكية والمينا في عصر المماليك، ويقول وولي إن ما عثر عليه، يثبت أن آلالاخ وعطشانة، كانت منذ القرن الثامن عشر ق.م، عامرة، وأخذ منها الكريتيون مبادئ فن العمارة، والتزيين الجداري، ولعبت دوراً صناعياً وتجارياً في عقود الصراع الفارسي الإغريقي، واستمر ميناء بوسيديوم يصدر الفن والتجارة إلى بلاد الإغريق ومنه إلى أوروبا لتستلهم فنها المعاصر.

ويقبع اليوم مزار يحمل اسم شيخ البحر، يقدسه السكان السوريون، وقد بقي شيء في ذاكرة الأحياء، من ذلك الماضي السحيق، ألا وهو إله البحر لمدينة آلالاخ التاريخية.


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل السادس

المضمون الحضاري لنصوص آلالاخ

١ - ادبيات الملكية.

٢ - الواقع الحضاري.

٣ - المصادر من نصوص آلالاخ.

٤ - شواهد نصوص القرن ١٨:

أ - تملك واقطاع .

ب - الأراضي والمزارع .

ج - المزارعون والأفراد وهوية السكان اللغوية .

٥ - شواهد نصوص القرن ١٥:

أ - أسماء العلم الحورية .

ب - مراتب المجتمع .

ج - حياة القصر ووظائفه .

د - المقاييس والأوزان .

٦ - أهم ميزات العصر في سورية الشمالية والمناطق المجاورة:

أ - ظهور الحصان والعربة ذات العجلتين .

ب - ظهور طبقة الفرسان والملاك .

ج - الأرض والوعد الإلهي .

٧ - النتائج والخلاصة.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ ـ أدبيات الملكية[١]:

الملك لله، ربما كانت هذه خلاصة أدبيات الديانات التوحيدية، فالشرعية هنا، إلهية مصيرية. أما في الديانات القديمة، وبالرغم من أن الشرعية الإلهية هي حجة السلطة في التملك، إلا أن ذلك لم يتخذ مكانة مهمة في أدبيات النصوص المسمارية، بل نلاحظ أن الكاهن والملك هما المالكان الحقيقيان، وهما اللذان يمنحان الملك ويقطعانه. وكانت الأرض ملكاً لمن يضع يده عليها ويعمل بها، كما تشهد على ذلك نصوص العصور القديمة. وإذا التفتنا إلى عصرنا الحاضر نجد أن شعار تملك الأرض هو الأرض لمن يزرعها ويعمل بها، ولكل حسب مجهوده. وهكذا نلاحظ تباين وتبدل مفهوم الملكية، وتطوره باتجاه واقعي وهو أن الأرض يجب أن تكون بالدرجة الأولى لمن يعمل بها. لقد ظهر التملك الفردي والرسمي والجماعي منذ أقدم العصور التاريخية في الرافدين وسورية، أو في المشرق العربي القديم بعامة، وظهرت الوثائق المسمارية حديثاً لتبرهن من خلال المسجلات الإدارية وعقود البيوع والشراء على تعدد الملكيات بتعدد الآلهة المعبودة في عصور ما قبل المسيح.

٢ ـ الواقع الحضاري:

كان تاريخ سورية الحضاري والسياسي خاصة مجهولاً في عصر خلفاء حمورابي قبل اكتشاف نصوص مدينة آلالاخ. وكانت مدينة حلب أو خلب «بالاكادية»، قد لعبت دوراً حضارياً مهماً في عصر حمورابي البابلي. كشفت عن هذا الدور وثائق مدينة ماري، وهي الفترة التي تؤرخ بالنصف الأول من القرن الثامن عشر. بعد سقوط ماري على يد حمورابي كضحية بين نفوذه والنفوذ الحلبي، كان العلماء يعتقدون باستمرار الاتصال بين بابل وحلب وهما المتنافسان القويان والوحيدان في أعلى الفرات وجهاته الغرب منه.

---

(١) (ملكية الأرض وأثرها في التبدلات الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي) لجنة كتابة تاريخ العرب بجامعة دمشق ندوة، ٢٨ ـ ١٩٨٨/١١/٣٠. الأرض والإنسان في آلالاخ. دراسات تاريخية، ٣٥ و ٣٦، حزيران ١٩٩٠.

وجاء اكتشاف نصوص مدينة آلالاخ، التابعة للعاصمة حلب والقريبة منهـــا، إثباتـــاً لهـــذا الاعتقاد، إذ تبين أن حلب قد أصبحت مملكة كبرى في العصر الحثي القديم، وكانت الحصن الأول الذي هدمه الحثيون للاستيلاء على سورية وبابل[1].

٣ - المصادر من نصوص آلالاخ:

مدينة آلالاخ وتكتب بالمقطعية المسمارية (a – la – la – ah) هي اليوم تل عطشـــانة في سهل العمق على منتصف أقصر الطرق بين حلب والبحر المتوسط. تمتعت المدينة وما زالت بموقع جغرافي ممتاز، فهي مطلة على وادي العاصي، محاطة بسهول العمق الخصبة الكثيفة السكان، ويبدو أن مركز المدينة القديم المنخفض قد غطي بمستنقعات بحيرة العمق. من جهة أخرى تعكس لنا بقايا قصر أميرها المزيـــن بالرســـوم الجداريـــة، فكـــرة علـــى ازدهارها. لقد اكتشفت المدينة ومبانيها وأهمها القصـــر الملكـــي، علـــى يـــد L. wolley الإنكليزي[2] خلال عشر سنوات (١٩٣٩ ـــ ١٩٤٩) وتم اكتشاف ما يزيد على أربعمائـــة نص مسماري أكادي في المباني الملكية، نسخها ونشر موجزاً مترجماً للإنكليزيـــة العـــالم D. J. Wisenan في مؤلفه المعروف The Alalakh Tablets, London 1953=AT، ونشرت حتى الآن دراسات عديدة شملت إعادة لترجمات العالم السابق الذكر. ولكن لم نجد دراســـةً

---

(1) 1 - The cambridge Ancient History – CAH II/I.
Margaret s. Drower ch. X syria c. 1550 – 1400 Syria in the sixteenth century B. c. p417.
2 – CAH II/I. J. R. Kupper, Northern Mesopotamia and syria, p. 1-30

(٢) من أجل مزيد من المعلومات حول حفريات المدينة وموقعها الجغرافي يجب العودة إلى مؤلفـــات مكتشف المدينة:

1 – Woolley, L. Alalakh, an Account of the Excavations at Tell Atchana 1937-1940 Oxford, 1955.
2 – Woolley, L. A forgotten kingdom, London, 1953.

ـــ يجب الإشارة إلى أن المدينة تقع في لواء اسكندرون المحتل من قبل تركية منـــذ عـــام ١٩٣٩ بمساعدة من فرنسا المنتدبة على سورية في ذلك الوقت.

واحدةً تناولت موضوع الأرض وملكيتها. كما أن هنالك جوانب كثيرة من معلومات النصوص تحتاج لمن يقرؤها ويدرسها[1].

كانت السيادة ــ كما تعكس النصوص ــ للأمراء الحلبيين من أصل أموري، وكان هؤلاء يتكلمون لهجة أكادية غربية ويكتبون بكتابتها المسمارية المعروفة. أما السكان فقد كانت الغلبة للعنصر الأموري الأكادي، وهم بالطبع من أحد أسلاف عرب اليوم والأمس، بينما تأرجح الميزان في القرون التالية: أي منذ القرن السادس عشر لصالح عناصر حورية، قادمة من الشمال، تتكلم لغة هندو ــ أوربية، إذ احتلت مراكز مهمة، في مجتمع المدينة دون أن تكون لها السيادة السياسية CAH II/135.

لا نعلم شيئاً عن واقع سورية الداخلية والجنوبية في فترة نصوص آلالاخ. إلا أننا نجد أسماء مدن وأماكن معروفة، مثل قطنة، أوجاريت، أمورو، ماري. ونلاحظ غلبة الأسماء الأكادية الأمورية. ولا نجد في نصوص آلالاخ ما له علاقة بالهكسوس الذين يفترض أنهم احتلوا دلتا النيل في حوالي ١٧٢٠ ق.م.

تقسم النصوص التي وجدت في آلالاخ إلى قسمين رئيسيين: الأقدم ويقع في الطبقة السابعة ويرمز لذلك بالمصطلح AT VII ويرمز لرقمها بـ AT+ وتعود إلى نهاية القرن الثامن عشر، ويبلغ عددها قرابة مئة وخمسة وسبعين رقيماً، أما رقم الطبقة الأحدث الرابعة AT IV فيرمز لنصوصها بـ AT فقط (دون إشارة +) وتعود إلى نهاية القرن الخامس عشر وعددها يصل إلى مئتين وخمسين رقيماً أو نصاً[2]. تغطي النصوص السابقة الذكر فترة هامة من تاريخ شمال سورية، لأنها تقع بين فترة

---

(١) نجد ثبتاً بهذه الدراسات حتى عام ١٩٧٣ في:

1 - CAH II/1 p. 722; 777 – FF

كما نجد ثبتاً لها حتى عام ١٩٨٥ في:

2 - F. ABDALLAH, les relations internationales entre le Royaume d'Alep/yamhad et les villes de Syrie du nord 1800 A 1594 avant J. C., Université paris 1, 1985.

(٢) سنستخدم كلمة نص من الآن فصاعداً لأننا سنعالج المحتويات المكتوبة على الرقيم وبالتالي فهو نص.

انهيار ماري وتوقف معلومات محفوظاتها في نهاية النصف الأول من القرن الثامن عشر ق.م، وبين ظهور محفوظات أوجاريت ــ رأس شمراء ونوزي، وشكر بزر وبوغاز كوى وتل العمارنة، اعتباراً من نهاية القرن الخامس عشر ق.م.

٤ - شواهد نصوص القرن ١٨ :

أ ـ تملك وإقطاع :

يسمح لنا نص شهير وهو (+ AT 1)[1] بالتعرف بصورة مبكسرة على نوع

---

(١) انظر صورة للنص المنسوخة باليد فيما يلي ونقدم هنا ترجمة وقراءة بالعربية للمرة الأولى.

قراءة النص المكتوب بالمسمارية وباللغة الأكادية بالأحرف اللاتينية:

1 – I-nu-ma ah-hu-su (m) Ab-ba-El be-el-su-nu ib-al-lu.

عندما ثار أخوة أبائيل ضد سيدهم،

2 – (m) Ab-ba-(an)-El sarru (ru)? I-na tu-ku-u (l-i) I (d) Tesub.

بعد الاتكال على (الإله) تيشوب (أدد) فإن الملك أبائيل:

3 – (d) He-pat u (gis) sukur [.....] a-na (uru) Ir-ri-di (ki) il-lik-ma

(وبعد الاتكال على) خبات (الإله) وأسلحته (المقدسة)، قد توجهت إلى مدينة أرد أو أرت.

4 – (uru) Ir-ri-di-(ki) Ab-ba-E [I u s] a-ab-su ik-su-ud.

لقد وصل أبائيل وجيشه إلى مدينة أرّد.

5 I-na [um]I (mi)-su (m) [Ab-b] a-El a-na pu-ha-at.

وبإرادته، فإن أبائيل، قد أبدل،

6 (uru) Ir-ri-di-(ki) [... ur u] A-l [a-la-ah] id-na-am.

مدينة أرّد / ت بمدينة الالاخ عطاء.

7 I-na na-ru-a [m] li-ib-bi-su (uru) A-la-la-ah (ki).

وبإرادة قلبه، فالمدينة ألالاخ قد ...

8 – (id)-di-in4 [I]-na umi(mi)-su (m) Ya-ri-im-li-im.

أعطى. وقام (بتنصيب ياريم ليم

9 – m[ar sarri (?) Ha-am-mu]-ra-pi warad(m) Ab-ba El.

بن حمورابي، خادم (تابع، عبد) أبائيل.

10 – [a-na-bit] (d) Istar u-se-li.

بتنصيبه في معبد عشتار / أشتار.

11 – [.... Ab]ba-El sa Ya-ri-im-li-im.

أبائيل سيد ياريم ــ ليم.

12 – S[arru su-u-ma u] a-la-am pu-ha-at a-li-im.

انه (أي ياريم ليم) ملك، وأبدل (له) مدينة بمدينة.

13 – I (d-di-in-na-as)-su.

خاص من إقطاع القرى. حيث يمنح الملك قريـــة بكاملهـــا لمنفعـــة أفـــراد العائلـــة المالكة.

تفيدنا الوثيقة أن مدينة آلالاخ قد أعطيت من قبل أبائيل ملك حلب إلـــى أخيـــه باريم ليم. نعلم من خلال وثائق أخرى أن ملك حلب كان معاصراً لخليفـــة حمورابـــي البابلي[1] سمسو ايلونا، يبدو أن هذا العطاء قد تم في أعقاب ثورة قـــامت فـــي مدينـــة تدعى أرّتْ Irrit واقعة شرقي الفرات، فقام الملك بهدم المدينة التي كانت فيمـــا يبـــدو تحت إدارة أخيه باريم ليم فأرضاه معوضاً إياه بمدينة آلالاخ القريبة من حلـــب التـــي تشرف على طريق التجارة بينها وبين البحر[2].

يوضح لنا هذا النص أن أراضي العائلة الملكية الحلبية تمتد حتى وادي الفـــرات شرقاً وإلى سهل العمق غرباً[3].

---

* عطاء له

«تتعلق بقية الأسطر حتى السطر عشرين بالقسم وأسماء الآلهة، انظر المتن أعلاه».

ملاحظات حول نقل النص والترجمة:

١ ــ من أجل العودة إلى الرقم الأصلية لابد من الذهاب إلى متحف انطاكية.

٢ ــ نشر النص لأول مرة بالمسمارية كما هو مبين أعلاه من قبل وايزمن.

من أجل ترجمتنا العربية ومقارنتها بالترجمات الأوروبية لابد من العودة إلى:

D. J. Wiseman, AT 1+; W. Albright, RASOR 146 p.27; S.Smith, RSP 32, P. 177 s;CiSI, p. 136s; J.N.E.S. 39,p. 209; Pouvoirs Locaux; p. 120s

إن العودة إلى أسماء المؤلفين السابقين تغنينا عن ذكر المختصرات التي لا طائل منهـــا.. ومـــن المعلوم أن جميع مختصرات علم الآشوريات أو الأكاديات معروفة وتذكر فـــي معظـــم الكتـــب المتخصصة.

(١) الدوريثان: Syria XIX 1938, p. 117s; RA XXXVI, 46s.

(٢) للمزيد من النقاش حول هذا النص وترجمته انظر أعلاه المصدر المذكور في الملاحظة رقم /٣/. ص248,134,41.

(٣) ن. AT 75+-76+

ونلاحظ، وربما للمرة الأولى في تاريخ المنطقة، عادة تبديل إقطاع بآخر، هذه العادة التي مورست في فترة الغزو الصليبي في مناطق متعددة من سورية، والهدف هو الحفاظ على السلطة المركزية ومراقبة طرق التجارة، وتحركات القوى المعادية. وربما كان هذا أيضاً بدافع تحصيل الرسوم والضرائب. ويبدو أن ياريم ليم قد استقام كحاكم للمدينة، بعد أن أقطعت له باحتفال ديني في معبد أدد و/أشتار (Adad, Istar) ونظمت في هذا الخصوص شروط المنح والإقطاع[1].

يظهر لنا حاكم آلالاخ، فيما بعد، كتابع لقصر الملك في حلب (+ 15 ,+ 11) حيث يتلقى حصة من المواد التي توزع من مستودعات القصر. هذا يعني أن عائدات المنطقة المقطعة تعود للملك الذي يقوم بتوزيع الحصص للعاملين وعلى رأسهم الحاكم، ومما يدعم هذا الاعتقاد أن حصصاً أخرى سجلت باسم حاكم مدينة مجاورة تدعى تونيب[2].

لقد تحولت إدارة المدينة فيما بعد من ياريم ليم إلى ابنه اميتكوم. Amnitakum وقد دعا نفسه بملك آلالاخ أحياناً[3].

لم يحصل اميتكوم على أي إقطاع من ياريم ليم، خلاف ما يدل عليه النص +79 حيث يذكر إبدال مدينة أترات Atrate بـ إياشول Iasul وهي المدينة التي تعود إليه بكامل أراضيها ومواسمها، والنص هنا مهشم لا يوضح لنا، إن كان هذا العطاء منحاً أو بيعاً من قبل ياريم ليم. وتذكر الوثيقة أسماء خمسة شهود على العملية.

نجد في نص آخر +86، أن اميتكوم قد حصل على قرية تدعى سوخاروا Suharuwa كحصة له ن. +80.

تعكس لنا نصوص أخرى دور الحاكم في فض النزاعات، أو عقد البيوعات، فقد قام اميتكوم بفض خصومة بين امرأة تدعى أشات ـــ خرصيم hurasim-Assat وأبنائهم

---

(١) ن. النص المنشور أعلاه AT 12+, AT 1+

(٢) ن. AT 282+

(٣) ن. AT 79+, 35+, 20+, 19+

Appatum من أجل خمسة آلاف ثقل[1] من الفضة؟ أي ما يزيد على أربعين كيلو غرام من الفضة، أليس هذا برهاناً على الغنى الفاحش لهذه المرأة في ذلك العصر.؟

نجد في النص 61-2 أن اميتكوم حاكم آلالاخ قد اشترى أولاد السيد Arpa-adu وأمهم السيدة Adira بـ ٢٠٠ ثقل من الفضة و ١٠٠ مكيال Parisi من الشعير وثلاث قطع من الثياب وجرة من الزيت، تم الشراء بحضور ستة من الشهود، وسجلت عقوبة الأبوين في حال إخلالهما بعقد الشراء، وهي دفع جزء من ميراثهما ذهباً أو فضة إلى معبد أشتار، وقد أرخ عقد البيع في الشهر الثامن من السنة التي كان فيها ياريم ليم ملكاً (في حلب).

نلاحظ أن العائلة الواقعة تحت وطأة الدين قد تتعرض لفقدان الملكية، وبيع الأولاد لفترة مؤقتة، ويجب ألا تصدمنا هذه الحالة، إذ يجب فهمها هنا على أن عقد البيع هو إلزام الطرف المدان بتسديد دينه من عمله، وبعدها يعتق.

ب ـ الأراضي والمزارع :

تقدم لنا نصوص القرن الثامن عشر أسماء ثمانين من الأمكنة والتجمعات البشرية المحيطة بمدينة آلالاخ، من بينها ثماني وخمسون قرية أورو URU، ظلت نشطة ومعروفة خلال ثلاثة قرون تالية. من جهة أخرى تقدم لنا النصوص أسماء مئتين واثنين وعشرين من الأمكنة معظمها غير معروف حتى الآن، وهي على الأرجح، تمثل القرى والتجمعات البشرية المنتشرة حول مدينة آلالاخ، وأخرى منتشرة في سهل العمق القريب من المدينة، هذا ونعلم أن هذه المنطقة الزراعية الهامة بالأمس واليوم، والتي ما زالت تزرع ذات الأصناف الزراعية، كانت تابعة لملكية يمحاض الكبرى وعاصمتها حلب، وتذكر لنا المدينة أسماء مدن أخرى معروفة مثل كركميش Karkamis وبلاد الغوطيين (?)Gutti، أدنات Adanat، (Adana ?) أضنة، وأبيشال Apisal.

---

(١) نحو ٨,٣ غ = GIN = Shiqlum = ثقل = 180 SE GIN

ج ـ المزارعون والأفراد وهوية السكان اللغوية :

بلغ مجموع الأسماء التي ذكرتها نصوص آلالاخ بكاملها ألفين ومئة اسم. وهذا الرقم لا يمكن أن يكون دليلاً على عدد سكان المدينة، كل ما في الأمر، أن المعلومات المستمدة من النصوص وتلك المستمدة من عمليات التنقيب الأثري تسمحان بتقدير عدد سكان مدينة آلالاخ بثلاثة آلاف نسمة. نلاحظ من خلال التحليل اللغوي للأسماء المدونة، وجود خليط بشري ممثل بالحوريين القادمين من الشمال ولغتهم هندو ـ أوروبية، وبالأموريين الناطقين بلهجة أكادية غربية ذات قرابة بالعربية اللاحقة والمعاصرة. ونلاحظ أن كلا الطرفين يستخدمان للكتابة المسمارية السومرية الكادية، ونصوص كلا الطرفين تتضمن تعابير وكلمات الطرف الآخر، ولكن لغة أكاد (ليشانوم أكاديتوم Lisanum akkaditum) وكتابتها هي الغالبة كما تشهد النصوص. نجد جذور الأسماء الحورية الهندو ـــ أوروبية في نصوص آلالاخ الاقتصادية والإدارية مثل: أرتا arta، أرنا arna، بير Bir، بينتي وانتي Penti/wanti، اخلي ehli، لويري ewiri، اري ari، موش mus، تالما talma، واري wari الخ...

أما الأسماء الأكادية الأمورية فنجد منها خمسمائة وأربعة وعشرين اسماً في نصوص القرن الثامن عشر ق.م. وعناصرها الرئيسية هي: شمش Samas، ملك Malik، آمو Amnu، إلو Ilu، شرو Sarru.

وتبرهن أسماء النساء على وجود أغلبية حورية، وتعكس هذه الحال أن شمال سورية كان منذ ذلك الوقت المبكر موطناً لقادمين من جهة الشمال يأتون ويستقرون طلباً للعيش والسلطة في أوقات الضعف.

٥ ـ شواهد نصوص القرن ١٥:

آ ـ أسماء العلم الحورية :

تقدم لنا نصوص القرن الخامس عشر معلومات أخرى حول التركيب البشري في آلالاخ حيث بلغ عدد أسماء العلم الحورية ألفاً وسبعمائة وثلاثة عشر (AT, P. 9).

معظم تلك الأسماء معروفة في نصوص نوزى وتل العمارنة وشكريزر وتل

براك، ولكن مع اختلاف اللهجة المحلية وقد وجدت أسماء قليلة حثية، وأمورية عديدة مثل ليم، أدو، ملك، ولكن نلاحظ أن السيادة السياسية ظلت بيد العناصر الأمورية، ولابد من الإشارة هنا إلى أن النصوص لم تعكس أي نزاع عرقي بين هذا الخليط البشري، بل عكست انسجاماً عقائدياً دينياً واقتصادياً. كما أن كبار الملكيات الزراعية تعود للمستويات الحاكمة المكتبية وهي أمورية الأصل.

ب ـ مراتب المجتمع :

لنقل أن هناك فئات اجتماعية مقسمة حسب وظائف وأعمال تميزها عن الأخرى. فقد ضمنت اللوائح الإحصائية لثلاث وخمسين لوحة فخارية أسماء سكان أربع عشرة قرية زراعية تخضع مباشرة لمدينة آلالاخ في القرن الخامس عشر ق.م. وقد نظمت هذه المراتب الاجتماعية مبتدئة بالمرتبة الأدنى.

نلاحظ هنا، أن مثيل هذه المراتب قد وجد في أنحاء أخرى من الرافدين، وخاصة في بابل وفي مراحل سابقة، ووجدت في آشور، ووجدت فيما بعد لدى الرومان ثم الساكسون والفرانك، وكلها تصنف ثلاث مراتب اجتماعية:

أما هذه المراتب في آلالاخ فهي:

١ ـ تسابه نامه Sabe name وهي المرتبة الأدنى، ويطلق على بعض أفرادها أحياناً خبشو hupsu أيضاً ويمكن للفرد امتلاك كرم عنب أو حقل صغير. ويسجل اسم الفرد بعد إشارة Sabe name ويذكر إلى جانب اسمه إذا كان لا يملك أرضاً ويعد التحليل اللغوي للكلمة نجد أن namu هي الجذر الأكادي[1] na'wu نأى بالعربية أما (سب) sab فهي فريق أو مجموعة.

---

(1) G. Dossin, Syria, 19, 109, nawu = campement

والأفضل ترجمتها، البادية النائية. انظر أيضاً:

Melange Dussaud, 11, 987 territoire, campement. مضرب/قبيلة، بادية.

ربما يمكن القول إن أفراد هذه الجماعة كانوا قادمين من مناطق نائية بعيدة. وربما كانوا بدوا أو أنصاف بدو. وكان أفراد هذه الفئة يعيشون على أطراف المدينة وفي القرى ويبدو أنهم كانوا أنصاف أحرار وربما قاموا بأعمال سُخْرة[1].

٢- تسمى المرتبة الثانية التي يمكن التعرف عليها باسم خاني آخو haniahu وقد عرفنا منهم أهل خانا في نصوص ماري وهم بنو سمأل أو سكان الضفة اليسرى للفرات كما تشير إلى ذلك دراسات المجلد السابع والعشرين من محفوظات ماري[2]. وصنفت إلى جانبهم جماعة تسمى ḫḫl إخل. وكان لهؤلاء تجارتهم الخاصة، وكانوا حراساً في القصر، مما جعلهم فعلاً في مرتبة متوسطة بالنسبة لأهل خانا. ويذكرنا اسم إخل بالإخيليين المذكورين في ملحمة الإغريق «الإلياذة» لـ هوميروس.

- أما المرتبة الأولى فهي جماعة تسمى ماريانو Marianu

ويذكر النص (128) أن هؤلاء يملكون عربات النقل، وقد دون إلى جانب كل اسم العبارة السومرية (sa GIS. GIGIR) أي مالك عربة. وفي حالات نادرة نجد عبارة «لا يملك عربة».

وليس من الواضح فيما إذا كانت العربة تستخدم لأغراض حربية أو أنها تستخدم لأغراض النقل الزراعي والمدني وحسب.

و أن هذه الجماعة كانت طبقة أو مرتبة قائدة في جميع وظائف المجتمع بما في ذلك وظيفة الخازن ḫazannu الهامة في ذلك العصر. ونلاحظ قلة الأسماء من أصل أموري إلى جانب تلك من أصل حوري. ونذكر أن لقب marianu يمكن أن يورث وينتقل بمكتسباته إلى الورثة (15, 91).

---

(١) ن. AT. P. 10

(٢) صدر المجلد السابع والعشرون من مجلدات ماري ARM 27 الذي يتضمن معطيات جديدة تغير كثيراً من المفاهيم المتعلقة بتوزيع السكان في القرن الثامن عشر ق.م في شمال سورية.

يجب التنويه هنا إلى المعنى اللغوي لكلمة ماريانو mariannu. لقد وردت الكلمة في النصوص مكتوبة بالمسمارية وتلفظ بالمقطعية الأكادية maru أي أمرؤ ونلاحظ أن الكلمة الأكادية باقية في لغتنا العربية. ويمكن لها أن تعني صاحب ومالك. لأننا نقول بالعربية رجل (كذا) وامرؤ (كذا) وكذلك الحال في الأكادية عند استخدام كلمة maru التي صارت تستخدم في نصوص آلالاخ كاصطلاح يرد في معظم النصوص على الشكل التالي[1]:

1 – amelu (mes) ma-ri-ia-ni-ma

2 – (GIS. GIGIR).....

ونلاحظ أن amelu تعني رجلاً، وإنساناً أيضاً، واستخدمت هنا في حالة الجمع للدلالة على مرتبة الماريانو، والتي تعني أيضاً الرجال. والعبارة التي تلي وهي (GIS. GIGIR) السومرية تعني العربة المجرورة بحصان كما أسلفنا فهؤلاء الأفراد يأتون في طليعة المراتب التي ذكرت في القوائم الإحصائية. ولقد أراد بعض المتخصصين لهذه الفئة أن تكون طبقة الفرسان، وأرادوا تشبيهها بفرسان العصور الوسطى خاصة أن اللغة الحورية التي تكلمتها العناصر السكانية في آلالاخ في هذه الفترة تربط بالعائلة اللغوية الهندو – أوروبية. ولكن واقع هذه الوثائق لا يدلنا حقيقة إذا كان هؤلاء هم فرسان أو أنهم مجرد مالكي عربات، ولا تدلنا النصوص أيضاً فيما إذا كانت العربات تستخدم في أغراض عسكرية. ولكن ترتيب هؤلاء وحيازتهم واسطة النقل الهامة في ذلك الوقت يبرهن على أهميتهم، فلماذا يجب أن يقارنوا بفرسان العصور الوسطى[2].

---

(١) انظر:

1 – AT, P. 11

2 – Analecta Orientalis 26, 66; AFO VI, 217, 221, maru/marya امرؤ

وهناك ترجمة حورية تعني مالك – عربة أو حصان، A. Gustavsm ZA (NF 2), 297.

وقد استخدم وايزمن أعلاه marya/maru (AT, 11)

بمعنى مالك أو صاحب، وهو الأمر المقبول.

(٢) حول هذا الموضوع انظر: CAH II/I 495

ويجب القول على أية حال إن ظهور الحصان لأول مرة في نصوص مكتوبة أو في أثر فني لا يعود لأبعد من القرن الثامن عشر قبل الميلاد. وهي تتوافق مع ظهور عربات الهكسوس وفرسانهم في أواخر هذا القرن. وكذلك ظهور بعض النصوص في ماري تبين لنا أهمية هذا الحيوان من خلال ارتفاع ثمنه.

تضم نصوص آلالاخ، العائدة للقرن الخامس عشر وهي (من ١٨٥ إلى ٢٠٢) لوائح فخارية وجدت في قصر نقمبا سجلت فيها البيوت والأبنية في القرى الواقعة تحت سيطرة أميرها ويعتقد أن هذا التسجيل هو بقصد فرض الضرائب وتحصيلها أو تصريف الشؤون الإدارية.

تدعى مثل هذه القرى بالتعبير السومري URU. AS. AS، ولا ندري إذا كان هذا الاسم يعني ملكية خاصة، وقد أوصى الملك اميتكوم بعدد من هذه القرى إلى ابنه (697).

ظهرت في هذه النصوص اسم جماعات أخرى مثل خبشو hupsu، شوزبو suzubu، اخل ehele ولم يظهر إلى جانبها اسم ماريانوا. ونجد في النص 185 مجموع عدد من البيوت في اثنين وعشرين قرية قرب مدينة آلالاخ. وتتألف القرية من ٤ – ١٤ بيتاً، وهذا مطابق لبعض اللوائح التي تسرد أسماء أفراد من الذكور من سكان قرى، ربما كانوا عبيداً وتتراوح أعداد تجمعاتهم بين ١١ إلى ٥٠٠ فرد، فلربما كانوا به في مثل تلك القرى[1].

أما الفائدة من هذه اللوائح فكان يهدف إلى إحصاء الملكيات وتوزيع الضريبة ولا شك. أما نحن فتفيدنا في فهم طبيعة التركيب السكاني وتوزيع القوى العشائرية والعائلية في القرى والأرياف فنجد مثلاً: رجلاً من جماعة تدعى بالسومرية SA. GAZ. وتعني بالأكادية habatu habru = خبرو = غواة، بدو، خباطون، أنه كان يملك ١٤٣٦ محارباً الخ. وهذا إشارة إلى أشخاص يؤجرون خدماتهم الحربية. وقد امتلك هؤلاء الأغنام وتبعهم لصوص يمتلكون عربات (النص 180) ويذكر هذا النص اثنين من جماعة مشكينو الواردة في شريعة

---

(١) AT, P. 15

حمورابي 2 sabu (mesh) mas-ki-en وكان أفرادها يهاجمون القرى وقام أحدهم بالاستيلاء على قرية مرمارو Marmaru بكاملها 185 وكانت تضم ١٩ عمارة و ٢٩ رجلاً. وقام أحد أفراد SA. GAZ أي خبرو وهو من قرية تسمى أناشه Annaso، بتجنيد عشرين رجلاً قادمين من حقول كنعان وأسار على طريق حماة Hamath ونوماخ Numahhe. ويرد اسم رجل آخر من ذات الجماعة SA.GAZ، بأن له أتباع من سبعة عشر رجلاً وسبع عربات مع الخازن وأربعة من المشكينو [1].

وكانت جماعة السوبيتين Sutu رغم قصيلة بدوية أمورية الأصل تطوف بين القرى والأرياف. وقد أشير إليهم كغزاة نهابين وغالباً ما ميزتهم النصوص عن جماعة SA. CAZ. وقد ذكر الحوريون في أرض آلالاخ sabe hur-ri-en-ni (2, 7.) وكذلك الأموريون amel mar amurri (422+, 5, 10) مرة واحدة وذكر فرد من جماعة الكاشيين 412+, 7.

ج - حياة القصر ووظائفه :

لدينا إحدى وخمسون لائحة بتوزيع الحصص التموينية في قصر آلالاخ، وهي تعطينا صورة جيدة عن السكان وأنشطتهم وملكيتهم في الفترة المعنية. أي أواخر القرن الثامن عشر.

يعيش الملك أميتكو Ammitaku في القصر مع زوجته وهي ابنة حاكم مدينة ابيشال Apisal وشقيقته تدعى سومونبي Samunabbi، ويعيش معه أيضاً ابنان وابنة

---

(١) بدو hapiru خباطون (خبط I.U.SA. GAZ=habbatu

انظر مقالنا في العدد (٣٢/٣) من دراسات تاريخية ـ دمشق ١٩٨٩. بعنوان خبرو ـــ خبسيرو الذي يوضح الخطأ الذي وقع به بعض هواة كتابة التاريخ القديم وبعض المتخصصين أيضاً، بقبولهم وجود الصلة اللغوية بين خبرو والعبريين، وفي ذلك شهادة من خارج التوراة على وجود العبريين في جميع أرجاء الوطن العربي القديم وحيثما وجدت كلمة SA.GAZ في النصوص المسمارية، وهو ما تهدف إليه الحركة الصهيونية، أي إيجاد شواهد تاريخية على وجود العبريين من خارج التوراة كتدعيم لها. لأنها (أي التوراة) لا تعتبر إلا شاهداً لغوياً من طرف واحد.

كانت قد تزوجت مؤخراً (411+). وكان يقود أعمال القصر موظفان كبيران يدعيـــان تلما أمو Talma-ammu وبنتا موشوني Penta-musuni أما وكيل الخرج فاسمه شاتاموم Satamnum وهو الذي يدير اقتصاد القصر وأملاكه. وكان يرافق كل فرد من أفـراد البلاط وكيلاً خاصاً يسمى GIR gersequ ويهتم بأعمال الزراعـة والتجـارة لحسـاب سيده. وكان يعمل في خدمة القصر إداريون وحجاب وعبيد وهم QA. SU. DUG أو amel ekallin.

وكان المدعو إرب ــ أدو adu–irpa رئيس التجار هو الذي يبتاع أملاك الملك، وكان ابنه سمسي ــ أدو Adu–Samsi يعمل لحسابه أحياناً، وكان يقوم بأعمال التدوين كتاب متمرسون، ووجد في المدينة سبعة كتاب، ونعرف مثلاً اسم كاتب نصب أدريمي وهو شاروا Sarruwa، إضافة إلى هؤلاء نعرف أسماء الرعـاة والصيـادين ومربـي الدواجن والطيور، ونعلم بشكل خاص اسم سائس الخيل وهي مهنـة خاصـة وهامـة (281+ 355).

إذا ما حاولنا رسم صورة الآلاخ في القرن ١٨ ق.م فإنها تشبه إلى حد كبير ــ كما يقول وايزمن (ص AT 12) قرية سورية معاصرة، حيث نرى سوق القرية بحوانيته وبائعيه وصناعه وحرفييه (حلاق gallab ونجار nagaru). ونرى صانع مركبات النقـل وعمـالاً يؤمون قصر الملك ونجد عمالاً تركوا أرضهم في فصل الشتاء بحثاً عن عمل في القريـة، وبين هؤلاء وأولئك نرى قوافل قادمة من حلب وايمار وزائرين أموريين. وأعداداً من العبيد الذكور والإناث ، صغاراً أو صغيراث (230) Suhartu، وحاضنات ومربيات museniqtun، ولا تخلو المدينة من سجن يحصل السجناء فيه على حصصهم الغذائية من القصر.

د – المقاييس والأوزان:

أما بيع وشراء الملكيات والأراضي في آلالاخ فقد كان يتـم بمثـاقيل الذهـب hurasu والفضة kaspu واستعمل النحاس والـبرونز. والمثقـال هـو Seqel أو ثقـل ويساوي حوالي ٨,٣ غ واستخدمت وحدة أخرى وهي SE وتسـاوي ١٨٠ غ. كـانت

الفضة هي الأكثر رواجاً في عمليات البيـــع والشـــراء. وكـــانت أوزان حلـــب هـــي المستخدمة في آلالاخ.

أما مكاييل المحاصيل فهي PA-is (Parisis) المقياس الأكادي المعـــروف فـــي المنطقة واسمه مشتق من الفعل Parasu قسم. وقد ساد هذا المقياس فـــي الألـــف الأول قبل الميلاد وذكر في أدبيات اليهودية في القرن الثالث ق.م (ن. دانييل ٢٨,٥) واستخدم لدى الحثيين، وكانت عبارة SE/ Sa'iru شعير دلالة على كل ما هو حبـــوب. كـــانت الحبوب تكال في قصر الملك عند دخولها إلى المستودع سواء كانت ضريبة أو كإنتاج خاص. وتسجل كمياتها، وتعاد الكرة لدى خروجها للتوزيع أو للتصدير.

أما البيرة وكان إنتاجها غزيراً على ما يبدو فكانت تكال بـــالجرة DUK وكـــان سعر جرة البيرة مثقالاً واحداً من الفضة فقط ونعلم أن الملك اميتكو قد أنفق ذات مـــرة سبعة مثاقيل من أجل شراء البيرة +AT 269 وكيل الزيت بذات المكيال وقد تـــم نقـــل إنتاج الزيت من قرية مورار Murar قرب آلالاخ وكانت الكميـــة ٢٧٦٨ جـــرة +322 وهذا يدل على كثافة الإنتاج في المنطقة واتساع كروم الزيتون، أما مقاييس السطوح أو الأراضي فنجد في اللوائح (203-206) الإحصائية، أن قياسها يتم بالسهم والقصبـــة GI: qanu وقيست كروم العنب بـــ ايكو iku وكان كرم عادي يتألف من ٦ ـــــ ٢١ ايكـــو وهذا يساوي ٣٦٠٠ م٢[1]، وإضافة إلى ملكية الأرض ومنتوجاتها هناك ملكيات الدواب والأغنام والطيور التي تعتبر مقياساً للثروة. لقد دونت ملكيات الأغنام مع الأراضـــي، وكان الملوك أول من امتلك القطعان. فقد سجلت عملية انتقال قطعان الأغنام من مدينة كركميش (شمال حلب) إلى آلالاخ في عهد الملك Ammitaku وعددها ٢٨,٨٠٠ رأس غنم ربما كان الرقم مبالغاً فيه إلا أنه مدون في النص +AT, 349 وقد أرسلت من قبل حاكم كركميش إلى آلالاخ كما هو مذكور. من جهة أخرى فإن نصوص إيبـــلا تذكـــر

---

(١) قصبة = GI, qanu = ٣ متر
= Kar, ikar gam = 100 SAR
= ٣٦٠٠ م٢

أرقاماً تصل إلى ٨٠ ألف رأس غنم، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ثراء تلك المنطقة بالمراعي والأغنام على حد سواء. وهناك العديد من النصوص (347-33) تدون ملكيات أعداد غير قليلة من الأغنام، يصل بعضها لبضع مئات وآلاف. ولا ننسى الأرقام المدونة عن مبيعات الأصواف في ذلك الوقت فهي كبيرة +360. وقد حملت الأصواف ونقلت من آلالاخ إلى جميع الجهات: حلب، أوجاريت، كركميش، ومدن أخرى صغيرة على الفرات. يمكن لنا ذكر ملكية متواضعة لأحد الأفراد في ذلك الوقت، عدا الأرض فلديه ٦٠٠ رأس غنم و ١٤ بقرة و ٨ حمير asses (354) كان لبعض ملاك الأغنام ثلاثة رعاة وكان ثمن ثلاث غنمات يعادل ثمن امرأة عبدة. وسجلت الأحصنة والثعابين كهدايا نادرة (344).

٦ - أهم ميزات العصر في سورية الشمالية والمناطق المجاورة:

أ ـ ظهور الحصان والعربة بعجلتين :

إن أهم ما يميز تطور الحضارة في عصرنا (النصف الأول من الألف الثانية ق.م) ظهور الحصان وانتشاره على نطاق واسع، واستخدامه في جر العربة الملقبة «بالكنعانية» السريعة ذات العجلتين. ظهر الحصان في نصوص القرن ١٨ (ماري وآلالاخ) ولأول مرة في التاريخ المكتوب، ثم شمل مناطق آسية الغربية والمناطق العربية خاصة ونقلت مع الحصان العربة الكنعانية فقادت في كل من مصر وكريت في نهاية هذا القرن عند ظهور الهكسوس في دلتا النيل. وتدل معلومات النصوص أن سكان شمال سورية في ذلك الوقت والحوريين بصورة خاصة قد اشتهروا كسائسي خيل[1]، أما أصول الحصان فلا شيء مؤكد لدينا، وإنما يمكن أن تحدد مراعيه الأولى في أواسط السهول والهضاب الروسية الإيرانية اليوم، وقد انتقلت كلمة Sisu سيسو (حصان) وصارت سائس لتعني الرجل الذي يعنى بالخيول، وترينا النصوص والنقوش

---

(١) CAH II/I P. 493

اهتمام ماري وأوجاريت وقطنة وآشور بالحصان، ولدينا فكرة عن أسعاره في عصر ماري وكان ثمنه أغلى من ثمن امرأة وبعادل متقالين من الفضة. أي قرابة ١٧ غ من الفضة. ولقد عرفنا أن الحصان العربي اليوم يشبه حصان تلك الأيام بمقارنته مع عظام حصان وجدت قرب أنقرة ـ بوغازكوي. وقد صنفت نصوص الالاخ الخيول وفق أعمارها وألوانها وأصولها.

ب ـ ظهور طبقة الفرسان الملاك :

لقد استخدم الملوك والأمراء العربة ذات العجلتين المجرورة بحصانين كأسرع واسطة نقل في ذلك الوقت، واستخدموها لصيد النمور والأسود، واستخدمت في الحرب، كما كانت عاملاً أساسياً في تصريف ونقل الإنتاج منذ ذلك الوقت المبكر في أراضي شمال سورية، وقد احتلت فئة ماريانو كما رأينا في نصوص الالاخ مكانة مرموقة كونها تمتلك وتهتم بالخيول والعربات، ويمكن القول: إن ظهور الفرسان الذين يقطعون أرضاً لقاء خدماتهم قد ظهر مع هذه الفئة، ولقد رأى بعض العلماء في ذلك إشارة لانتشار هذه العادة في أوروبا العصور الوسطى انطلاقاً من مدينة الالاخ. على أية حال، لا يمكننا تجاهل هذه الفئة من فرسان أو ملاك العربات الماريانو لأنها كانت تمتلك أفضل التجهيزات الحربية في ذلك الوقت. ومن خلال ذلك استطاعت ولا شك أن تحصل على إقطاعات من الأرض، ونلاحظ أن هذه الفئة تحصل على إقطاعها من الملك مباشرة. ولكن حالات امتلاك الأرض قليلة ولهذا لا يمكن مقارنتها مع نظام ترسيم الفرسان في إقطاعيات العصور الوسطى. وقد اختلط مع فئة الماريانو في آلالاخ (كما رأينا) فئات أخرى شعبية هي (خبشو) و (نامة) أو النأة البداة. وكان هؤلاء أحراراً يمتلكون الأرض ويؤدون خدمات حربية فقط. إلى جانب هذا التطور الآلي الزراعي الذي عكسته نصوص الالاخ كانت المنطقة تعيش عصراً دبلوماسياً شهيراً تشهد عليه مراسلات محفوظات ماري ونصوص آلالاخ وكانت علاقات المدن وملوكها كثيفة ومتشعبة تبدأ بالزواج السياسي وتنتهي بالصراع على الأراضي الخصبة في

شمال شرق سورية أي سهول الجزيرة الخصبة الماطرة. لقد شهدت الفترة بين القرن ١٨ و ١٣ اقتصاداً زراعياً يقوم على الاستغلال المكثف للأرض من قبل جميع السكان، وذكرت لنا النصوص أن كميات الحبوب نقلت على ظهور آلاف الحمير والمراكب التي كانت تمخر نهر الفرات الذي كان يستخدم للملاحة بكثافة أكثر بكثير مما هي عليه اليوم، يشهد على ذلك نصوص ماري.

ج ـ الأرض والوعد الإلهي :

لقد بلغت أهمية الأرض وملكيتها شأواً عظيماً، وحافظ الناس وقاتلوا من أجل كل شبر أرض. وكان بعض الملوك يوقعون على بيع وشراء أصغر القطع من الأراضي وعكست لنا نصوص ماري وآلالاخ المثال المبكر على أقدم النزاعات الإنسانية من أجل تملك الأرض، وانعكس هذا في أدبيات الرسائل السياسية منذ القرن الثامن عشر ق.م وخاصة رسالتين من مندوب ملك ماري زمرى ليم المقيم في حلب والذي ينقل له فيهما ظهور الإله أدد، إله حلب، للكاهن ومطالبة هذا الإله ملك ماري بالإسراع بتقديم الأضاحي والتي وعد بها ربه، وكذلك المكان أو الأرض التي ستكرس له كهبة أو كوقف، وإلا فإن غضبه سيكون كبيراً[١].... الخ.

إن فكرة الوعد بالأرض موجودة في أدبيات أقدم من التوراة وهي جزء من التراث الأدبي القديم الذي لا يمكن أن يربط بالحقيقة التاريخية. وقد استغل كهنة إسرائيل هذه الفكرة واتخذت لديهم شكلاً عدائياً وعنصرياً عندما ادعوا في أدبياتهم التوراتية أن إلههم قد وعدهم بأرض كنعان[٢].

---

(١) من أجل هاتين الرسالتين ترجمة وتعليقاً. المصدر المذكور في الملاحظة رقم ٣، ٢ P. 77, 220 ورقمهما A. 2731 + A. 1121، وانظر المصدر نفسه ص٢٢٤ من أجل جميع الآراء والتعليقات حول نصوص النبوة هذه.

(٢) لقد كتب كثيراً من متخصصي التاريخ القديم حول هذا الموضوع ومن أجل تلك الدراسات انظر ثبتاً لها في المصدر السابق، وخاصة:

G. Dossin, La Divination en Mésopotamie, P. 77.

٧ - النتائج وخلاصة:

إن وثائق القرن ١٨ في بابل وسومر وماري وآلالاخ، تبرهن على أن العصر قد تميز باتساع نطاق الملكية الخاصة (CAH II/1 129)، في حين نلاحظ أن العصر السومري المبكر، (النصف الأول من الألف الثالث)، قد تميز باتساع نطاق ملكية المعبد وكهنته، وقد حاول ملوك سلالة أور الثالثة أن يضطلعوا بملكية الآلهة والمعبد، وإبدالها بملكية مكتبية إدارية تقليدية وهذا يعني الحد من الملكية الخاصة.

لقد تجدد العنصر البشري في المنطقة في العصر البابلي القديم، وبلغ ذروة تجربته الحضارية في القرن الثامن عشر ق.م. إذ سرعان ما ظهر الأموريون في دول مدن طموحة عسكرياً وسياسياً مثلها شمشي أدو وحمورابي وياريم ليم، وازدهرت التجارة والزراعة وتم الاستيلاء على الأراضي بالقوة، ووزعت على العشائر والأفراد من ذوي المراتب أو العاديين، واستثمرت استثماراً مكثفاً، ونشأت مجمعات تشبه إلى حد ما قانون حمورابي. وبعد اكتشاف نصوص ماري وآلالاخ، نجد أن مجتمع حمورابي ليس إلا جزءاً من مجتمع الدول الأمورية التي انتشرت في كل من سورية والعراق القديمين. لقد تميز عصر حمورابي والذي نسميه اليوم عصر الممالك الأمورية، ببلورة مفهوم الملكية الخاصة، واتخاذ صفة تقليدية طبعت حضارتنا القديمة بطابعها، وفي ذلك العصر حل القصر محل المعبد في تصريف الملكيات الكبرى الموقوفة للمعابد سابقاً وللملوك وحاشيتهم في مرحلتنا المنوه عنها. لقد صارت قصور الملوك مستودعات وورش للعمل. لقد اكتشف قصر زمري ليم أحد أشهر ملوك تلك الفترة فإذا بقصره يتألف من ٢٠٠ غرفة وصالة. فهو أقدم وأضخم قصر في العالم.

لقد جدد الأموريون التراث السومري الأكادي، وطوروا المكتبية وكدسوا الموظفين التابعين لهم إلى جانب الموظفين السومريين التقليديين.

كانت تتم عمليات البيع والشراء بين سكان القرية الواحدة، وبين القرى المجاورة على الأغلب. وكانت التجارة حرة والاستدانة بالفائدة، واستخدام أولئك الأسلاف كل

ضروب الاستثمار والاستغلال الذي تنعته بالرأسمالية. وإذا كانت سمة إمبراطورية شروكين/صارغون، الإمبريالية والمركزية فإن سمة عصرنا المدروس هنا هي المستشارية القوية والتطور المدني السريع، ضمن نطاق مكتبي عشائري محسوبي.

لقد احتُرِمَت العقود، أي عقود البيع والشراء، ووقعت بأعداد كبيرة من الشهود، وكثيراً ما مهرت بخاتم الملك، وهذا دليل حضوره عقد الصفقات التجارية.

لقد اتسم ملوك هذا العصر بحس مسؤولية نقل خبرتهم لمن سيملك بعدهم، فجرت عادتهم على كتابة ما يسمى بالأكادية ميشروم misarum وهو الوصايا وليست شريعة حمورابي إلا وصاياه الخاصة به التي سطرها في أخريات أيامه، في حين كانت أعراف شريعته، مطبقة في جميع أنحاء المنطقة دون أن يسمعوا بوصاياه، كما أنها ليست الأولى من نوعها في تاريخ الرافدين. وكان كل ملك يدعي إصلاح ما أفسده سابقوه أو أنه أنجز ما لم ينجزوه. وانتقل مفهوم هذه الوصايا إلى أدب الدين اليهودي فاشتهرت من خلاله وصايا موسى المعروفة.

لقد استفاد الإنسان العادي / الحر وشهد مرحلة ازدهار وغنى، وكانت قصور الملوك في ماري وآلالاخ وحلب وكركميش متخمة بمنتجات العصر. أما العبيد فلم يكونوا ليشكلوا إلا أعداد قليلة من الأسرى والمفلسين.

أخيراً إن فكرة الوعد الإلهي بالأرض التي وردت في التوراة، لم تكن في الحقيقة سوى انعكاساً أدبياً دينياً لواقع النزاعات السياسية القبلية. وقد وجدنا أصولاً لها في الأدبيات المسمارية التي وصلتنا من القرن الثامن عشر وما قبله بزمن طويل حيث ترقى الفكرة إلى عصر البطولة الباكر، ونقرأ عنها في أدبيات سومر التي تعود لبداية الألف الثالث قبل الميلاد.

الفصل السابع
الغزو الأجنبي والقرون الغامضة

١ - الحوريون والحثيون.

٢ - سورية وادريمي.

٣ - التوازن المصري الميتاني في سورية.

٤ - احتلال الحثيين لشمال سورية.

٥ - ديانة الحثيين وإدارتهم.

٦ - آشور وبدو السوتو.

٧ - تطور المجتمع.

٨ - غزو شعوب البحر.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - الحوريون والحثيون:

تعد نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد، بداية غزوات كبيرة تهز بلاد الشام برمتها والعراق وتصل مصر. ولم يعثر على نصوص تدل على آثار تلك الظاهرة بسبب جهل الغزاة الكتابة أو القراءة، وعدم قدرتهم على تعويض الإدارة المعقدة للدول المنهارة. وعندما استقر هؤلاء وظهرت مدوناتهم اكتشفنا وجود دول حورية (Hurri) وميتانيه (Mitanni) في شمال سورية والعراق حتى سواحل المتوسط. وتظهر بابل تحت سلطة سلالة كردونياش Karduniash الكاشي (Kashshû) وتصبح الأناضول وأجزاء كبرى من سورية تحت سلطة الدولة الحثية (Hatti). ولكن الوثائق قليلة بل نادرة، ولذا فإننا نتتبع التبدلات الدولية الجديدة من خلال محاور انتشارها. فلأول مرة يذكر سمسو ايلونا ملك بابل في عام ١٧٤٠ انه قضى على غزوة للكاشيين القادمة من جبال زاجروس. ونجد بعض آثارهم في مملكة خانا Hana بين الفرات والخابور في شمال سورية، حيث ظهر اسم ملك كاشي يدعى كاشتيلياشو Kashtiliashu على ختمه. ويظن أن الهجمات التي قضت على آخر الملوك الأموريين في بابل قد جاءت من هناك، ولكن نهاية بابل جاءت على يد الملك الحثي مورشيلي الأول حيث كان حاتوشيلي الأول قد دمر حصون ألالاخ الممثلة بطبقتها الأثرية السابعة المؤرخة بين ١٦٥٠ ـ ١٦٣٠ من قبل وولي الذي اكتشفها عام ١٩٣٩. وتابع حاتوشيلي غزواته على مدن سورية الشمالية مثل أورشو وخشو على ضفة الفرات اليمنى. حيث كانت هاتان المدينتان مركزين لإمارتين حوريتين تعرفان باسم هانيجلبات أيضاً. وقد تجمع السوريون للمحاربة مع الحوريين في الشمال ضد حاتوشيلي الأول، إلا أنه تمكن من هزيمة هذا الحلف في معركة أدالور/أتالورا Adalur[1].

وبعد موت هذا الأخير صعد على عرش حاتوشا ابنه مورشيلي الذي بدأ عهده بحملة ضد سورية، واحتل حلب التي اشتهرت بمملكة يمحاض/يمخد، وكانت تمثل

(1) (RGTC 6/1, 52 - 53; 6/2, 17).

رمز القوة الأموية السورية في الشمال، وتدخل ضد الحوريين، ومن ثم توجه جنوباً إلى العراق حيث سقطت بابل أمام زحفه عام ١٥٩٥، كما خضعت أرزاوا Arzawa وأدنيا Adaniya في شمال غرب سورية وعمق الأناضول لخلفائه. وكانتا إمارتين أموريتين. وكان للآريين إمارة في كزواتنا (Kizzuwatna) أما آلالاخ فقد عادت للظهور تحت إمارة شخصية أمورية سورية شهيرة هو ادريمي Idrimi صاحب التمثال والكتابات المعروفة التي عكست أعماله الحربية والتوسعية في شمال سورية ضد الحثيين ومتحالفاً مع الملك الميتاني برترنا Barttarna[1]. ولم تظهر أعمال عسكرية حثية أخرى ضد شمال سورية وطوروس إلا في عهد تلبينو Telebinu (١٥٢٥ — ١٥٠٠ تقريباً) في منطقة البستان. وإثر تقهقر النفوذ الحثي في شمال سورية تظهر دولة ميتاني Mitanni التي ضمت بقايا الإمارات الأمورية السورية والحورية. ويبدو الاختلاط الشامي والآري واضحاً خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر. فقد ظهرت آثار الحوريين في مدينة آلالاخ في المستوى الرابع في القرن الخامس عشر. وكذلك في قطنة قرب حمص وتونيب Tunip وأخيراً في أوجاريت وظهرت أسماء أمراء حوريين ومن أصل آري مثل أيتاجما Aitagama في قادش وبيرايوازا في دمشق. وكان خيالتهم يدعون مريانو Maryannu وهو مشتق من اللغة الفيدية Vida وتعني «الأبطال الشباب». وظهروا بكثافة في نصوص آلالاخ وأوجاريت. وكانوا ساسة للخيول. واختلط النفوذ الميتاني الحوري بالنفوذ المصري اعتباراً من غزوة تحوتمس الثالث في حوالي عام ١٤٦٠. وتذكر نصوص آلالاخ (AT, 13, 14) من خلال ختم سلالي اسم شوترنا بن كيرتا وآخر عرف في كتابات ادريمي هو براترنا والذي ذكر في لوحة من نوزي أيضاً (IISS, XIII, 165, 3) بين ١٥٨٠ - ١٥٧٠. وقد وصل نفوذ الميتانيين إلى حلب وقطنة وفلسطين حيث النفوذ المصري، ولكن دون التمكن من الوصول إلى الساحل السوري اللبناني. ويظن أن هذه الإمارات الميتانية المتفرقة

(1) E. Laroche le problème des Indo - Aryens occidentaux, CRAIBL., 22, 1979 3 - 11.

في سورية قد ساهمت فيما عرف بغزو الهكسوس لمصر. وكانت العناصر الكنعانية والأرية والعمورية تشكل أساس هذا الغزو حيث أن أسماءهم تدل على أصولهم الشامية[1].

٢ - سورية وادريمي:

تعد كتابات أو نقوش ادريمي على تمثاله المعروف أفضل مصدر عن تاريخ سورية والمشرق في زمن التوسع الميتاني. فقد كان ادريمي الابن الصغر لملك حلب إيم ــ إيما. ويظن أن الميتانيين قد دبروا انقلاباً ضده مما اضطره للهرب مع اخوته إلى ايمار على الفرات حيث تقيم عائلة أمه. ويذكر أنه عاش بين البدو السوتو وهم أموريون وفي بلاد كينانيم (Ki - in - a - nim - ki) أي كنعان. ويتقابل مع سكان من اصل حلبي وموكيش ونيا واسانو حيث يبايعونه. ويعيش لمدة سبعة أعوام بين البدو والخبيرو ويعسكر أخيراً قرب موكيش وجبل الأقرع شمالاً، حيث تفتح المدن أبوابها له، ما عدا حلب. ويعترف ملك الميتانيين برترنا بالواقع ويعقد معه معاهدة، حيث يرضى ادريمي بواقع سلطته في آلالاخ، وبالاعتراف بسلطة الميتانيين في حلب. ويوجه حملات متتالية ضد مدن الشمال الحثية (H. Klengel 636, 229). ويؤسس ادريمي ملكاً ونفوذاً لدى السوتيين، ويتجلى ذلك في عمارة قصره من المستوى الرابع في آلالاخ، ويخلفه ابنه أدد ــ نيراري وقد أعاد كل منهما عبادة الإله أدد/حدد الحلبي الشهير[2].

٣ - التوازن المصري الميتاني في سورية:

لم يذكر ادريمي السابق أية معلومات عن أعمال عسكرية مصرية، إلا أن العثور على نصب مصري يعود لعام ١٥٢٠ يؤكد وصول القوات المصرية إلى ضفة الفرات في سورية. فقد قام أحمس بتعقب الهكسوس وتلا ذلك حملة أمينوفيس الأول بحملة (١٥٥٠ ــ ١٥١٨). وتلاه تحوتمس الأول عام ١٥٢٦ الذي أعلن سيادة

(1) G. Dumezil, Dieux cassites et dieux vediques à propos d' un bronze du Louristan, RHA, II/52, 1950, 18 - 37.

(2) M. Dietrich, O. loretz, Die Inschrift der status des konigs Idrimi von Alalah, UF, 13, 1981, 201 - 268.

امبراطوريته من النوبة إلى الفرات السوري. ولكن فراعنة السلالة الثامنة عشر هؤلاء اضطروا للقيام بحملات تأديبية لإعادة التوازن في فلسطين وسورية، وخاصة ضد القبائل البدوية وهكذا فقد وصل تحوتمس الثاني ١٥١٠ ـ ١٤٩٠ إلى مدينة نيبا في منطقة نهارينا، ولم تتمكن الملكة حتسبشوت من القيام بحملات أخرى نتيجة الخلافات الداخلية على الملك فخلا الميدان للميتانيين في سورية وفلسطين. ولمع اسم ملكهم سوشاترا الذي جاء ذكره في معاهدة شوبيلوليوما الحثي وشتيوزا أنه سبأ عاصمة الأشوريين وحال دون نهوضهم من جديد، ونقل أملاكهم إلى عاصمته واشوكاني في الشمال السوري، كما خضعت آلالاخ بعد ادريمي لهيمنته. وهكذا فقد امتدت امبراطوريته من جبال زاجروس حتى البحر الأبيض المتوسط وضمت شمال سورية والساحل وجزءاً من جبال لبنان. بينما كانت خاتي وملوكها في صراع داخلي وتقهقر عن الأراضي السورية[1].

أما في مصر فقد اعتلى العرش تحوتمس الثالث بعد موت حتسبشوت في عام ١٤٦٨، وقام باثني عشر حملة عسكرية حتى وصل إلى أهدافه. وقد وجه ضرباته الأولى إلى ملك قادش الذي أقام تحالفاً ضده من ٣٣٠ أميراً سورياً وفلسطينياً ولبنانياً وقد هزم الحلف في أريحا، ثم تحصن ملك قادش في مدينته وبقي محاصراً سبعة أشهر. وقام تحوتمس الثالث بهجمات جانبية في لبنان وساحل سورية قبل تدمير قادش. واصطدم إثر ذلك مع الملك الميتاني مباشرة، فدحره في قطنة عام ١٤٥٩ ولاحق فلول الميتانيين حتى حلب وكركميش وعبر الفرات، وخضعت سورية وفراتها له، وتلقى تأييد وخضوع جميع أمرائها. واستطاع البابليون وكذلك الحثيون أن يتخلصوا أيضاً من الحكم الميتاني. ويُظن أن المصريين قد أجبروا الحثيين إثر

---

(١) ذكر ادريمي ابنه أدد نيراري على نصبه، ونعرف أن نقمبا هو ابنه من خلال ختم. ولكن من الصعب معرفة من خلفه مباشرة. ومن أجل المزيد عن أوضاع الأناضول والحثيين ن:
H. otten, Das hethitische konighaus in 15. Jar... wien, 1987. G.Wilhelm, OLZ, 86, 1991, 469-476...

انتصاراتهم على توقيع معاهدة سلم وصداقة بين الشعبين. ولكن الميتـــانيين عـــادوا للظهور حيث خلت المناطق من القوات المصرية. وخاصة شمال حلـــب. واضطـــر تحوتمس لإعادة احتلالها، في حين ظل الأشوريون والحثيون في الشـــمال مهددين بالخطر الميتاني. ولكن تحوتمس احتفظ بفلسطين ولبنان والأردن ومعظـــم منـــاطق سورية تحت سيطرته حتى موته عام ١٤٣٦ حيث صعد ابنه أمينوفس الثاني علـــى عرش مصر وواصل حملاته شمالاً إلى نيبا وأوجاريت وقام بزيارة قـــادش وأخـــذ الأسرى والرهائن من فلسطين. ولكن النفوذ الميتاني لم يزُل تماماً، وظلـــت مســـألة التوازن المصري الميتاني قائمة في سورية حتى عام ١٤٤٣ حيـــث بـــدأ التململ الحثي يتكشف عن قوة استطاعت هزيمة الميتانيين وفرض معاهدة عليهم في حلـــب، تحت حكم توداليا الثاني الحثي. ولكن المصريين شعروا بـــالتوازن الجديـــد فوثقـــوا صلتهم العائلية بالميتانيين عن طريق زواج تحوتمس الرابع من ابنه العاهل الميتـــاني أرتاتما عام ١٤٣٠ وعادت حلب إلى النفوذ الميتاني. ولكن الحثيين نهضوا من جديد إثر استلام شوبيلوليوما وتبنيه سياسة امبراطورية وتطويره أسلحة القتال الحوريـــة الجديدة وخاصة الخيول والعربات، وهنا يلحظ المؤرخون تحول النظام الحثي إلـــى نظام وسلالة حورية الأصل. ويبقى عرش ميتاني خاضعاً للتقلبات السياسية المصرية الحثية رغم صلة القرابة مع أمينوفس الرابع، وهذا ما تعكسه رسالة من محفوظـــات تل العمارنة المكتوبة بالأكادية ـــ السورية آنذاك (EA, 27, 28, 29). وعندما بلغت قوة الحثيين الجدد في عهد شوبيلوليوما أوجها نقش هذا الأخير أعماله قـــائلاً: «**لقـــد غزوت ضفة (الفرات) هذه وجعلت من لبنان حدودي**» (**n 1, 3 - 4; cf.EA, 35 - 39**). **كما كتب (يب أدّي حاكم جُبلا اللبنانية مخطراً الفرعون أن ملك ميتاني لم يتمكن من الوصول إلى جُبلا بسبب نقص المياه (EA, 85, 51 - 55). وهـــذا يعكـــس مـــدى سعادته، بأفول الخطر الميتاني.**

وقد تمكن الأمراء السوريون من تمتين أوضاعهم من خلال ضعف وتقهقر النفوذ الحثي والميتاني، وخاصة في مدن حلب وآلالاخ وأوجاريت، وتوجد مراسلات بين ملك هذه الأخيرة المدعو اميستمرو وابنه المدعو نقم ـ أدو والفرعون المصري (Ugaritica, III, 164) حيث تزوج أميرة مصرية (EA, 49; cf PRU, IV, 30) في ظل هذه الظروف السياسية الدولية في سورية، وتعود شخصية الأموريين أو العموريين للظهور من خلال بعض الوثائق، ويعد زعيمها الأكثر شهرة آنذاك هو عبدي ـ عشيرتا Abdi - Ashirta، حيث يصعد على المسرح السياسي السوري ـ الشامي من خلال خصومته مع حاكم جبيل اللبنانية المدعو ريب أدّى Rib - Addi الخاضع تماماً للنفوذ المصري، وتأتينا هذه المعلومات من خلال رسائل تل العمارنة حيث. يبدو عبدي عشيرتا لاعباً أدواراً عدة في سورية ولبنان وفلسطين، واستطاع أن يحصل على دعم الفرعون له كزعيم للأموريين (EA, 101, 30 - 31) ليحقق استقلاله الذاتي ويوسع رقعة ملكه شيئاً فشيئاً مع التظاهر بالتبعية للقوى المتنفذة مثل مصر، والاستفادة من لحظات الضعف لتنفيذ هذه السياسة التي اتسم بها أمراء سورية في عصر رسائل تل العمارنة. وكان هؤلاء الأمراء لا يتوانون عن الشكاية للفرعون من تزايد طموح بعضهم، وهذا ما نوه إليه حاكم جبيل محذراً الفرعون من عبدي عشيرتا وابنه أزيرو/حزيرو Aziru، ولم يتلق نجدة الفرعون كما يجب، ولذا فقد ذهب ية خصمه (EA, 85, 59 - 66). ويجب القول أن أمينوفس الرابع لم يكن ليصغي إلى واقع السياسة السورية وهو في خضم تبدلات دينية واسعة في بلده. وهذا ما أطلق يد عبدي ـ عشيرتا ضد الأمراء الضعفاء في فلسطين وسورية فقام بالاستيلاء على سومور Summur (EA, 83, 29; 67, 17; 91, 6) ثم اغتال امراء مثل ارقاتا Irqata أو أمبيا Ambia وشيجاتا Shigata وأدراتا/عدراتا (Ea, Adrata 74, 23, 75, 25) [1]. وحوصر ربب أدّي في مدينته جبيل منتظراً نجدة المصريين

(١) أدراتا. أو عدرة ذكرت أيضاً بصيغة أدرو في نصوص ماري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وهي بلا شك قرية عدرا الواقعة في غوطة دمشق شمالاً.

دونما جواب، وهكذا راح عبدي عشيرتا يحرض الأمراء الأموريين ضد المصريين مثيراً لديهم مشاعرهم القبلية، ومعاقباً من يتردد منهم بذلك (EA, 73). ويؤكد في بعض الرسائل (Ea, 76, 11-5; 104, 19-21) أنه: **«ملك ميتاني وملك بابل» وهذا ما جعلنا نفكر بوعيه السياسي كأموري وطموحه لإقامة دولة قوية تضم العراق** وسورية، ويتضح هذا، أكثر فأكثر في الرسالة (EA, 116, 67-71)حيث يقول: إن أولاده **«ملوك ميتاني وبابل وخاتي»** ولعل هذا يمثل واقع خضوع بلاد الشام آنذاك إلى هذه القوى بالإضافة إلى المصريين ومحاولة عبدي عشيرتا الذكية في الاستفادة من تصارع القوى الدولية بادئاً بالمناطق الساحلية اللبنانية والسورية في محاولة للاستفادة من انشغال شوبيلوليوما الحثي في صراع مع الميتانيين شمال سورية. حيث يرد في الرسالة (EA, 75) على لسان ريب أدّي الذي يخاطب فرعون مصر قائلاً: **أن ملك خاتي قد أوقع الهزيمة بملك بلاد الميتانيين. وهنا تبدأ مصر بالتحرك. وتصل قوة نجدة وعلى رأسها أمنابا** Amanappa **(EA, 73)** إلى جبيل لفك حصارها (EA, 79, 117, 23) في حين أن قرى أخرى في جبل لبنان تقع بين يدي عبدي عشيرتا مثل بيت أرخا Bit Arha. ولكن سومور ومدن أخرى تقع في أيدي المصريين وتغيب سيرة هذا السياسي المقامر عبدي عشيرتا بين تسارع الأحداث ونقص الوثائق والمعلومات بحيث يقتل ولا نعلم من الفاعل[1].

٤ - احتلال الحثيين لشمال سورية:

لم تؤد هزيمة تشراتا الميتاني إلى فرض سيطرة تامة على الأقاليم السورية. كما أن الحوريين في شمالها لم يتعرضوا للحرب. ولذا فقد تجمع عدد من الأمراء السوريين الميتانيين، وكذلك فإن تحركات عبدي عشيرتا قد أثارت ردود فعل المصريين. وكان من نتيجة ذلك ظهور حلف سوري جديد ضد الحثيين، حيث إن

---

(١) ن رسائل: EA, 79, 21; 83, 29; 19, 8; 87, 18; 88, 15, 90, 14. 106; 107; 112; 138, 31 - 33. EA, 101, 3 - 7.
الرسالة الأخيرة لا توضح من الفاعل.

شوبيلوليوما ذكر المدن التي انضمت إليه إثر حملته الموجهة أولاً ضد ثورة حلب ثم موكيش وآلالاخ ونيا وأرختو وقطنة وقادش حتى دمشق. وقد استنجد شروبخا أمير نوخشيه Nuhashe بالحثيين الذين تمكنوا من إلحاق اوجاريت وغرب الفرات بسلطتهم. وأسرع شوبيلوليوما باحتلال إسوا Isuwa شمالاً ثم واشوكاني عاصمة ميتاني، حيث غادر تشرانا عاصمته تاركاً إياها لنهب الحثيين. وعاد شوبيلوليوما لدجدة أوجاريت التي قاومت هجوم موكش ونوخشيه ونيا، وبعد مفاجأتهم من الخلف أعاد احتلال حلب وآلالاخ وأخضع نيا وأميرها تكوا Takuwa وأسر أخاه أكي تيشوب ومساقه إلى خاتي مع أكيا أمير أرختو ثم يأتي دور قطنة ونوخشيه، حيث حاول أدونيراري الحصول على مساعدة مصرية دون جدوى (EA, 51) فما كان منه إلا الهروب تاركاً ملكه لـ تكيب مشري في مدينة اوكولزات Ukulzat بدعم من الحثيين. وعندما وصل شوبيلوليوما على رأس حملة حتى غوطة دمشق التي كانت تدعى آنذاك أبينا Apina وكان قبل ذلك قد مرّ بقادش (كنزو Kinzu) وأسر ملكها شوتاترا ونفي مع ابنه أيتاجاما Aitagama. وعندما عاد نقمدو إلى آلالاخ ليرى ما يمكن الحصول عليه، كانت الشام من الفرات إلى لبنان تخضع لعرش شوبيلوليما، وقد قوبل وجود الحثيين على ضفاف العاصي والليطاني بتحركات أزيرو Aziru ابن وخليفة عبدي عشيرتا على عرش الأموريين، والذي أصبح سيد عدد من المدن الساحلية السورية واللبنانية والفلسطينية التي كانت تخضع للنفوذ المصري وخاصة جبيل وأوجاريت (EA, 98) وكذلك بيروت وصيدا وسومور (EA, 106, 18 -- 20; 114, 15 – 17). وهذا ما عزز موقع الأموريين ولم تدفعهم هزيمة التحالف السوري في الشمال أمام الحثيين للاستسلام أو التخلي عن مجال النفوذ المصري المكتسب. وهكذا فقد لعب أزيرو دور المراقب المتحفز من المحتلين الحثيين والمراوغة أمام طموح الفرعون. ولكنه أي أزيرو أعلن صراحة في رسالة للفرعون: «سبق وزرت

ملك خاتي!» (EA, 165, 29 – 30) ولعله تعاهد معه[1]. ولكن هذا الملك البدوي الجسور أزيرو لم يكن ليقدم ولاءه مقابل ثمن بخس. وكان يراهن على الانتظار، خاصة وأن الحثيين لم يتوقفوا عن القتال في المدن السورية.

كما أن تقلبات الأحداث في مناطق الأموريين أدت إلى أن يطلب أمينوفس الرابع من أزيرو زيارة مصر، حيث تؤرخ بعض رسائل تل العمارنة في هذه الفترة مثل (EA, 164 - 167) المرسلة من قبله إلى الفرعون وإلى موظف مصري كبير يدعى دودو Dudu حيث يشرح موقفه ويبرر عدم طاعته، وأن الحثيين هم الذين يهددون المصالح المصرية في الشام، وأن الأموريين وأمنهم يتطلب وجود المصريين. ولكن هذا لم يمنعه من المساهمة في نهب مدينة قطنة (EA, 55, 40 - 45) ومحاصرة سومور التي تستسلم له (EA, 132, 42 - 43; 149, 37 - 40). وصار موقف ريب أدي حرجاً في جبيل خشية حصار حثي متوقع (EA, 126, 37 - 38; 51; 58 - 60)، وهناك رسالة أخرى (EA, 59) تتحدث عن الاستيلاء على سومور وخشية أهل تونيب أن يعاملوا من قبل أزيرو مثل أهل نيا المهزومة. وهذا ما يدل على أن الحثيين قد تركوا المجال لتوسيع نفوذ أزيرو مما أقلق فرعون مصر أمينوفس الرابع الذي أرسل يطالبه بإعمار سومور المخربة والمجيء إلى مصر متهماً إياه باستقبال المبعوث الحثي، وليس المصري وعندما أجاب أزيرو على مخاوف الفرعون، تعذر بموقف ملك نوخشيه وأنه مستعد للمجيء وشرح الموقف، ووعد باستقبال المبعوث المصري في المستقبل، ولم يتحدث عن علاقته بالحثيين (EA, 156 - 161). وكان من تبعات هذا الواقع أي حصار سومور وتعيين أيتاجاما ملكاً (باواري Pawari) على قادش[2].وسعى أزيرو إلى التحالف مع صيدا وأرواد لمواجهة صور (EA, 149) وتقرب من أتياجاما بهدف إخضاع الممالك المجاورة.

---

(١) معاهدة أزيرو MTO, 7, 358 = I, 18 لعلها تمت بعد لقاءات عدة.

(2) W.F. Albright, JNES, 5, 1946, 19; kitchen, 860, 14, I; EA, 149, 30.

هذا ونجد شكاوي ضد أيتاجاما وأزيرو في رسائل اكيزي Akizzi، وهو مؤيد للتحالف مع المصريين وصعد على عرش قطنة بعد استيلاء شوبيلوليوما عليها. وقد سعى أيتاجاما لإدخاله في تحالف ضد المصريين (EA, 53). وقد أفلحت مساعيه لدى تواتي Tewatti حاكم لوبانا Lupana وأرزاويا حاكم روخيزي Ruhizzi (EA, 53, 35; 54, 26; 56, 23). وهاجم أيتاجاما مدينة قطنة (Ea, 53, 8; 174 - 176) بدعم من الحثيين؛ ثم توجه ضد بيرياوزا Biriyawaza حاكم دمشق[1].

كما بدأ أمراء صغار من الكنعانيين بالتحرك حيث تذكر نصوص تل العمارنة شخصية لابايا Labaya حاكم سيشم Sichem وآخر يدعي ملكيلي Milkili حاكم جزر Gezer، حيث يسعيان لمد نفوذهما على حساب جيرانهما. وهناك حاكم حبرون المدعو شواردا تا Shuwardatta وعبدي ــ خبا Adi - Hepa حاكم القدس. كما ذكرت النصوص إياها جماعة البدو الفلسطينيين من الخبيرو الذين أغاروا على جزير وعسقلان Ascalan انطلاقاً من لاكيش Lakish. وذكر اسم أدايا Addaya حاكم كنعان أنه يعاني من المصاعب، وتفجرت الاضطرابات في جبيل اللبنانية حيث أن جماعة من الأعيان رغبت الإنضمام إلى أزيرو (Ea, 138). وقد طرد ريب أدي الذي صار مسناً ومريضاً من قبل أخيه من المدينة، والتجأ إلى بيروت حيث كان أمونيرا Ammunira قد خلف إباباخ ــ أدو، خصم ريب أدو ومن ثم قرر الاستسلام وسلمه للصيداويين حيث اختفى وكان من نتائج هذا الأمر أي استيلاء أزيرو على جبيل وطرد ريب أدو، أن استاء الفرعون فوجه له إنذاراً طالباً منه القدوم إلى مصر فوراً أو إرسال ابنه (EA, 162). ولم يستطيع أزيرو إلا أن يرضخ لذلك، وقد أوكل الإدارة إلى ابنه وأخوته في ظل ظروف دولية مناسبة، فذهب وهناك بعض الرسائل التي تؤرخ زمن الزيارة هذه، وتكشف عن أن الحثيين شرعوا بعمليات عسكرية جنوب سورية ذات علاقة بـ أيتاجاما (EA, 174 - 176). كما أن قائداً يدعى لوباكي Lupakki قد احتل

---

(1) Trureau - Dangin, RA, 37, 1941, 171; RA, 53; 151.

بعض المدن في العمق والبقاع كما أن زيدا Zida شقيق شوبيلوليوما كان معسكراً في نوخشيه (EA, 170). ومن المحتمل أن أزيرو قد أمر إخوته سراً بدعم أيتاجاما، كما اتهم في الرسالة (EA, 140). وتبين أن جميع التهم كانت باطلة. وكان دودو مدافعاً عنه (EA, 169, 16). ولعل إطالة إقامته في مصر قد كانت بسبب مصاعب مصرية داخلية زمن صعود توت عنخ أمون 1350 على العرش. ولكنه أي أزيرو نجح في العودة إلى بلاده أمورو/عمورو دون معرفة التفاصيل، وعمد إلى تسوية خلاف بين اخيه بعليا Ba'aluya وأوجاريت، حول أرض في سيانو siyannu قرب جبلة السورية. وتم إعلان اتفاق يتخلى بموجبه ملك الأموريين عن مطالبه، مقابل ٥٠٠٠ مثقال من الفضة (حوالي ٤٥ كغ) ونجدة عسكرية لـ نقمدو عند اللزوم. وتظهر هذه المعاهدة الموقف القوي لأزيرو وضعف ملك أوجاريت ودفعه ثمناً باهظاً مقابل تخلي أزيرو عن سيانو (M. Liverani 1009, 152). إلا أن أزيرو كان مجبراً على تقديم الولاء لملك الحثيين شوبيلوليوما حتى نهاية حياته، رغم كل الثورات التي حدثت.

لقد أفل نجم القوة الميتانية في سورية أمام الحروب التي لم يتوقف الحثيون عن شنها، والتي صنفها الباحثون بالأولى ومثلت البدايات، والثانية حروب ضد الثورات السورية والثالثة والأخيرة بسبب تدخل المصريين في قادش ومحاولتهم بعد هزائمهم المتكررة مهاجمة الحثيين في كركميش/جرابلس. أما الحوريون فقد تولى تلبينو Telebinu ابن شوبيلوليوما إعادة الأمور إلى طبيعتها أمام محاولاتهم مهاجمة كركميش وأرزيا Arziya، وترك لقائده لوباكي اتمام المهمة، حيث عاد هو إلى عمله في كومانا Comana. إلا أن الثورات تفاقمت في سورية، ولذا فقد قرر شوبيلوليوما التدخل بنفسه، وتمكن من الوصول إلى سهل العمق وإبعاد المصريين، ومن ثم عاد إلى كركميش لمهاجمتها حيث تلقى خبر وفاة أمينوفيس الرابع، وقد بعثت أرملته بطلب يد أحد أبناء شوبيلوليوما، فكانت الفرصة مناسبة كي يتبوأ أحد أبنائه عرش مصر، إلا أنه تردد في الأمر، خشية مؤامرة، فأرسل أحد المندوبين لتقصي الوضع، ولكنه لم يتوقف عن هجومه ضد كركميش حتى أخذها. وبعد قرابة عام عاد المبعوث، حاملاً معه

استهجان الملكة المصرية لتلكؤ شوبيلوليوما أمام طلبها الزواج من ابنه. فرضخ هذه المرة وأرسل ابنه زانازا Zannanza، الذي لم يتمكن من الوصول إلى مصر، وقتل في الطريق بتحريض من آي Ai الذي يبرر عمله بالزواج من أرملة أمينوفس؛ فرد شوبيلوليونا بهجوم آخر على سهل العمق، ولكن الطاعون فتك بالحثيين لسنوات عدة وفسروا ذلك بغضب الآلهة منهم بسبب إخلالهم بمعاهدة مع المصريين[1]. وعمد شوبيلوليونا إلى إعادة تنظيم حكم شمال سورية، فوضع ابنه تليبينو ملكاً على حلب وآخر في كركميش. وعاد هو إلى الأناضول لتسوية بعض الأوضاع الداخلية، ولكنه يفاجأ بوصول ابن تشراتا مطروداً من ميتاني وطالباً اللجوء إليه بعد مقتل أبيه، وتحول عرش واشوكاني إلى أرتاما وهو نصير للحثيين، وخسر بعض الأراضي أمام صعود قوة أشور زمن أشوراوبااليت Assurubalit، حيث تمكن من استعادة الأبواب الفضية والمذهبة التي سبق أن استولى عليها سوستاتار Soustatar الميتاني. وازداد التمزق الداخلي لمملكة ميتاني بعد لجوء بعض الأمراء الحوريين إلى بابل حيث لم يلقوا الاستقبال المناسب. ومن غير المعلوم إذا كان بينهم شاتووزا ابن توشراتا، الذي ظهر فيما بعد لاجئاً لدى شوبيلوليوما كما أسلفنا، وقدم ابنته كزوجة، ووعده باستعادة عرش أبيه في واشوكاني[2]. وعقد معاهدة مع شوبيلوليوما.

ثم قاد شاتيوزا حملة بإذن هذا الأخير كي يستعيد عرشه من شوترنا فاحتل إرّت وحران والعاصمة واشوكاني ولكن صدت الحملة وتوقفت قرب الخابور في شمال سورية بالتعاون بين شوترنا والآشوريين، وتحولت ميتاني إلى مملكتين لكل من ملكيها المتنازعين. وبقيت خاتي سيدة الموقف في الأناضول وسورية خاصة رغم فشل محاولة شوبيلوليوما بإيصال حملة ضد مصر بقيادة ابنه. وقد حل الضعف في دولته بسبب أعبائها الإدارية والثورات التي لم تتوقف في سورية. ولذا كان الموقف يتطلب شخصية قوية ومحكمة، وقد توفر ذلك في مورشيلي الثاني Murshili حفيد شوبيلوليوما

---

(1) P. Garelli proche - Orient, P. 164..

(٢) نفس المرجع السابق ص165.

الذي توفي جراء الطاعون عام ١٣٤٢. ولكن آشور اوباليط استفاد من الوضع ودفع بقواته حتى كركميش دون أن يتجاوز الفرات بسبب مواجهة الحثيين، وكذلك فإن أدو نيراري الأول قد هاجم جماعة سوبارو في ميتاني (A. Hark, 718, 56) وتركزت جهود مورشيللي على مدينة ارزاوا الواقعة على طريق كيليكية Cilicie حيث ذكر أسماء مدن للمرة الأولى في التاريخ مثل ميلاوندا أي Milletos أو RGTC 611, 288; 612, 104 Milet ويقيم معاهدة مع الأخيا Ahhiyawa أو الأخيين على الأغلب حيث يرد ذكرهم لأول مرة قبل رواية الأليادة.

ودفع مورشيلي بحملة ضد جاسكا Gasga وثورات أخرى في سورية بقيادة أخيه شاري كوشو وخاصة في مدينتي نوخشيه وكيزاء، وكان ذلك بتحريض من فرعون مصر حورم حب، وبعد فشله وموته أي شاري كوشو عمد مورشيلي إلى تجميع صفوفه والعودة إلى الفرات لمواجهة الآشوريين. واستعاد بعض السيطرة على سورية من جديد فاستولى على كركميش وحلب[1]، وجدد معاهدة مع أوجاريت لمصلحة ملكها نقمبا جرباً على عادة والده نقمدو في مجاراة الحثيين. وهكذا تمكن مورشيلي من السيطرة على جميع المدن السورية وأقام فيها سلالات حاكمة من أقربائه وارتبطت مباشرة به. إلا أن أوضاع آشور على الفرات ظلت خطراً يهدد الحثيين، بينما تمكن أزيرو من تأمين خلافة ابنه دوتيشوب DU-Teshub وحفيده توبسي تيشوب. ولكن مورشيلي تمكن من الهيمنة على سيانو وكركميش وأوجاريت ونوخشه مانعاً إياها من تبادل العون أو تبديل التحالف بينها.

وكان الاشوريون في شمال سورية والعراق زمن اداليل ناراري ١٣٢٧ ــ ١٣١٨ وأريك دين ايلي ١٣١٧ ــ ١٣٠٦ منشغلين بصراعات متعددة ضد بابل وسكان جبال زاجروس وأخيراً ضد الغزو الأرامي الجديد وتسربهم إلى مراكز السلطة في سورية والعراق وقضائهم على الهيمنة الحثية في شمال سورية. وقد استغل

---

(١) المرجع السابق ص171.

مورشيلي انشغال الآشوريين بذلك لمد نفوذه إلى ميتاني من جديد دون أن يتمكن من السيطرة على منطقة النهرين Nahrain (بين الخابور والبليخ) المذكورة في الرواية المصرية عن معركة قادش، حيث تذكر أيضاً ممالك كركميش وحلب ونوخشه وكنزا[1]. وقد بدأ التمزق الداخلي يفعل فعله في البلاط الحثي، وبرز دور الملكة الأم تواناا Tawanamna ذات الأصل البابلي في أحداث العائلة الملكية الحثية. وأصاب البلاد موجة من الطاعون، وهكذا فإن بعض النجاحات السياسية الحثية في سورية لم تحد من استفحال ذلك التمزق الداخلي[2].

ولكن خلفاء مورشيلي الثاني من أبنائه موتالي وحاتوشيلي الثالث قد تمكنا من إعادة ترتيب بلاد خاتي الداخلية وخاصة بعد انتصاره على أعدائه في الشمال في مدينة بيشورو Pishuru في معارك طاحنة كانت العربات قد احتلت حيزاً كبيراً فيها. كما أعاد احتلال أرزوا غرباً لكي يتفرغ للأوضاع الخطرة في سورية حيث بدا الخطر المصري ضاغطاً ومقلقاً بالنسبة للملك موتالي وأخيه الصاعد حاتوشيلي الثالث.

لقد سعى فراعنة السلالة التاسعة للسيطرة على سورية، فمنذ عهد سيتي الأول Sethi أقام المصريون تحالفات مع الأمراء السوريين من الكنعانيين في فلسطين وقادش قرب حمص وهي في قلب بلاد الأموريين والتي كانت تدور في فلك الهيمنة الحثية عادة منذ حملات شوبيلوليوما. وبعد صعود رمسيس الثاني في عام ١٢٩٠ تعرض الأموريون/العموريون إلى ضغوط شديدة واضطر ملكهم بنتشينا Benteshina للإنضمام إلى الحلف المصري. وهنا أدرك الملك الحثي موتالي الخطر، وقام بالاستعداد لمواجهة الفرعون الذي راح يتجول في أرجاء الساحل السوري واللبناني والفلسطيني، في عام ١٢٩٥، وقد وصفت المصادر المصرية تركيب الجيش الحثي حيث كان يضم قواتاً تمثل مناطق الأناضول وخاصة ميتاني وأرزوا ثم مناطق سورية،

---

(1) A. Harrak 718, P. 89 - 93.

(2) S. Bin - Nun, The Tawanama in the H. Hittite kingdom, TH, 5, Heidelberg, 1975.

حيث انضمت إلى الحلف الحثي كل من كيزوانتا وأوجاريت وكركميش وحلب ونوخشه وكيلزا وبلغ الجمع ٣٥٠٠٠ مقاتل بمندهم ٣٥٠٠ عربة قتال[1]. والتقت القوات الحثية والمصرية قرب قادش إلا أن المصريين لم يكونوا على علم مسبق بتحركات الحثيين، معتقدين أنهم ما زالوا بعيدين قرب حلب، فكانت مفاجأة لهم أن يظهروا في قادش، واستطاعوا تدمير الطوابير الأولى من قوات الفراعنة بفضل سرعة تحرك عرباتهم ولكن الفرعون استطاع انقاذ الموقف بمواجهة مستمرة وإقامة الصلة مع الطوابير المتأخرة، واستطاع دفع الحثيين خلف العاصي، حيث عمدوا إلى نهب معسكر المصريين. ولكن رمسيس لم يتمكن من التقدم أكثر بسبب إنهاك قواته، وقام بالتراجع عائداً إلى فلسطين ومصر حيث تعقبه الحثيون حتى منطقة دمشق الخاضعة للنفوذ المصري، وعادت بلاد الأموريين إلى حضن الحثيين، وأصبح موقف ملكها بنتيشينا في حالة «موت» كما يصف ذلك بنفسه حيث يؤمر وينفى إلى خاتي ويقلد حاتوشيلي شقيقه ملكاً جديداً. وتجمع الأموريون من جديد بحيث لم يفقدوا موقعهم السياسي تجاه الحثيين، وخاصة بعد عودة رمسيس للإغارة عن مناطق الحثيين في قادش وتونيب ونهر الكلب. ورغم هذا فقد ظلت معظم مناطق سورية بيد موتاوالي الذي جدد معاهدة مع ملك حلب تلمي شروما. من جهة أخرى بدأ نجم الأشوريين يسطع من جديد في شمال سورية إثر معركة قادش التي انهكت الطرفين المصري والحثي على حد سواء، مما جعل آشور قوة جديدة زمن أدد نيراري الأول الذي أجبر شاتووارا في هاني جلبات (ميتاني) على دفع الجزية وإثر ذلك خرجت ميتاني من يد الحثيين[2].

ولم يمض وقت طويل حتى عادت الثورات في الشمال ضد الملك موتالي وأخيه حاتوشيلي. كما أن المنية أدركت الملك في حوالي عام ١٢٨٠. وعاد الملك للأخ أي

---

(1) Jirku, Gesechichte Palestina Syriens in Orientalischen Allertum, Alen, 1963.

(2) E.F. Weinder, Politische Dokumente aus kleinasien Boghazkoy - Studien, 8 - 9, Leipzig, 1923.

حاتوشيلي بعد الوريث الشرعي أورخي تيشوب ابن الأول إثر صدامات سببها غياب هذا الأخير. وأصبحت خاتي بين يدي القائد المحنك حاتوشيلي (الثالث) عام ١٢٧٥. وبقي الموقف الدولي من جهة أخرى، متوتراً مع مصر وآشور. حيث إن أعمال هذه الأخيرة انتهت بضم ميتاني إلى مملكتها، ووجد حاتوشيلي نفسه أمام الأمر الواقع بين آشور ومصر، فراح يسعى لمحالفة الكاشيين من خلال ملكها كدشمان ترجو. ولكن دون أثر واضح على سياسة الآشوريين وقوتهم الصاعدة، ونتعرف على ذلك من خلال بعض الأفكار في رسائل متبادلة بين حاتوشيلي وأدنيراري حيث يخاطب هذا الأخير قائلاً: لماذا نتحدث عن الأخوة! هل ولدنا، أنا وأنت من أم واحدة؟ وهكذا كان واضحاً أن المنفذ الوحيد للملك الحثي حاتوشيلي هو السعي لإقامة سلم مع مصر ذات الكلمة الفصل في فلسطين وجنوب سورية والساحل اللبناني. وتم له ذلك بتوقيع معاهدة بين العرشين الحثي والمصري عام ١٢٧٠. وقد عرف نصها من خلال نقشها في معبد أمون في الكرنك باللغة المصرية وبالأكادية على لوح بين أنقاض العاصمة خاتي حيث يتعهد الطرفان بالسلام والدفاع المشترك، والحرص على انتقال وراثة العرش شرعياً، ودون تحديد مناطق نفوذ الطرفين، ولكن يبدو أن المعاهدة تعترف بالأمر الواقع ضمناً ألا وهو كون منطقة دمشق وجبيل تابعة للنفوذ المصري في حين أن قادش وبلاد أمورو تحت السيطرة الحثية. وهكذا بدا أن هذا التحالف بين القوتين الدوليتين آنذاك سيدوم طويلاً في سورية. ولكن السياسة الدولية في تبدل دائم، ولهذا سنرى أن المصريين يبنون علاقات خاصة مع بابل (الكاشية) مما سبب القلق للملك الحثي، خاصة أن وزير العاهل الكاشي لا يرغب بتوثيق الصلات مع هذا الأخير، رغم وجود معاهدة بين الطرفين ظلت قائمة حتى عام ١٢٦٣[1]. ويبدو أن السفير المصري في

(1)P. Garelli Proche-Orient P. 181. K.A.Kitchen, suppiluliuma and the Amarna pharaos, liverpool, 1962, P. Houwink Ten cate, Bi or., 20, 1963, 270 - 276. E. Laroche, suppiluliuma II, RA, 47, 1953, 70 - 78

بابل كان يلعب دوراً خاصاً قد زاد في شكوك الحثيين بجدية احترام المصريين لمعاهدة ١٢٧٠. وبدأ يظهر في الساحة السورية من جهة أخرى قوة جديدة وهم الآراميون وفرعهم من الأحلامو وهو بداية التهديد للوجود الحثي في سورية. في حين استطاع حاتوشيلي اتباع سياسة تحالف مع بابل لطرد الآشوريين من هاني جلبات أي ميتاني إلا أن صعود شلمنصر الأول على عرش آشور بعد أدد نيراري ١٢٧٣ وقتاله على جبهتي أورارتو ومصر (Musri)، قد وضع آشور في مقدمة أحداث الساحة الدولية، وخاصة بعد استعادتها شرق الفرات إثر نصر ساحق على الحوريين. ولهذا سارع حاتوشيلي للتأكد من إخلاص مصر له فزوج ابنته للفرعون رمسيس الثاني عام ١٢٧١ وقام بتقوية صلاته مع ملك الأموريين بحيث أن معظم سورية كان تابعاً له. وقد أدركه الموت عام ١٢٦٠ وخلفه على عرش خاتي ابنه تودخاليا الرابع Tudhaliya. وظل السلام في سورية قائماً على توازن القوى الثلاثة أي مصر وخاتي وآشور. ومع صعود توكلتي نينورتا الأول عرش هذه الأخيرة، بدا السلام أكثر وضوحاً مع الحثيين، ولكن لفترة مؤقتة حيث أحس الآشوريون بقوتهم فاحتلوا ديار بكر في شمال سورية التي تعتبر معقلاً للحثيين. وبذلك أعلنت حالة العداء بين الطرفين وراح تودخاليا يوطد علاقاته مع ملك الأموريين طالباً منه عدم المتاجرة مع الآشوريين وطردهم من سورية. ولكن واجه الحثيون قلاقل من جهة الغرب في أرزاوا وكان الآخيون الذين يظهرون لأول مرة في غرب الأناضول قد حجّموا نفوذ الحثيين[1]. وكان للاكتشافات الأثرية في الأناضول عام ١٩٩٦ أثر كبير في فهم أوضاعها وقيام إمارات آخية اعترف بها الحثيون رغم امتداد نفوذهم حتى الآشيا أي قبرص. وكان إيذاناً بأفول الأمبراطورية الحثية التي بنيت على نموذج سابقيها السومرية والأكادية في سورية والعراق ومصر.

(1) H.G. Guterbock, The Ahhiyawa problem reconsidered, AJA, 87, 1983, 133 - 138; Hittites and Akhaeans: A new look, (PAPS)v. 128, 1984, 114 - 122.

٥ - ديانة الحثيين وإدارتهم:

لقد كان الملوك يمثلون الإرادة الإلهية، ويتمتعون بسلطات مطلقة لا حدود لهـا، وهم خارج أي نقد أو معارضة. وكانت وظيفة الملك الدينية تملأ حياته وعمله اليومي على حساب بقية الوظائف عند الضرورة. وقد كانت سياسة الدولة الحثية في سـورية والبلاد المجاورة تقوم على التبعية من خلال حكام محليين كما هـي الحـال بالنسـبة للأموريين وأوجاريت أو أمراء ونواب ملوك من العائلة المالكة في مدن مهمـة مثـل كركميش وحلب. وكان نظام التبعية والولاية والحماية يستند علـى كتابـة معـاهدات مباشرة بين الملك الحثي والحكام حتى في البلاد الحثية. ولكن نقص الوثائق الاقتصادية يمنعنا من فهم كيفية تطبيق نظام الضريبة والتبعية والموقف الاجتماعي للفـرد، إلا أن مظاهر العبودية لم تكن مختلفة كثيراً عما كان عليه الحال في بقية الدول السالفة.

وقد بدأ الحثيون بالتعرف على الديانة السورية العراقية من خلال أقرب مدينـة لهم وهي حلب حيث كان إلهها أدد أو تيشوب إله الإمبراطورية الحثية الرئيـس فـي حاتوشا، بالإضافة إلى آلهة الحثيين القديمة. وقد اشتهر الحثيون ببنـاء المعـابد فـي عاصمتهم ولا شك أن مخططات المعابد السورية القديمة كانت تمثـل الأسـاس فـي عمارتها، وقد تجلى هذا من خلال حفائر مدينة مسكنة ـ ايمار Emar قرب سد الطبقة على الفرات في سورية، والتي تعد الميناء النهري لمدينة حلب حيث كشف المنقبـون عن أعداد مهمة من النصوص الدينية الأكادية بمعظمها وتؤرخ في فترة الهيمنة الحثيـة وتمثل تطور الديانة السورية آنذاك[1].

٦ - آشور وبدو السوتو:

تصاعد نجم الأشوريين في شمال سورية والعراق زمن حكـم أشـوراوباليط Assur-Uballit وظهرت قوتهم أمام بابل ومصر في عهـد أدد نـيراري ١٣٠٥ - ١٢٧٤ الذي تحدث عن عهد أبيه قائلاً: إنه أخضع بلاد (مصري) Musri وسـوبار

(١) المرجع السابق.

Subaru وهي بلاد ميتاني وأورارتو غالباً وليست مصر الفرعونية. ولكن آشور أوبالیت أقام علاقات تجارية ودبلوماسية مع فرعون مصر أمينوفيس الرابع (EA, 16) مما أثار حفيظة بابل الخاضعة لسلالة كاشية. وكان على بابل أن تواجه البدو السوتو المتسربين من بادية الشام الذين يتحكمون بطرق المواصلات ويقومون بأعمال السطو، ويزعجون نظام الدولتين البابلية والآشورية. فعمد هؤلاء إلى تسليط هجمات مفاجئة ومدمرة لبدو الشام. إلا أن هذه الظاهرة لم تكن الأولى ولا الأخيرة في تاريخ البادية الشامية التي كانت دائماً مصدر تسرب السكان البدو المجددين للسلالات الحاكمة في سورية والعراق القديمين. وكان من نتائج هذا الواقع السياسي الجديد أن استطاع آشور اوباليط إيقاف تسربهم لحين، وتمكن من الاستيلاء على عرش بابل وتنصيب تابع له. ولكن الحرب ظلت دائرة منذ عام ١٣٢٨ بين بابل وآشور رغم النجاحات والانتصارات التي حققها آشور اوباليط سابقاً. ودارت معارك عن نهر دجلة وأربيل لم يعرف شيء واضح عن نتائجها لدى الطرفين. ولكن المعارك بين آشور وبابل قد أدخلت الطرف الايراني والكردي وأبعدت إلى حين مسرح المعارك عن الشام وباديها حتى عهد شلمنصر الأول ١٢٧٣ - ١٢٤٤. وبعد ذلك اعتلى عرش آشور توكلتي نينورتا الأول ١٢٤٣ الذي جعل من حروبه تجارة لجلب المواد الأولية من الأناضول وجمع الضرائب. ولكن لم يستطع السيطرة على السوق السورية بسبب الوجود الحثي إلا بعد معارك ضارية ضد بابل حيث تمكن من ماري ورابيقوم وخانا على الفرات الأوسط وبعض المواقع الآرامية في الشامية، وأعلن بعدها أنه صار سيد البلاد من سومر إلى أكاد، ولكنه وللأسف قتل على يد ابنه آشور ندين أبلي كنتيجة للحروب والوضع الأشوري الداخلي عام ١٢٠٦ وبقيت أشور وبابل في حالة نزاع وتمزق. ثم ظهر خطر خارجي جديد قادم من جهة البحر الأبيض المتوسط وهو ما سيبدل الأوضاع في الشام أي سورية ولبنان وفلسطين وكذلك في العراق والأناضول حتى مصر[1].

(1) P. Garelli, Proche - Orient, 2, 83-84

٧ - تطور المجتمع:

لم يكن الأراميون الذين بدأوا يظهرون على المسرح السياسي السوري اللبناني الفلسطيني سوى الورثة الطبيعيين للعموريين الذين بنوا دولتسي أشور وبابل ودول سورية. ولم يتميز الآشوريون وحدهم ببناء دولة قائمة على الحرب والتوسع. فلعل الضغط الأرامي وضغط شعوب الأناضول وزاجروس كان المحرض الأساس لبناء آلة الحرب الأشورية. وقد كانت الإدارة الملكية وإدارة الأقاليم لا يختلفان كثيراً عما كان عليه الأمر أيام زمري ليم ومملكته في ماري وشمشي أدد في شوباط انليل في أعالي الجزيرة السورية. ولكن هناك أسماء مناصب إدارية مستعارة من الحورية مثل خاسوخلو ويعادل بالأشورية بعل/بيل باخيتي وهو أمير منطقة، وهناك لقب سومري قديم وهو سوكالو القريب من منصب وزير، وتذكر نصوص آشورية أن بيل باخيتي مسؤول عن تشغيل الأسرى الكاشيين في الأعمال الزراعية على نهر الخابور قرب الحسكة وهناك منصب قيفو qipu الذي يدير أعمال الملك مباشرة. وهناك وظائف أخرى مثل شكين تيمي وخزنو/الخازن. وكانت أراضي سورية الشمالية التابعة لأشور منسمة إلى ثلاثة أقسام وهي أراضي العرش وأملاك خاصة وأملاك الحاشية المعترف بها وكان القصر والقصور الريفية عبارة عن مشاريع زراعية ومستودعات للمواد الأولية المعادن. ويقوم الملك على رأس الإدارة والمجتمع الذي يمكن توزيعه على ثلاثة أقسام هي الطبقة المالكة العليا الارستقراطية وطبقة الموشيكينوم أو خوبشو وهي الطبقة الشعبية التي ذكرتها نصوص العراق والشام على حد سواء أي في بابل وآشور وتل الحريري ماري ورأس شمرا أوجاريت وآلالاخ وأخيراً نل العمارنة وهي تعني الفلاح أو المهني العادي. ومن المؤسف أنه لا توجد وثائق كافية لمعرفة المزيد عن هذه الطبقة.

أما واقع الأسرة والمرأة فهو قائم على عقد زواج يمتلك فيه الزوج حقوقاً أفضل وخاصة استعادة المهر في بعض الحالات، أما تعدد الزوجات فهو أمر معروف ولكن يبقى للزوجة الأولى معظم الامتيازات وللبقية وضع السابات أسيرتو (Esirtu) وتتميز

المرأة الزوجة عن غيرها بوضع الغطاء، وكانت عقوبة الموت لخيانة الزوجة أو الاجهاض والاغتصاب. فالاتجاه القانوني والعرف قاسٍ جداً في عقوباته، وكأن المجتمع ثكنة عسكرية. ويتوضح هذا في حالات الحرب حيث تقطع الرؤوس وتفقأ العيون ويباد السكان المعارضون وكله باسم الملك والإله. ولا يتميز عهد أو ملك عن عهد أو ملك آخر ولا شعب من عرق دون شعب من عرق آخر في ممارسة هذه الأعمال الحربية القاسية. فالآراميون مارسوها كبدو ومارسها الأشوريون ضدهم في سورية وفلسطين والعراق. وقد عبر أدب رأس شمرا من خلال الربة عناة والثوراة فيما بعد عن رغبة الآلهة في الانتقام في الحروب وارتكاب أعمال التشنيع. وقد كان الحثيون بين أوائل ممارسي سياسة نقل السكان واقتلاعهم من أرضهم. وهكذا لا نستطيع الكلام عن قادة أو إجرام خاص بالاشوريين أو الآراميين أو غيرهم. والحق أن كل شعب أو جيش له صفاته الحربية وجرائمه الخاصة. وكانت الشام مليئة بحروب الدول وحروب البدو وجميعها تتصف بالقساوة والعنف ولا رحمة لمغلوب أو معارض. وكل هذا يعبر عن عقيدة اجتماعية ودينية تهدف إلى الهيمنة على كل شيء بل على كل الكون، فالعقيدة الإلهية هي عقيدة كونية وعلى الإنسان أن يتبعها بقوة سلاح الملوك والكهان والأنبياء، فآشور هو إله حرب أساساً وكذلك مردوخ، وكذلك دجن، بل قلّ وجود إله لم تكن الحرب والقوة من صفاته الأولى المقدسة. وبذلك يمكن القول أن الآلهة قل أن تهب الحب مجاناً فحبها مشروط بطاعة مطلقة للإله والملك، فالحب المجاني لم يعرف ولن يعرف على ما يبدو في تاريخ البشرية؟!

إن أعياد وطقوس بابل وآشور وهي بابلية الأصل وسومرية أصلاً قد بلغت أوجها زمن حمورابي إلا أن هذه الأعياد كانت تمارس في الشام وحواضرها، كما تدل وثائق أوجاريت وماري، وآلالاخ، كما أن الملاحم الأدبية العراقية كانت معروفة في أوساط رجال الدين الشاميين. فقد كان دجن وأدد من الآلهة الأكثر شعبية في معابد الشام إلا أن (إيل) وانليل وانكي يأتون على رأس المجمع الديني، وهم من أصل

سومري وقد ورثها الساميون عن أبائهم الأكاديين مباشرة. إلا أن مأثرة أشور وبابل أنهما جمعتا وكتبتا الأدب الملحمي والأسطوري منذ عهد تجلات بلاصر الأول حتى عصر سرجون الثاني وهانيبال[1].

٨ - غزو شعوب البحر:

كان زوال الدولة الحثية مفاجئاً وعاصفاً سواء كان في سورية أو في الأناضول. فقد كانت الشعوب الأوروبية المتمركزة في غرب الأناضول من آخيين وأرزاويين ولوسيين متحدين جميعهم ضد حاتوشا وكان بعضهم يحاول الدخول إلى مصر. وقد نجح الفرعون مرن بتاح بصدهم وأرسل إعانة من القمح لدعم الحثيين ضد العدو المشترك من غزاة الغرب الجند وكانت انتصاراته في فلسطين قد سجلت في سنة حكمه الخامسة في حوالي ١٢٣٠. وكانت اوجاريت في عهد ملك يدعى حمورابي إمارة تابعة للحثيين وكذلك فإن قبرص وكيليكيا كانت ما تزال في أيديهم، وبعد محاولاتهم عبور الفرات نحو آشور فإن أخبارهم وكذلك امبراطوريتهم تغيب فجأة وإلى الأبد، ودون سبب أو دليل مباشر، إلا أن المصادر المصرية تذكر «شعوب البحر» الذين يهاجمون دلتا النيل وينجح رمسيس الثالث في احتوائهم بصعوبة عام ١١٩٠ وكانت أسماء بعض هؤلاء الجماعات المذكورة متطابقة مع المصادر الأحدث وكذلك كتابات مرن بتاح، وبصورة خاصة اسم شردان Shardane والآخيين Aqayawas ودنونا Danuna وهم من شمال كيليكيا والفلست Philistuis الفلسطينيين القادمين من جزيرة كريت. وهكذا بدا الساحل السوري اللبناني والفلسطيني في وضع غليان وبركان. وكان الغزو الأوروبي الشمالي الدوري Dorie قد غطى مناطق بحر ايجه. ولا تبدو آثار مباشرة على دور هؤلاء في اختفاء الدولة الحثية إلا أن وجودهم في الشام ومصر وخاصة المناطق الساحلية أمر مؤكد. ولعل الغزاة الأوروبيين من

(1) C, J. Gadd, CAH, II/VII, 23.
W. von Soden, Iraq, 25, 1963, 137.

الفريجيين القادمين من تراس Thrace والذين عرفوا في وثائق الآشوريين بـ: موشكي Mushki وهم موشوا Mochoi الذين ذكرهم هيرودوت. ونجد بعض آثار جماعات جاسجا Gasga على ضفاف الفرات. ولكن بعض إمارات المدن الحثية استمرت في العيش في الشمال السوري وجبال طوروس. وكانت أكثر المراكز السورية تضرراً من جراء الغزو الأوروبي هي مناطق كيليكية وأوجاريت وكركميش وأمورو/عمور وكذلك قبرص وفلسطين حيث تتوفر بعض التفاصيل والأدلة، إذ ترك هؤلاء الفلست اسمهم في المنطقة فصارت فلسطين كما اصطدموا مع السكان المدنيين العموريين وغيرهم من البدو الشاميين[1]. وقد انعكس هذا الصراع في التقاليد الدينية التالية، ولكن دونما وجود أدلة أخرى تثبت التواريخ والأحداث. ولكن يمكن تقدير تلك الأحداث في عهد رمسيس الثاني في أواسط لقرن الثالث عشر، وقد اختلطت التيارات البشرية القادمة من باديـة الشام والفرات مع تلك القادمة من البحر وتجلت الصراعات بصورة أكثر تأثيراً في فلسطين وسيناء والدلتا في مصر، ولكن دونما وجود آثار مادية أو كتابية مباشرة. أما ما يتعلق بأخبار التوراة المتأخرة عن أوضاع فلسطين فهي لا تقدم أدلة تاريخية، بسل استعار كتابها المعطيات الجغرافية لكتابة أخبار قبائلهم التي تحتاج إلى تدقيق ومطابقة مع شواهد أخرى كتابية وأثرية. كما أن التوراة لا تقع ضمن الفترة الزمنية التي ندرسها لتاريخ بلاد الشام (أي بين ٣٠٠٠ ــ ٣٣٣ ق.م) على اعتبار أن أقدمها يعود للعصور الكلاسيكية، كما أن تدوين التوراة لم يتم قبل عصر خسيرسيس الفارسي أي في النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد ولا توجد لدينا نسخة التدوين الأصلية.

على أية حال فإن جميع هؤلاء الغزاة المحليين والخارجيين قد تبنوا الثقافة والحضارة العمورية أو الأمورية التي تعتبر وريثة الحضارتين السومرية والأكادية ويعد الكنعانيون في فلسطين الفرع الأصغر من امتداد العموريين في الزمان والمكان

(1) W. Helck, Die Beziehungen Agyptens zu Varderasien im3 and2, Jahrtausend u. chr. Wies baden, 1992, 240...

الذي يشمل العراق والشام (أي سورية ولبنان وفلسطين والأردن والحجاز)، ويمتد بين الألف الثالث والألف الثاني ق.م. وتبدو سورية والعراق في وضع غامض نظراً لعدم توفر الوثائق، إلا أن نهاية الألف الثاني ستحمل موجة توغل الأراميين القادمين من بوادي الشام والحجاز والذين سيحولون سورية والعراق إلى امبراطوريات ودول تسود العالم القديم في الألف الأول القادم.

Damascus University

الفصل الثامن
أوجاريت والأجاوريتيون

١ - هم أموريون أو عموريون وليسوا كنعانيين ولا فينيقيين!

٢ - آثار العصر الذهبي.

١ - اكتشاف محفوظات ضخمة ومتنوعة .

٣ - الدين في أوجاريت.

٤ - فضائل إل/بعل.

٥ - آثار أوجاريت الأدبية والفنية في الديانات والأدب التقليدي اللاحق وخطورة المقارنة.

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - هم أموريون أو عموريون وليسوا كنعانيين ولا فينيقيين!

كما هي العادة ونحن المتفرجون على مَنْ يكتشف تاريخنا ويكتبه فقد كان الحظ هذه المرة من نصيب الآثاري الفرنسي كلود شيفر C. Sharffer، أن شرع بالتنقيب في رأس شمرة ــ أوجاريت ــ عام ١٩٢٩، وأن يقدم للعالم أفضل الاكتشافات منها، وبخاصة المحفوظات المسمارية، والأبجدية، وتوقف عن العمل عام ١٩٧٠، وخلفه جان مرجورون، ثم مرجريت يون في وقتنا الحاضر عام ٢٠٠٣.

لقد أصبحت أوجاريت مركزاً حضارياً فريداً من نوعه، ولا يقترب منه سوى ماري، وإبلا، وتتميز أوجاريت بأنها مبنية من الحجارة، ولذا فإن الزائر يستطيع أن يرى نتائج أعمال التنقيب التي كشفت عن بقايا معمارية مهمة، تعد جزءاً من قصر ملكي، ومعبد، وبعض البيوت العادية، بالإضافة إلى قبور منحوتة من الحجارة، وجميعها لا تمثل سوى بضعة قرون، من تاريخ أوجاريت الطويل، ولكن هذه القرون التي تقع في نهاية الألف الثاني، تعطي فكرة عن عظمة المدينة.

ورغم هذا فإن تل رأس شمرا، يضم طبقات أثرية تعود للألف السابع، وتنتهي في نهاية الألف الأول قبل الميلاد، فهناك سبعة آلاف سنة من التوضع السكني في مدينة أوجاريت، فقد كشفت الاختبارات الأثرية عن العصر الحجري الحديث Nealithic، والفخاري Ceramic، ودور حلف، ودور العبيد، والبرونز القديم السومري الأكادي، والوسيط العموري، ولكنها لم تقدم آثاراً مهمة تسر العين، إن موقع أوجاريت البحري المتصل بوسط سورية ينطوي على ميزة جغرافية، لعبت دوراً مهماً في تاريخ المدينة.

٢ - آثار العصر الذهبي:

سبق أن ذكرنا أنّ آثار المدينة التي كشف عناه، تعود لنهاية الألف الثاني، وأهمها السور والقصر، وبعض الأبنية الدينية، وهو ما يستطيع المرء رؤيته حالياً، فهناك معبدان للإله بعل، ودجن، في مركز التل، وبقي ما يدل على آثار بيت مهم يدعى بيت الكاهن الكبير، وتأتي شهرته من خلال مكتبة مهمة، وبعض الأدوات التي

عثر عليها داخله، وتمتد رقعة إلى جانبه هي الحي السكني للعمال والمهنيين، ويقع إلى جانبه فسحة أخرى تضم بيوت شخصيات مهمة، مثل رشيانو، وربانو، وهما شخصيتان دينيتان، ويظهر لنا الغنى المعماري من خلال وجود مادة الجص في البناء، والأثاث والأدوات، التي عثر عليها في القبور الحجرية البيضوية المقوسة الجميلة، وتعود إلى عصر البرونز الحديث العموري، وقد كشف عن أهم بناء في الجهة الغربية، وهما قصران ملكيان ــ قصر جنوبي، وقصر شمالي ــ وقدمت ثلاثة أبنية مجاورة الوثائق الكتابية الشهيرة، وآثاراً عظيمةً من القطع الفنية والأثاث، ويعد سور المدينة، ومدخله الشهير من المعالم الفريدة في عمارة المدينة والمنطقة عامة، وتعود أهمية مدينة أوجاريت بالنسبة للتاريخ القديم السوري وبلاد الشام، والمشرقي العربي عامة لمجموعة أسباب، نعرضها كما يلي:

١ ــ اكتشاف محفوظات كتابية ضخمة ومتنوعة، وهي مراسلات ملكية، ونصوص اقتصادية، وأخرى طقسية، ودينية، وأسطورية، وقد أثارت النصوص الروائية الاسطورية صخباً كبيراً في أوساط المثقفين، ودارسي الأدب الديني القديم، ولئن كانت المقارنات الروائية والأدبية جائزة في كل زمان ومكان، إن دراسة نصوص أوجاريت الدينية تنطوي على أخطار التحريف، والاستغلال لأهداف متباينة، وبخاصة تلك المنشورات السوقية من قبل غير المختصين، أو العارفين بلغة أوجاريت ونصوصها، وأخطر من هذا وذاك هي تلك المقارنات المعقودة بين أدب التوراة وأدب أوجاريت من قبل (علماء صهاينة) وهدفها نسبة تاريخ أوجاريت إلى التقاليد اليهودية، ومن المؤسف أن اللعبة قد انطلت على بعض (المثقفين) العرب دونما وعي، والحقيقة أن الأدب القديم برمته يعيش في ثنايا الأدب الديني السماوي التوحيدي، وهذا لا يعني إعطاء ملكية لإحدى الديانات بل هذا يقوي شاهد نشوء الديانات أثر تطور هذا الأدب، ومن جهة أخرى إن النظام الكتابي الجديد، الذي قدمته أوجاريت، وهو الأبجدية المسمارية الأولى، والأقدم من نوعها حتى الوقت الراهن وهذا يبين مدى التطور التقني على مستوى الكتابة، وتفوق أوجاريت على بقية البلاد السورية والعراقية في نهاية

الألف الثاني، حيث بقيت تستخدم الكتابة المسمارية المعقدة، ويعكس هذا التفوق التقاني، الارتباط الوثيق بين أوجاريت، والعمق السوري العراقي، لأنها طورت النظام المسماري الرافدي، واستخدمته لقرون عديدة، ومما يذكر ما نقله إلى مجدداً الأستاذ بيربوردروي قارئ ومترجم نصوص أوجاريت من أن البعثة الفرنسية عثرت في صيف ٢٠٠٣ على كسرة فخارية تحمل حروفاً أبجدية جديدة تشبه أبجدية جنوب الجزيرة العربية وهي موجودة في متحف دمشق. ويظهر اتصال أوجاريت بالعمق السوري، والبحري، من خلال تنوع الآثار المكتشفة، وقيمتها العلمية العالية، ممثلة بالفخار، والنصوص الغنية بالأسماء والمواقع، وهذا ما خلق ميادين عمل كبيرة للمختصين، تشكل مناطق جغرافية واسعة، واكتسابهم لخبرات دينية وفلسفية. وقد عكس الفن الأوجاريتي تطوراً متميزاً، أصبح مقياساً للفنون المعمارية والنحتية المجاورة، ومما يذكر منها: الربة الأم الكبرى، وقطع زينة عادية، تذكرنا بذوقين فنيين في مصر وسورية، وهذا يعني أن أوجاريت قامت بدور أساسي، يجمع بين الشرق، والعمق السوري العراقي، وبين السواحل البحرية البعيدة والقريبة،وهي بقدر ما تبدو بحرية ومتصلة بشواطئ المتوسط، بقدر ما تمثل خلاصة التجربة الحضارية في سورية والعراق والشرق بصورة عامة.

٣ - الدين في أوجاريت:

تعد نصوص أوجاريت وآثارها من الوثائق الأكثر أهمية في سورية، بالنسبة لتاريخ الفكر الديني السوري ــ العراقي (الرافدي)، وتبدو الحياة الدينية الأوجاريتية غنية، ومركبة، دون أن يكون هناك ترابط عقائدي متزمت، كما أن طرائق دراسة الحياة الدينية لا تسمح بتأليف لوحة متجانسة، مثال ذلك: إن الصور النحتية للآلهة الأوجاريتية ــ التي عثر عليها حتى الآن ــ لا تتطابق دائماً مع تلك الآلهة التي تعرفنا عليها من خلال الأساطير الأدبية، التي ترجمناها من نصوص أوجاريت، وتعرفنا على عاداتها وفضائلها، ويمكن استثناء تمثال الإله بعل، وهو يمسك بالصاعقة، من هذا الأمر، حيث يتطابق العمل الفني النحتي مع ما يقول الشعر

المترجم عن هذه الإله الشاب، المحارب، والمشبه بحدد/أدد، وهو سيد الصاعقة، إلا أن الاختلاف قد ينشب من خلال تفسير محتوى الألـــواح ذاتهـــا!، فهنـــاك بعـــض الأساطير التي برزت في احتفالات سنوية، أو فصلية، ولا تحمل لنـــا طقوســـها أي إمكان ربطها مع أساطير أخرى، وكما أن لوائح أسماء الآلهة التي تقدم لها الأضاحي في مجمع الآلهة تختلف عن تلك الموجودة فـــي النصـــوص الدينيـــة الأســـطورية، وبعضها غير مذكور إطلاقاً، ولكي نتعرف على الحياة الدينية الأوجاريتية، يجـــب أن نتعرف على محتوى ألواح الطقوس، والتعاويذ، التي تتضمـــن أســـماء التقدمـــات، وأسماء الآلهة المستفيدة، وبخاصة تقدمات الأبقار، والأغنام، أو أجزاء معينة منهـــا، التي تقدم في أيام محددة من الشهر وبخاصة في بدايته، ونلاحظ أن هذه النصـــوص ملأى بالتعابير المهنية، ويمكن من خلالها تمييز أنواع الأضاحي، وتـــروى بعـــض النصوص أن على الملك الذي يحضر الاحتفال الديني أن يغتسل، ويتوضأ، ويتطهـــر، وتشير إلى فقدان الملك قداسته في نهاية الطقس.

وكان يرافق ابتهالات وحركات الكهنة، أناشيد دينية، ويشهد على ذلك بعضهـــا الموجه إلى الإله بعل، حامي المدينة، التي تنتهي بطلب تقدمة تافهة!، وتشـــير بعـــض النصوص الأخرى، إلى نقل تمثال مقدس، أو حفلات تنصيب الرهبان، وهنـــاك لـــوح يحفظ نصاً يخبرنا عن صلاة يرتلها رجال ونساء بالتناوب، حيث يقدم كل منهم أضحية بقصد التكفير والاستغفار، ولا نعلم إذا كانت هناك شخصيات مهمة – مثـــل الملـــك – ترافق هذا الطقس، من جهة أخرى كان وما يزال الطقس الديني ملجأ الإنسان، جـــراء مصاعب الحياة، وكذلك الحال في أوجاريت، منذ آلاف السنين، ولكن الأمثلـــة ليســـت كثيرة، ولا توازي ما هو موجود في حوض الفرات، وبخاصة المعابد الكثـــيرة، وقـــد ذكرت النصوص ممارسات التنبؤ، ورؤية المستقبل بصورة واضحة، وهنـــاك نـــص تنبؤي عن الولادة، وآخر يعتمد على إشارات القمر، كما عرف الأوجاريتيون السحر، إلا أن الأمثلة قليلة عليه، وهناك إشارات لأعمال الآلهة وصفاتها السحرية، فـــي بعـــض

النصوص، ونلمس آثارها في حياة الناس اليومية، مثال ذلك: رواية طقسية عن تجرع إيل الخمر، حتى الثمالة، يهدف في النهاية إلى تقديم نصيحة لتفادي الثمالة، كما أن النص الذي يروي كيف أنعمت إحدى الربات بحسنها على الإله حورون، لأنه أنقذ رجلاً ملسوعاً من الحية، فإن الغاية في النهاية تقديم علاج ضد لسع الحية.

واكتشف الآثاريون الفرنسيون نصاً في رأس ابن هاني، قرب أوجاريت عام ١٩٧٨، يرينا الإله حورون نفسه يطرد الأشرار، الذين يتساكنون مع الأرواح المرعبة، كما أن الرواية الطقسية عن القمر، وقدسيته وتجدده ــ ولادته الشهرية ــ غايتها تأمين الإخصاب، والإنجاب للعروسين الشابين الإنسانيين، وهناك رواية أدبية عن انتصار الإله بعل على عدو مخيف وغامض، قد تلبّس بهيئة جرادة.

إن مثل هذه الأقاصيص الخرافية، تعين سكان أوجاريت في صراعهم ضد مصاعب الحياة وكوارثها، وأهم ما يذكر من ملاحم تقع ضمن هذا الإطار، هو ذلك النص الملحمي الذي يروى عن قبول الإله بعل تحدي يم، إله البحر ــ أمام مجمع الآلهة ــ والدخول في معركة أحادية، صرعه في نهايتها. إن مثل هذا الأدب الإيحائي، يغذي نفوس رواد المخاطر البحرية الأوجاريتيين، بالقوة، والشجاعة، اللازمتين لامتطاء مخاطر السفر، والصيد في البحر.

لقد قُدمت تلك الملاحم بصورة شعرية ولحن شعبي وهي تحاول تكوين صورة متناغمة ومتكاملة عن الكون المحيط. فقد كان العالم ــ بالنسبة للأوجاريتيين ــ مليئاً بالقوة الإلهية، التي تحمل أسماءً، ولها هيئات، يتحدث إليها الكاهن، والمتعبد أثناء الصلاة، وتنشأ العلاقة الروحانية الكونية، انطلاقاً من هذا التناغم، والتجانس في هذا الكون، فقد خلق إيل ــ الإله القديم العتيق ذو اللحية الشائبة ــ بقية الأرباب والربات، وبخاصة الإنسان، حيث قيل إنه المبدع والوالد، والصانع له، وبما أنه لا توجد في نصوص أوجاريت ملحمة خلق كونية، أو بشرية كما هي الحال في بابل، فإن بعض النصوص تشير إلى أن إيل قد صنع خلقه بصورة تشبه الملاحم التقليدية، وملأ السماء

بملائكته، التي تبجل الإنسان الذي يتعبده، وهكذا يعد الإله ــ إيل ــ إلــه الأوجــاريتيين، المنظم الأول الكون. ويعاونه منظومة ملائكية قوية أشهرها: بعل (ابن دجن)، المســتقل غير التابع لإل! وهو الذي يقارع يم ــ البحر، ويكبح جماحه، وهو بطل ملحمة تعــاقب الفصول: الولادة، والموت، والبعث، إنه يسعى لبناء معبد كوني، ولكنه لم يقبل الســكن فيه عند انتهائه، ويستسلم بعل بنفسه للموت ويهبط إلى الأرض، حيــث يبحــث عنــه البشر،ويبكونه، ويعثرون على بقاياه، ويحملونها إلى قمة جبلة ســابون ــــ ســاقون Sapon، وهو الرمز الأسطوري لجبل الأقرع، المطل على موقع رأس شمرا، حيــث يرى الناس أفق اتصال الأرض بالسحب المشحونة بالبرق والرعد، إن (بعل)، الســيد المسيطر على الرعود، في هذه الرواية الأدبية الملحمية، وعندمــا يــترك قصــره أو معبده، فإنه يتحول إلى أمطار، وعندما يهبط إلى الأرض فن أجل جرعة ماء، ومعنى صعوده إلى السماء هو تشكيل الغيوم، وهكذا فإن هذا التسطير الديني، الملحمــي، يبغــي إلى ترتيب نظام سيرورة الأرض الفصلية، التي تسمح لها بــتزويد الإنســان بقوتــه، وغذائه، كما تخبرنا باهتمام بعل بالإنسان وسهره على راحته، وإنه بعمله هذا لا يقــل حرصاً عن إل، في سعيه إلى هذا الهدف، ومما يذكــر هنــا أن دور إل فــي هــذه الاسطورة، يعد دوراً سلبياً، كما أن بعل يدخل في معركة ضد الموت – موت بعد سبع سنين – ولم يعرف بعد ماذا كانت النهاية، ولكنها – أي المعركة – تعنى إقامة التوازن بين قوة الموت والحياة. إننا نفهم تماماً الحب والتقديس الكبير لبعل، الــذي ينقلــه لنــا الشاعر، فقد كان يمثل الإله الأكثر التصاقاً بالإنسان، أنها كما يقول الشعر: **إله الإنسان الحقيقي**. ومن جهة أخرى نلمس وجود ربات يساهمن في أحداث الأســطورة، ولكــن دورهن يبدو هزيلاً في بعض المواقف، فهذه الربة ــ عنات ــ شقيقه بعل، تمثل العنف والقسوة، بصورة كاملة، وهناك الربة ــ أثرات ــ سيدة البحر، التي لا تألوا جهداً فــي مقارعة إل، ومراوغته، دون أن تبدو منها أي ملامح طيبة أو محبة.

٤ - فضائل إل بعل:

تتوحد جهود الإله الأكبر إل، مع الإله البطل بعل، ليقدم كل منهما خبرة وعبرة للإنسان، فهما لا يشكلان تناقضاً، أو تنافساً، أو اختلافاً عرقياً، أو اجتماعياً، وهناك توازن كوني بفضل تعاونهما، وإحلال فضائلهما على الأرض، حيث إن بعل يمثل الفضائل المرتبطة بالشباب، من شهامة، وعزة، وتضحية، فهو يواجه الكوارث، ولا يتوانى عن التضحية بنفسه، وتقديمها فداء الإنسان، كما أن حكمة إل الإله القديم الشيخ الذي يعود له وحده القرارات النهائية، ويلعب دوره كإله أعلى، أكثر خبرة ومعرفة. نلاحظ أن هذا الثنائي الذي لا يتعارض الواحد مع الآخر، قد ذاب واحدهما بالآخر وبقي إل الخبير العتيق سيد الكون، واحتل مكانة أولى في الديانات التقليدية التالية، وعرف الأوجاريتيون تقديس الأموات، الأسلاف، وهي ميزة مهمة، إلى جانب ما تقدم، فقد أظهرت نصوص ــ مكتشفة حديثاً ــ أهمية هذا الطقس الذي يقدس الميت، وبخاصة من العائلة الملكية الحاكمة، ونلاحظ انتقال هذه العادة، أو الطقس الأوجاريتي، إلى الأديان اللاحقة، وما تزال رؤوس الجبال، والأماكن البعيدة عن السكن، مرقد الأموات المقدسين من قبل الأحياء حتى أيامنا.

٥ - آثار أوجاريت الأدبية والفنية في الديانات والأدب التقليدي اللاحق وخطورة المقارنة:

يلاحظ أن نصوص أوجاريت، وآثارها الفنية، والمعمارية الدينية قد قدمت أرضية علمية لدراسة جذور الديانات التقليدية العميقة، وقد ساعد على ذلك أن اللغة التي كتبت بها نصوص أوجاريت ــ أي اللهجة الأوجاريتية - هي لهجة أموربة - غربية، ساحلية، متحدرة من الأكادية القديمة، وأقرب لغة حديثة لها، هي العربية، وأقرب المعاصرة لها الآرامية، ولابد من سوق ملاحظات مهمة، حول الإرث الأدبي الأوجاريتي، تفيدنا في فهمه،وعدم الإسراف في إجراء المقارنات غير العلمية مع ديانات لاحقة:

١ ــ إن إرث أوجاريت الكتابي، ليس كتاباً متكاملاً ومتجانساً، كما هو حال الكتب الدينية اللاحقة، فهو مجموعة ألواح أدبية مكتوبة على الفخار، مجهولة المؤلف تماماً، ولكنها من تأليف كهان، أو أدباء متعددين، ويمثلون أجيالاً عدة، وقد كانت النصوص مستخدمة في مكاتب تعليم النسخ والكتابة ولم تشكل وحدة متجانسة، هدفها الدعاية لعقيدة ما، بل أنها تركز على الفضائل وتنبذ الشرور وحسب.

٢ ــ تعد أوجاريت، وماري، ممثلين حقيقيين للإنتاج الفكري الديني، المتمم لقسمه الشرقي في العراق، أي نصوص نينوى، وأدبها، بينما تمثل الديانات التقليدية تجارب قبائل، عاشت على أطراف المدن والمعابد القديمة، واستمرت في كتابة تراثها، بفضل اكتشاف واسطة جديدة جديدة هي الأبجدية، ولخصت من خلال كتاباتها المستمرة، تجارب الأسلاف القدماء الباقية في الذاكرة الشفوية خاصة.

٣ ــ كما أن أدب أوجاريت الديني يساعد على فهم جذور بعض الطقوس اللاحقة، كذلك الأمر فإن بعض الطقوس اللاحقة التقليدية، وعباراتها الدينية التعبدية، تساعدنا على فهم بعض الغموض في نصوص أوجاريت، وبخاصة تعلق الأدب بالأمثال، والقصص، واستخداماته في عرض الفضائل والأخلاق الحميدة، وسيادة أسلوب التكرار، والسجع الشعري.

٤ ــ ساعدت نصوص أوجاريت على فهم واقع التوزع الاجتماعي والاقتصادي، وكانت النصوص الدينية قليلة بالمقارنة مع الإنتاج اللاحق للديانات التقليدية، ولكن عرفنا أصول كثير من الممارسات الدينية غير المفهومة لدى هذه الأخيرة من خلال نصوص أوجاريت، وماري، على حد سواء، وبخاصة ما يتعلق بأمر وظيفة الكاهن المدعو أبيلو، ونبو، في ماري، وأوجاريت.

٥ ــ تمكننا الدراسات الأوجاريتية من تحديد محاور، ومراكز نشوء التيارات الفكرية القديمة، في مدن الفرات والساحل، ومدن العراق، وسورية القديمين، وليس البادية، وما وراءها، أي إن التطور الكتابي، والرمزي، قد اخترع لحاجات حضارية مدنية، وليس العكس، فالبداوة ليست مراكز إبداع فكري، أو ديني، كما يتوهم بعض الدارسين.

٦ ــ تقدم الدراسات الأوجاريتية، والأثرية، والنصية، ساحة معرفة واسعة، لفهم عادات الفرد، والعائلة، والمؤسسات، وتساعد مقارنتها مع المجتمعات اللاحقة على فهم المشكلات الغامضة، مثل جذور الأسماء والأسماء الجغرافية، والطبيعية.

٧ ــ إن ديانة أوجاريت، ليست مكرسة لأهداف ملكية، أو قبلية، بل كانت ناتج خبرة تأملية، وحسب، وأفرزت علوماً أولية، مثل السحر، والفلك، والطب، والحساب، والكتابة.

٨ ــ كانت آلهة أوجاريت، قد سخرت من قبل الكاتب لخدمة الإنسان، وتشجيعه على الفضيلة، ولم تبرز، أو تؤكد على العقاب والعذاب ولم تُحمّل الإنسان الخطيئة.

وكان الإنشاء الشعري، والرواية البطولية، والطقس التعبدي، قنوات لتهدئة قلق الإنسان على مصيره، وقبوله هذا المصير، بطيبة خاطر، دون تهديد أو وعيد، أو دفعه للإحساس بالخطيئة والذنب.

٩ ــ إن الأبوة الإلهية، قد وجدت في جميع النصوص الدينية الأوجاريتية، والماريـة، وصار معروفاً أن إل وأصله أنو السومري، قد تبوأ عرش الفضيلة، والخبرة العتيقة، وصار أب المعرفة، وأب الخبرة والإنسان، أي إنه مبدع الفضائل، والمحبة، والثواب، دونما التركيز على العقاب، والعنف، كما هي الحال لدى بعض الآلهة المحلية الصغيرة والديانات اللاحقة العامة.

١٠ ــ إن أوجاريت وآثارها، وأدبها، هي في النتيجة أدب وتاريخ سوري، فهو لا يمكن أن ينسب إلى وقت قريب. وينتسب سكان أوجاريت إلى الأموريين ــ العموريين، وليس إلى أي فرع آخر، وقد كان استخدام التعبيرين الأخيرين سائداً قبل اكتشاف أوجاريت في مناطق جنوبية، أي في جنوب سورية (فلسطين، ولبنان إلى حد ما)، ولكن اكتشاف أوجاريت، وماري، قد أظهر موقع المركز الأصلب، وهو أوجاريت، والأوجاريتيين، وماري والماريين.

أما ورثتهم وأحفادهم الشرعيون فهم السوريون في سورية الطبيعية أو بلاد الشام أي لبنان وفلسطين والأردن، وليس أي فصيل آخر.

وقل رب زدني علما
Damascus University

الفصل التاسع
إيمار وحضارتها

١ - نهاية الألف الثاني.

٢ - اكتشاف إيمار.

٣ - عمارة المعابد وأصول مخططاتها السورية الإيمارية - جذور معبد سليمان الخيالي في التوراة.

٤ - معبد القدس القديم وطرز بناء المعبد الموسوي.

٥ - مفهوم الديانة القديم في إيمار:

١ - العبادات العائلية .

٢ - كهنوت المعابد .

٣ - الأعياد الكبرى .

٤ - الأضاحي .

Damascus University

وقل رب زدني علما
Damascus University

١ - نهاية الألف الثاني:

تمثل إيمار صرامة الكهنوت السوري، وفيها أكبر عدد من المعابد المكتشفة حديثاً بفضل الإرادة السورية الحديثة الراغبة في التطوير الزراعي على الفرات، مع رغبتها في الحفاظ على التراث الأثاري، المهدد بالغرق، جرّاءَ ارتفاع مياه بحيرة الأسد، التي نشـــأت خلف سد الثورة، وقد استجابت المنظمات الدولية، والجامعات الأوروبيـــة لنـــداء الآثـــار الفراتية، فكان أن باشر الحفرَ عشراتُ البعثات المتخصصة في آثار عصـــر الـــبرونز، وأعطت ثماراً مفيدة وسريعة. لقد امتدت بحيرة الأسد على مسافة تنوف على مئة كيلـــو متر، حيث ترى زرقة المياه العميقة، تتلاشى على أطراف النهر، حيث تختلط بـــالتراب، إنه مشهد رائع وعالم جديد، خلقته إرادة التغيير الحديثة في سورية، ولكن هناك ما يحـــز في قلب الآثاري، الذي يرى أطراف الوادي العليا، تُغمر بمياه البحيرة، وهو يعلـــم أنهـــا كانت مركز تجارة عالمية، بين العراق وسورية، والأناضول، وكانت هذه المنطقة مهملة، من قبل الأثاريين، إلى حد ما، فكانت مناسبة بناء السد فرصة لاكتشاف الغنـــى الأثـــري لوادي الفرات الأعلى، وقد استطاعت البعثات الأجنبية ــ بدعم من المديرية العام للآثـــار والمتاحف في سورية ــ أن تكتب صفحات جديدة من تاريخ هـــذه المنطقـــة المجهولـــة، ويمكن تلخيص نتائجها كما يلي:

١ ــ ظهر العصر الحجري الحديث Neopithic، من خلال تل أبـــي هريـــرة، وبخاصة تل مريبط، وقد سكنتا في حقبة الانتقال من اقتصاد الجمع واللقاط، إلى اقتصاد إنتاجي زراعي، ونرى بداية العمارة والسكن.

٢ ــ يظهر الدور الاقتصادي الفعال للوادي، في الألف الرابع قبل الميلاد، مـــن خلال مواقع شهيرة هي: تل حبوبة الكبيرة، وجبل عروة، وتل كناس، وقد أثبتت هـــذه المواقع من خلال الحقائق والدراسات ارتباطها الوثيق والمبكر بمنـــاطق ســـومر فـــي الجنوب وبحضارتها، حيث أقام السومريون نقاط ارتباط لنقل وتموين المـــواد الأوليـــة

اللازمة للبناء، غير المتوافرة في جنوب العراق، وبخاصة الخشب والحجارة، وبرهنت حفائر حبوبة، وسلنكحية، ارتباط هذا الجزء من الفرات بسورية الداخلية، بالإضافة إلى دوره الدولي التجاري، بين العراق وسورية، والأناضول، وحضاراتها، خلال عصر البرونز القديم، (في الألف الثالث ق.م)، وعصر البرونز الوسيط (في النصف الأول من الألف الثاني).

وتظهر بوضوح أهمية عصر البرونز الحديث (أي القرن الخامس عشر، والثاني عشر ق.م)، من خلال وثائق غنية، وبخاصة في تلال: الحديدي، منبقة، فراي، وإيمار، وفقومي، ويسمح التلان الأخيران ــ إيمار، وفقوس ــ بفهم أهمية الموقع دولياً من خلال الإنشاءات التحصينية، التي بناها العواهل الحثيون، لتنظيم وحماية نقطة الارتباط واللقاء الفراتية هذه، لتأمين العبور والتجارة الدولية، أما عصر الحديد فهو غير معروف جيداً في هذه المنطقة، وسبب ذلك هو انتقال طرق التجارة إلى شمال سورية غالباً، ولكن الجواب القاطع لا يأتي إلا من خلال مشاريع التنقيب الأثري القائمة والتي لم تعط ثمارها بعد، ولكن النتائج الأولية لحفائر الشمال، وحفائر الإنقاذ التالية، الحالية، خلف سد تشرين ــ جرابلس ــ وتقع إلى الشمال الغربي، تشير إلى أن عصر الحديد، عرف نشاطات، وحركة تجارية، وعسكرية واسعة.

٢ - اكتشاف إيمار:

بدأ المنقب الفرنسي مرجورون بالكشف عن الطبقات الأثرية التي أخرجت عن موقع ايمار، واختفت في مياه بحيرة الأسد إلى الأبد، والتي بنيت في القرن الرابع عشر غالباً، ويظن أن الفاعل ربما كان شوبيلوليوما الملك الحثي، أثر غزو سورية من قبل خاتي ــ حاتي عاصمة الدولة الحديث في قلب الأناضول ــ قرب أنقرة، ويعتقد صديقنا جان مرجورون الذي نقب هنا، أن شوبيلولوميا قد بنى تحصينات جديدة، إثر نقل مركز المدينة، أي أن تنقيباته، خلال حملة الإنقاذ ــ ١٩٧٢ ــ ١٩٧٦، لم تسفر عن كشف مستويات، أو مركز المدينة القديم، التي تعود إلى نهاية الألف الثالث، وبداية

الثاني، حيث ذكرت في نصوص إبلا، وماري على التوالي، ولا يُعلم تماماً سبب نقل مركز المدينة، إلا إذا كان المقصود تعديل مجرى لحفيات النهر، التي تحول دون استقرار الميناء النهري، حيث ترسو المراكب، وتنتقل البضائع بين سورية والعراق القديمين. وإذا فإن الباحث الأثري، يفاجئ بضخامة الأعمال الإنشائية المنفذة من قبل الحثيين، لبناء هذه المدينة الحديث التجارية.

أولاً: بدل اختيار موقع المدينة الجديدة على حس جغرافي وطبوغرافي أكيد، إذ يقع على مطلة الوادي، الأخيرة، ويشرف على وادي الفرات، وقد تطلب تحقيق هذا الاختبار أعمالاً إنشائية جبارة، أدت إلى إعادة تكوين طبيعة الموقع، بإلغاء بعض الحدبات، وإملاء الفجوات، وبناء سلسلة من الشرفات والمصاطب، بطول كيلومتر واحد، وعرض سبعمائة متر، وكشفت المصاطب عن أرضيات مستعملة بعمق ستة أمتار، من قاعدة الهضبة، نحو ٢٨٥م، وهذا ما يسمح بتأمين حماية ودفاع قويين.

ولم يكتف البناؤون ببناء سور حول المدينة، بل أرادوا عزلها عن السطوح الصخرية كلية، فحفروا في الصخر الكلسي، وادياً اصطناعياً حقيقياً، وهو ما يزال يحد الموقع من جهة الغرب، فكم من آلاف الرجال، توجب لانجاز هذه الأعمال؟ وكم استغرق زمن بنائها؟ والجهود الإنسانية المبذولة لبنائها؟.

وتنقسم المصاطب إلى قسمين، باتجاه أعلى المدينة، وكانت واحدة منها تضم قصور الملوك الحكام إلى الشمال، لحساب العواهل الحثيين، وبنيست وفق طراز أناضولي، وكان القصر يشرف على الوادي، والمدينة، وبني معبدان لبعل، واشتارتيه، إلى الجنوب الغربي من القمة، وهناك منزل الأمير - الذي عرف هكذا -- وبعض الأرباب، وكشفت التنقيبات عن مجموعات بيوت سكنية كحارات، حيث قدمت معلومات عن العمارة في ذلك العصر، وعن حياة السكان اليومية في المدينة، وظهرت لنا الحياة اليومية بوضوح أكثر، من خلال اكتشاف بضع مئات من النصوص، أو اللواح الإسفينية، وأدوات حجرية، وفخاريات، وأدوات حجرية، وفخاريات، وأدوات،

وأسلحة برونزية، وتمائم ومشخصات، وألقت الضوء على نمط عيش تجار مدينة ايمار، يضاف إلى هذه المكتشفات بعض الأشياء الاستثنائية، مثل قرن حفر عليه صور رجال، وحيوانات، وسلسلة من المجسمات المعمارية، ذات الصلة بممارسات دينية، وقد بنى مورشيللي الثاني قلعة وفق المبادئ نفسها، بهدف حماية المدينة، ومراقبة النهر، وذلك في قمة صخرية، على بعد عشرين كيلومتر باتجاه مجرى الفرات، مما يجعل منها نقطة دفاع ودخول إلى الإمبراطورية الحثية من الجنوب الرافدي، ويمثل بناء هذه القلعة الأهمية الكبرى التي تحتلها ايمار بالنسبة للدولة الحثية، ولقد اختفت ايمار عام ١١٨٧ قبل الميلاد، في ظروف التحولات التي ألمت بالمتوسط، والمشرق بصورة عامة، وأهمل الموقع حتى العصر الروماني، مما يدل على أن نقطة الميناء النهري لايمار قد تحولت إلى مكان آخر، وهكذا فإن حياة هذه المدينة التي لم تدم أكثر من قرن ونصف، كانت مثالاً على قوة الخلق الحضارية، التي ازدهرت في عصر البرونز الحديث، وأظهرت أهمية هذه المنطقة من سورية بالنسبة للعلاقات الدولية.

٣ - عمارة المعابد وأصول مخططاتها السورية الايمارية:

جذور معبد سليمان الخيالي في التوراة:

يعتقد منقب مدينة ايمار جان مرجورون، أن هناك تناقضاً عجيباً يتعلق بوصف المعابد الدينية التقليدية، وبخاصة ما يتعلق بمعابد الديانات اللاحقة، إذ إن وصف الكتب الدينية لها طويل، وطويل، ويحتاج إلى فصول وفصول، ولكن إذا بحثنا عن وصف المعابد السورية المعاصرة فإننا لن نجد إلاّ القليل من الصفحات، والحال أننا لا نملك أي أثر عن معابد ذكرت في القرآن الكريم وغيره، وخاصة معبد سليمان الذي لا يعتمد وصفه إلاّ على التوراة، في حين أن الآثار الباقية من المعابد السورية تزيد على ٢٥ معبداً، ومن جهة أخرى، تبحث الدراسات التوراتية عن أصول معبد سليمان في مناطق مجاورة، ربما كانت مصر ــ أكثر من سورية ــ دون أن تكرس لها الاهتمام المكرس لوصف المعبد الخيالي لسليمان أو غيره، ويؤكد مرجورون في النهاية أنه إذا أراد

البحث العلمي أن يصل إلى أصول معبد سليمان الضائع، فلا بد من العودة إلى الطراز السوري القديم؛ فإن ثقافة بناء المعابد السورية هي الأقرب إلى فلسطين، والأكثر قدماً وعراقة، ولقد ثبت للمنقبين أهمية المعابد السورية، من خلال تطور أعمال الحفر، والتنقيب، ولكن أياً منها لم يظهر كاملاً، ولم يلهب الخيالات، كما هي الحال في مصر، فالمعابد ضخمة، وتفسح المجال للوصف والتخيل، إنها المكان الرحب لخيالات التوراتيين، لايجاد مسقط لها، ولمحاولاتهم إيجاد مجسم لمعبد سليمان، أو غيره، عوضاً عن أن يكون البحث الأثاري والتاريخي، مركزاً على تحديد الوسط، والمركب الاجتماعي وتنظيم المعابد فيه وعدم الاكتفاء بالبحث عن صورة جمالية معقدة، يصعب تركيبها من خلال آثار معمارية ما؛ وأخيراً يمكن تحديد طرازين أساسيين من طرز بناء المعابد في سورية:

الأول: ذو مخطط بسيط، أشبه إلى البرج، وتدخل معابد بعل، ودجون، في رأس شمرا ضمن هذا النمط الذي يختلف كلياً عن المعابد التقليدية.

الثاني: وهو نمط بناء ذي مخطط مستطيل، وهذا النوع من المعابد الذي تطور، على ما يبدو، إلى النمط التقليدي، ولم يستطيع الآثاريون تحديد مواصفات هذا النمط، إلا في وقت قريب، بين ١٩٧٣، و١٩٧٦، بفضل أعمال جان مرجورون وغيره، والذي استطاع تحديد أربعة أنواع من المعابد:

تؤرخ في عصر البرونز الحديث (القرن ١٤ ــ ١٢ ق.م)، وهي من الطراز الثاني، أي ذي المخطط المستطيل، في ايمار، وقد جمع اثنان منها في معبد واحد، وأقيم في مكان مرتفع من الموقع، وقرب شارع يؤدي إلى بناء تعبدي آخر، أقيم خلف المعبد، إذا سلمنا ببعض المعلومات التي ترجمت من نصوص، عثر عليها في الموقع، فإن المعبد الأول قد كرس للإله بعل، والثاني للربة اشتارتيه. لقد تعرض المعبدان إلى الحت الطبيعي، بصورة كبيرة، ولكن مرجورون استطاع تحديد مميزاتها الرئيسة، وهو: شكل مستطيل، ومدخل في الواجهة وحدد مكان مذبح في الصالة الرئيسية، في

نهاية ثلثيها على محور الباب، وكشف عن مقاعد ذات أشكال مختلفة أمام الحائط الداخلي، وأحياناً الجدار الجانبي، وقد كشف عن المعبد الثالث، قُبالةَ هذا المكان إلى الأسفل، وضم إلى شرفة أخرى للعبادة، وحجمه أصغر من الاثنين السالفين المكرسين لبعل، واشتارتيه، ويبدو أنه كان مركز عبادة إله ذي أهمية كبرى، لأن الملك الحثي نفسه يرتاد المكان للاستشارة، وقد ظهر أخيراً أن هذا المعبد قد كرس لعبادة جميع الآلهة، وهذه ظاهرة غريبة بعض الشيء، إلا أن المجمع الإلهي الكبير في سورية والعراق، يسمحان بمثل هذا التسامح الديني، والتعددية الإلهية، وقد عثر المنقب الفرنسي مرجورون على المكتبة الدينية، في هذا المعبد، وسنتحدث عنها فيما بعد، وقد كان مخطط هذا المعبد الثالث مستطيلاً متطابقاً مع المعبدين السابقين، ويتميز عنهما ببعض الحركات المعمارية في جداره الجنوبي الغربي.

ويوجد المعبد الرابع على مسافة قريبة من المجمع الكبير، ولكن لم يعثر مرجورون على أي معلومات عن الأرباب، أو الآلهة التي كانت تعبد فيه، ولكن غناه بالأثاث البدائي، يدل على أهميته العتيقة، وقد تم الكشف عن معابد أخرى مشابهة في سورية، وتعود لأزمان مختلفة، وأكثرها شهرة، معابد تل خويرة Tell Chuera، المؤرخ وسط الألف الثالث ق.م، وعددها ثلاثة، ولها صفات متماثلة تقريباً، أي: مستطيل، ومدخل ومذبح، وماندة، ومقاعد، ومعبد تل مرديخ ـ إبلا: وتقدم حفائر إبلا مثالاً مشابهاً، ألا وهو المعبد المرموز له بالحرف (D)، الذي يعود للنصف الأول من الألف الثاني وهو مستطيل، وقسمت صالته الكبرى إلى قسمين، ويوجد في العمق محراب، بدل الماندة، للدلالة على قدسية المكان، وعثر المنقبون على أمثلة أخرى من هذه المعابد في وادي مسكنة، مثل تل فري، وتل منبقة، من عصر البرونز الحديث، وعثر على معبد مهم في تل ثينات، ذو مخطط مستطيل، مطابق لما سبق، حيث المذبح في العمق، يعود للقرن السابع ق.م، بحيث يكون دليلاً قاطعاً على استمرارية بناء المعابد السورية، وفق هذا المخطط التقليدي، حتى الألف الأول ق.م، وقد سبق أن شُد الانتباه إلى هذا المعبد، ومخططه الذي انتشر في أنحاء سورية، وفلسطين، في هذا

الوقت المبكّر، ويمكن الإشارة هنا إلى أن تجربة بناء المعابد في سورية، وجوارها، قد أخذت شكل احتياجات المتعبدين، والكهان، وأن هذه التجربة قد بنيت خلال ما يزيد على ألفي سنة، ويمكن تلخيص مواصفات هذا المعبد من خلال ما تقدم كما يلي:

١ ـ لجميع المعابد السورية شكل مستطيل، والطول ضعف العرض غالباً.

٢ ـ تتألف واجهة المعبد الرئيسة من مدخل كبير، على شكل قاعة مفتوح، يتشكل بفضل جدارين طويلين، يتقدمان داخل القاعة الكبرى، وهناك عمودان في المدخل غالباً، ويظن أنهما جزء دائم من المخطط، إلا أن لقاءهما ليس مؤكداً في جميع المعابد المنقبة.

٣ ـ يفضي المدخل ذو العمودين الأماميين إلى القاعة التعبدية الرئيسة، ذات الشكل المستطيل، ويكون محورها وسط المعبد عامة، وسط المدخل، ويمر هذا المحور بالمذبح الذي يقام عادة بعد ثلثي القاعة، وتقام مائدة، أو مقاعد، وبعض الأنشاث الطقسي مواجهة جدار العمق أو الصدر، ويقام بعضها على الجدارين المتوازيين.

٤ ـ معبد القدس القديم:

كان وصف التوراة الخيالي لمعبد سليمان أمراً عادياً إذا عرفنا مقدار التضخم الإعلامي والروائي في كل العصور..

أما طرز بناء المعبد الموسوي، أو اليهودي، أياً كان، فلا بدّ أن استمد مخططه من المحيط الأوسع والأقرب وهو سورية والعراق. هذا من حيث منطق التصور العمراني القديم، إلا أن ما يسمى بمعبد القدس اليهودي، أو معبد سليمان، وابنه داوود، فلا يعرف عنهما حتى الآن سوى الوصف الأدبي في كتاب التوراة، وقد جهد أنصاره من الأثريين على إيجاد مواصفات معمارية مماثلة في مصر، حيث المعابد الضخمة، كما عدوا المعبد غاية بذاته، وابتداعاً معمارياً، لا نظير له، متناسين الوسط الذي استقى منه دعاة الموسوية ثقافتهم ومعارفهم، وهو عواصم الثقافة القديمة، مثل بابل، ونينوى، ودمشق، وقد أراد الأثريون من أنصار التوراة والصهيونية الحديثة، إيجاد تاريخ قديم لمعبد سليمان، ومجسم استلهامي، يوحي وكأن الهيكل حقيقة قائمة، وأن المساجد

والكنائس عقبة أمام ظهور الهيكل من جديد، وقد لُفِّق الكثيرُ لترسيخ هذه الأوهام في ذهن المثقف الغربي العادي، ووصلت العدوى إلى بعض المثقفين العرب بالذات، ولكن روح البحث العلمي المعاصر، ونزاهة الباحث العالم، قد انتصرت خلال الأربعين سنة الأخيرة من هذا القرن، وتبين الحق وزهق الباطل الصهيوني، وكانت نتائج أبحاث الآثاريين البريطانيين، والفرنسيين، وبعض اليهود متفقة، وانضم إليهم مجموعة من العلماء الأميركان، ليضعوا صورة نهاية لتاريخ المحاولات اللاهثة لإقامة تاريخ واقعي للهيكل، ويعلنوا من خلال عشرات الأبحاث والكتب، المنتشرة في الدوريات المتخصصة المعروفة، أن لا وجود لأي أثر يهودي في فلسطين، سواء أكان المقصود هيكل سليمان، أم أي أثر آخر، حتى نهاية عصور البرونز، والحديد المبكر، أي حتى نهاية القرن التاسع قبل الميلاد.

أما بعد هذا التاريخ، فمن المؤكد أن لا وجود لهيكل ما لليهود، وأن معابدهم لن تكون سوى جزء ضئيل يمثل نسبتهم، كأقلية سكانية في فلسطين، وسورية، والبلاد العربية عامة، وسنعرض هنا باختصار، كيفية نهاية ما يسمى تاريخ الهيكل، وسنتعرف على أصول العمارة الدينية السورية الرافدية، التي كشفت عنها أبحاث الأربعين سنة الأخيرة من خلال اكتشافات المعابد السابقة الذكر:

لقد تعرفنا بشكل عام على ثلاثة صفات معمارية، تميز المعبد السوري القديم، في ألفي سنة، التي سبقت الميلاد، فما هي مواصفات المعبد الذي بحث عنه الأثريون اليهود، أي معبد سليمان في القدس؟، وكما سبق أن أشرنا، فإن المعبد لم يعرف منه أي أثر حتى اليوم، سوى مجسم خيالي، وهنا لن نفصل في دقائق هذا المجسم (ماكيت)، طالما أنه مستوحى من مصدر أدبي ــ التوراة ــ ومن يريد مزيداً من التفاصيل فعليه أن يعود إلى أعمال بوسنك Th. Busink، أما النتائج الحديثة فهي ممثلة بأعمال فو R.P. de Voux وجان مرجورون أخيراً، الذي سبق أن أشرنا إلى أعماله في ايمار، وماري، وأوجاريت، وتحققه الدؤوب حول المعبد السوري، ودفاعه عنه، وقد تبعناه ههنا في طريقة تقريبه، وشرحه للمشكلة. لقد توصل مرجورون وفو إلى التقريب بين مخطط المعبد السوري

التقليدي، والمعبد الخيالي، لإثبات حقيقة أن تاريخ فلسطين المعماري، الديني، مرتبط بالوثائق والمخططات السورية، وليس بأي مصدر آخر، فإذا أخذنا بوصف الأدب التوراتي لمعبد سليمان، فهو قريب جداً من المعبد السوري القديم. حيث نعثر على الشكل المستطيل، والمدخل المسبوق بعمودين، وجزء آخر من القاعة الرئيسة، حيث يقام أثاث الطقوس من مذبح، ومائدة، ومقعد وغيره، إذ تشير التوراة إلى أن معبد القدس يتألف من ثلاثة أجزاء رئيسة، هي قاعة الطقوس - القاعة الكبرى - أي هيكل (هيخال - بالعبري)، ثم المذبح، وطاولة، أو مائدة التقدمات، ثم قدس الأقداس (دبير).

إن الأقسام الثلاثة للمعبد تستجيب لثلاث حاجات، هي:

- يشكل المدخل الرئيس، وبهوه، صلة الوصل بين الربوبية، أو الإله، والعالم الخارجي، وهو نقطة عبور بينهما.
- أما الهيكل والمذبح، فهو المكان الذي يتم فيه الاتصال الإلهي، والتقدمات.
- أما قدس الأقداس، فهو المكان الذي يرقد فيه القدوس، أو الرب، في عمق المعبد، ويمثل عادة الرب، إما بتمثال، أو برمز آخر، أو بقوس العهد والعرش المحمول بالشروبين.

إن هذه التقسيمات الثلاثة تواكب المراحل الثالثة، لاقتراب المؤمن، أو المتعبد من ربه، وقد عبر عنها النص التوراتي بوضوح، كما هي في معظم المعابد السورية القديمة، وبخاصة في معبد تينات المذكور أعلاه، إذا حللنا العناصر المتماثلة في المعابد السورية القديمة، ذات الشكل المستطيل، والمؤلفة من قاعة، ومذبح وأثاث في العمق، فنجد أنها تحتل ثلاثة أمكنة مميزة: - عمق قاعة العبادة - وسط القاعة، ومحورها، مع المذبح الأثاث - جزء من العمق، يتوسطه التمثال والإشارات. عندما يرفض المتعبدون استعمال التمثال، كممثل للإله (حالة اليهودية)، - ويوضع المذبح على محور (صورة الإله - أو إشاراته)، كذلك مائدة التقدمات، وهكذا نعثر على الوظائف الثلاثية للهيكل في المعبد السوري القديم، ذي الشكل المستطيل، وأفضل مثال عليه في تل خويرا، الذي يعود للألف الثالث قبل الميلاد.

وبذلك فإن طراز هيكل سليمان، أو داوود، قد استمد أنموذجه القديم، من المعبد السوري القديم، الذي يعود إلى بداية عصور البرونز، ولا يمكن أن يكون هيكل سليمان استعارة من أي عمارة أخرى، سوى العمارة السورية، إنها الخلاصة العلمية التي توصل إليها البحث الأثري في سورية، خلال الأربعين سنة الأخيرة، وهكذا نستطيع أن نحدد الإطار الحضاري الذي نشأ فيه الدين الموسوي، واليهودي أيضاً، وهو وسط سوري عراقي، حيث إن الدين في ايمار يشكل نقطة اللقاء، فقد كشفت التنقيبات الأثرية في تل مسكنة القديمة ــ ايمار ــ عن وثائق مسمارية مهمة، واستثنائية، تتعلق بالديانات السورية في عصر البرونز الحديث، كما أن نصوص أوجاريت تعد فريدة ورديفة لمعارفنا الدينية، عن هذا العصر، رغم صعوبة تفسير بعض نصوصها الملحمية، في حين أن الشاهد الديني التوراتي بعيد زمنياً، ويتضمن مشكلات نصية غامضة، إن وثائق النصوص المسمارية المارية، قد قدمت معلومات تاريخية مباشرة عن البيئة والمجتمع وديانته. فهناك نصوص التسجيل، والشهادة، والرسائل، والحكم، والطقوس، وقد عثر في ايمار في المعبد المرموز له بـ M على ألواح مسمارية، وأكادية مستخدمة كنصوص تعليمية من قبل الكتاب المحليين، ومن قبل الكهنوت في إيمار، ويعتبر هذا النوع من النصوص الكهنوتية الايمارية، الوحيد من نوعه في الشرق عامة، فقد وصف لنا الكاتب جميع التراتيل التي تنشد في حجرة العبادة الكبرى، وما كان يراه أثناء إجراء مراسم الطقوس.

٥ - مفهوم الديانة القديم:

ينظر إلى الديانة على أنها ممارسات متنوعة، وليس طقوساً أحادية، فقد عرفت سورية والفرات عامة، مجموعات متعددة من الطقوس والديانات، فقد كان هناك:

١ ــ العبادات والطقوس العائلية.

٢ ــ طقوس المعابد.

٣ ــ طقوس الأعياد الاجتماعية الكبرى.

١ ـ العبادات العائلية :

تبقى هذه الطقوس مجهولة نسبياً، ولكنها تضم ولاشك رمزاً أو معبوداً مفضلاً لدى العائلة، ويحظى بتقدير رب العائلة بالذات وحمايته.

٢ ـ كهنوت المعابد :

إنها تخدم المعابد ضمن نظام التعددية التعبدية، فهناك عدد غير محدد من الآلهة، والأرباب، وهي لا تختلف عن الإنسان، سوى أنها خالدة، ويعتقد الأقدمون أنها تسكن التمثال المصنوع لها بعد السيطرة عليه بطرائق سحرية وتعد المعابد أماكن إقامة الآلهة على الأرض، ولذا لابد لها من طعام وشراب، ولابد للآلهة من أن تنصت إلى الأناشيد، والعبادات، والصلوات، وتجرى طقوس التعبد في حجرة المعبد الكبرى، وينظمها حلقة من المختصين فقط، ويقف الدنيويون المشاهدون جانباً، وقد لا يسمح ضيق المكان بتواجدهم!، وكان المتعبدون يحملون التمثال (الرمز)، مع زينته، ومجوهراته، ويسعون به في المعبد، إن هذه الطقوس ليست إلا امتداداً، وانتقالاً لأصولها العتيقة على وادي الفرات، وسهول سورية، وسواحلها، منذ أزمان سحيقة.

٣ ـ الأعياد الكبرى :

تبرز الخطوط الكبرى لهذه الأعياد متباعدة، وهي:

الزواج المقدس بين عذراء وإله الرعد، وغياب أو نوم أحد الآلهة، وعودته، أو قيامه، وتخصيب القطعان من جديد، وتبدو هذه الاحتفالات عميقة الجذور، بخاصة ما يتعلق بتجدد الآلهة والتخصيب، ويشارك فيها جميع السكان، بما فيهم النساء، ولا يقوم الملك والرهبان والكتاب إلا بأدوار عادية، وتجري الطقوس، والمشاهد في الهواء الطلق، خارج سور المدينة، وتتحول المعابد إلى محطات، وأمكنة تقديم، الأضاحي، وتحمل جميع الطقوس علامات الخصب والإنجاب، ولكن جميع الطقوس تعود لعصور أبعد من القرن الثالث عشر الايماري، ويستنتج أن الايماريين كانوا سكان البادية،

وكانوا يبجلون زوجاً إلهياً في باديتهم، وكانت الفتيات يقمن بدور كهنوتي مقدس، ونبوئي، وتبنى الايماريون الإله دجن الرافدي، وعد مسؤولاً عن الدواب، وعرفوا بعل إله المطر، الذي أحبته الربة العليا أستارته Astarté، وهجرت زوجها أثتار Athtar من أجله، وسيبقى هذا الثلاثي على رأس الديانة في ايمار، ونلمس في أسماء العلم المركبة، واختلطت هذه المركبات مع الطقوس البابلية والرافدية، لتشكل ديانة ايمار.

٤ - الأضاحي:

يُعد هذا الطقس أي الأضحية من أهم الطقوس قدماً، في تاريخ سورية، والعراق، والأكثر بقاء، وممارسة من قبل الأديان السماوية التالية، وقد أنارت لنا نصوص ايمار الممارسات الخاصة بهذا الطقس، أن المظهر الأكثر أهمية من هذا الطقس، هو المائدة الجماعية ــ لأبناء ايمار ــ ويقوم المؤمنون بذبح الخراف، ويمهرون الحجارة بدمها، ودهونها، ويستهلكون لحمها، بالاشتراك مع رجال الدين، وبقية الحضور، وقد تبنى الحثيون جميع العادات الايمارية القديمة، ولم يحدث تعديل جوهري فيها.

الفصل العاشر

سورية والتنقيب عن أصول أنظمة الكتابة واختراع الأبجدية الأقدم

١ - الكتابة في سورية وأصلها العراقي (السومري).

٢ - سورية ولبنان مهد الأبجدية الأقدم.

٣ - الفرضيات القديمة حول أصل الأبجدية، وتناقضاتها ومطابقاتها.

٤ - مرحلة الأبجدية المصرية.

٥ - المرحلة السورية.

٦ - المرحلة الفينيقية (السورية - اللبنانية).

٧ - الكتابات السورية في الألف الثاني والأول ق.م.

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - الكتابة في سورية وأصلها العراقي (السومري):

بات معروفاً أن اختراع الكتابة جاء نتيجة تطور اقتصادي كبير، وتراكم في المواد والثروة، في وادي الفرات، في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، وقد تبين أن الكتابة القديمة، لم تكن سوى محاولة الإنسان السومري العراقي تصوير الشيء ورسمه، كرمز ناقل لمعرفة عددية أو نوعية، وقد تطور نظام الكتابة هذا من الصورة إلى الرمز الصوتي المقطعي، ومن ثم إلى الرمز الصوتي الأحادي، الذي سمي الأبجدي.

كانت سورية كجزء من وادي الرافدين، ومواحل المتوسط، مركزاً مهماً وأساسياً لاختراع الكتابة، وتطويرها، وقد ظهر فيها أقدم الكتابات التصويرية المسمارية، في حبوبة الكبرى، وجبل عردة، قرب سد الثورة ــ الطبقة بعد أن وصلت إليها عن طريق التجارة مع السومريين في الجنوب.

وكان نصيب سورية من مكتشفات النصوص المسمارية كبيراً، كما هو الحال في آثارها الفنية والمعمارية، وقد تركز اكتشاف هذه النصوص المسمارية في مواقع إيبلا، وماري، وآلالاخ، وأوجاريت، ويرشح الآن موقع مهم لايجاد محفوظات أخرى في تل المشرفة ــ قطنة ــ قرب حمص.

إن سورية والعراق قد كتبا خلال ما يزيد على ألفين وخمسمائة سنة بالنظام الكتابي المسماري الذي أبدعه السومريون العراقيون، ولم يستطع النظام الأبجدي الجديد الذي ظهر منذ القرن الرابع عشر أن يحتل المكانة الأولى، إلا بعد زوال آخر المراكز الثقافية السورية العراقية، بعد استيلاء الفرس واليونان عليها.

٢ - سورية ولبنان مهد الأبجدية الأقدم:

كان ثيودور الصقلي قد عد سورية مهد الكتابة الأبجدية، منذ بداية العصر المسيحي، وأكد من جديد هذه الحقيقة، المؤرخ الفرنسي العتيق، رينيه دوسو R. Dussoud، بعد اكتشاف أبجدية أوجاريت المسمارية، فما هي الوثائق الآثارية

الكتابية، التي كشفت عنها بعثات التنقيب، وما هو أصول الأبجدية السورية، واستخداماتها في الألفين الثاني والأول ق.م؟.

لا يعزى اختراع الأبجدية إلى شخصية ما في العصور القديمة، إذ إن وثيقة أوجاريت الأبجدية الأقدم، لا تحمل اسماً أو توقيعاً ويمكن تصور أن تطور الكتابة الجماعي، قد سمح بالوصول إلى رموز أبجدية، وأن هذا حدث في أوساط المتعلمين من الكتاب، والنساخ، في جميع أنحاء سورية، والعراق، ومصر، وأن كل وسط قد أوجد الحل الخاص به، ضمن فكرة اختزال الكتابة والاستغناء عن النظام التصويري، والمسماري المعقد، ويلاحظ طول المدة الزمنية الفاصلة بين ظهور المقطعية المسمارية السومرية ـ الأكادية ٢٤٠٠ق.م، والأبجدية ١٤٠٠ق.م، وهذا يعني أن الأقدمين لم يكونوا يميزون بين الصامت والمصوت بصورة واضحة، ولم يميز الإنسان بين وظيفتي الصامت والمصوت سوى في العصور الوسطى، عندما عبر اللغويون العرب عن الصامت بأنه حرف، والمصوت على أنه حركة، وصار الساكن والمتحرك معزولين عن بعضهما، فلم يكن باستطاعة القدماء كما يبدو لنا للوهلة الأولى القيام بعملية العزل هذه.

لقد ظهر الاختزال لنا فجأة، وذلك بالاستعاضة عن مئات المقاطع (الحركية، والساكنة)، ببضع عشرات من الإشارات الممثلة لحروف السكون، وبعض الحركات الأساسية، وقد انسجم هذا الواقع مع المميزات الخاصة باللغة الأكادية، والأمورية، وأخواتها، ولذا لم تكن سهلة الاستخدام، بالنسبة للإغريق، الذين كانوا بحاجة لكتابة الساكن، والمتحرك معاً، وقد تجلى إبداع هذه الطريقة الجديدة، في الكتابات الصفائية، التي عثر على كثير منها في البادية السورية الأردنية.

٣ - الفرضيات القديمة حول أصل الأبجدية، وتناقضاتها، ومطابقاتها:

كان هيرودوت، أول مؤرخ يعزى إلى الفينيقيين (سوريين، ولبنانيين، وفلسطينيين من الساحل السوري، اللبناني، الفلسطيني) Hérodote. IIist. V. 58s،

بينما يتحدث ثيودور الصقلي عن قيام الفينيقيين بتعديل نظام كتابة بالحروف، اخترعه السوريون (Diodore de Dicilr, Bibi. Hist, V. 74).

أما فيلون الجبيلي في (Euseb, Praep enengel, 1,9)، فيفضل فكرة الأصل المصري لاختراع الأبجدية السورية، وكانت هذه الافتراضات الثلاثة السابقة متناقضة من وجهة نظر المؤرخين المحدثين، منذ مئة سنة فقط، ولكن صديقنا بورد روي Pierre Bordreuil الأستاذ في جامعة باريز، وعضو بعثة أوجاريت، وقارئ نصوصها، يلخص ويعرض لنا النتائج الحديثة لدراسات هذه الافتراضات قائلاً:

«لقد اكتشفنا علاقة بين الافتراضات الثلاثة، بحيث أنّ الأقدمين لم يلحظوا وجودها، إذ يبدو أن كل فرضية أشارت إلى ما يمكن تسميته مرحلة.. فهناك مرحلة سورية - داخلية، تلاها مرحلة مصرية، وأخيراً مرحلة سورية ـ لبنانية (فينيقية)».

فما هي هذه المراحل:

٤ - مرحلة الأبجدية المصرية:

نعلم منذ مئة سنة فقط أن الكتابة المصرية، قد استخدمت قرابة عشرين حرفاً صامتاً، كانت ضائعة بين مئات من الإشارات التصويرية، ولوحظ أن الناسخ المصري، لم يتمكن من الاستفادة من هذه الحروف القليلة، وتحويلها إلى أبجدية أولى، ومن المعتقد أن النساخ السوريين الذين كانوا يتقنون نظام الكتابة المصري، لم تُخف عليهم هذه الخاصية، وربما استطاعوا هم تطوير نظامهم المقطعي إلى نظام أبجدي، وربما حدث هذا في أوجاريت، ثم بقية الساحل السوري، اللبناني، أي في جبيل.

ونعلم أن أوجاريت السورية، وجبيل اللبنانية، أقامتا علاقات وطيدة مع مصر، في وقت مبكر، وربما كانت إشارة الجبيلي إلى مصر تأتي ضمن هذا السياق، وضمن وجود تشابه بين بعض الحروف، والكتابات السينائية المبكرة، التي عرفت في عصرنا على أنها من صنع عمال سوريين، عملوا في مناجم، وأن إشاراتها كتبت بنظام أبجدي، حيث رمزوا للحرف ألف وللباء بالبيت،... إلخ.

ويعتقد بعض المختصين أن هناك ما لايقل عن تسعة حروف، هي: ألف، ب، د، و، ك، م، ع، ب، ر. وتجدر الإشارة إلى وجود أسماء هذه الحروف في أبجدية أوجاريت، منذ القرن الرابع عشر ق.م، وهكذا كان فيلون الجبيلي قد أشار إلى وجود حروف في النظام الكتابي المصري، قد ألهمت الكتّابَ السوريين أو اللبنانيين آنذاك لابتداع نظام جديد، كما أنه أشار إلى وجود تماثل مع نظام كالنظام السيناني، وأن هناك مرحلة مشابهة لما وصل إليه أهل جبيل، أو أجاريت!.

٥ - المرحلة السورية:

لقد أشار الصقلي إلى أن السوريين ابتدعوا الأبجدية، وعدلها الفينيقيون، وهوية الفينيقيين هنا ليست إلا هوية اللبنانيين الساحليين، وقد كان هؤلاء يكتبون بأنظمة الرافدين المعروفة، ولابد أنهم عدلوا، أو استخدموا النظام الأوجاريتي، ونحن نعلم أن كتاب أوجاريت رأس شمرا، قد استخدموا النظام التصويري السومري، والمقطعي الأكادي، وأخيراً الأبجدي المسماري الأوجاريتي، ورغم ابتداع الأوجاريتيين ومعرفتهم النظام الأبجدي المسماري السهل، فقد استخدموا النظام المقطعي المسماري، بصورة أوسع، ويعد الإنتاج الكتابي الأبجدي الأوجاريتي المسماري، أقدم نظام أبجدي ظهر حتى هذا الوقت، ونعلم اليوم أن استخدام هذا النظام لم يقتصر على أوجاريت، وإنما امتد حتى جبل الكرمل في فلسطين، وإلى لبنان في كامد اللوز، ... إلخ.

لاشك بأن النظام الأبجدي المسماري، هو المثال المتقدم للأبجدية الخطية، الجبيلية اللبنانية، التي استخدمت مواد أكثر مرونة، ولكنها أقل بقاء، لأن الأبجدية المسمارية، قد استخدمت الطين المشوي للكتابة، بينما استخدم الفينيقيون المواد الجلدية، والنباتية وغير ذلك مما كان عرضة للتلف السريع، وعدم بقاء كثير من الأمثلة عليها.

٦ - المرحلة الفينيقية (السورية - اللبنانية):

عندما ازدهرت تجارة سورية في القرن العاشر وما بعد، قام السوريون واللبنانيون القدماء (الفينيقيون)، بنقل معارفهم الكتابية إلى الإغريق، (نحو القرن ٨

ق.م)، والعالم البوني فيما بعد، وحملت الأبجدية الاغريقية أسماء الأحرف الفينيقية نفسه (ألف، بيتا، جما، دلتا،.. إلخ).

٧ - الكتابات السورية في الألف الثاني والأول ق.م:

لقد ظهرت أمثلة عن أنظمة كتابة الممالك الأرامية السورية، مثل نصب سفيرة، والمؤرخ في القرن الثامن ق.م، وتمثال ملك أرامي موجود الآن في متحف دمشق، عثر عليه في شمال سورية، ويحمل نصاً أرامياً وآخر أكادياً، وقد لوحظ أن نظام كتابة هذا التمثال قد تطور واستخدم حتى القرن الثاني ق.م، ثم تتمثل بالنبطية (٤٠) والتدمري (٤١)، والسريانية (٤٢)، واستخدم العرب القدماء النبطية، ولكن السريانية تبدو أقرب إلى الخط العربي، كما مارس الأجداد في الحيرة، ممثل اللخميين، جنوب بغداد.

وهكذا يمكن تلخيص نتائج أصول الأبجدية كما يلي:

كان المصريون قد عرفوا بعض الحروف الأبجدية، ولكن لم يستخدموها كنظام مستقل، بينما كانت سورية مركز النشاط الإبداعي في تبديل أنظمة الكتابة العراقية، والسورية، وتطورها، وهكذا أبدعت النظام الأبجدي المسماري في أوجاريت، في القرن الرابع عشرق.م، ثم أبدعت النظام الأبجدي الخطي في جبيل اللبنانية، في نحو القرن الثاني عشر ق.م، كما أشرنا سابقاً، إلى آخر اكتشاف من أوجاريت وهو بضع حروف أبجدية قريبة من أبجدية جنوب الجزيرة العربية يشير إلى أن المشكلة مفتوحة وهناك حقائق مطمورة ربما تخرج وتبدل معارفنا، أو أنها لن تخرج أبداً.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الفصل الحادي عشر
مظاهر الدين السوري القديم

١- الآلهة وأساطيرها في المشخصات والرسوم الفنية (تاريخ رسم الأيقونات).

٢ - أقدم صور الإله.

٣ - الربة المتعرية.

٤ - الربة المجنحة.

٥ - أثيرات والدة الآلهة.

٦ - تأثير فن التصوير المصري.

٧ - صناعة المشخصات الفخارية السورية ودورها الاجتماعي.

٨ - ما هو معنى المشخصات.

٩ - الأنماط والأشكال.

١٠ - الرمز الديني والاجتماعي للمشخصات.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١- الآلهة وأساطيرها في المشخصات والرسوم الفنية (تاريخ رسم الأيقونات)

إن فن التصوير والرسم السوري القديم، قد أبدع عدداً من الصور والرسوم التقليدية، هدفها تصوير أفعال ومراسم إلهية، (الأيقونات)، وقد تنوعت هذه الأعمال الفنية وفق المكان والزمان، وهوية الفنان، فقد ابتدع الفنان القديم، صورة الإله السوري أدد - هدد - حدد Adad، ويعل، الذي ولد لدى فناني السهول والسواحل وعرفه الحوريون تحت اسم تيشوب، ويمثل أدد، إله الصاعقة والرعد، إنه إله الخصب أيضاً في مجتمعاتنا الزراعية البعيدة، وقد مثله الفنان بشاب قوي، مفتول العضلات، وقد أطلق من يده عرقاً يشبه شكل البرق، الذي يحدث في السماء عند الرعد، وإلى جانبه حيوانه المفضل الثور، ولا تختلف قلنسوة أدد عن مثيلها لدى الجندي العربي في عصر الإسلام.

لقد تخصص كل جزء، أو منطقة من سورية بلون من ألوان التصوير الملحمي، وبخاصة ما نلحظه من اختلاف في هذا الفن، ما بين الساحل والداخل، والداخل وأعالي الفرات... إلخ، إذا أردنا اختيار مثالين على ما تقدم، فلن نجد أفضل من ماري، وأوجاريت، فالأولى: هي فراتية، صحراوية، تجمع لب التقاليد العراقية السورية، النهرية، والبادية.

والثانية: ساحلية، ذات صلة وثيقة بالداخل والفرات، إلا أنها معرضة لتيارات بحرية، أهمها: تلك القادمة من مصر، وتلك من بحر إيجه، عن طريق قبرص، وكريت، وتلك الأناضولية الشمالية، وهكذا نجد أن اراضي سورية قد استطاعت أن تجمع الخصائص الأثرية التقليدية العتيقة في وادي الفرات العراقي السوري، وأن تطعمه بألوان بحرية مصرية، وإغريقية، وأناضولية، فهل يمكننا بعد ذلك عد التصوير الملحمي على الأختام، والمنمنمات، والتمائم الزينية في أوجاريت، وماري نقطة انطلاق لفهم هذا الفن السوري العراقي العتيق؟، وهل نستطيع أن نرى الفروق بين فن أوجاريت، وفن بابل؟، وماهو المشترك بينهما؟.

لقد سهلت لنا مكتشفات أوجاريت، التي تعود للقرنين (١٤ - ١٣ق.م)، هذه المهمة، وجعلتنا قادرين على رسم صورة تطور هذا الفن، من خلال مصدرين أساسيين هما: الملاحم الكتابية، والتصوير الفني، وهنا لابد من التحذير من مغبة الوقوع في بحر التفسيرات الأدبية الملحمية، لنصوص أوجاريت، وعلاقاتها بصور الملاحم الفنية.

إذ يجب أن نعلم أن الرسم والتصوير في سورية ــ كما في غيرها من البلدان ــ قد سبقا مرحلة تسطير الأساطير، وتدوين أخبار أعمال الآلهة، وعلى هذا فإن أيقونات ومنمنمات، وأختام أوجاريت، لا تواكب، أو تعاصر زمن كتابة أدبها الديني، والأسطوري، (وهو القرنان ١٤ ــ ١٣ ق.م، كما أسلفنا)، بمعنى آخر إن تطور الرسم، والتصوير على الأختام مجرد طابع يمثل نصاً ما، رغم أن المشاهد المصورة تمثل تفكيراً دينياً واحداً!.

٢ - أقدم صور الإله:

كشف لنا الشعر الملحمي الأوجاريتي، تركيب مجمع آلهة المدينة، إذ يتربع على عرش هذا المجمع، إل ــ الإله ــ فهو من خلال الشاعر: (أب الآلهة أجمعين)، و(خالق الخالقين)، وقد ظهر في عمل فني أوجاريتي، منحوت على الحجر القاسي، وهو شيخ حكيم عتيق جالس بوقار وعظمة فوق عرشه يتقبل النذور ويهب الرحمة والحكمة، من جهة أخرى، قل أن مثله المصور النحات في مشاهد الأختام، وإن حدث هذا، وعثرنا عليه، فنجده ممثلا من خلال مشهد رافدي، بشكل الإله ــ إيا ــ ممسكاً بمزهرية، يتدفق منها الماء العذب، أما قلنسوته ذات الشكل الهرمي الملتف فتبدو أكثر جمالاً ورهبة من قلنسوة المحارب أدد، أو بعل، إلى جانبه.

إن إل، هو سيد المياه والطوفان، في بلاد الرافدين، وفي سورية، وفي أوجاريت وأدبها، هو سيد: (منابع الأنهار، ومصباتها وسط المحيطات)، إن شخصية إل ــ إله ــ الرصينة المفكرة، تجعل منه إلهاً حكيماً معتكفاً، يحتفظ بثقافته العتيقة، وحلمه، وتزهده.

ويظهر أدد ــ بعل ــ الإله المعشوق من قبل البطون، والقبائل البدوية الصغيرة، في البوادي السورية، وفلسطين، ولبنان، والساحل، ويصبح بعل متقمصاً في آلهة العشائر الفلسطينية، والحجازية القريبة.

يظهر بعل مواجهاً إل في الختم، وقد تقلد أسلحته، وهي المطرقة والبلطة والحربة وقد وقف فوق الجبال بكل اعتزاز، إن بعل فارس الغيوم والصواعق، هذا ونرى نموذجاً له في متحف اللوفر في فرنسا، وآخر في متحف طرطوس عثر عليه قرب القدموس ويعود للقرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد أمسك برمح طويل معقوف، يرمز إلى الصواعق، واللمع، ويشبه عرقاً أخضر، رمز الخصوبة والحياة، هذا إلى جانب أسلحته التقليدية.

إنه المشهد رمزي ويترجم لنا وظيفة هذه الإله الضرورية للحياة، فبدونه تتحول الأرض إلى القحط والجفاف، وينتصر (موت) إله الفناء ونهاية المواسم في ملحمة أوجاريت الشعرية، حيث يكتب له النصر على بعل، وهكذا يعيش الناس تعاقب فصول السنة، ويعود بعل ليأخذ بثأره، وتتجدد الحياة في الشتاء، وهو بذلك، أي بعل رمز التخصيب، لأن رسمه يترافق والثور، وهو ممسك برسنه.

حملت الأختام السورية صور إله الرعد الذي اقتبسه الحوريون، تحت اسم تيشوب، وهو ممسك بالصاعقة، وقد امتطى الثور، كما عثر على ختم في مسكنة، وقد مثل تيشوب أمام إله القمر الحوري، كوشوخ، ويعود هذا إلى فترة الهيمنة الحثية، (في القرنين ١٤ ــ ١٣ق.م).

٣ - الربة المتعرية:

يظهر ثور بعل في بعض الأختام، وفوق ظهره ربة عارية، أو نهاية تعريها، وأقدم ظهور لصورتها في حفر بدائي على لوح صدفي من ماري، وتبدو ربة أخرى من الطراز نفسه، بقامتها الممشوقة، تلبس معطفاً، وقد ارتد نصفه، فانكشف نصف جسدها عارياً، إن هذا المشهد يمثل نهجاً رافدياً أكثر منه ساحلياً، يعود للقرن الثامن

عشر ق.م، ويمثل الربة الأم في تعبير تصويري، يدل على صفاتها كمانحة للحب، واللذة، والشهوة. وقد مثلت هذه الربة، الأم، في كثير من أعمال الطين والفخار الفنية، ونعلم أن هذا الفن التمثيلي للأم، يعود للعصور الحجرية، وظهر في أوجاريت قطعة تعليق ذهبية صغيرة (١٣ق.م)، تمثل الربة عارية، ومن حولها بعض الحيوانات (الأسد)، مما يدل على أنها سيدة الحيوانات، أو القديسة/قادش، وهناك صفيحة تعليق أخرى تبرز الربة أكثر بساطة، من حيث الشكل، حيث تبدو شبيهة بحاتور المصرية.

٤ - الربة المجنحة:

تبدو عنات Anat في مشاهد أخرى قرب ثور بعل ــ في مشهد يذكرنا فيما بعد بمشهد خطف أوروبا من قبل زيوس، التخفي على هيئة ثور ــ وعنات، ربة معشوقة، ومحبوبة بعل، الذي يلعب دوراً هاماً مع إله الرعد، في أساطير أوجاريت، فهي أي عنات مثل عشتار البابلية، ربة الحب والحرب، المدافعة عن بعل ضد أعدائه، ويصفها الشاعر بأنها قوية، مجنحة، ومسلحة، وقد نحتت ورسمت على هذه الصور في معظم مشاهد الأختام، وغيرها من فنون التصوير السوري القديم، وتظهر عنات المجنحة في ختم، من رأس شمرا، إلى جانب ربة أخرى مجنحة كسيدة للحيوانات، وتساعدها بعض المرافقات.

٥ - أثيرات والدة الآلهة:

إن مكانة الربة الأنثى لا تختلف عن الإله الذكر، ولكن هناك صعوبة في تمييز الربة الأم دائماً، في المصورات السورية التقليدية القديمة، وتبدو شخصية الربة أثيرات Athirat الأكثر ظهوراً في أعمال أوجاريت الفنية، وهي تبدو ربة الربات، وزوجة الإله الأكبر إل، وتبدو كممرضة ووالدة للآلهة، وتبدو في الرسوم وهي تعتمر قلنسوة، ذات مواصفات خاصة، مرتفعة وعالية، وتحمل بيدها كأساً، أو صليباً مثنياً، وهي إشارة الحياة المقتبسة من التزينات المصرية الفنية، ونرى أثيرات في مشاهد عديدة -

على أختام اسطوانية ـ وهي تتلقى احتراماً وتبجيلاً من الملك، الذي نـراه معتمـراً قلنسوة بيضوية، ومعطفاً قد زُين طرفة بقطعة من الفراء.

ونرى مشهد ختم الملك تونا سومبرابا، حيث يقف في المركز تحت قرص شمس مجنة، مقتبس من مصر، ومحمي من إله يشبه حوروس المصري، هذا ويمكن للملـك نفسه أن يصبح إلهاً، هذا ما نلحظه في التمثال الصغير من البرونز، الذي عثر عليه في المشرفة ـ قطنا ـ ونرى القلنسوة الملكية بسيطة، بدون القرون التي تميز مرتبتها الوظيفية، ونرى مشهداً اسطوانياً، حيث تتلقى الربة الكبرى احترام، وتبجيل حاشية إلهية، يتقدمها بعل، ويتبعه الربة عناث، التي تعري جسدها، ويلي ذلك إله مسلح بقوس، حيث يختتم المشهد. أخيراً يبدو لنا أحد الآلهة، قليل الظهور في المشاهد السورية، ويظن أنه يمثل الإله رشف Reshef، وهو إله سوري عتيق، يقابله نرجال Nergal إله شمس جهنم.

٦ - تأثير فن التصوير المصري:

إن إقامة مجموعة من الهكسوس في مصر، نحو ١٧٠٠ق.م، قد ساهم في تطور العلاقات السورية، الفلسطينية، المصرية، على جميع المستويات الفنية، وظهرت بعض المؤثرات المصرية في فن التصوير السوري اللبناني، الفلسطيني. حيث نرى آلهة ذات مواصفات وهيئات مصرية، مثل خنوم، وآمون، وحوروس، وستصبح الصورة التقليدية للملك السوري مشابهة للفرعون، الذي يعتمر قلنسوة بقرنين، وكانت مصر بالمقابل تمثل عناة مواجهة واقفة فوق أسد، وبجانبها رشف، وقد تعبد رمسيس الثاني إلى الربة عنات، وكانت تظهر في الرسوم المصرية على حصان وسلاح. وقد تفهقهر فن التصوير والحفر الخياليين في سورية، في نهاية الألف الأول قبل الميلاد، وعاش التصوير السوري القديم دونما تطوير يذكر، وظهر بعض الأعمال التي اكتفت بتقليد، أو التأثر بالطراز المصري، ولم يقدم الحثيون، ولا الميتانيون ـ وهم عناصر هندو أوروبية شمالية ـ أي عناصر إبداعية لهذا الفن، فقد

بقي تقليداً دونما تجديد، في موضوعات سميت متباينة ـــــ سورية ـــ أو حثية سورية... إلخ، لن يفوق إبداع فناني ماري، وأوجاريت، السوريين القدماء أي فنان آخر في مجال إبداع التصوير الأيقوني.

٧ - صناعة المشخصات الفخارية السورية ودورها الاجتماعي:

تعد المشخصات الفخارية الإنسانية من أكثر الوثائق الأثرية صدقاً، وتمثيلاً، للمعتقدات الدينية والاجتماعية السورية العتيقة، وهي منتشرة بكثرة في معظم مواقع التنقيب الأثري في سورية، وقد قدم الفرات، وبخاصة المناطق التي غمرت خلف سد الثورة، وكذلك تنقيبات إبلا، مجموعات كبيرة من هذه المشخصات الإنسانية الفخارية، وشكلت إلى جانب اللقى الأخرى، مثل الفخار، والأدوات البرونزية، وغيرها - مصادر مهمة لدراسة المجتمع السوري في عصر البرونز، علماً بأن هذا الفن، أي التمثيل على شكل تميمة، أو دمية، قد عرف منذ عصر الفخار، المبكر في الألف الثامن ق.م، ومثال ذلك: تل مريبط في سورية. حيث مثلت المرأة، أو الربة واقفة، وقد ضمت يديها إلى البطن، وضخم أجزاء جسمها الأنثوية، وعرف مثل هذه المشخصات في رأس شمرا، وجبيل، على الساحل السوري اللبناني، وقد حصل الآثاريون على عدد كبير (١٥٠٠) من المشخصات، التي تؤرخ في عصر البرونز، في مواقع تل عطشانة، آلالاخ، وإبلا، وتل مرديخ وحماة، وماري، ومسكنة، وايمار، وسلنكحية، وتل ليلان، وموزان... إلخ. إن أبسط طريقة لصنع هذه الدمى الإنسانية، هو اليد، حيث يجبل الصلصال بالماء، ليشكل عجينة لينة، وهناك بعض القوالب التي تساعد على إنتاج أكثر، ويوضع قرصان مثقوبان بمثلان العينين، وفتيلتان من الطين للأيدي، وقطع صغيرة للأثداء، والبطن... إلخ.

٨ - ما هو معنى المشخصات:

إن معظم المشخصات هي دمى أنثوية، وتحدد هويتها من خلال تكوينها، وظهور أعضائها الأنثوية، وبخاصة وضعية اليدين، وكأنهما الثديين، ويمكن لبعضها

أن يكون لها شعر كذنب الحصان. أما المشخصات الذكرية فهي نادرة جداً، وتعرف من خلال الذقن، واللحية، وشكل الرأس، والجسم وتصنع جميع المشخصات بوضعية الوقوف المسطح، وقد تحمل وعاءً، أو سلاحاً، أو حيواناً، ومعظمها مشخصات مذكرة.

٩ - الأنماط والأشكال:

يمكن تحديد أنماط المشخصات، وأشكالها، عن طريق معرفة مكان الصنع، وتحديد الطراز والشكل، ومن أشهر الطرز ما عثر عليه في مناطق العاصي، وهي مشخصة أنثوية، وبساقين، مضمومتين، وشق في المنتصف. وطويت البدان فوق الثديين، وشكل الوجه قريب من وجه العصفور، وعيون مقرصة مثقوبة، والأذنين كذلك. وتعد مشخصات الفرات الأكثر تقليدية، وتعرف بجسدها الطويل، وشعر ذيل الحصان.

إن مشخصات الساحل قليلة جداً، وصناعتها أقل اتقاناً، ويمكن تصنيف المشخصات، وفق تسلسل زمني، إذ إن أفضلها من وادي الفرات، ويعود للألف الثالث، ثم مشخصات وادي العاصي، الأكثر عدداً، وتعود للألف الثاني، أما الساحل فمشخصاته قليلة، وتعود لعصر البرونز الحديث.

١٠ - الرمز الديني والاجتماعي للمشخصات:

لا يوجد إلا عدد ضئيل مما عثر عليه في المعابد، أو المقابر، ولذا من الصعب ربطها بطقوس تعبدية، وقد عثر على معظمها في البيوت والساحات. أما معنى وجودها، وحملها فقد يعني الفأل والحماية، حيث توضع على باب المدخل مثلاً، أو أن لها فعلاً سحرياً، مؤثراً في الأشخاص، فهي أداة تعبد، ويرتبط هذا المفهوم بقوة بالخصوبة، والتوالد، وهو ما يتمناه المرء عندما يفقده، أو أنها واسطة لحمل التقدمات والأضاحي.

وقل رب زدني علما
Damascus University

الفصل الثاني عشر

الآراميون

ودولهم حتى احتلال الإغريق عام ٣٣٣ ق.م

١ - الآراميون وظهورهم السياسي وسط أزمات القرن الثاني عشر.

٢ - الصراعات الدولية.

٣ - غزو الآراميين وأصولهم.

٤ - زوال دول العراق والشام أمام غزو الآراميين.

٥ - مملكة آرام وجيرانها.

٦ - أورارتو وسورية الشام.

٧ - امبراطورية آشور في الشام والعراق (٧٢١ - ٦١٠ق.م).

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

١ - الآراميون وظهورهم السياسي وسط أزمات القرن الثاني عشر:

لم تسمح المعلومات الأثرية القليلة والكتابات النادرة المتعلقة بغزوات شعوب البحر بمعرفة أوضاع بلاد الشام الحقيقية التي كانت المسرح الأساس لتحركاتهم واستقرارهم وخاصة "الفلست" أو الفلسطينيون. علماً أن الآمال بتغير هذا الحال قليلة جداً، وسنبقى محصورين بتلك المعلومات المتأخرة عنهم ألا وهي إشارات الحوليات الأشورية والنقوش المصرية المحرية «الهيروجليفية» والحثية، وبعض إشارات "التوراة" ولا نعرف تماماً تواريخ وأماكن تحركاتهم.

وتظهر في سورية الشمال (حماة ـ كركميش)، وفي وسط هذا القرن الثاني عشر وظروفة إمارات حثية صغيرة ليست بذات أهمية كبيرة. وتختفي إمارة ألالاخ وكيزوانتا. أما في قيصرية فقد شكل الحثيون جبهة ضد الغزاة الأوربيين الجدد مثل الفريجيين، والميليتيين والميليديين والكاسكي (كاسجا!). كما واجه الأشوريون جماعة الموشكيين، حيث نجح تجلات بلاصر الأول (١١١٥ ـ ١٠٧٧) بإيقافهم. ووصل بفتوحه الجديدة إلى تدمر (بلاد الأموريين) ووصل إلى سواحل البحر المتوسط اللبناني والسوري والفلسطيني وحصل على جزية من جبيل وصيدا وأرواد وسيميرا[1].

ويبدو أن المدن العمورية الساحلية (الفينيقية) كانت تتمتع ببعض الاستقلال إلا أن أوجاريت وآلالاخ ومدن معاصرة أخرى أقل أهمية، قد اختفت إلى الأبد ولم تعد إلا من خلال معاول علماء الآثار. وكان سكان فلسطين من قبائل مختلفة في صراع مستمر وخاصة الكنعانيون واليهويون. وكان البابليون والأشوريون والعيلاميون يبحثون، كما كانوا في الماضي عن طريقة لفرض سيطرتهم على بلاد الشام المتقلبة دائماً. ولكن جميع هؤلاء لم يكونوا يتخيلون المصير الذي ينتظرهم، ولم يقدروا أهمية الخطر المتمثل بالقبائل البدوية الآرامية التي كانت تملأ بادية الشام والحجاز، رعياً وحركة انتقال وتهديداً للمحيط. وكان لانحسار الهياكل السياسية في الشام وخاصة

(1) L.W. king. Annals of the kings of Assyria Londres, 1902. p50

سورية وفلسطين، وتقهقر وزوال دول الرافدين قد سهّل تغلغل هذه المجموعات البشرية الشامية الجديدة. حيث كانوا يتدفقون بسرعة على أماكن الراعي والخصب في فلسطين وجبل بشري (بسري ـــ الأكادي) قرب تدمر وعلى طول نهر الفرات الأوسط. ويبدو أن سنوات عجاف قد جلبت المجاعات واستجرت الكوارث مما أدى إلى تفجرات وموجات سكانية في الشامية وصلت موجاتها إلى العراق، فأغرقت بابل واستقرت في أراضيها ووصلت حتى شواطئ الخليج، وممالك البحر. وتشكل هجرة الأراميين هذه الظاهرة الأكثر وضوحاً والأكثر خطراً في تاريخ الشام والعراق حتّى المشرق العربي وجواره الإيراني والأناضولي. وقد أشارت ردود فعل عسكرية آشورية شرسة دون جدوى وحاولت بابل تجديد ماضيها فلم تنجح أمامهم، وهكذا فرضوا وجودهم السياسي والعسكري في سورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق وايران والأناضول، حتى لغة فارس الرسمية أضحت الآرامية فيما بعد، وبقدر ما كانت التبدلات مثيرة وفاجعة بقدر ما ينقصنا الشواهد المباشرة عنها، وخاصة في منعطفات نهاية الألف الثاني[1].

٢ - الصراعات الدولية:

لقد انتهى صراع آشور وبابل الكاشية بانتصارات متلاحقة للعيلاميين أسلاف الإيرانيين، ولمع اسم ملكهم شيلحاك انشوشيناك shilhak-Inshushinak الذي أوصل النفوذ العيلامي حتى الشام وبحرها المتوسط وجمع أنصبة وتماثيل ونفائس من العراق وسورية وصمدها في معابد سوز suz. ولكن هذه القوة الصاعدة ستتكسر في غياهب القرن الثاني عشر المظلمة.

---

(١) إن معظم الكتابات الآرامية قد جمعت في:

H. Donner, W RÖllig, kanaanaische and aramaische Inschritlen, 3vol. Wesbaden, 1964, 1966, 1967.

وانظر:

A.Dupont-sommer, les inscriptions araméennes de sfiré, paris, 1958.
J.Fitzmyer, the Aramaic Inscriptions of sefire, Rome, 1967.

وانشغل الآشوريون أيضاً بظهور جماعات جديدة تدعى الأخلامو Ahlamu وشكلوا خطراً ضاغطاً على أشور في نهاية القرن الثاني عشر، وكان مصدر انطلاقها بوادي الشامية أيضاً، وبدا من خلال الوثائق التي تشير إليهم أنهم يتصلون بالأراميين كشاميين وكبدو، من جهة أخرى استطاع نبوخذ نصر الأول البابلي أن ينتصر على بقايا العشائر الأمورية في المناطق الآنفة الذكر وقرب تدمر بالتحديد وهناك شك في أن يكونوا هم أنفسهم الأخلامو سابقي الذكر[1]، وبذلك تضيع هوية البدو بين العموريين/الأموريين وبين الآراميين. إلا أن تجلات بلاصر الأول سيد أشور تمكن من السيطرة على أعالي الدجلة حيث نجد نصبه في أعماق الأناضول ويضيف إلى ذلك قائلاً في حوليته الملكية: «ولقد مضيت ضد الأخلامو ـ الأراميين أعداء مولاي الإله أشور. ومشيت في نهار واحد من أطراف بلاد سوخي حتى كركميش وبلاد خاتي. وكبدتهم الخسائر وأخذت منهم أسرى وممتلكات وأغنام عديدة»[2]. هنا يحدد لنا الأشوريون هويتهم، وبعد ذلك بسحق ما تبقى من خصومه قرب جبل بشرى في بادية الشام. وهكذا نلاحظ أنه قطع مسافة ٥٠٠ كم بين جبهتي الشمال الأناضولي والجنوب الشامي. فقد كان الآراميون قد توغلوا في حوض الفرات حتى أبواب آشور وبابل. وعندما غُلبوا على أمرهم انطووا إلى البادية، بينما تابع تجلات بلاصر تقدمه على رأس جيش من العربات غرباً إلى المتوسط كما هي عادة ملوك الفرات. وسيطر على الساحل وأخذ الجزية من جبيل وصيدا في لبنان وأرواد في سورية، وأخضع الحثيين في طريق عودته، وأخذ منهم الأخشاب كضريبة. وهكذا بدا لنا من خلال كتابته منتصراً في حروبه شمالاً وجنوباً، إلا أنه كرر مثل هذه العبارات في نصوص أخرى قائلاً: «عبرت الفرات ثمانٍ وعشرين مرة، بمعدل مرتين في السنة، وهزمتهم (أي الآراميون) في تدمر وفي بلاد الأموريين ومدينة أنات Anat في بلاد سوخي حتى

---

(1) R. Borger, AFO, 23, 1970, 8.

(2) L.W. king, p. 72, v, 46-53..ن

مدينة رابيقوم في بلاد كردونياش (أي بابل)» [1] وهذا دليل على استمرار حروبه وعدم زوال خطر البداة الشاميين من الآراميين والعموريين وما إلى ذلك، ومع ذلك كانت آشور في عهد تجلاث بلاصر متماسكة وقوية وتهيمن على الفرات وسورية وسواحلها.

من جهة أخرى، فإن ملك "بابل مردوخ ندين أخي" سارع لمهاجمة مدينة إكالاتوم على الفرات قرب الرقة واستولى على صروح الإله آدد مستغلاً انشغال تجلات بلاصر مع الآراميين. إلا أن الأحداث قد تغيرت سريعاً بعد حدوث قحط ومجاعة دفعت بالبدو الآراميين إلى مهاجمة الحواضر البابلية والآشورية، وتكررت المصائب في بلاد آشور حيث فقدت محصولها غرقاً، مما شجع الآراميين على مواصلة حصارهم حتى تمكنوا من إجبار تجلات بلاصر على ترك عاصمته واللجوء إلى الجبال. ولا ندري ما الذي حل ببابل أمام هذه الموجة البشرية الآرامية حوالي ١٠٨٠ ق.م[2].

٣ - غزو الآراميين وأصولهم:

كان تجلات بلاصر الأول السابق الذكر أول من ذكر اسم الآراميين/آراميا aramaia. إلا أن الأخلامو الذين ذكروا في عهد أريك دين ايلي Arik-den-ili في نهاية القرن الرابع عشر قد اعتبروا أسلافهم. وسيبقى اسمهم المزدوج أخلامو ـ آراميا قيد الاستعمال حتى عهد آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣ ـــ ٨٥٩ ويختفي في عهد سنخريب[3]. ولا شيء يدل على أنهما يعنيان شيئاً واحداً في القرن الحادي عشر. كما لا يوجد ما يدل على أن الأخلامو يشكلون مجموعة أكبر من الآراميين. ولكن الاسمين يعنيان بالنسبة لسكان المدن بدو الشامية وحال هؤلاء مثل بدو خانا ـ وبني يمين أو الأموريين والسوتيين في بداية الألف الثاني. وقد أوضح ج.ر كوبر J.R kupper أعلاه

---

(1) KAH, II, 63, III, 9-14; 66, F.9-10; 69, 12-14; 71, 20-23.

(2) E.weidner, fragment de chronique: AFO, 17, 1956, 384: H. Tadmor, YNES, 17, 1958, 133-134.

(3) J.A. Brinkman, A political History of post kassite Balylonia, (1158-722, Rom, 1968).

وهي الدراسة الأفضل عن هذه المرحلة.

أن هذه البطون والقبائل تتكلم لهجة واحدة، ولعل الأسماء التي يستخدمها سكان المدن هي تلك الخاصة بالقبائل الأكثر قوة وعدداً أو بعضها التي تعرفوا عليها أولاً.

لقد كان الأخلامو أكثر حضوراً في الرافدين في القرن الثالث عشر وظلوا كذلك حتى ظهر اسم الأراميين بقوة مماثلة بعد ثلاثة قرون وتبعوا طريق التسرب إلى المدن للعمل أو للإغارة. ويلاحظ أن مكان تجمعهم هو واحد أي في جبل بشري قرب تدمر والذي كان دائماً مركزاً متقدماً في بوادي الشام والحجاز. وينكرنا هذا بالعموريين وسكناهم وأخيراً بالعرب وحضورهم في الشام والفرات بعد قرون قليلة كما سنرى، هذا وليس غريباً أن يذكر اسم الأخلامو والأراميين في نصوص أقدم وخاصة في نصوص تل العمارنة. حيث نجدهم في بابل الكاشية طلباً للعمل والغريب في الأمر وصول بعضهم إلى تلمون/البحرين للسبب ذاته[1]. ونعلم أن أحد قادة أدد ـ نيراري الأول ١٣٠٧ ـ ١٢٧٥ قد طارد بدواً من خيرانا Hi-ra-na وخزمي Ha-as-mi وسوبارتو. وأشارت النصوص اللاحقة أن هذه المناطق هي في بلاد الأراميين[2]. وقد كان تنقلهم مستمراً ولكنه يغدو عنيفاً في أيام القحط فيتحول إلى ظاهرة كارثية.

٤ - زوال دول العراق والشام أمام غزو الأراميين:

لقد تركز غزو الأراميين ضد أشور، وكانت مقاومة تجلات بلاصر وخليفته أشاريد أبيل ايكور ١٠٧٦ ـ ١٠٧٥، غير قادرة على إيقافه. وكان على الخليفة الثالث أشور بعل كالا أن يحارب أورواترى Uruatri حول بحيرة فان (أرمينية). وكانت الخصومة مع بابل قد غابت وهي التي عاشت زمناً طويلاً وقد خيم من حولها ١٠٥ شيخ من قبائل الأخلامو كما تذكر الحوليات، واستطاع أحد ملوك أشور أن يقيم ملكاً من اصل آرامي على بابل. وتوسع الأراميون فاستولوا على مدن جنوب العراق،

---

(1) P.B. Cornwall, JCS, 6, 1952, 137-145; J-R, kupper, 108.

(2) O.R. Gurney, Iraq, 11, 1949, 131-149, n10°; kupper, 115.

من أجل أول ملك آرامي في بابل ن: J.A. Brinkman, 136.

وأوقفوا عبادة الإله شمش في معابدها لمدة طويلة، ولم تعد هناك إدارة قوية في جميع مدن بابل وأشور في نهاية القرن الحادي عشر. بينما استطاعت "بلاد البحر" على الخليج العربي أن تمتص الهجوم الآرامي بسبب مستنقعاتها وأدغالها. بينما راح الآراميون يستولون على مدن شمال سورية والأناضول بدءاً من كركميش حتى ماردين. وكانت الكوارث والقحط ما تزال تهدد سكان أشور، وبذلك فقدت بابل معظم مقاومتها وأسلحتها بينما اكتسب الآراميون الشاميون البداة القوة والخبرة من حروبهم الطويلة وهذا ما سيجعلهم أسياد العراق والشام في القرون التالية.

من جهة أخرى لم يترك الآراميون مدن سورية وسواحلها القديمة وراءهم عن قصد، وراحوا يهاجمون بابل وأشور في العراق. بل لأن هذه المدن استطاعت أن تقف أمام تسربهم لفترات طويلة وكان خطها الدفاعي يبدأ من حماة والمتوسط إلى كركميش ثم إلى آشور. ونتعرف من خلال ذلك على المدن التي لم تطلها غزوات "شعوب البحر" والتي نجحت بمقاومتهم حتى الغزو الآرامي الجديد. كما نجح الحثيون في الأناضول وشمال سورية في وقفهم وكان بينهم عناصر لوفيه أوربية، ربما كانت من بقايا "شعوب البحر". ولكن الآراميين تمكنوا أخيراً من الهيمنة على المدن الحثية وتأسيس أول مملكة لهم في شمال سورية تدعى بيت عديني Bit-Adini حوالي ٩٢٠ ق. م وبعدها سمأل أو بيت جبار Bit-Gabbar. بينما كانت حماة وراءهم ما تزال في أيدي الحثيين ولكنها سقطت بعد قرن آخر. وهكذا نستطيع تلمس طبيعة وطريقة هذا الغزو الآرامي الجديد من خلال وصف كوبر Kupper في كتابه أعلاه (ص١١٩): «إنه كالموج الذي يصعد فيغرق المنخفضات ويتسرب عبر الشقوق، مطوقاً أحياناً مساحات واسعة وفق هدف يبدو لنا متقلباً». وهكذا فإن حركاتهم وتنقلاتهم شملت الشام والعراق في آن واحد حتى تمت لهم السيادة الكاملة. وتعكس بعض أخبار التوراة ثقل حضورهم في جنوب سورية كما في شمالها، حيث تغدو دمشق إحدى أهم ممالكهم[1]. أما فلسطين

(1) KAH, II, 71, 16; B. Lands berger, sam'al, Ankara, 1948.

والأردن ولبنان فإن الأمراء العموريين الذين كشفت وثائق تل العمارنة بعض أسمائهم ما يزالون في منأىً عن الصراعات الدامية في سورية والعراق. ولم يظهر أثرياً أو كتابياً ما يدل على الروايات التوراتية التي كتبت لاحقاً في القرن الرابع على يد الكهان اليهود. ولا نستطيع هنا ــ كما يفعل بعض دارسي التوراة ــ أن نتحدث عن مملكة أو إمارات يهوية أو يهودية ما لم يدعم ذلك بوثائق معاصرة تعود للقرن الحادي عشر والعاشر ق.م أي ما يسمى عصر الحديد المتأخر... وهو المشكلة التي أسالت الكثير من الحبر بين أنصار "إسرائيل" وعلماء الآثار والمؤرخين الذين يتطلبون شواهد معاصرة كما أسلفنا، وما هو متوفر الآن ينحصر بذكر اسم بعض الممالك الأردنية من مؤابيين وأمونيين وأدوميين وآراميين. أما الفترة المنسوبة إلى داوود وسليمان فما يزال النقاش حولها مستمراً، ولم تقدم الحفائر الأثرية شيئاً عنها، ويكفي الإشارة إلى قول كينون أن بعضهم اعتقد بأن استطبلات رومانية تعود لعصر سليمان[1]!

أما عن الساحل فقد كان الصوريون والصيداويون والأروادیون وغيرهم من عموريي وآراميي الساحل قد غزوا المتوسط وعرفوا بالفينيقيين من قبل اليونان فيما بعد. وقد امتدت تجارتهم حتى وصلت إسبانيا والبحر الأحمر وأطراف الجزيرة العربية وكانت بضائعهم تتألف من الذهب والفضة والأحجار الكريمة وخشب الصندل والعاج ويتوافق هذا مع أنباء حول سبأ في اليمن وحضر موت. كل هذا في غياب قوى الرافدين الآشورية والبابلية، وضمور أنشطة الإمارات الآرامية في دمشق وحماة وغيرها، ولكن هذا لن يدوم طويلاً وستبدأ رياح الرافدين الآرامية الجديدة التي ستعود بحلة آشورية وبابلية. هذا ولم يكن الآراميون في أعلى الجزيرة وخاصة وادي الخابور المركز الوحيد الذي كان يهدد الدولة الأشورية، فقد كان على آشور دن الثاني Ashur-dan ٩٣٤ ق.م وخلفه آدد نيراري الثاني (٩١١ ــ ٨٩١ ق.م)[2] أن يقاتلا ضد سكان

---

(1) K.M.Kenyon, Archeology in the Holy land London, 1960.

(2) J. Seidmann, Die Inschriften Adadnirâris II MAOG,9,1935.

الجبال في زاجروس وطوروس، سواء من أجل الحصول على المواد الأولية وخاصة الخشب لصناعة العربات الحربية أو تأديب أولئك السكان الذين يغيرون على أشور المستضعفة آنذاك. وقد نجح أدد نيراري في السيطرة على مواقع الأراميين في شمال سورية والخابور ومناطق خاني جلبات الميتانية في الأناضول ووصل حتى بحيرة فان ـ أرمينا في بلاد أورارتي. وقد عاد تكراراً إلى مناطق نصيبين Nasibina (وهو اسم أشوري) أي القامشلي لمواجهة الأراميين والاستيلاء على محاصيلهم، وإخضاعهم على طول نهر الفرات في سورية باستخدام طريقة الكر والفر الآرامية، دون تركيز القوات في كتلة واحدة أو الحصار الطويل كما كانت عقيدة الماضي. أما بابل فقد كان على ملكها نبوشوما أوكين الأول (٨٩٩ ـ ٨٨٨) أن يتبادل الزواج مع ملك أشور ليوقعا معاهدة سلم عام ٨٩١ لتبقى ٣٤ سنة. واستمر توكولتي نينورتا ٨٩٠ ـ ٨٨٤ في سياسته التوسعية في شمال سورية فقام بالإغارة على بعض المواقع الآرامية على الدجلة والفرات والخابور قبل أن يعود إلى نصيبين، وتوجه إلى موشكي في ديار بكر. ودرت سياسة الحرب الجديدة ثروات كبيرة على القصر والمعبد الأشوري من جراء الضرائب العينية المفروضة على المهزومين[1]. وقد تابع أشوربانيبال الثاني (٨٨٣ ـ ٨٥٩) سياسة الحملات العسكرية وزرع الرعب بين السكان قبل وصول قواته. فبدأ بإخضاع كردستان ثم توجه نحو سورية فأخضع آراميي الدجلة ثم بيت عديني على منعطف الفرات وأسر ٢٤٠٠ رجل. ثم توجه إلى مدن شمال غرب سورية فبدأ بكركميش، ثم وادي العاصي قرب حماة وواصل طريقه إلى لبنان وإستولى على صور وصيدا وجبيل وأرواد. وعاد إلى نينوى محملاً بأخشاب الأرز من لبنان والأمانوس.

ومن جهة أخرى كانت بابل تخشى آشور أكثر من الأراميين، وكان على نبوابلا ادينا ٨٨٨ ـ ٨٥٥ أن يحارب ضد السوتيين في الشامية التدمرية. أما في جنوب

(1) A.L. Oppenheim, The City of Ashur in 714 B.C., JNES, 9, 1960, 133-147.

العراق فقد استقر جماعة كالدو Kaldu الآراميين والذين سيعرفون بالكلدانيين واشتغلوا بالتجارة مما لفت أنظار بابل منذ عام ٨٥٠[1].

٥ – مملكة آرام وجيرانها:

لم يكن ملوك أشور يستطيعون تقدير الخطر الحقيقي للآراميين وخاصة أخوني في مملكة بيت عديني في شمال سورية ولكن ما أن تزول المقاومة أمامهم قد يصبح سير الحملة الأشورية بدون أية عقبات فقد سار شلمنصر الثالث (٨٥٨ ــ ٨٢٤) حتى البحر المتوسط حيث سارع الأمراء والملوك لوضع الهدايا تحت أقدامه. إلا أن دمشق ظلت بمنأى عن هذه الحملة وكذلك حماه واكتفى بتدمير مدينة لوخوتي Luhuti قرب حماه. ولعل ذلك ابتعاد عن مقاومة شديدة مفترضة من قبل هاتين المدينتين. وكان يحكم دمشق بن حدد Ben Hadad ــ ابن تاب ريمون Tab Rimmon بن حزيون Hezion الذي عثر على نصب له في حلب، حيث يمكن استنتاج مدى هيمنته التي وصلت حتى الشمال الحلبي وإلى مدينة صور في لبنان، وفلسطين جنوباً. ولكن نقص الوثائق المباشرة يمنعنا من معرفة تطور الصراعات بين المدن السورية والفلسطينية واللبنانية آنذاك، التي كانت تتمتع جميعها بغنى واضح وقوات نظامية قوية، إلا أن ما ينقصها هو وحدة الصف أمام الخصم المنظم والبالغ الدقة في تقدير حسابات قوة الخصوم، وهكذا فإن شلمنصر الثالث قد سار على خطى أبيه نحو البحر المتوسط، بقوات وأسلحة أكثر عدداً وأكبر حجماً وأفضل نوعاً. وقد بدأ بـ أخوني في بيت عديني، ثم جوزم في منطقة مرعش Marash ومملكة سمأل وكركميش فتمكن من جمع ملوكها الذين تجمعوا ضده وكذلك "قو" (كيليكيا) وبقايا الحثيين ووصل إلى البحر منتصراً وحصل على أخشاب الأمانوس. ورغم الجهود الأشورية المستمرة للسيطرة على سورية بالكامل إلا أنها في النهاية تبقى محصورةً النفوذ في الشمال. واضطر شلمنصر لإعادة

(1) L.W. king, Bbylonian Boundary-stones and Memorial Tablets in the British Museum, 2 vol, London, 1912.

حملته حتى حلب وكركميش، حيث يدب الرعب من جديد في سورية ولبنان وفلسطين، ولكن القرار هو مقاومة الغزو الآشوري، فكان اللقاء في قرقر على العاصي، ورغم أن شلمنصر قد أعلن انتصاره، إلا أنه لم يكن قادراً على التقدم، ولم يذكر الهدايا والجزية التي كانت تقدم له عادة. واضطر للتوجه إلى بابل وجنوب العراق حيث سيصطدم بالآراميين الكلدانيين. ولكنه لم ينس المتوسط وسواحله وغنى سورية الداخلية، فكرر هجماته حتى وصل إلى دمشق وحاصرها، ولم يتمكن من دخولها، فراح يتجول في شمال فلسطين ولبنان ويجمع الثروات في طريق عودته. وما إن وصل إلى آشور حتى اشتعلت ثورة داخلية عام ٨٢٧[١]، وكانت ذات طابع فساد ملكي، بالإضافة إلى الضغط الآرامي الدائم، وكانت كلمة "سيخو" sihu وتعني ثورة واضطراب قد ترددت في قوائم الأسماء الملكية منذ ٨٢٧ حتى ٨٢٢ حيث تمكن شمش آدد الخامس من سحقها. وكان مدير منطقة دبار بكر شمال سورية آشوري لقبه تورتانو turtanu وآخر يدعى رب شقي rab shaqê في تور عابدين وأعالي الدجلة. وآخر يدعى تورتانو ديان آشور يدير منطقة تصل حتى منعطف الفرات بالإضافة إلى العمليات الحربية[٢].

وقد استغل معظم أمراء شمال وغرب سورية القلاقل الآشورية زمن شمشي آدد الخامس حتى إنهم امتنعوا عن تقديم الولاء والجزية. في حين تعاضد الآراميون والكلدانيون في الجنوب مع البابليين وبقايا الكاشيين والعيلاميين لمواجهة طموح الملك الآشوري الذي نجح في الوصول إلى بابل واتخاذ لقب ملك سومر وأكاد، وتلقى جزية من ملك الكلدانيين[٣]. وصعد بعد موته ابنه آدد نيراري الثالث تحت وصاية أمه سمورامات Samnuramat المعروفة في كتابات هيرودوت بـ سميرأميس، وبدأ

---

(1) J.A. Brinkman, A political History of post-kassite Babylonia 1158-722, Rome, 1968.

(2) G.Goossens, Asie occidentale ancienne dans l' histoire universelle; Enscycloédie de la fliade, I, Paris, 1965, 390.

(3) J.A. Brinkman, A political; 220.

مشاريعه الحربية باستعادة سيطرته على سورية وفلسطين حيث كانت ممالكها وخاصة في فلسطين قد علقت مدفوعاتها من الجزية، وراحت تسعى كل منها إلى التوسع على حساب جاراتها، وقد كان مثال ذلك كيلاموا kilamua ملك سمأل sam'al الذي حوصر من قبل الدنونيين Danunu في سهل أدنا Adana/أضنا قد اضطر لطلب الإغاثة من ملك آشور. وعاد إلى نشاطه السياسي اعتباراً من عام ٨٢٧ كما تدل على ذلك نقوشه الكتابية المعاصرة والتي تلقي النور على بعض أوضاع مملكته التي كانت تضم طبقتين اجتماعيتين وهما مُشكّب mushkab وهم المزارعون الفدماء وبَعْرير Ba'rir وتمثل طبقة الآراميين الحاكمين الجدد لمنطقة أضنا. ولعل هذا الازدهار يعود إلى بعض الاستقرار الذي شهده عهد كيلاموا[1].

أما في جنوب سورية فقد كان حزائيل Hazaël ملك دمشق الأرامي قد تخلص من النفوذ الآشوري، وراح يسعى لتحقيق حُلم الدولة الآرامية الواحدة، فضم إليه جميع الإمارات الفلسطينية في الجليل وأورشليم/القدس، وأجبرها على التخلي عن قواتها، وحدد لها قواتها، مما جعل من ملك دمشق سيداً على فلسطين، وعندما توفي ترك لابنه بن ـــ حدد Ben-Hadad الثاني استثمار مكاسبه السياسية. من جهة أخرى، فإن ملك حماه الآرامي زكير Zakir قد تحدث عن طموحات مشابهة في نصبه المنقوش عام ٨٠٦، والذي لا يبرز فيه أصوله السلالية مما يدعو للقول بأنه منقلب على السلطة في حماه، وقام بتوسيع سلطته من حوله (في لأش La'ash) مما أثار مخاوف بن حدد الثاني الدمشقي، الذي جمع حلفاً ضده مؤلفاً من بيت أجوسي Bit-Agusi (أرباد/آرفاد Arpad قرب حلب) وكيليكية والعمق، وجرجوم Gurgum وسمأل وملز/ملاطيا. وقد حاصروا زكير في حزرك Hazrak عاصمة لأش غالباً. وقد أحس زكير بالخطر الداهم، فلم يكن بإستطاعته سوى الصلاة لإلهه بعل شمين الذي رأف بحاله وأنجده. ولكن لا نعرف كيف تم له ذلك بسبب تهشم النقش. ولعل ملك آشور هو تلك الأداة الإلهية المنقذة. وقد

(1) A. Dupont-Sonmer, les Araméens, Paris, 1949. 44, 45.

عاد الأشوريون في عهد حدد نيراري الثالث إلى ضم الممالك السورية الداخلية والساحلية اعتباراً من عام ٨٠٦، وقد وردت في حولياته كما يلي: أرباد في عام ٨٠٦ حززو Hazazu في عام ٨٠٥ وبعلي Baali في عام ٨٠٤ وأخضع الساحل السوري بكامله عام ٨٠٣. وأخضع نيراري مملكة خاتي شمال سورية، وبلاد الأموريين/العموريين وسط سورية، وألحق بذلك صور وصيدا وحمري Humri الفلسطينية وكذلك أدوم في الأردن والفلسطينيين في غزة حيث دعيت بلاد بلشتو/فلسطو وبذلك يكون حدد - نيراري الثالث أول من استخدم تعبير فلسطين سياسياً. وفرض الجزية السنوية على جميع من تقدم. وقد كان أغنى خصوم ملك آشور هو ماريئ 'mari سيد أو امرؤ الآراميين بن حدد الدمشقي الذي حوصر في عاصمته، ولكنه اضطر للتسليم وتقديم الجزية إلى "سيد آشور" في قصره الدمشقي. وكان من جراء حروب الآشوريين والبابليين في سورية أن أصبحت الآلهة الشامية المحلية مثل بعل و ونبو و نرجال آلهة رئيسة ومبجلة في جميع البلاد الشامية والعراقية على حد سواء. وقد احتل نبو المرتبة الأولى منذ عام ٧٨٨ ونقش على جدار معبده في بورسيبا العبارة التالية: «ضع ثقتك في "نبو" ولا تعول على أي إله آخر»[1]. وبعد موت حدد نيراري الثالث وصعود ابنه شلمنصر الرابع، اتسع نفوذ أورارتو حتى شمل أجزاءً كبرى من شمال بلاد الشام السورية، حتى عام ٧٤٣، رغم الحملات الآشورية المتكررة، ضدها، وضد مملكة دمشق في أواخر أيامه.

٦ - أورارتو وسورية الشام:

لقد امتد نفوذ أورارتو حتى وصل مدينة كركميش شمال أرفاد في محاولة لتطويق الآشوريين. حيث وضع ملكها «ما يتئ ايلو» قواته تحت تصرف آشور - نيراري. وتبرز كتابات السفيرة قرب حلب ذلك التحالف بين "جميع بلاد آرام" من بلاد لبنان حتى بلاد مُسري (Musri) قرب كيليكيا، بما فيها حلب وحماه، وبعض مناطق نفوذ أورارتو شمالاً. وهذا ما أبعد أورارتو نهائياً عن المسرح الشامي الآرامي المعقد.

(1) P. Garreli, proche-Orient, 2, 98.

ونظراً لنقص المعلومات فإننا لا نستطيع معرفة تفاصيل أكثر عن هذا التحالف، إلا أن نصب بنامو Panamu ملك سمأل يكشف عن وضع مزدهر للآراميين أمام أفول السيطرة الآشورية، وعدم دفع الجزية. ولا نسمع شيئاً عن حماه. بينما كانت دمشق بعيدة عن هذا الحلف ومنشغلة بصعود الإمارات الفلسطينية والأدومية وغيرها، حيث لا تتوفر معلومات معاصرة عن هذه الحقبة من الزمن والتي يبدأ فيها ظهور اسم العرب على الممتوى السياسي. وبعد صعود تجلات بلاصر الثالث الذائع الصيت والشهرة بقوته وتنظيمه، بدأ حملاته بالقضاء على أورارتو وبعض حلفائها شمال سورية من الآراميين بين الأعوام ٧٤٣ ــ ٧٣٨. وبعد عدة ضربات للميديين والأورارتيين من جديد توجه إلى دمشق ومنها إلى فلسطين ولبنان وأخضعها بين ٧٣٤ ــ ٧٣٢، وضم إليه بابل وأعلن إمبراطوريته التي شملت العراق والشام حتى حدود العريش مع مصر عام ٧٣٢ ــ ٧٢٩. وقد اتبع تجلات بلاصر الثالث سياسة الحرب والفتح والتهجير والسبي، ضد جميع الثائرين في الشام والعراق، وكان الآراميون أكثر السكان الذين عانوا من تلك السياسة الآشورية الجديدة، متبعاً بذلك سياسة التهديد والترغيب والتسامح أحياناً وخاصة تجاه إمارات الساحل مثل صور وصيدا حيث تمتعت باستقلال ذاتي ومارست دورها التجاري ضمن الإمبراطورية الأشورية الجديدة، بينما حرم تجلات بلاصر على دمشق وإمارات فلسطين المتاجرة مع مصر. وكان يستعين ببريد غطى البلاد جميعها، بحيث يعلم وهو في قصره ماذا يجري في نخوم البوادي وحواضر المدن. وقام بتنصيب أول بدوي يحمل اسماً عربياً هو يدبئي ــ ايلو Idibi'-ilu في مدينة غزة في فلسطين. وادخل في جيشه مجموعات آرامية جديدة[1].

واستمرت سيطرة تجلات بلاصر كاملة على بلاد الشام، وأطلق أيدي نوابه وحكام المدن المحلية، لإدارتها واستثمار تجارتها، واكتفى برفع نسبة من البضائع على أبواب المدن. كما امتد سلطانه حتى شمل بابل والعراق بالكامل. ويمكن القول إن

(1) A. Dupont-Sommer, ibid, 58-59; P. Gaueli, Ibid, 113, 114.

تجلات بلاصر الثالث قد حقق وحدة العراق والشام، بصورة سياسية وإداريـــة للمـــرة الأولى في التاريخ القديم لهذين البلدين[1]. ولكن هذا لم يمنع من محاولات بعض أمراء الشام من الثورة، سواء في فلسطين بدافع من مصر أم في سمأل شمال سورية حيـــث يتجمع الآراميون. وعندما صعد شلمنصر الخامس على عرش آشور قام بتدمير إمـــارة سمأل، وكذلك إمارة السامرة في فلسطين. كما قام ابنه شروكين الثاني بنفـــي بعـــض سكان فلسطين إلى أعالي الجزيرة السورية.

٧ - إمبراطورية آشور في الشام والعراق (٧٢١ - ٦١٠):

لقد سيطرت آشور على الشام والعراق بالكامل لمدة قرن كامل، ولكنها لم تكـــن قادرة على حماية الجبهات البعيدة مع مصر والأناضول. كما عانت مـــن الصراعـــات العائلية الملكية على وراثة العرش، وهذا ما كان يسبقه ويعقبه ثـــورات فـــي الأقـــاليم والمدن البعيدة. وغالباً ما كانت تبدأ الثورات في بابل وتنتهي في فلسطين وهـــذا مـــا واجهه شروكين الثاني قبيل وفاته في عام ٧١٠. وتبعه أسرحدون وآشور بانيبال الـــذي كان عليه أن يذهب حتى مصر. ثم اشتعلت الحرب الأهلية الآشورية بعد موتـــه عـــام ٦٢٧ فاستغل ذلك نبوبولاصر في بابل، كما انتهز الميديون الفرصـــة ليغـــيروا علـــى آشور عام ٦١٢ ويكونوا أحد الأسباب المباشرة لأفول إمبراطورية آشور.

لقد كانت مصر منذ عهد تجلات بلاصر الثالث تسبب الاضطرابات في فلسطين حيث قام بحملات حتى غزة، ولعله كان ينوي الذهاب بعيداً في مصر إلا أن الثـــورات الداخلية منعته. ولذا نرى شروكين الثاني يوجه حملتين إلى الحدود مع مصر في عـــام ٧٢٠ و٧١٦. وفتحت الحدود أمام التجارة الآشورية. ولكن عاد فرعون مصر شـــباكو shabko بعد بضع سنوات ليدعم ثورة إياماني Iamani في أشـــدود فـــي فلســـطين.

---

(١) كان كثير من الملوك السومريين والأكاديين والبابليين قد أعلنوا سيطرتهم علـــى كـــامل العـــراق وسورية، تحت شعار "من البحر الأدنى إلى البحر الأعلى" أي من الخليج العربـــي إلـــى البحـــر المتوسط، ولكن ذلك لم يتحقق إلا عند مرور الحملات العسكرية، وأخذها الجزية، فلم تقـــم إدارة متماسكة وبريد يؤمن وصول أنباء أوضاع البلاد بصورة دورية.

وسرعان ما عاد سنحريب إليها وحاصر أورشليم ــ القدس، ولكن الطاعون فتك في جيشه على ما يبدو، مما اضطره للانسحاب وبذلك نجت فلسطين ومصر في عهد فرعونها طهرقا Taharqa الذي راح يؤلب مدن سورية ولبنان الساحلية (الفينيقية)، كما ثار الكلدانيون والسبت والسيمريون شمالاً بعد مقتل ملك آشور. إلا أن حصار صيدا اللبنانية في عام ٦٧٧ والمعاهدة التي فرضت على بعل ملك صور سمح بالهدوء واستقرار الهيمنة الآشورية على الساحل اللبناني السوري. ثم واصل اسرحدون محاولاته الوصول إلى مصر وتمكن من دخول ممفيس Memphis بدون صعوبة عام ٦٧١ مما أمن له سيطرة كاملة على بلاد الشام بالكامل ودلتا مصر[1]، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فقد استعاد طهرقا دلتا النيل عام ٦٧٠، وحاول آشور بانيبال استعادة مجد أبيه بمهاجمة مصر وعاصمتها ممفيس في عام ٦٦٦ فتمكن من ذلك ووصل حتى طيبة. ولكن فرعون مصر القوي بساميتك الأول استطاع دحر الآشوريين عام ٦٥٣ الذين انشغلوا بجبهة بابل وعيلام. وبقيت مصر بمنأى عن الخطر الآشوري حتى عهد قمبيز الفارسي. ثم تتالت الأحداث والثورات من قبل أمراء الشام وزعماء القبائل العربية في البادية وكذلك مصر. ولكن الجهود المضنية التي بذلها آشور بانيبال قد أمنت له سيطرة مؤقتة على عيلام وبابل والشام ومصر حتى موته عام ٦٢٧، ولكن آشور أنهكت من جراء تواصل الثورات وكانت نهاية نينوى عام ٦١٢ بعد تدخل الميديين، والبابليين الذين استطاعوا السيطرة على الجزيرة في شمال سورية، ولم ينفع التدخل المصري ودعم الآشوريين في إنقاذ دولتهم من الانهيار التام والأبدي. وصارت سورية ولبنان وفلسطين بأقاليمها الآرامية تحت سيطرة فرعون مصر نيخاو Nechao.

لقد كان تنظيم الآشوريين العسكري في بلاد الشام السورية واللبنانية والفلسطينية خاصة قائماً على فرض الهيمنة التامة بموجب معاهدة يفرضها العاهل الآشوري وفق مصالحه التجارية والعسكرية. وبعد عام ٦٠٨ سيطر نبوبولاصر وابنه نبوخذ نصر

---

(١) ن: P. Garelli. P.O. P. 121.

البابليين على شمال الرافدين الشامية والعراقية، واستطاع المصريون فرض سيطرتهم على سورية حتى كركميش شمالاً، وكانت فلسطين ولبنان تحت رقابتهم منذ انهيار آشور كما أسلفنا. ولكن نبوخذ نصر (نبو كُدورّي ـ أُصور) (٦٠٤ ـ ٥٦٢، مشى من بابل بجيشه إلى كركميش قرب حلب وطرد المصريين، وتوجه منها إلى حماه ليلاحق فلول القوات المصرية التي كانت تضم اثوبيين وليبيين وليديين حسب حوليات الملك البابلي. ووسع نفوذه في الشام حتى شمل سورية وقسماً من فلسطين. وكان يكرر حملاته التأديبية في سورية كل عام وفق ما ذكره في حوليته. فقد قام بحصار عسقلان وأسر ملكها عام ٦٠٤. وبعد أن وطد ملكه في بابل عاد ليحاصر أورشليم القدس في عام ٥٩٧. وأسر ملكها وحاشيته من أقرباء وكهان وساقهم إلى بابل وهو ما يعرف بالسبي البابلي لليهود، بعد أن دمر المدينة ومعبدها. ثم كرر نبوخذ نصر حملته على سورية وفلسطين وسواحلهما عام ٥٨٧ وقضى على ثوراتها وخاصة في القدس حيث حمل معه بعض حكامها منفيين إلى بابل. وبصورة عامة لم يتمكن البابليون كما الآشوريون سابقاً من إخضاع سورية وفلسطين لسلطتهم بصورة دائمة، وكان اللجوء إلى مصر من قبلهما لطلب العون، غير ذي جدوى في كثير من الأحيان. وكان من نتائج حملات نبوخذ نصر اللاحقة ضد فلسطين ومصر أن خيم وضع سياسي وعسكري عائم .حيث وقف المصريون عند حدود غزة، واكتفوا بنقل أخشابهم من صور عبر البحر. وبقي البابليون أسياد الموقف حتى عام ٥٦٨[1].

وبعد موت نبوخذ نصر قام أحد خلفائه بحملة على شمال سورية، في أضنة وكيليكيا. ثم تعاقب على بابل مجموعة ملوك لم تحكم طويلاً حيث كان خطر الميديين محدقاً على البلاد، حيث وصلوا حتى ديار بكر شمالاً. وصعد على عرش بابل نبونيد ٥٥٦ ـ ٥٣٩ بعد أحداث عنف ملكية شخصية وكان الشخصية القوية الأخيرة في تاريخها القديم. وقد كان أبوه من أصول آرامية وأمه كاهنة في معبد سين في حران

(1) E. weidner, Hochverrat gegen, Nebukadnezar I, AFO, 17, 1956, 1-10.

شمال سورية. وبعد سيطرته على السلطة اتجه بحملة إلى سورية قادته إلى أدوم في فلسطين. ثم اتجه إلى الحجاز حيث أقام في تيماء وديدان (دادونا) وفدك (بداكو) و خيبر (خِبرا) وبده (بايديتو) ويثرب/المدينة (ياتريبو) وعاش عشر سنين في الحجاز بعيداً عن بابل وأعياد رأس السنة فيها. ولكن الأحداث الدولية تطورت، فقد ظهرت قوة قورش (Cyrus) عام ٥٥٠ الذي وحد قبائل إيران بقيادة الفرس الأخمينيين، وراح يهاجم مدن جنوب العراق بالتعاون مع اوجبرو حاكم الجوتيين. من جهة أخرى لم يعرف سبب إقامة نبونيد في يثرب تلك المدة الطويلة، ويرجح السبب الديني ومكانة المدينة كمركز لعبادة القمر التي نشأ عليها نبونيد وعائلته الآرامية الحرانية (الشامية). ويذكر اكزينوفون (Xénophon, cyri. VII, 4, 16) أن قورش شن حملة باتجاه بلاد العرب قبل أن يخترق مدن العراق. وكانت الثورة الداخلية الدينية في بابل تهدد الوضع السياسي، بسبب رفض الكهان تمسك نبونيد بتكريس عبادة القمر مهملاً مكانة مردوك الإله البابلي التقليدي. يضاف إلى ذلك وجود اليهود المسبيين في المدينة وما خلقه من مشكلات، أدت إلى نجاح قورش في استكمال حملاته ودخول بابل في ٢٩ تشرين الأول من عام ٥٣٩ ولم يعرف مصير نبونيد إن قُتل أو أسر. ولكن قورش سمح لليهود بالعودة إلى القدس، واتبع سياسة مهادنة السلك الكهنوتي وترميم المعابد، وتابع زحفه ليكمل استيلاءه على الشام ومصر وليبدأ عهداً جديداً مما يعرف بالاحتلال والعصر الفارسي الأخميني الذي سيدوم حتى قدوم الإغريق بقيادة الاسكندر المكدوني عام ٣٣٣.

من جهة أخرى لا نستطيع تلمس واقع الإدارة البابلية في الأقاليم الشامية إلا من خلال بعض الوظائف مثل رئيس تجار القصر الملكي الذي يدعى بلقب عموري = فينيقي خ/حنونو Hanunu وتعطي اللوائح الملكية البابلية لقب ملك لزعماء شاميين في مدن غزة وصيدا وصور وأرواد وأشدود. وهذا ما يدعو للاعتقاد أن مدن بلاد الشام تمتعت باستقلالية خاصة زمن ملوك بابل المتأخرين. أما التبعية الدينية، فإن المجمع الديني السومري بقي المصدر الأساسي للوظائف الإلهية والدينية التقليدية ولا نستطيع

الحديث عن ديانة شامية لعدم توفر نصوص أو أدب ديني كالذي خلفه البابليون والأشوريون. وقد كانت أسماء الآلهة الأكادية ـ الشامية معروفة في بلاد الشام كما في العراق، وإن بقي المعنى والجوهر غير مفهومين، مثال ذلك الشمس والقمر وحدد وإيسم حيث لا يمكن تحديد معناها أو جوهرها ولماذا حملت هذا الاسم أو غيره، بخلاف كلمة إيل/إله التي يظن أنها تعني "جوهر" أو "طبيعة الشيء" أو ما يقابلها بالاغريقية Phisyse وباللاتينية Natura. وقد ضمت موسوعة المصطلحات الدينية والطبيعية التي وضعها الكتاب البابليون أسماء جغرافية شامية مثل "الأمانوس" نظراً لكونه مصدراً لأخشاب الأرز والسرو. كما أن حملات الأشوريين والبابليين على فلسطين وظهور أسماء مثل يهوا وعرب، يعتبران بمثابة الإشارات الأقدم لظهور اليهوبين كعبدة إله قبلي هو يهوا، وبدء العرب كقوة سياسية وتجارية على مسرح بلاد الشام. ورغم التفتت السياسي وخضوع بابل ونينوى ومدن الشام للسيطرة السياسية الفارسية، إلا أن تطور الفكر الديني في سورية وفلسطين يحمل في طياته الإرث الديني البابلي ـ الأشوري.

وقد استفاد كهان اليهود المسبيين في بابل من الدروس السياسية والدينية، لتنهض تجربتهم عن رفض الطقوس القديمة وخاصة التصوير والنحت، واكتفوا بالرموز المجردة لإلههم الجديد "يهوا". لقد كانت فلسطين معبراً للتيارات الفكرية المصرية والشامية ـ العراقية. وقد تعلم المهاجرون الجدد القادمون من البوادي المجاورة الديانة الكنعانية الشامية التقليدية. ولكن الحروب والخلافات السياسية بين سكان فلسطين أدت إلى ظهور فكرة التوحيد القبلي والإلهي لدى اليهوبين بدل الوحدة الامبراطورية والتعددية الدينية والفكرية، وراحت التطورات السياسية والدينية تجعل منها فكرة كونية خاصة عند ظهورها في الدعوة المسيحية الجديدة.

لقد تبدلت الحياة السياسية في الشام في عصر الفرس الأخمينيين وظهرت كتابات المؤرخين الاغريق مثل فلافيوس Flavius و جوزيفوس Josephus و هيرودوت Herodotus وغيرهم إضافة إلى كتابات العهد القديم: فقد غطى الاحتلال الفارسي بلاد الشام

بالكامل. ولكن مدن الساحل الآرامية ـ الفينيقية ظلت تتمتع ببعض الاستقلال وخاصة على المستوى التجاري ولمعت أسماء ملوك محليين مثل احيرام Hiram ملك صور. وكان جوبارو/أوجبارو بالاغريقية جوبرياس Gobrias حاكماً (ساتراب بالفارسية) للعراق والشام نظراً لأهمية دوره في انتصار الفرس.

إن نصوص تل النيرب تؤكد نهاية نبونيد وحلول قورش ثم قمبيز ٥٢٩ ـ ٥٢٥ ثم داريوس ٥٢١ ـ ٤٨٦ الذي نظم إمبراطوريته وقسمها إلى ٢٠ ساتراب. وكانت العراق ومصر وقبرص تحت إمرة ساتراب واحد، ولم تذكر سورية وبقية بلاد الشام من ضمنه. إلا أن المعلومات عن الآراميين الشاميين قد أظهرت مكانة لغتهم في عالم التجارة في عهد داريوس وظهرت كتاباتهم على الجلود والبردي، وظهرت حوليات من صور وصيدا التي كانت تتمتع بدور مهم في هذه المرحلة[1]. وكانت قرطاج في تونس قد حققت استقلالها وانفصالها عن المدينة الأم صور. وكان حاكم فارسي يقيم في طرابلس في القرن الرابع ويشرف على تجارة الإمبراطورية، وتأمين الأخشاب بصورة خاصة. وتدل كتابة أحد النقوش الصيداوية على اسم ملكها المحلي اشمون عازار، وظهرت سلالة حكمت حتى دخول الاسكندر المكدوني. وكانت العلاقات التجارية مع الاغريق قد بدأت منذ زمن بعيد. وراح المصريون والاغريق وبعض الحكام المحليين يحرضون على الثورة ضد السلطة الفارسية الأخمينية، وخاصة في عهد الفرعون تاخوس Tachos ٣٦٢ ـ ٣٦٠.

وعُرف ملك صور تينيس Tennes بين أهم الثائرين الفينيقيين في عهد اتراخسرسيس (٣٥٨ ـ ٣٣٨) وفق معلومات ثيودور الصقلي[2] وغيره مثل انيزوقراط وفيليبوس وكانت ثورات الفينيقيين تقوم بسبب العنت والظلم في الإدارة والاقتصاد التي يرتكبها الحاكم/ساتراب. كما ظهرت إحدى الثورات بقيادة الإغريق في كيليكيا cilicia وهزم المتمردون من فينيقيين وإغريق ومصريين الحاكم الفارسي زمن

(1) H. Klengel, Syria, p. 235.

(2) Diodorus Siculus Xvi 40-51.; B. Barag. BASOR 138, 1966, 6-12; F. Bondi, RSF2, 1974, 149-160.

اتراخسرسيس الذي شن بنفسه حملة على مدن صور وصيدا والساحل اللبناني، وأعدم تينيس بعد أن دافع السكان عن أنفسهم بقوة وفق معلومات تيودور الأنف الذكر. ونقل الأسرى من صيدا إلى بابل عام ٣٤٥ ولم يظهر أثر الدعم المصري في عهد نيكتانيبوس ٣٥٩ ــ ٣٤١ Nectanebos. وظلت صيدا رغم ذلك مركزاً مهماً للتجارة الشامية حتى شروع الاسكندر باحتلال سورية عام ٣٣٣.

وتذكر المصادر الإغريقية أسماء ملوك لبنانيين بعد تينيس مثل افاغوراس Evogoras، وستراتون Straton وعبد الاونيموس Abdalonymus وعرف من ملوك جبيل Byblos شيبت بعل shipitba'al ويخو ملك Yehaumilk وبتنوعام Batno'am[1]. وكان خريف عام ٣٣٣ بداية النهاية للاحتلال الفارسي ليحل محله احتلال إغريقي قادم من الشمال والغرب بقيادة الاسكندر المكدوني الذي هزم داريوس على الفرات في شمال سورية، واتجه نحو عكار وسهلها حتى استولى على ساحل لبنان، وخضع له ملك أرواد Arados ووصل أحد قادته إلى دمشق فدخلها، واستولى آخر على كنوز داريوس الذي طلب الصلح فرفض الاسكندر، حيث كان قد استولى على جبيل وصيدا وصور وساحل فلسطين حتى غزة بعد مقاومة وحصارات لهاتين الأخيرتين. وعبر الاسكندر سيناء إلى مصر عام ٣٣١ ثم عاد سريعاً إلى صور ثم سورية والفرات حيث عين حاكماً جديداً وتوج استيلاءه الكامل على العراق وسورية بهزيمة داريوس النهائية ليصبح سيد المشرق العربي ومصر.

(1) KAI 9-11; M. Dunand, Fouilles de Byblos, I, Paris 1939, 404. Klengel 238.

الأسانيد والمصادر والمراجع

١ ــ لقد استعملنا الإسناد الضروري ضمن النص، مثال (ن، وولي)، أي انظر كتاب (وولي) الذي ذكرناه في مقدمة الفصل، ولذكره في القائمة الآتية.

٢ ــ يلاحظ قلة الصور والمخططات، ذلك أن الحجم المطلوب من الصفحات لا مكان له هنا، كما أن طباعة الصور الملونة، وهي مهمة في مجال الآثار، غير متيسرة لنا، كما لا تتوفر لدينا صور أصلية، إلا ما هو نادر، ولذلك نعتذر عن ضعف إمكاناتنا، ونحيله إلى المصادر الأصلية لمراجعة الصور والمخططات وهي متوفرة.

٣ ــ يلاحظ غياب المراجع أو المصادر العربية غياباً تاماً، وهو أمر معروف في علم الآثار والتاريخ القديم، لأن الرواد والمكتشفين لآثارنا هم من الأجانب، وقد كتبوا بلغاتهم القومية، لأن هدفهم هو خدمة بلادهم، وليس خدمة اللغة العربية، ولم تنشأ حركة تعريب للمؤلفات المهمة، ولذا فإنه من غير المفيد ذكر بعض الترجمات أو المقالات التي لا تقع في المستوى الأكاديمي العلمي، وقد عدنا إلى المصادر الأصلية ونذكر بعضها وليس كلها.

١ ــ المصادر:

إن أهم مصادر تاريخ وآثار سورية القديم هو تلك المؤلفات التي كتبها مكتشفوا المواقع الأثرية ومترجمي النصوص المسمارية، وهناك معجم خاص يضم أسماء جميع هؤلاء المؤلفين ولنذكر أهمهم:

ــ أندريه بارو	(مكتشف ماري).
ــ كلود شيفر	(مكتشف أوجاريت).
ــ ل. وولي	(مكتشف الالاخ).
ــ باولو ماتيه	(مكتشف إبلا).

ـ جان مرجورون (مكتشف ايمار وماري).

أما مترجمو النصوص المسمارية، فيأتي في طليعتهم:

ـ جورج دوسان، مترجم نصوص ماري، ويليه كوبر وبيرو وديوران، وشاربان وآخرون، وجميعهم فرنسيون، وكتبوا بالفرنسية، وقد نشرت جميع نصوص ماري في سلسلة تحمل اسم (نصوص المحفوظات الملكية لمدينة ماري)، ويرمز لها بـ (ARM'T)، وقد ترجمت معظم نصوص ماري بعد مضي ٥٥ عاماً على اكتشافها.

ـ أما أوجاريت فقد ترجم نصوصها الفرنسيون أيضاً في سلسلة خاصة هي PRU أي (نصوص قصر أوجاريت الملكي).

ـ أما إيبلا فترجمت إلى الإيطالية والانجليزية، ونشرت في سلسلة تحمل اسم (محفوظات مدينة إيبلا الملكية).

ـ إن جميع الذرويات التاريخية القديمة تحوي رموزاً ومصطلحات علم الآثار والتاريخ القديم، وهناك دورية لكل مدينة أثرية ومحفوظاتها تنشر أبحاث المختصين.

ـ لهذا السبب نعتذر عن ذكر بعض المراجع العربية المتواضعة. ويمكن العودة لمجلة الحوليات الأثرية السورية كمرجع مضمون، وكذلك منشورات وزارة الثقافة السورية، والمديرية العامة للآثار، وبعض الدوريات الجامعية الأخرى.

أما المراجع والمصادر الأجنبية فهي عامة وخاصة. وقد اعتمدنا الخاص أكثر من العام وأهمها:

1 - The Cambridge Ancient History. I/VI.

طبعة جديدة، ويمكن العثور عليه في مكتبة الأسد بدمشق.

2 - RLA: E. Ebeling, B. Meissner, E. Weidner, Reallexikon der Assyriologie (A. Gir), Berlin, 1928.

وهومعجم علم الأشوريات ١٩٨٨.

وما يزال يصدر دون توقف ويمكن العثور عليه في معهد الآثار الفرنسي في الجسر الأبيض بدمشق.

3 - Le Monde de La Bible 20.

وقد نشر في هذا العدد مقالات مصورة وملخصة، عن أهـــم مواقـــع ســـورية الأثرية، أشرنا إليها عند استخدامنا لها في النص.

4 - Dossier d'Archeologie.

وهي دورية من ذات النوع السابق، وقد نشرت عدداً خاصاً عن إبلا.

5 - L. Woolley. AlaLakh, Oxford 1955.

6 - C/. F. A. Schaeffer. Ugarithica. 5 vol. Paris.

وهي الدورية التي تعنى بالدراسات الأوجاريتية.

7 - H. Klengel, Syria, 3000 to 30 B.C. Berlin 199L.

وهي دراسة تاريخية سياسية.

8 - J. Novgayrol, Le Palais royal d' Ugarit, III, Paris, 1955.

9 - S. Smith. the Statue of Idri - mi, Londres, 1953.

10 - D. J. Wis man, The Alalah Tablets, Londres, 1953.

11 - Ammuru I, Paris 1997.

12 - P. Matthiae, Ebla> Un imperio ritrovato. Torino 1989.

13 - F. Abdallah: Le Royaume d'Alep Yamhad... Paris 1985.

أطروحة للدكتوراه، مقدمة في السوربون.

وقل رب زدني علما
Damascus University

أبحاث ملحقة

تتعلق بموضوع الكتاب

Damascus University


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

ملحق ١

مصادر ونتائج الدراسة حول إيبلا

لقد أدى اكتشاف مدينة ايبلا/ إبلا ومحفوظاتها المعمارية خاصة (١٩٧٤ ـ ١٩٧٦) التي تعود للألف الثالث قبل الميلاد، إلى النهوض بحقل جديد من الدراسات عن وطننا العربي المشرقي الشامي، وقد ظهرت ثلاث مقالات في المجلة الدورية الإبلائيات Eblaitica تدور حول واقع حال البحث والدراسات في هذا الموضوع[1].

وقد كتب دياكونوف I.M.Diakonoff نبذة عامة تاريخية ولغوية في مقالته: «The Importance of Ebla History and Linguistics PP. 3-29». «أهمية إبلا بالنسبة للتاريخ والألسنية» حيث كرس جهده في هذه المقالة لمواجهة النظريات التي ظهرت بعيد سنوات اكتشاف نصوص إبلا، والتي تتطلب معرفة خاصة، وكذلك قام جوردن C.H.Gordon في الدورية المسماة (إبلا والشمال الغربي السامي) «Eblaite and Northwest Semitic, pp. 127-139» بدراسة قائمة من الوثائق أو الرقم الإبلائية وما تضمنته من قواعد لغوية وتعابير، ومفاهيم دينية.. إلخ. وقارنها مع معلومات مماثلة مصدرها المناطق الغربية «السامية» أي سورية الغربية. أما البحث الثالث فقد كتبه كيناست B.Kienast وفيتزوليت H.Waetzoldt تحت عنوان «اثنتي عشرة سنة من عمر إبلا محاولة تقديم كشف عام» Versucheiner «ZWÖLF Jare Ebla»

---

(١) نتوجه بالشكر إلى إدارة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق حيث استطعتُ الإقامة في مكتبته لإعداد وكتابة هذه البحث:

Fifteen years of studies on Ebla: A Summary. By A. Archi in Orientalistische litteratur zeitung (OLZ) Band 88. 1993. Heft 5/6. Pp 461 – 471.

الذي يشير إلى دراسات سبقته واستقى منها وهي:

Gordon, Cyrus H. and Garg A. Rendsburg (eds).
Eblaitica: Essays on the Ebla Archives and Eblaite Language Vol 2; Winona Lake: Eisenbrauns193 S. 4 Publication of the center for Ebla Research York Uni, Geb. 27. 50.

ونحيل القارئ إلى هذا العدد من أجل جميع المختصرات والمراجع للاستزادة.

Bestundsaufnahme (pp.31-77)، وقد أعطت مزيداً من التفاصيل حول مختلف جوانب حضارة إبلا وبصورة خاصة لغتها ومشكلاتها.

وقد نشرت نتائج أعمال البحوث التي كتبت في السنوات الأخيرة، في مجموعة من النصوص المنسقة من قبل ج. بيتينانو Pettinato:

«Catalogo dei testi Cuneiformi di Tell Mardikh Ebla (MEE)».

وقام فيتزولت بتنظيم الجانب الاقتصادي المناط به:

«WIRTSCHAFTS – und Verwaltungs - Texte» (pp. 33-58).

بما يتناسب والموضوعات المستمدة من النصوص المستمدة من النصوص سواء كانت زراعية أو صناعية أو تجارية أو دينية.. إلخ.

وأنجز كيناست في القسم المتعلق به، وهو قوائم بالمقاطع والنصوص التاريخية والأدبية:

«Historische und Literarische Texte. Silabar und Lexikalische Listen» A (pp. 58-74).

وهي تتبع التصنيف المعتمد في .MEE، وهي الطريقة المقبولة للنصوص الأدبية والمعجمية فقط، بينما أشار فيتزولت إلى أن قسماً كبيراً من الوثائق الملكية التي درسها كيناست على أنها نصوص تاريخية، هي غير ذلك لأن المحتوى لم يؤيد تصنيفه، ولا يوجد ما يؤكد أنها تتعلق بالإدارة أو بملكية الأراضي، أو أنها عبارة عن قوائم بأسماء المدن التي كانت تخضع لمدينة إبلا أو موزعة على الأمراء؟ إذن، كيف يمكن للمرء أن يميز بين «كتاب رسمي» وبين «أوامر ملكية» وبين «تنظيمات وظيفية»، وبين «الرسائل؟» إن عدم صلاحية اتباع هذا النوع من التصنيف هو بسبب أن معظم المجموعات أو النصوص هي في النتيجة «غير محددة أو مصنفة». وهكذا فإن المجلد التصنيفي يعطي فكرة عن الوثائق المحفوظة في إبلا، ولكنها فكرة غير دقيقة ومصنفة بسرعة، وتوجد أخطاء في قراءة الأسماء الجغرافية وأسماء العلم.

على كل حال، من الصعب الإجابة عن سؤال في حالة إيلا، لماذا يجب على المرء أن يهجر العادة المتبعة في جميع المحفوظات الأخرى، سواء كانت نصوصاً مسمارية أو بردية صغيرة وهي ذكر رقم التسلسل للنصوص سواء كانت منشورة أو غير منشورة؟ وتكثر لوائح المطابقة بين أرقام القوائم والطبقات بمعدل له في أي مجال من مجالات الدراسات الشرقية القديمة.

تصنيف مجموعات المحفوظات:

أ ــ هناك مجموعة مؤلفة من ٣٢ لوحاً صغيراً أو رقيماً وبعض الكسر، قد وجدت في المكان ذي الرقم L. ٢٥٨٦ ولم ينشر منها سوى أربعة نصوص.

ب ــ المحفوظات التي عثر عليها في المكان ذي الرقم L. ٢٧١٢ وهي عبارة عن ٢٤٢ لوحة أو رقيم وبعض الكسر الكبيرة والصغيرة وقد نشرت في:

ARENT IX (L.Milano): X (A. Archi – M. G. Bigu)

جـ ــ المحفوظات الرئيسة L.2769 ولكي تصبح مجموعات المحفوظات أكثر وضوحاً وتنظيماً، فقد أخذ بالحسبان كمال النصوص وسلامتها في القوائم مع التمييز بين:

١) نصوص كاملة ومحفوظة جيداً بلغت ١٧٢٧ (أرقام القوائم TM.75. G. 1216-2660) «علماً أن ٢٦٦٣ ــ ٢٦٦١ هي قطع صغيرة».

فيكون مجموع هذه المحفوظات الرئيسة بين ١٠٢٨١ ــ ١٠٠٠٠ وقد صنفت هذه النصوص في نهاية الأمر في أثني عشر قسم، وهناك نصوص جمعت كسرها فيما بعد مثل:

TM. 75. G. 2001 + 2003 + 2004 + 2005 + 2006 + 2007p 2412 + 2427 = ARETVII. I: 2493 + 2495

٢) «الكسر الكبيرة»: وعددها ٤٧٧٠ (أرقام قوائمها: TM. 75. G. 15000 – 2000-4713).

٣) «كسر صغيرة»: وهي بضعة آلاف وأرقام هي: TM. 75. G. 15000- ٤٧١٣ -20000-4713).

وقد أعطيت هذه المجموعة أي ٤٧١٣ أرقاماً واحدة وبعضها محفوظة تحت أرقام رومانية.

ويضاف إلى هذه النصوص الوثائقية التي وجدت في حفائر عام ١٩٧٥ مئة كسرة وبعض الرقم والألواح التي عثر عليها أثر حفائر ١٩٧٦. ويأتي من هذه المحفوظات النصان الهامان TM. 75. G. 1173 و ١١٧٤ اللذان عثر عليهما في القاعة L.2752 الملاصقة للجدار الغربي للقاعة ٢٧٦٩ L. وكذلك بعض الأدوات المتفرقة.

وقد نشر ٥٢٦ من الرقم من أصل ١٧٢٧ وثيقة مرقمة وهي موزعة كما يلي:

(ARET I (Archi): 45; II. O. Edzard): 59; IV (Bigu-Milano): 25; V (Edzard: 24; VII (Archi): 156; MEE II.

وهناك تقريباً خمسة عشر نصاً نشرت في: الدراسات الإبلائية.

(G.Pettinato): 35 (Aret, Seb);

III (G.Pettinato): 36p TV (G.Pettinato): 33; X (P.Mander): 23, In

ومنشورات أخرى Studi Eblaiti (Seb) حيث نجد تسعين نصاً، وقد نشرت ١٠٦٣ كسرة كبيرة من أصل ٤٧٧٠ في:

(منها ٣٩ نصاً معجمياً TM.75. G. 3000-4101) ARET III (Archi-Bigu).

وقد نشرت بشكل متفرق اثني عشر نصاً في مناسبات مختلفة خاصة في:

ARET V. MEE III. IV. وقد نشر حتى الآن ربع «الكسرة الكبيرة» ويصعب هنا تقدير المادة الكتابية وكذلك حجم كل كسرة من اللوح، إذ أن بعضها لا يحتوي أكثر من اثني عشر سطر، وقليل منها يحتوي على أكثر من ستين سطراً، وهذا يعني أن متوسط عدد السطور هو ثلاثة وثلاثون.

د ــ وقد عثر على مجموعة في المكان L.2875 من إبلا قرب مدخل ملاصق لمكان المحفوظات الرئيسة تقدر بـ ٢٧٦ نصا مرقمة في القوائم عام ١٩٧٦ منها: ستة نصوص منشورة هي:

TM. 76. G. 156, 188, 189, 198, 274

من قبل: Milano, As 19. 1987, 177-201

وكذلك: TM. 76. G. 788, Arch. Eblaitica I. 1987. 69 note 24.

هـ ـ وعثر على مجموعة مؤلفة من ٢٢ لوحة وجدت على طاولة خشبية في الصالة L..2752 سنة ١٩٧٦ وقد نشرت في: ARTE VIII (E.Sollberger); Aret 15.

و ـ وعثر على محفوظات في المكان ذي الرقم L..2764 عام ١٩٧٦ مؤلفة من ١٧ لوحة و ٢١٥ كسرة و ٩٦٠ كسيرة.

ز ـ وعثر عام ١٩٧٧ على ٩ ألواح و ١١٧ كسرة وكرتين طينيتين في الصالة L..2713 وبعضها في زاوية مجاورة للصالة L..27764 وذلك في مستوى مهدم من جراء سقوط سقف القصر «i».

ح ـ وعثر عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٨ على خمس لوحات جنوب قمة التل. ونشرت من قبل أركي، كذلك عثر على خمس أخر جنوبي القصر «i» في إبلا، وقد نشرت ذلك في:

Syro - Mesoptamian Studies 5/2. Malibu 1993.

ط ـ وهناك مواد متفرقة اكتشفت عام ١٩٧٨ وهي:

RA 89. 1990. 102 note 5 bis

وعثر عام ١٩٨٠ على اثني عشرة كسرة، وعثر عام ١٩٨٤ على كسرة واحدة، وعلى سبع عام ١٩٨٧ وعلى أربع عام ١٩٨٨ وأخيراً على كسرة واحدة عام ١٩٩٢.

٢. النصوص المنشورة طبقاً لمحتواها:

أ ـ النصوص الأدبية وقد نشرت جميعها في Aret V: 6. 7. 20. 21. ويضاف إليها: TM. 75/77. G. 161. M.Kerbernik VO & 1988. 25. 44.

ب ـ التعاويذ والترنيمات: وقد نشرت في: ARET V: 1-5. 8-19. ويضاف إلى ذلك: TM. 75. G. 1315 حيث سينشر مجدداً من قبل كربرنك.

جـ ـ أناشيد تنصيب الملك والملكة: وأولها النص (TM. 75. G. 1823)، ويضاف من ١٥ إلى ١٨ سطر، وهي أناشيد تنصيب الملك أركب ـ دمو Irkab-Damu.

وهناك لوحة أخرى من أناشيد التنصيب الملكي منسوبة إلى الملك إشار ـ دمو Ishar-Damu وهي أكثر تفصيلاً، وتحمل الرقم: TM.75. G. 1939.

وأخيراً هناك لوحة صلصالية أحدث كتب عليها مثل هذه الأناشيد وهي (TM.75. G. 1972) ولا ترتبط بملك، وإنما يمكن أن تتلى في أية مناسبة مماثلة.

ونشير هنا إلى أن فرانزورولي المذكور أعلاه قد قدم دراسة أولية حول الطقوس والتراتيم الأدبية نشرت في:

«Il retuale per la successione al trono di Ebla» Rome. 1992.

وقد لوحظ أن كثيراً من أجزاء النصوص الأدبية قد تهشّمت وفقدت، ومنها المصادر التي تحمل الرمز D وكذلك C التي اعتبرت نصوصاً مستقلة. وهناك تعارض بين ترتيبها الزمني ومعلوماتها الوثائقية الإدارية.

د ـ اللوائح المعجمية السومرية الرافدية التقليدية: نشر بعض هذه الوثائق بيتيناتو في Pettinato in MEE II.

ومن ثم أعيد نشر بعضها بعد أن عثر على الكسر المفقودة، واكتمل بذلك النص، وهناك طبعة جديدة قيد النشر تضم نسخ الألواح الصلصالية المسمارية الأصلية وترجماتها:

أ ـ النصوص المعجمية التي تدعى esh- bar- kin. وقد تم تجميع هذه النصوص بالكامل وستنشر نسخها قريباً.

ب ـ اللوائح المعجمية المزدوجة اللغة: لقد نسخ بيتيناتو إلى الحرف اللاتيني Transcription القسم الأكبر من هذه الوثائق المعجمية الهامة ونشرها في: MEE IV، ولكن لم يلحق بها الكسر التي عثر عليها فيما بعد. هذه العملية أي تجميع النصوص المهشمة وخاصة بعد نشر أجزاء منها هو عملية هامة جداً، نظراً لما تحدثه من تبديل في المعطيات، وقد أظهر تلك الأهمية كونتي G.Conti في دراسته حول النسخ التي تحمل الرمز D في Ods ١٧ فقد تمّ عادة تجميع النسخة الصلصالية وتوحيد نصها من جديد، وأعيد نشرها.

جـ ــ الوثائق الملكية: إن أهم الوثائق في هذه المجموعة (معاهدة مع أبارسال Abarsal، ورسالة أنالجن ENN-Dogan عامل ماري وهبة ابريوم الوزير إلى ابنه). وقد كان لهذه الوثائق أهميتها لبعض الوقت، وهي الآن تؤلف مجلداً يضمها جميعاً. ونشرت المعاهدة السياسية مع أبارسال من جديد، من قبل: Edzard. Ods 18. 187-217.

هـ ــ النصوص الإدارية: كانت اللجنة الدولية لدراسة نصوص إبلا، المشكلة عام ١٩٧٨، قد قررت أن تخصص المجلدات العشر الأولى من سلسلة ARET لنشر نصوص هذه المجموعة الأكثر عدداً في المحفوظات، التي قدم عنها دراسات أولية وفق مضمونها وأشكالها، وكان ج. بيتيناتو قد كلف بمسؤولية تحضير نشر المجلدات الأربعة الأولى من سلسلة ARET ولكن بعد استقالته من تلك اللجنة، كان لابد من إعادة النظر في مستقبل وكيفية النشر.

لقد سبق أن نُشر من حيث المبدأ أهم تلك النصوص في ARET VIII. IX. X وظهر فيها وثائق متنوعة في الحجم والنوع وتمثل المحفوظات الرئيسة L.2769 وقد تقرر بشكل خاص إعطاء الأولوية للنصوص الأدبية بما فيها التعاويذ والصلوات (ARET V) والنصوص المزدوجة اللغة (ARET VI) وأن يؤخذ بالاعتبار أمران أساسيان هما:

١ ــ الانتباه إلى التأكيدات غير المتأنية المتعلقة بنصوص إبلا الأدبية، حيث فسرت مسودة تمرين بالسومرية لأحد الكتاب، بأنها نص تعويذي موجه إلى «رب السموات والأرض» وأنها كتبت برموز إبلائية خالصة.. وأنها تذكر في الفصل الأول من سفر التكوين وفق ما ذكر بيتيناتو في: Archvies of Ebla. 244. 259.

٢ ــ والأمر الثاني هو المناقشات الحامية المتعلقة بتصنيف اللغة الإبلائية بين فروع اللغات السامية أو الأكادية وفروعها، وعندما ظهرت الدورية MEE IV مؤخراً فإن نشر اللوائح المزدوجة اللغة (ARET VI) قد تمّ تأجيله.

هذا وتقدم لنا الوثائق المنشورة في المجلد ARET II أمثلة على جميع الأقسام الإدارية تقريباً. كما أن المجلدين ARET I و IV قد خصصا من أجل حسابات من أجل حسابات إنتاج الألبسة، وهي الأوفر عدداً في النصوص الاقتصادية.

وقد جُمِعَ في المجلد السابع من ARET عَدَدٌ هام من النصوص المتعلقة بالمعاني وحساباتها، وهي قسم آخر.

ونشر في المجلد الثالث من ARET III عدد كبير من الكسر النصية، التي لم تكن قد اختيرت وفق شكلها وحجمها، وإنما تبعاً لوضع القوائم. وكان يجب إعطاء سلسلة مهمة من الأمثلة على اللوائح المعجمية.

ـ هناك برنامج يهدف إلى تنسيق جميع النصوص المسمارية المنشورة وموادها في الكومبيوتر. وقد ظهر المجلد الأول من ARET II ويضم جميع الأسماء الجغرافية.

٣. الجدول الزمني التاريخي Chronology:

لا يوجد سوى بضع عشرة من الوثائق التي يمكن تأريخها، نسبة إلى بعض الحوادث أي (في السنة التي Dish mu) و بعدد متبوع بكلمة مو mu «سنة (س)». وقد استخدم اللقب السومري إن in بمعنى ملكوم (ملك) في نصوص إبلا. دون أن يذكر اسم شخص محدد.

ولكن هناك حالتان فقط لشخصين هما اجرش خالام Igrich - Halam وإركب دمو Irkab-Damu يحملان لقب «ملك إبلا» في النصوص، ((en ib-la (ki)). هذا ولابد من العودة إلى هذه الموضوع ـ السلم الزمني ـ واتباع أساليب نقدية أخرى من أجل وضع سلم زمني لوثائق إبلا.

هذا وتقدم لنا نتائج دراسة نصوص الهبات والمنح المسجلة فيها أسماء عشرة عواهل متوفين هم: ويذكر هكذا (Dingir دينجير اسم علم، رب ـ اسم علم):

١) أبو رليم	A-Bur-li-im
٢) أجورليم	A-gur-li-im
٣) أبي دمو	I-bi-da-mu
٤) باجا دمو	Ba-(ga-)da-mu
٥) انردمو	En-ar-da-mu
٦) إشرملك	I-Shar-ma-lik
٧) كون دمو	Kun-da-mu

٨) أدوب دمو	A-dub-da-mu
٩) اجرش خالام	Ih-ri-ish-ha-lam
١٠) اركب دمو	Ir-kab-da-mu

(AET VII 150)

وكان أول هؤلاء الملوك الذين ذكروا في النصوص التي تم التعرف عليها هو كون دمو ، وذلك في تقريرين إداريين يتعلقان بعهده أو ببعض طقوس الدفن.

(TM.77. G.23 + 80. G. 207, TM.75. G.2286)

في حين أن العاهل أدوب دمو مجهول، لم يذكر ولربما لم يحكم إلا لفترة قصيرة. هذا ويبدأ تاريخ المحفوظات الإبلائية مع عهد أجرش خالام ويتواصل مع عهد اركب دمو.

وهناك نص هام هو TM.74. G120 يذكر لائحة تبدأ باسم إبلا. وهو نص تحريف مدرسي على الأغلب، ويتبع ذلك خمسة عشر اسم علم، ومن ثم عشرة أسماء منشورة في ARET VII 150 تنتهي باسم اشر دمو Ishar damu الذي يلي اركب دمو في الحكم ويخلفه.

وهناك أربعة أشخاص مقدسين من أصل خمسة عشر اسماً وردت في النترانيم الخاصة بتنصيب الزوجين الملكين، آن ــ ساجي ــ مو ، ابني ليم اشرد دمو .

(«A»/ EN- ma-na, Sa-gi-su. I-bi-ni-li-im, Ish (11)-ru (12)- ud-da-mu)

ويمكن الاستنتاج أن هذا النص يحفظ ستة وعشرين اسماً من أسماء السلالة الإبلائية التي يمكن أم تكون قد حكمت قبل القرن السابع والعشرين ق.م؟..

إن الوثائق المتعلقة بالتسليمات (وأحياناً أعطيات) (مو) المدعوة مو - دمو -mu DU لا تسمح لنا أن نؤلف بين مجموعة من الملوك وبعض الشخصيات الإدارية المركزية. التي ذكرت حوالي ثلاثين نصاً، حيث إن بعض «النبلاء» يحمل لقب لوجال لوجال Lugal-Lugal (حيث أن الكلمة تعني بعل ba'l بالإبلائية).

وقد سلم هؤلاء الفضة والألبسة، وبينهم وعددهم يتراوح بين ١٥ ــ ٢٠ نبيلا أحدهم يدعى «تير» والثاني «درميا»! تير ودرميا الذين سلما الهبات المهمة (حوالي ٢٥ إلى ٦٠كغ من الفضة وبضع مئة من الألبسة).

إن نهاية TM.75. G.1237 التي تذكر اسم «اجرش خالام» ملك إبلا، ترينا أن هؤلاء «النبلاء» كانوا معاصرين لذلك الملك.

تم تأريخ عدد ضئيل من هذا النوع من النصوص mu-du بعدد (أقصاه هو ١٢) متبوع بـ mu «سنة».

وهكذا فقد حكم اجرش خالام اثنتي عشرة سنة على الأقل، وهناك نبيل آخر يدعى أرلوم الذي تجاوز «درميا» و«تير» بكمية ما سلم إليه، وهو الذي يأتي في المركز الأول في الإدارة.

ويذكر أقدم نص ترنيمي (ARET XII) + TM.75. G.1823 أن أجرش خالام قد توفي وكرم، وقد ترأس أرلوم تنصيب الملك الجديد، الذي يذكر بالاسم، طبقاً للاثنتين ARET VII 150 و TM.74. G. 120، ولكنه لا يمكن أن يكون إلا أركب دمو وبنى أرلوم على رأس الإدارة لزمن قصير فقط، ومن ثم استعيض عنه بـ Ib-ri-um الذي كان من ضمن مجموعة تحمل لقب لوجال لوجال Lugal- Lugal أي بعل بعل مثل أجرش خالام، وتمثل النصوص المدعوة مودو mu-du الخاصة بابريوم موضوعاً أكثر تعقيداً.

وتسرد قائمة أحد الأقسام الكبيرة الكميات المسلمة من قبل ابريوم نفسه، الذي يبدو أن وظائفه تضعه بمرتبة وزير، هي مئة كيلو جرام من الفضة تقريباً، (في إحدى المرات ذكر تسليم كمية ٣٢٩ كغ فضة!)، وذكر تسليم ما بين اثنين إلى خمسة كيلو جرامات من الذهب، وأكثر من ألف قطعة من الألبسة!.

ويلي ذلك القسم المتعلق بالتسليمات التي تمت من قبل «النبلاء»، والتي تتعدى بمجموعها العشر أو عشر الكمية من المواد المسلمة من قبل ابريوم.

وهناك قسم ثالث للتسليمات حيث يذكر الهبات المعطاة لأصدقاء في المدن المجاورة. وهناك قسم أخير ورابع لبعض التسليمات الإضافية.

لقد كان ابريوم «كوزير» على رأس الإدارة لفترة لا تقل عن سبعة عشر عاماً حيث ذكرت جميع وثائق الهبات أو الأعطيات mu-du باسمه، ولابد من الإشارة إلى أن بعضها قد يكون نتيجة بعض النصوص المهمشة من جديد. ويظهر ابريوم في ترانيم تنصيب العرش التالي (TM.75. G. 1939)، الذي أعلن ملكية اشر دمو، رغم أن هذا الملك الجديد لم يذكر بالاسم. إن فترة ابريوم تتزامن، على نطاق واسع، مع عهد اركب دمو الذي حكم سبعة عشر عاماً، حيث ترينا الوثيقة MEE II 1 أن ابريوم قد توفي سنة موت اركب دمو ذاتها، عندما أقام اشر دمو الترنيمات والصلوات المطهرة بعد موت سلفه.

وقد خلف ابريوم على رأس الإدارة ابنه المدعو أبي ذكير Ibbi-Zikir حيث تطورت ثروة القصر في عهده بشكل ملحوظ، فبلغت كمية المسجلة بين ٤٢٠ ـ ٧٣٠كغ والذهب بين ٢٠ ـ ٢٢ كغ، و ٣٠٠٠ ـ ٥٠٠٠ قطعة من اللباس. وتسجيل اللوحة (TM.75. G.227) تسليم الذهب سنة بعد سنة، مصنفة إياه كملكية لأبي ذكير، وقد بلغت كمياته خلال سبعة عشر عاماً حوالي ٢٨٧ مينا. وقد عثر على هذه السجلات في القسم الأول من الهبات، ويمكن ترتيب كثير من تلك الوثائق في سلم زمني منظم.

من جهة أخرى، فقد دامت خدمة الوزير أبي ذكير سبعة عشر عاماً في عهد اشردمو. هذا ولا توجد ترانيم تنصيب ثالثة أو نصوص أخرى في المستوى الأخير من حضارة مدينة إبلا، أما تلك التسجيلات المتعلقة بتسليم أغنام (التي نشرها بتيناتو في OA 18, (1979, 58-215) فقد سجلت في عهد الملك آن آر ـ آل أجلدمو Ir/Il-'a-ag-du-mu الذي كان ابنا لاشر دمو وخلفه. وهذا يثبت أن تهديم مدينة إبلا يتصادف مع نهاية اشر دمو.

لقد توفي أبلول إيل Iblul-Il صاحب ماري خلال عهد اجرش خالام. هذا ولا وجود لأي معاصر آخر من السلالات الرافدية بشكل مؤكد. وقد يجوز الاستنتاج، من خلال النص (TM.75. G.10091) أن ملك كيش Kish خلال عهد اشردمو كان اسمه اشكنونو Ish- Ku- nu-nu.

ويعكس لنا ثمانون ونيف من نصوص (إبلا) أهمية علاقاتها مع مدينة كيش السومرية بينما لم يذكر أي شيء عن أكاد. وسبب ذلك، كما يبدو، أن نهاية دور إبلا يؤرخ مع بداية عهد شروكين المعروف بصارجون Sargon أو بعده بعدة عقود.

٤. تنظيم الدولة:

كان نموذج إدارة المدينة في العراق وسورية يبنى على أساس معلومات نصية وثائقية (وليس على أساس معلومات أثرية وحسب) وكان هذا النموذج يؤخذ مرجعا من مدينة جرسو Girsu عاصمة دولة لاجاش السومرية، حيث عثر فيها على عدد لا بأس به من الألواح. أما اليوم فمن الضروري أن نأخذ في الحسبان أن نصوص محفوظات (إبلا) التي كانت معاصرة لمثيلاتها من نصوص جرسو، ولها نظامها الخاص المختلف، ضمن تطورها التاريخي. ويعتبر إبلا تجربة مختلفة، وتشكل منطلقا هاما وخاصة لدراسة الثقافة المدينية. حيث نلمس في كلتا الحالتين ـ جرسو وإبلا سكنا للملك وحسب، بل كذلك لأولاده ورجال آخرين من أقربائه وسلالته، ولأكثر من أربعين شخصية تدعى المشايخ أو القدماء الذين يجلسون قرب العرش وهكذا فإن أب أبا abb-abba-al - tych-shu dul وهو لقب يعزى إلى أهم شخصية رسمية. وكما تشير إلى ذلك المخصصات من الطعام (ARET IX) فإن التقدمات المتكررة إلى الآلهة تتم في «بيت الملك» حيث يتم استقبال العواهل والرسل الأجانب أيضا، قد وظف لخدمة بيت الملك أكثر من ألف خادم أي جرش جرش gurush-gurush.

وكانت الملكة وشقيقات الملوك وبقية «نساء الملك» (دام ان) dam en اللواتي يقدر عددهن من بين ٢٦ ـ ٥٠ امرأة، ويضاف إلى هؤلاء امرأة موظفة للخدمة وتحضير الطعام وغيره، وكلهن كن يعشن في بيت الملك é en (ARET IX, 47, 51). ولكن في جناح مخصص لهن. وهو بالتأكيد جناح الحريم المعروف في جميع قصور المشرق وهو هنا الأول من نوعه في التاريخ. وقد كان هذا القسم معزولا بشكل قاطع عن قسم الرجال وكذلك الحال بالنسبة لتوزيع مخصصات الطعام والمؤونة.

ويضم هذا التجمع السكني الملكي الإداري والمركزي، إضافة إلى بيت الملك ما يدعى بـ ساج (كي) (Sag (Ki) (SA. ZA (Ki))) وهنا يعيش الأفراد المهنيون المتخصصون في جميع الأعمال المتعلقة بالقصر، وأمثال هؤلاء: المغنون والحلاقون والمراسلون والحمالون، ويبلغ عددهم بين ١٥٠ إلى ٢٥٠، أما النجارون والحدادون فقد يصل عددهم إلى ٥٠٠، Simug ويوجد حوالي ٥٠٠٠ عامل موزعين على مجموعات عمل (ir-a-num).

وهناك موظفون آخرون يقطنون في الضواحي (ir-a-num) والواقع أنه يمكن القول إن وجود المدينة بكاملها يقوم على وظائف القصر وتنظيماته.

وهناك لائحة بتوزيع أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ مكيال للمحاصيل الحقلية (النص TM.57. G. 190039) بين المستفيدين من الفئات التالية:

١ ــ الشيوخ	أبا	Abba
٢ ــ السماسرة	مشكيم	Mushkim
٣ ــ موظفون (ur1)	متنوعون	
٤ ــ نجارون	نجار	(nagar) لاحظ الأصل السومري لكلمة نجار

هذا وتفيدنا النصوص المتعلقة بإنتاج المزارع والحقول بإعطاء فكرة عن الاستيطان الزراعي السريع والمنتج؟ والكثيف في إبلا.

وتعكس لنا نصوص أخرى تبادل السلع التجارية عن طريق القوافل والمبعوثين بين دول المدن (ARET I, 219-235) وأن هذا النشاط الفعال لابد وأنه قد بدأ وأنه قد بدأ في سورية الشمالية منذ نهاية القرن الخامس والعشرين على الأقل، ومن ثم تطور نحو مزيد من الاستقرار والانتعاش.

هذا ومن الصعب التنبيه إلى المصاعب التي تشوه رؤيتنا لبعض المشكلات من خلال النصوص المتوافرة لنا من محفوظات إبلا، إذ لا توجد لدينا أدلة من تلك النصوص عن القبائل والفصائل البدوية التي استوطنت شمال سورية آنذاك أو التي

استقرت في بعض المدن، واستقلت الواحدة عن الأخرى، وصارت جزءاً من المدنيين المستقرين، وهو واقع على عكس ما نلمسه من خلال المعلومات التي قدمتها لنا محفوظات مدينة ماري في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وهناك انطباع وحيد يفسر هذا الواقع وهو أن البدو آنذاك كانوا محصورين في منطقة بين إبلا وشمالي مدينة قطنا وجبل بشري حيث كان يعيش بدو المارتو Martu.

ومع بداية القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بدأ السوريون القدماء تكوين دويلاتهم في مناطق سورية، كما حدث سابقاً في بلاد بابل وفي كيش. وكانت مدينة ماري، بصورة أساسية، وفي عهد أبلول إيل (طبقاً لرسالة انادجن (TM.75. G.2367))، وقد ورثت السيطرة على مناطق الفرات الأوسط، وكانت مدينة إيمار Emar قد تعرضت مراراً للهزيمة من قبل قبائل ماري التي وصلت حتى الجبال التي تطوق شمال غرب حلب/ خلب، وكذلك شمالها في منطقة مدينة خشوان Hassuwan. وكانت إبلا، التي دفعت دية أو ضريبة مرتفعة إلى ابلول إيل من الفضة والذهب قد خلفت، بعد بضع قرون، سيطرة ماري وعملت على موازنتها بشكل خاص.

وتشير المعاهدة مع أبرسال Abarsal إلى أن أراضي إبلا قد امتدت حتى الفرات شرقاً وشمالاً حتى كركميش، في عهد اجرش خالام، وامتد نفوذ إبلا إلى ما بعد مدينة إيمار فيعهد اركب دمو، رغم أن ايمار بقيت دويلة مستقلة. في حين أن نفوذ ماري قد وصل إلى توتول Tuttul على ضفة نهر البليخ، ورغم هذا فقد كان مبعوثو إبلا يعرجون على معبد الإله دجن/ داجان الواقع في توتول ويقدمون له الأضاحي والعبادة.

وهكذا توطدت دعائم الدويلات الإقليمية من خلال وجود إبلا وماري وكيش، في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد، وهي تقابل بشكل واضح، نظيراتها في المنطقة خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، الممثلة بدويلات يمخاض وماري وبابل وناجار (تل براك) ذات الأهمية الخاصة التي كانت تخضع لسيطرة دويلة شباط/ت انليل (تل ليلان) وبلاد أبوم Apum المحيطة بها.

٥. الديانة:

يرد في وصية الوزير ابريوم بوراثة ابنه له XV ،7-14 IV (TM.75. G.1444 1-8. SEB 4. 1981. 38. 44) وتأكيد الملك عليها، ذكر لعدد من الآلهة وهم ثلاثة:

١ ــ الإله كورا Ku-ra[d].

٢ ــ الإله اوتو Utu[d].

٣ ــ الإله أدا A-da[d].

ويبدو من المؤكد أن الإله كورا هو، دون شك، الإله الرئيس في مجمع آلهة مدينة إبلا، فهو الوحيد الذي يتلقى أعطيات فردية داخل «بيت الملك» é-en، غير حين أن بقية الآلهة لا تذكر باسمها بل يسجلون مجرد «الآلهة». دينجر دينجر دينجر dingir- dingir- dingir.

ويتلقى كورا مع زوجة المؤنث الآلهة براما Barama[d] ليشكلا الزوج الإلهي الرئيس في ترانيك الصعود أو تنصيب الملك. أما إله الشمس اوتو فهو بالتأكيد شمس الذي أعطاه العراقيون الأكاديون رمزه التصويري الذي لم يظهر هنا ولكنه اعتبر آلهة مؤنثة في إبلا كما ستكون حالة في أوجاريت ولدى العرب فيما بعد وكذلك يظهر شمس في الترانيم ARET V 312 حيث أن السابقة المؤنثة في الصيغة الفعلية د ــ أ ــ با ــ أن /ti-a-ba-an/ تيابان قد نسبت إلى أوتو:

«أنت تصنعين اللبن (الطيني)» وقد تأكد هذا الأمر استناداً إلى النص:

TM.75. G. 2593 rev. IV 4-7: I aktum- TUG_2[d]Utu-nita in(x)

وإذا كان المقطع السابق يوحي بضرورة وصف أوتو كمذكر أي نيتا nita فلا يمكن تفسير السبب هنا إلا «بالاستثناء»، فلأن الإشارة هنا تقصد إله الشمس البابلي المذكر «المستورد» من بلاد الرافدين، حيث يرد ذكره في الصلوات والترانيم ARET V.6. أما الإله الثالث والأخير Adde فهو أهم إله سوري متخصص بالطقس وتبدلاته.

ويوجد إحدى وعشرون لوحة أو رقيماً يسجل تسليم الأغنام إلى القصر الملكي بموجب لوائح نظامية، في القسم الأول من المحفوظات، وهذه الأغنام هي أضحيات

مقدمة للآلهة. وهي تذكر تلك الآلهة مراراً، ولكن لا يتعدى عددها الأربعين إلهاً، وترينا قوائم الآلهة تلك أن مجمع الآلهة الإبلاوي قد تألف من آلهة سومرية أكادية تعتبر القاعدة الأساسية في المجمع الرافدي. ويظهر إلى جانب الآلهة المذكورة آنفاً الآلهة التالية:

ـ دنجر أش ـ دار Ash-dar[d]، أي أشتار/ عشتار Ishtar.

ـ دنجر داجن/ جان Da-gan[d]، رب مدينة توتول.

ـ بي/ لوجال دودولو Be/Lugul Du-du-lu[ki].

الإله بي لوجال رب مدينة دودولو.

ـ دنجر جالشالو (جاشارو) Ga-sha-lu (Gasharu)[d] الإله جاشيرو وهو اسم علم معروف فيما بعد في حلب.

ـ دنجر جاميش، كاموش Ga-mi-ish[d].

ـ دنجر راساب Ra-su-ap[d] (Reshef) الإله رشف..

أما الآلهة الرئيسة في المستوى الثاني بعد الإله كورا منهم:

ـ دنجر ايدا كول/ بعل I-da-KUL/ bal[d] ويعتقد بعض المتخصصين أنه إله من أصل أكادي.

ـ أما زوجة الإله السابق فهي الآلهة: دنجر بي ـ مي = بعلتوم = السيدة.

ـ وهناك الآلهة المدعوة آ ـ دام ـ ما A-dam-ma[d]، وهي الزوج المؤنث للإله رسب/ رشف (وهو الذي سيصبح الإله الرئيس لدى الحوريين). اعتباراً من منتصف الألف الثاني ق.م، حيث يبدأ ظهورهم في سورية والرافدين كقوة سياسية.

ـ دنجو أماريجو Am-ma-ré-gu[d]، وهو إله مقدس في الجبال حسب ما تشير إليه النصوص الحورية المتأخرة.

ـ دنجر أشدابعل Ash-da-bil[d]، وسيصبح هذا الإله «الثالث» إله الحرب لدى الحوريين (في غرب سورية) القادمين من الأناضول.

ـ دنجر شارا ـ ر/ اش SHARA-ru-ish[d]، أي الإله اشخارا Ishhara-.

ـ وأخيراً فإن الإله أو القدرة القدسية بليخا Ba-li-ha هي في الواقع نهر البليخ الذي مـا يزال يحمل الاسم نفسه منذ أكثر من أربعة آلاف سنة؟ ويبدو اسم هذا النهر بصيغتين كتابيتين مختلفتين، ذلك أنه يشكل من مجريين من المياه. ويبدو أن هذا الاسم اكادي

ويضاف إلى ما تقدم أسماء أقل تردداً في النصوص ولكنها مهمة وتعطي فكـرة عن أصولها وهي:

ـ أدا-أدد Adda.

ـ أشدور Ashdur.

ـ دجن Dagan.

ـ كميش Gamish.

ـ كورا Kura.

ـ وأخيراً اسم رسب Rasap.

ويلاحظ أن جميع الأسماء الشخصية المذكورة آلهة في المجمع الديني الإبلائـي الذي يترأسه كورا كما أسلفنا.

مكانة /الإله أل/ إله (القدرة):

أنّ وجود هذه الأسماء ومعانيها لا يعني أن ديانة إبلا كانت شعبية. ولكن نلاحظ من جهة أخرى، أن عشرة أسماء من أسماء ملوك إبلا مركب من كلمتي ليم ودمو. ولعل هـذا يعكس، دون شك، التقاليد الراقية في العصور المبكرة، أي في مرحلة مـا قبـل التـاريخ وظهور المدينة، وهذا لا يعكس بالضرورة الأهمية البالغة التي سيصل إليها فيما بعد إيـلـ ـ إله. وهو يدخل في الأسماء المركبة بعد الاسمين ملك ودمو. وسيكون /عاملا إل/ إله ـ أي القدرة، اسماً أساسياً في تركيب أسماء العلم في العصر الأكادي والأموري.

هذا، ويجب الإشارة إلى أن اسم (أل) لم يظهر إطلاقاً فـي القوائـم الإداريـة. لتوزيع الأضاحي للآلهة، (المنوه عنها أعلاه) ذلك أن (أل هي صفة كل إله فـهو إلـه

الآلهة (القدرة) فهو يدل قبل كل شيء على /القدرة/ المجردة التي لا يرقى إليها أي إلـه آخر، وهي قدرة لم ولن تحددها نصوص إيبلا، إنما ستظهر واضحة فـــي نصـــوص الديانة البابلية فيما بعد. وسنلاحظ أن النصوص الأوجالايتية تذكر بعد منتصف الألـــف الثاني، أنْ (آل)/ إله II/I:I يعني «والد الآلهة» أو رب الأرباب وإله الآلهة، وكان دائماً على رأس المجمع الديني الرافدي والسوري.. أما نصوص إبلا فإنها تتعارض مع هذه المكانة.

ملحق ٢

مثال عن أحد مؤتمرات علم الأكاديات/ الآشوريات[1]

انعقد في باريس، في الفترة بين ٧ و ١٠ تموز ١٩٨٦، المؤتمر الدولي الثالث والثلاثون لعلماء الآشوريات حول «المرأة في الشرق الأوسط في العصور القديمة» شارك فيه أكثر من مئتي باحث وباحثة، وألقي فيه خمسة وثلاثون بحثاً تناولت تاريخ المرأة في شرقنا العربي وما جاوره من بلدان، من خلال الوثائق المسمارية فحسب. وهذه البحوث التي كتبت بلغات باحثيها، وهي الفرنسية والإنكليزية والألمانية، قد نشرت بإشراف مركز الأبحاث والدراسات الشرقية الفرنسية.

ومما تجدر الإشارة إليه غياب العرب التام عن مثل هذه المؤتمرات العلمية التي تبحث في تاريخنا القديم. وقد ساهمت جامعة دمشق مشكورة في جزء من نفقات سفري للمشاركة في هذا المؤتمر ببحث عن المرأة في مملكة يمحاض (حلب) في القرن الثامن عشر.

ولعل عرضاً سريعاً للبحوث التي ألقيت في المؤتمر يحفزنا على بذل المزيد من أجل مشاركة المتخصص العربي فيه، وفي المؤتمرات الأخرى المماثلة، بل الدعوة لعقدها في بلادنا، إذ إن المؤتمر ما يزال ينعقد في كل عام في إحدى العواصم الأوربية، لأن علم الآشوريات علم يبحث في تاريخنا القديم أولاً وآخراً، فحري بنا أن نكون من أوائل المشاركين في أبحاثه؛ لأن من يكتب التاريخ هو الذي يمتلكه، ونحن للأسف لم نكتب تاريخنا القديم الذي يمتد إلى خمسة آلاف عام، وقد آن الأوان لدخول هذا الميدان الذي يسيطر على قسم كبير منه متخصصون توراتيون وصهاينة متعصبون، أشبعوا هذا التاريخ دراسة وتمحيصاً ومقارنة مع توراتهم بقصد امتلاكه ونسبته إليهم، كورثة لكل التراث القديم.

---

(١) دراسات تاريخية، ٢٧ و٢٨، أيلول ـ كانون الأول ١٩٨٧.

فهل يتنبه العرب إلى هذه المعركة الصامتة والخطيرة..

١ ــ باولين البندا Pauline Albenda.

صور للنساء والأطفال والعائلة في الفن الأشوري.

٢ ــ بينهاس رتمي Pinhaz Artzi

الزواج السياسي وأثره على العلاقات الدولية في عصر تل العمارنة.

٣ ــ جوليا م. أشر ــ غريف Greve–Julia M. Asher

الكاهنة والحلم. وهو دراسة في أختام السلالات الأكادية الأولى، حيث تظهر مشاهدة هامة ذات دلالة دينية. وتفسر هذه المشاهد على أنها أحلام.مثلت على تلك الأختام، بصور أحدها امرأة، يعتقد أنها كاهنة أو آلهة، مضطجعة على سرير وبجانبها ذكرين وانثى.

٤ ــ ن. ب. جان كوفسكا: E.K. Astakhishvili, N.B. Jankovska

الملكة والكاهنة، دراسة مقارنة للمرتبة الأكادية «ملكة وكاهنة» في نصوص مدينة نوزي وفي المعطيات الدينية في العصور الباكرة.. في المناطق المجاورة لمنطقة الرافدين السفلى.

٥ ــ زفريدا بن براك Zafrira ben Barak

[illegible] الزوجة والصراع على خلافة العرش. ويدور البحث حول محاولات الملكة الزوجة وأم وريث العرش للاستئثار بالسلطة وحكم المملكة من قبلها مباشرة. الأمثلة مستمدة من الممالك القديمة على الشاطئ السوري.

٦ ــ اليزابيث كارتر Elisabeth Carter

استعراض لأخر نتائج التنقيبات في موقع لاجاش جنوبي العراق.

٧ ــ دومينيك شاربن Dominique Charpin

شوبات انليل وبلاد أبوم. يتحدث الباحث عن آخر حفريات تل ليلان في شمال سورية، ومحاولة إيجاد موقع شوبات انليل التي كانت عاصمة لشمشي ادد الأول

مؤسس الدولة الآشورية الأمورية. وهو يعتقد استناداً إلى أن اسم شوبات انليل كان شيخنا في نصوص تل براك. أن تل ليلان التي تجري فيه الآن حفريات أميركية هو المرشح لأن يكون شوبات انليل القديمة وعاصمة دولة آشور الأولى.

٨ ــ دوغلاس فراين Douglas Frayne

وراد ــ سين وعرش نانا. وهو دراسة لنصين وجدا في مدينة أور، يصفان عرش الآلهة نانا. وأهمية ذلك تعود إلى إمكانية مقارنته مع وصف العروش الملكية التي وجدت في نصوص أخرى.

٩ ــ بيلو فرانزارلي Pelio Fronzaroli

بحث في تركيب أسماء العلم المؤنثة في نصوص إيبلا. وهي دراسة لغوية مقارنة للأسماء المؤنثة التي نشرت حتى الآن في نصوص إيبلا.

١٠ ــ أندريو جورج Andreo George

ختم الحظ والقدر. دراسة عن طبعة لختم يعتقد بأنه مصنوع من قبل سنحريب بعد مقارنته بكتابة جديدة لهذا الأخير.

١١ ــ يوحنا غرين فيلد Jonas C. Greenfield

أسماء نساء عرفن من خلال نصوص أدبية متأخرة. والبحث يحاول إلقاء الضوء على أسماء النساء التي وجدت في نصوص العصر البابلي الحديث والنصوص الآرامية، وهي الفترة المواكبة لكتابة التوراة والأسماء التي وردت فيها.

١٢ ــ م. هيلتزر M. Heltzer

شكنتو الآشورية وسكنت التوراتية. محاولة لا تخلو من الحقيقة وهي تقريب لقب شكنتو الآشورية وسكنت العبرية وساكنة العربية. وهي وظيفة امرأة في بلاط الآشوريين يحاول الباحث هنا تشبيهها بوظيفة ابيشاج الشونمية، تلك الفتاة التي كانت تؤانس الملك داود عندما شاخ وطعن في السن وتضطجع في حجره ليدفأ (سفر الملوك الثالث ــ الفصل الأول ١ ــ ٥). والمقارنة هنا مع المصدر الأكادي /شكن/ الذي

يقابله بالعبرية والعربية (سكن) أما شكنتو Sakintu الأكادية، فهي لقب محدد لوظيفة امرأة في البلاد الآشورية تتولى شؤون الحريم وذات نفوذ لا يستهان به. والمحاولة هنا تقريب التوراة من التاريخ الآشوري وبالتالي الظهور بمظهر المتملك لهذا التاريخ.

١٣ ــ فرانسيس جوانس Francis Joannes

الزواج للمرة الثانية في العصر البابلي الحديث. موشذب ــ بل من نمل (أيا أيلوتا باني)، وهو من أعيان مدينة بورسيبا، كان هذا الرجل متزوجاً من «خبيستت» أرملة أخيه البكر واسمه أيدن ــ نبي، وتزوج بعد موت زوجته من ابنة أخ أو أخت بالمصاهرة.

إن مواجهة مثل هذا الزواج العائلي في المحفوظات المسمارية العائلية تسدل بوضوح على مخطط عائلي كي لا تبدد الأسرة ثروتها وممتلكاتها. والباحث يقدم نصوصاً جديدة تدعم بحثه.

١٤ ــ ج. ب جوزيفوف J.B. Jusifov

المرأة في الفن الأذربيجاني القديم. ظهر بعد سقوط السلالة الأخمينية في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد، ما يسمى البانيا القوقازية، التي تميزت بحضارة متطورة ونظام نقدي واقتصادي هام. ظهر في تلك البلاد بعد التنقيبات الأثرية الكثير من الت ١٨١. الصغيرة بهيئة امرأة يعتقد بأنها الهة الخصب. بالرغم من ظهور المسيحية ثم الإسلام فإن تلك العبادة لم تختف تماماً.

١٥ ــ جاكوب كلاين Jacob Klein

ولادة ولي العهد في المعبد رواية الأدب السومري ــ في عصره الجديد «الانبعاث السومري».

تروي النصوص السومرية الأدبية الدينية أن شولجي الملك السومري ولد بمعجزة في المعبد والمشكلة المطروحة هي تفسير النص، فهل يعني النص السومري ولادته بتدخل إلهي، أم إنساني.. والبحث يقدم لنا وجهة نظر المؤلف.

١٦ ــ صموئيل نواه كرامر Samuel Noah Kramer

المرأة في الشرق القديم من خلال الأدب السومري. وهو بحث القصد منه تكوين فكرة عامة عن موقع الأم، والبنت والأخت والزوجة، والعذراء البتول في الأدب، وبالتالي المجتمع.

١٧ ــ برتراند لافون Bertrand Lafont

بنات زمرى ــ ليم ملك ماري أو سياسته في الزواج. دراسة لإحدى عشرة بنتاً للملك زمرى ــ ليم ملك ماري. والباحث هنا يستعرض وثائق جديدة غير منشورة توضح أكثر وأكثر سياسة زمرى ليم في تزويج بناته إلى نوابه في المناطق والمقاطعات وفق سياسة مرسومة للسيطرة على البلاد.

١٨ ــ ماريا هيلينا لوبس Maria Helena Lopes

دور المرأة في مصر القديمة. والبحث دراسة الأوضاع المرأة من خلال الأسطورة والملحمة والصلوات المصرية القديمة.

١٩ ــ بيوتر ميشالوفسكي Piotr Michalowski

الأميرات والسلطة والسياسة. وهو استعراض للزيجات السياسية في عصر أور الثالثة أو عصر النهوض السومري. ويبرز الباحث أهم زيجتين لأميرتين أصبحتا ملكتين لمدينتي سيماتوم وخمازي.

٢٠ ــ هـ. نويمان H. Neumann

ملاحظات حول موقع المرأة الاجتماعي والحقوقي في العصر السومري الجديد.

تعتمد هذه الدراسة بشكل خاص على قانون لورنامو في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد.

٢١ ــ السندرا نيبي Alessandra Nibbi

السيدة خطيبا Hatiba سيدة آلاشيا Alashiya في حكاية المرأة المصرية. البحث يدور حول قصة مصرية عن امرأة تدعى خطيبا قامت برحلة في المنطقة. والباحث يقترح تحديد هوية المناطق والمدن المذكورة في الرواية المصرية.

٢٢ ــ مارفن هـ. بوب Marvin H. Pope

القدرة الخارقة (فوق الطبيعة) للدور البطولي الأنثوي في أناشيد الملك سليمان في التوراة. هذه الأناشيد المنسوبة إلى الملك سليمان والتي لا علاقة لها به ولا بعصره ربما كانت مستمدة من أناشيد أكثر قدماً.

٢٣ ــ أديث بورادا Edith Porada

المذكر والمؤنث في الأيقونات الإيرانية القديمة.

٢٤ ــ جان بوفل Jaan Puhvel

خلف وولد باللغة الحثية. وهو بحث لغوي مقارن حول معنى هاتين الكلمتين وصلتهما بالفعلين ذاتهما في الإغريقية واللاتينية.

٢٥ ــ جوليان رد Julian Reade

سنحريب والمرأة. هنالك وثائق منشورة وغير منشورة تدل على أن لهذا الملك موقفاً تعاونيا خاصاً تجاه المرأة.

٢٦ ــ غرد شتاينر Gerd Steiner

المرأة المغوية في الشرق القديم، وهي من المظاهر التي أغنت الأدب القديم. وهناك المرأة المتزوجة والغانية والكاهنة، ولكل منهن غوايتهن.

٢٧ ــ فلاديمير س. تومان Vladimir S. Tuman

ثلاث كدور Kudurru مكابيل أكادية في متحف اللوفر، وعيد المنقلب الصيفي. دراسة حول تحديد عيد المنقلب الصيفي من خلال تقدير أعمار تلك المكابيل.

٢٨ ــ كلاوس فيلك Klaus Wilcke

شقيقة الزوج. إن الأدب السوري منذ العصور المبكرة يبرز مكانة شقيقة الزوج. ويظهر لشقيقة الليل أهمية خاصة في الزواج.

٢٩ ــ اليزابيث وليامس Elizabeth Williams

بعض الملاحظات حول طبقات الأختام من عصر ماري، ومحاولة لدراسة صورة الآلهة المؤنثة عليها كفن سوري قديم.

٣٠ ــ أرين ج. ونتر Irene J. Wenter

المرأة في الحياة العامة. يظهر دور المرأة ككاهنة كبرى منذ السلالات الأولى، وفي العصر الأكادي تظهر لنا شقيقة صارغون ككاهنة. وبصورة عامة كانت مكانة المرأة ضعيفة في الحياة العامة.

٣١ ــ يوهنغ يو Yuhong Wu

كتابة مسمارية منسوخة عن الختم الإسطواني لفورش. دراسة مقارنة بين تلك الكتابة التي وجدت عام ١٩٨٣ منقوشة على عظمة حصان. والكتابة الأصلية الموجودة في المتحف البريطاني.

٣٢ ــ مينا زوغرافو Mina Zografou

إشارات تدل على وجود مجتمع نساء (فقط) في الشرق القديم. محاولة لإثبات وجود مؤسسات نسائية تعيش مستقلة عن المجتمع المختلط. وهذه الدراسة لا تمتلك مستنداً مباشراً، وإنما دلائل غير مباشرة وغير أكيدة من الملاحم الأدبية والدينية.

٣٣ ــ مارك جيلر Mark geller

«أرادت ليلي» امرأة مغوية. بعض النقاش حول تلك المرأة التي تحدثت عنها النصوص السومرية.

٣٤ ــ دورينغ كاسبر F.C.L. During Caspers

الحصان المقرن في وادي الهندوس. تهدف الدراسة إلى إثبات أن الأختام على شكل حصان مقرن لها أصل من بلاد الرافدين.

٣٥ ــ فيصل عبد الله

المرأة في المملكة الحلبية/ البمحاضية في القرن ١٨ ق.م. يبرز البحث الدور المهمّ الذي لعبته المرأة الحلبية في السلطة، وكذلك عادات ومراسيم الزواج، وأهمية الزواج السياسي مع أمثلة على ذلك (نشرنا ترجمة البحث في هذا العدد).

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

ملحق ٣

قراءة في خمسة مجلدات عن ماري(*)

COMPTES RENDUS

M. A. R. I. 1 – 5

ما تزال الدراسات التاريخية حول مدينة ماري ومحفوظاتها المسمارية تنهال علينا بلغات متعددة يصعب حصرها، ولعل هذا يدفعنا للبحث عن هذه الدراسات وترجمتها بكاملها. ومن المعروف أن الآثاريين والمؤرخين الفرنسيين لهم الباع الأطول في هذه الدراسات بحكم اكتشافهم للمدينة منذ الثلاثينات وإصدارهم ترجمات لمحفوظاتها في سلسلة قاربت الثلاثين جزءاً تحمل اسم المحفوظات الملكية لماري (ARM). زد على ذلك الدراسات المنشورة في دوريات عديدة في أنحاء العالم. إضافة إلى سلسلة جديدة، هي موضوع قراءتنا هذه، تحمل اسم:

M.A.R.I. = MARI Annales de Recherches Interdisciplinairs

صدر من هذه السلسلة الجديدة حتى الآن خمسة مجلدات نعرض فيما يلي لأهم محتوياتها. وأهميتها لا تكمن في كونها تخبر عن إرثنا الكبير فحسب، بل أن الدراسات المستنتجة من النصوص المسمارية تعكس لنا مجتمعا واحداً لم تنقطع صلاته منذ خمسة آلاف سنة على الأقل، وهي تاريخ ظهور الكتابة المسمارية السحرية.

١ - دراسات المجلد الأول M.A.R.I.1:

وننقل للعربية العناوين مع أهم الأفكار:

(*) دراسات تاريخية، ٣٧ و ٣٨، أيلول – كانون الأول ١٩٩٠.

ملاحظة: تنفيذاً لبرنامج التعاون بين جامعتي دمشق وشيكاغو. أقمت في معهد الدراسات الشرقية في شيكاغو عام ١٩٩٠ حيث أنجزت هذه الدراسة وغيرها. فشكراً للمسؤولين في الجامعتين.

١ ـ جان مارجورون Margueron, J., :

«تقرير أولي عن حفائر موسم عام ١٩٧٩ في ماري» ص ٩ ــ ٣٠.

حيث تم اكتشاف جانب مهمّ من الهندسة المعمارية تعود لبداية الألف الثاني ق.م، ومجموعة من الرقم الفخارية المكتوبة بالمسمارية ــ الأكادية ذات اللهجة المارية الغربية (نسبة إلى ماري)، وهي تعكس تنظيمات المدينة في العصر الأموري في سورية وبلاد الرافدين عامة.

٢ ـ بارايرد . PARAYRE. D. :

«الرسوم الملونة المزاحة من مكانها في الصالة ١٠٦ من قصر ماري. نظرة جديدة» ص ٣١ ــ ٧٨.

تعد الدراسة بحد ذاتها جزءاً من تاريخ الفن القديم في بلادنا، أو تاريخ الرسم الملون على الجدران. وهذا الرسم، الذي يزين جدران إحدى صالات قصر ماري، يعد من أقدم الرسوم الفنية في العالم وهو مرسوم على طبقة من الجبس وتحتها طبقة من الطين. وقد نفذ الرسم بعد جفاف هاتين الطبقتين، ويصور مشهداً دينياً يمثل الإله والملك بزي، لا نجد فيه غرابة أمام أزيائنا التقليدية، ورأس ثور ذي قرنين كبيرين، إضافة إلى الحاشية المرافقة.

٣ ـ جان ماري ديوران DURAND.J.-M. :

«سومريون، أكاديون، في بلاد أمورية.. وثيقة قضائية واحدة من عصر ماري المبكر» ص: ٧٩ ــ ٨٩.

تظهر أسماء علم سومرية وأكادية في وقت كانت فيه ماري تحت سيطرة الاموريين وهذا ليس إلا دلالة على الامتزاج والاختلاط بين مختلف فصائل سكان بلادنا القدماء، تجمعهم لغة القربى، وعادات وحياة مشتركة.

يزودنا هذا النص بمعلومات عن كيفية البيع بحضور الشهود للتصديق، وأخرى عن حياز المرأة ملكية خاصة، منذ هذا الوقت المبكر أي نهاية الألف الثالث إن لم يكن قبل ذلك. (ن. نفسه ص ٨٣).

ولديوران دراسة ثانية هي: «**قراءة ثانية للمجلد الثامن من محفوظات ماري الملكية ARM VIII**» ص ٩١ ــ ١٣٥ ويقول فيها: أنه استطاع خلال إقامته في حلب في أيلول ١٩٧٩ أن يعمل في متحفها من أجل أن يعيد تصنيف ولصق هذه المجموعة من محفوظات ماري التي نشرت سابقاً. وقد برهنت إعادة التصنيف هذه على مدى دقة النشر التي تم سابقاً. وقد ذكر أن كثيراً من الدراسات حول هذه النصوص لم ترجع إلى الأصل وإنما اكتفت بما يسمى Transcription أي كتابة الاكادية بأحرف لاتينية.

٤ ـ دومنيك شاربان CHARPIN. D. :

«**معبد كاخات من خلال وثيقة غير منشورة من ماري**» ص ١٣٧ ــ ١٤٧.

كان مدينة كاخات تتبع مملكة شمسي ادد الآشورية، ومن ثم زمري ليم في ماري. هذه الوثيقة هي وصف هندسي وبالمقاييس لمعبد المدينة.

٥ ـ موريس بيرو BIROT. M. :

هذا العالم الجليل الذي أمضى حياته في دراسة نصوص ماري المسمارية، ونشر بعض مجلداتها. ينشر لنا هنا بقية من نص سبق نشره في الصفحة ١٤٩ ــ ١٥٠.

٦ ـ جاك م . ساسون SASSON J. M. :

ودراسته بالإنكليزية (علما بأن الدراسات السابقة جميعها بالفرنسية) وهي بعنوان «**رؤية للقيامة في ماري**» ص ١٥١ ــ ١٦٧.

وهي دراسة للنص ي:ARMX، وهو واحد من الوثائق المسمارية التي كتبها كهان المعابد وكان أكبرهم على ما يبدو يحمل اسم /نبو/ أي نبي وهذا النبو أو النبي،

هو الذي يرى ويكتب رؤياه للملوك أو للشخصيات. والنص هو رؤيا «النبـــو» التـــي نقلتها شبتو (بنت ملك حلب ياريم ليم وزوجة زمري ليم ملك ماري) إلى زوجها الغائب في المعارك لكي تطمئنه أن الإله وملائكته مصممون على حماية مدينـــة مـــاري وأن أحدا لا يستطيع المساس بها. تعكس هذه الرؤية التي يعود تاريخها لأكثر مـــن أربعـــة آلاف سنة على الأقل، جانباً من الفكر الديني الذي انتقل فيمـــا بعـــد إلـــى الأدبيـــات التوحيدية، وهي حماية الإله للبشر ومدنهم، ووعده بذلك وعداً أكيداً. فـــالوعد الإلـــهي يحقق الطمأنينة في نفس البشر قديماً، وهو ليس إلا محاولة لخلق توازن نفســـي بيـــن الإنسان والصعوبات التي تواجهه وهو لا يعني ــ أي الوعد الإلهي ــ حقاً في التملـك كما تدعي الصهيونية في فلسطين اليوم.

٧ ـ باييـر :

«من الفرات الأوسط إلى لورستان: أختام على شكل خواتم اعتباراً من نهايـــة الألف الثاني ق.م» ص ١٦٩ ــ ١٨٩.

وهي دراسة قيمة لخواتم عديدة نقش عليها شارات أصحابها، وهـــي تســـتعمل كأختام شخصية وكعادة معروفة حتى عند أسلافنا الأقرب.

٢ . دراسات المجلد الثاني M.A.R.I.2:

١ ـ جان مارجورون :

«تقرير أولي عن حفائر موسم ١٩٨٠». ص ٩ ــ ٣٥.

٢ ـ باييـر . د :

«دراسة طبقات حفائر ماري». ص ٣٧ ــ ٦٠.

٣ ـ دومينك شاربان :

«إعادة قراءة المجلد الثامن من محفوظـــات مـــاري ARM VIII» (تتمـــة). ص٦١ ــ ٧٤.

٤ ـ شاربان وديوران :

«دراسة فيما يتعلق بمحفوظات سومو يامان» (وهو أحد شخصيات المدينـــة). ص ١١٧ ــ ١٢١.

٥ ـ ديوران :

«إعادة قراءة المجلد الثامن من محفوظات ماري، رقم ٢: أشغال المعدن فـــي ماري». ص ١٢٣ ــ ١٣٩.

٦ ـ ديوران :

العنوان السابق رقم ١: «رسالة من موكانيشوم (موظف كبير في قصر ماري)، ثم رسالة من نومو شدا ــ نهراري...» ص ١٤١ ــ ١٦٣.

٧ ـ مارك لوبو LEBEAU M :

«ماري عام ١٩٧٩. تقرير أولي عن الفخار» ص ١٦٥ ــ ١٩٣.

٨ ـ ماترن . ج . ب . . MATERNE. J.-P. :

«سنة كاخات في السلم الزمني من حكم زمري ليم». ص ١٩٥ ــ ١٩٩.

٩ ـ بيك . م ، و ، ويجاند . ي Pic. M. & Weygand. I. :

«قطعة طينية من ماري تمثل الإلهة عشتار». ص ٢٠١ــ ٢٠٩.

هذا بالإضافة إلى عدد من الدراسات المصغرة تتعلق بفهرسة محتويات قصـــر ماري، وأسماء القرابة وما إلى ذلك. وعدد آخر من الملاحظات الصغيرة تتعلق بأعمال البحث الجديد في محفوظات ماري.

٣ . دراسات المجلد الثالث M.A.R.I.3:

١ ـ جان مارجورون :

«تقرير أعمال الحفائر في ماري لعام ١٩٨٢».

٢ ـ شاربان :

«كتابات من العصر الأشوري». ص ٤١ ــ ٨١.

ولهذه النصوص، التي تنشر لأول مرة، أهمية خاصة بالفكر الديني القديم، وتفيد من أجل الدراسات المقارنة التي تتعلق بالديانات في مجتمعنا القديم والحديث. ويلاحظ مترجم هذه النصوص استخدام الفعل الاكادي Krb Karabum ويقابله بالعربية /قرب/ وهنا يعبر النص عن «التقرب» إلى الإله. ويعكس نمط كتابه النص قرب هذه الفترة الأشورية من عصر يخدون ليم /والد/ زمري ليم. كما يعكس أسلوبها في التعبير عن نمط التفكير في العصر الأكادي السابق. وخاصة فيما يتعلق بلقب الملك.

٣ ـ شاربان :

«وثائق جديدة لمستودع الزيت في عصر آشور». ص ٨٣ ــ ١٢٦.

ويتضمن عشرات النصوص التي تسجل توزيع الزيت الخاص بالبيوت المقدسة والإلهة وأصحاب المقامات من الرجالات في عصر آشور. ولهذه الدراسة أهمية خاصة في فهم مكانة الزيت واستخدامه في الطقوس الدينية الشرقية فيما بعد حتى وقتنا الحاضر.

٤ ـ ديوران :

«ثلاث دراسات عن ماري». ص ١٣٧ ــ ١٨٠.

وتتعلق الأولى بإعطاء الاسم للأطفال في قصر ماري. والملاحظ أن الطفل لا يعرف باسمه، بل باسم أمه حتى يكبر ويدب على قدميه، وقد أظهرت هذه الملاحظة وثائق توزيع المؤن في قصر ماري. والثانية تتعلق بترسيم الطفل وهو طقس يبدو من خلال خلع ثياب جميلة عليه لأول مرة. ولا توجد للأسف معلومات إضافية عن هذا الطقس التكريسي الهام، والذي لابد أن يكون على صلة ببعض طقوس التكريس الموجودة في مذاهبنا اليوم.

والقسم الثاني من هذه الدراسة المهمة للأستاذ ديوران تتعلق بالاحتفالات في قصر ماري وخاصة في زمن **يسمح أدد الذي كان منصرفاً بكل وضوح لحياة الترف واللهو**، وهو ما تعكسه رسائل التنبيه المرسلة إليه من أبيه شمشي أدو.

تتضمن هذه الدراسة معلومات عن الحفلات الموسيقية التي تقام في القصر، ومكان فرقة العزف، ووجود مغنين ومغنيات إلخ، ومعلومات عن حالة الطقس عندما يتخذه الناس مدخلاً للحديث، كما في بعض الرسائل بين زوجة ملك ماري وزوجها. وتسجل لنا بعض النصوص سقوط حبات البرد الكبير في ماري منذ أربعة آلاف سنة، وهو ما يحدث في الجزيرة في الربيع. وهناك معلومات أخرى تفيد أن الأحوال الطبيعية لم يطرأ عليها تعديل كبير في المنطقة، سوى استغلال الإنسان للأرض، وتضاؤل نسبة الغابة والمروج.

وفي مؤخرة هذه الدراسة مجموعة فقرات تتعلق بدراسة نصوص هامة حول الحياة الدينية في ماري، في طليعتها الاستخارة والتأمل، استشارة أو استيحاء من الله من أجل اتخاذ موقف في الأزمات الصعبة، وخاصة الحروب.

٥ ـ جان روبير كوبر Kupper J.R. :

«ملاحظات تتعلق بالتاريخ والترتيب الزمني من خلال وثائق المجلد ٢٢ من محفوظات ماري» ص ١٨١ ـ ١٨٤.

٦ ـ سيلفي لاكن باخر Sylvie Lackenbacher :

«وثيقة جديدة من أوجاريت (٢) ـ رسالة من ماري» ص ١٨٥ ـ ١٨٩.

تأتي أهمية هذه الدراسة، من أنها تضم نصاً ينشر لأول مرة، وهو فريد من نوعه لأنه الوثيقة الوحيدة التي تعود لنهاية القرن الثالث عشر ق.م (أي نهاية عصر ازدهار أوجاريت) ومع هذا فان هذه الرسالة ـ الوثيقة تحدثنا لأول مرة عن مكانة ألهة ماري في أوجاريت، وهي مقدمة يتلوها حديث عن نقل أحصنة، أو خيول، بين ماري وأوجاريت. مما يؤسف له أن النص فقد كثيراً من أسطره نتيجة عوامل الزمن.

٧ ـ هنري ليميه Henri Limet :

«وثائق تتعلق بالحديد في ماري» ص ١٩١ ـ ١٩٦.

وهي توضح بأن الحديد كان معروفاً منذ وقت مبكر في ماري، ولكنه كان قليل الاستعمال لأنه ثمين جداً وأغلى من الفضة بثماني مرات. ويستغرب الباحث رفض معظم المؤرخين قبول فكرة انتشار الحديد في سورية والرافدين قبل القرن الثاني عشر ق.م.

٨. جان مارجورون:

«ضريح كبير في ماري» ص ١٩٧ ــ ٢١٥.

وتصف اكتشاف ضريح مهم أثناء الحفر ومراحل الكشف عنه وصور كافية لإعطاء فكرة عن ضخامته.

٩ ـ مارك لوبو :

«الفخار في بعض أضرحة ماري». ص ٢١٧ ــ عن الفخار وأنواعه وتزييناته.

١٠ ـ بياتريس بيير Péatrice, Pierre :

«رسوم تزيينية في ماري والشرق الأدنى» وتوضح الباحثة أهمية الرسم الجداري ودقته في تلك الفترة القديمة.

والدراسة مرفقة بما يلزم من الجداول والإحصاءات المقارنة بالإضافة إلى الرسوم التي عثر عليها، وهي غاية في الدقة وحسن التعبير. ووضعت الباحثة إلى جانب هذه التزيينات القديمة سجادة حديثة لتظهر مدى التقارب في التزيين بين القديم والحديث أي استمرارية الفن وعدم انقطاعه على ممر العصور.

ويضم هذا المجلد عدداً من الدراسات الصغيرة وملاحظات مهمة تعترض الباحثين في عملهم، فيؤثرون نشرها بسرعة لتعم فائدتها، ثم تنشر فيما بعد في دراسات موسعة، وخاصة ما يتعلق بكتاباته أو تزيين الأختام أو بعض طبعاتها، وكسر النصوص الصغيرة. وفي البحث ملاحظات حول كلمات أكادية وردت في نصوص قيد الدراسة.

٤. دراسات المجلد الرابع (١٩٨٥) M.A.R.I.4:

لهذا المجلد أهمية خاصة، لأنه يضم مجموعة دراسات لأشهر المختصين بمخطوطات ماري، نشرت بعد ندوة عقدت في ستراسبورغ ١٩٨٣، بمناسبة مرور

خمسين سنة على اكتشاف المدينة وبدء التنقيبات فيها. ونشرت دراساتها عام ١٩٨٥ ضمن السلسلة M.A.R.I ذاتها. أما الدراسات فهي:

١ ــ المقدمة: «ماذا حدث بعد خمسين سنة من التنقيب في ماري؟»:

إن حصيلة هذا العمل ذات شقين، يتعلق الأول منهما بعلم الآثار، أي التنقيب ونتائجه، والثاني بالنصوص المكتشفة ونسخها من الألواح الفخارية وتصويرها، ومن ثم قراءتها بحروف أبجدية حديثة (لاتينية)، وأخيراً ترجمتها إلى لغة حية (وهي الفرنسية لأن البعثة المكتشفة هي صاحبة هذا الحق). وهذان هما الفرعان الرئيسان من علم التاريخ القديم بصورة عامة، وهما محور المقدمة التي كتب شقها الأول عالم الآثار والمدير الحالي لحفائر ماري جان مارجورون وكتب الثاني جان ماري دبوران، وهو مترجم وقارئ نصوص ماري ــ في هذه الفترة طبعاً ــ والاثنان يعرضان نتائج أعمال البحث خلال خمسين سنة والمشكلات الرئيسية التي حلت، والأخرى التي مازالت مستعصية على الحل.

٢ ـ بول سان لافيل Paul Sanlaville :

يبدأ المجلد بدراسة **لجغرافية ماري** (ص ١٥ ــ ٢٦). وهذا أمر طبيعي لمثل هذا المجلد الذي يلخص تاريخ ماري عبر ألف سنة تبدأ منذ أواسط الألف الثالث ق.م وتنتهي قبيل منتصف الألف الثاني ق.م.

٣ ـ برنار جيير Geyer, B. :

«التشكلات والتوضعات الجغرافية في وادي الفرات، في عصر ماري». وهي دراسة عن **التحولات الجغرافية في بعض مواقع ماري**، ومحاولة لفهم علاقة الإنسان بالبيئة من حوله. (ص ٢٧ ــ ٣٩).

٤ ـ أندريه فينيه Finet, A. :

«ماري في وسطها الجغرافي» دراسة جغرافية تاريخية تكشف عما كان عليه الوضع الجغرافي من خلال الوثائق المكتوبة. وخاصة ما يتعلق بالنهر (الفرات) الذي كان يستخدم للملاحة بشكل مكثف.

يضم القسم الثاني من هذا المجلد الرابع الدراسات التخصصية، مرتبة وفق قدم الموضوع في السلم الزمني. ولهذا فان القسم الأول يحمل عنوان (ماري وإيبلا) وقد بتنا جميعاً نعرف شيئاً عن إيبلا نظراً لما اكتسبته من شهرة ولأن اكتشافها حل كثيراً من المشاكل التاريخية المعلقة، ولكنه أثار مشكلات أخرى بعضها علمي وآخر مغرض ومصطنع.

وكلمة قصيرة في هذا المجال، إن الرأي العام المحلي والدولي يفتقر إلى معلومات صحيحة وموثقة عن إيبلا، لأسباب عديدة، في طليعتها عدم مشاركة باحثين عرب في أعمال التنقيب وترجمة النصوص مباشرة. وثانيهما عدم وجود سياسة إعلامية تثقيفية تاريخية.

يضاف إلى ذلك ظروف عمل الاختصاص من حيث كثرة النصوص وتنوعها، من إحصائية وإدارية، وهي مصدر معلومات مهمّ للتاريخ وعلم الاجتماع في بلادنا. وتتطلب دراسة كل هذا الحجم وقتاً طويلاً وعدداً كبيراً من الباحثين. تبدأ الدراسات عن ماري وإيبلا.

٥ ـ أنونسو أركي Archi, A. :

«المعاصرة بين ملوك ماري إيبلا Ebla في الألف الثالث ق.م» ص ٤٧ ـ ٥١.

والحقيقة أنه لا توجد وثائق أكيدة في محفوظات ماري أو في محفوظات إيبلا عن معاصرة بين ملكين من ملوك ماري أو إيبلا، كما قد يوحي عنوان الدراسة. ويعلق الباحث بقوله: «إنه من المستحيل تتبع الأحداث السياسية في ماري من خلال وثائق إيبلا» ومعظم ما نشر حتى الآن يحتاج إلى مزيد من الوثائق لتدعيمه وخاصة قراءة بعض الأسماء، والكلمات، ولذا فأننا نلحظ استخدام التعابير الاحتمالية. مثل.. ممكن، ويظن، ويعتقد وهكذا.

ويعقد الباحث كلامه قائلاً: «في كل الأحوال، لم تتشكل بعد معطيات نهائية من أجل التأريخ الزمني في الفترة المبكرة». وكما نعلم فإننا حتى الآن لا نستطيع الجزم

في تدمير المدينة أو على الأقل إنهاء دورها الرئيسي، وهل قام بهذا العمل ملوك سومريون أو أكاديون ومتى؟ ومن؟. هنالك إشارات من كلا الطرفين السومري والأكادي على تعامله مع مدينة إبلا.. **أو ادعائه الهيمنة عليها وعلى ماري.** ولكن هذا يحتاج إلى تأكيد وتأييد أخر. وخاصة أن محفوظات إبلا أو ماري لم تقدم مثل هذه القرائن حتى الآن. وليس هذا لب المشكلة. **إذ إن المصادر الإنسانية في محفوظات إبلا وماري وهو الأهم.** ولذا فإن الدراسات يجب أن تتركز على معطيات النصوص الاجتماعية واللغوية، **وأن لا يسيل حبر كثير على حوار من أجل قراءة إشارة، أكثر من إجراء مقارنة بين نمط الحياة الزراعية أو الاجتماعية وما نحن عليه اليوم.**

٦ ـ الفونسواركي (دراسة ثانية) :

«أسماء العلم في ماري وإبلا في الألف الثالث» ص ٥٣ ــ ٥٨.

دراسة مقارنة للأسماء المستعملة في المدينتين. وغياب بعضها في إحداهما، ومعانيها، وبالتالي إمكان تحديد لهجة خاصة لكل مدينة. وتضم الدراسة جدولا بمئات الأسماء.

٧ ـ ديتز أوتو ادزار Edzard, Dietz :

«ما يسمى (تاج ــ جـ Tag. Ge) ومسائل أخرى» ص ٥٩ ــ ٦٢.

وهو محاولة للتعرف على إشارة مبهمة Ta + X حيث يقترح إمكانيات أخرى لقراءة هذه الإشارة السومرية المفقودة (x) بعد أن قرأها ج. دومان :Gi كما هو في العنوان.

٨ ـ الفونسواركي (دراسة ثالثة) :

«الاتصالات السياسية والاقتصادية بين إبلا وماري» ص ٦٣ ــ ٨٣.

ويصرح الباحث بأنه لا توجد إلا وثيقة واحدة في إبلا (ن ص ٦٣) التي تشهد على أعمال سياسية أو عسكرية بين ماري وإبلا. ولهذا يجب **الحذر من مغبة تضخيم**

دور إيبلا العسكري أو السياسي. أما من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فلاشك بأن الأمر مختلف وتشكل النصوص في هذا المجال مصدراً من الطراز الأول للتعرف على الواقع الاقتصادي والاجتماعي في سورية في ذلك الزمن، ولا يعني هذا وجود شواهد مباشرة على تبادل اقتصادي مع ماري إذ يعود الباحث ليذكر بأنه لا يوجد إلا نصاً واحداً الذي يمكن اعتباره دليل اتصال اقتصادي بين إيبلا وأحد ملوك ماري إبلول إيل Ibbul Il وهو عبارة عن سجل دفع الضريبة لهذا الأخير ومقدارها (٧٣,٣٥)كغ فضة و١٠,٠٩كغ ذهب وتغطي فترة أربعة أعوام؟ (ن.ص ٦٥).

٩ ـ فرانس بينوك Frances Pinnock :

«التجارة في فترة إبلا ـ سورية. المبكرة». (بالإنكليزية) ص ٨٥ ـ ٩٢.

يبرهن فيه الباحث على أهمية دور إيبلا التجاري في شمال سورية والرافدين خلال الربع الثالث من الألف الثالث ق.م. ونظراً لأهمية هذا الدور فإن الإكاديين حاولوا كما جاء في كتاباتهم وضع نهاية لإيبلا بالقوة (ن.ص ٩٢٠).

١٠ ـ لوبو :

«تقرير أولي الفخار في إحدى مواقع ماري في الألف الثالث ق.م».

١١ ـ جان أوت .Oates, J :

«السلم الـ منى في تل براك ـ في الألف الثالث ق.م» ص ١٣٧ ـ ١٤٤.

تتحدث الدراسة عن نتائج تاريخية في الألف الثالث أثر حفائر في تل براك شمال سورية، وهو موقع أكادي يعود لعهد نارام سين.. الذي (يفترض) أنه قد هاجم إيبلا وأنهى دورها الاقتصادي في المنطقة. ويعتقد بأن تل براك يمثل منطقة ومدينة لها نفس دور ماري (وسط حوض الفرات) وإيبلا في سورية الشمالية الغربية.

١٢ ـ جان ماري ديوران :

يتناول القسم الثالث من المجلد الرابع هذا، موضوعاً دقيقاً وغامضاً إلى حدٍّ ما في تاريخ ماري، من سقوط دولة أكاد إلى ظهور سلالة بخدون ليم، وتقدر بنحو أربعة

قرون من نهاية الألف الثالث ق.م. وتسمى فترة شكانكو Shakkankku وهو اسم الحكام الذين يفترض أنهم حكموا ماري خلال هذه الفترة. وقد تناول هذا الموضوع جان ماري ديوران بدراسة مطولة بعنوان: «الوضع التاريخي لـ (شكانكو). نظرة جديدة». ص ١٤٧ ـ ١٧٢. ويخلص الباحث إلى نتيجة يعتقد فيها أن هذه الفترة المظلمة (من حيث توافر الوثائق) هي المسؤولة عن العظمة التي وصلت إليها ماري، وخاصة قصرها الكبير الذي حكم منه زمري ليم المشهور، وأنه وأجداده ومجموعة قبائل الحنانيين في شمال شرق الفرات قد عرفوا كيف يكونوا الورثة الحقيقيين لعصر شكانكو. ولم يعيش الأموريون لوحدهم في ماري، بل هناك مجموعة قبائل أخرى عاشت في أطرافها تعادل بابل وآشور وتتكلم لهجة أكادية ليست بابلية ولا آشورية.. تظهر في بعض الوثائق المسماة شكانكو. ولا شك أن دراسة هذه الوثائق (المنشورة سابقاً) ستعيد ترتيب كثير من معارفنا عن ماري، كما يقول جان ماري ديوران.

١٣ ـ دومينيك بيير Beyer, D :

استكمالاً لبحث جان ماري السابق المستند إلى النصوص، تستند دراسة بيير هذه إلى مجموعة من طبعات الأختام التي تشمل كتابة بعض الأسماء من هذا العصر «وثائق جديدة مصورة Iconographic من عصر شكانكو في ماري» ص ١٧٣ ـ ١٨٩.

١٤ ـ كلاس . ر . فنهوف Veenhof, Klaas R. :

«الأسماء والألقاب في العصر الآشوري المتأخر وماري» ص ١٩١.

وهي دراسة للأسماء التي تنتهي بـ ليم Lim والتي تحفل بها نصوص ماري وكذلك الألقاب والوظائف الآشورية المتأخرة.

١٥ ـ موريس بيرو :

«حوليات آشورية في ماري». ص ٢١٩ ـ ٢٤٢.

وتعتبر هذه الحوليات من أقدم ما يتوافر عن بلاد الرافدين من معلومات عن حكامها وشخصياتها في هذه الفترة.

١٦ ـ دومنيك شاربان :

«محفوظات من عصر آشور في قصر ماري» . ص ٢٤٣ ــ ٢٦٨.

هي مجموعة نصوص آشورية وجدت في أثناء الحفائر في قصر ماري، اقتصادية وإدارية، تتضمن أسماء سنوات عديدة صنفها الباحث وقدم عنها هذه الدراسة المطولة.

تل ليلان ـ شوباط انليل :

١٧ ـ هارفي فايس Weiss, H. :

من المعروف أن هذا المؤرخ والمنقب الأمريكي الأستاذ في جامعة /يـل/ Yale هو الذي يدير حفائر تل ليلان شمال سورية ــ قرب القامشلي، قد تنبأ مع آخرين بأن هذا التل هو المدينة القديمة المسماة شوبات ــ انليل Enlil-Shubar وهي أقدم عاصمة آشورية، أي عاصمة شمش أدد، منذ نهاية القرن العشرين ق.م. وصدق تنبؤه من خلال اكتشاف نصوص مكتوبة ومزيد من الدلائل الأثرية. كل هذا يقدمه في دراسة مطولة بهذه المناسبة تحت عنوان:

«تل ليلان وشوبات انليل» ص ٢٦٩ ــ ٢٩٢.

تجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يعثر على نص واضح يدل على اسم المدينة شوبات انليل ولكن يبدو (وليس أكيدا) أن للمدينة اسماً آخر معروفاً من خلال وثائق ماري هو أبوم، كما ظهر ختم يحمل اسم خادم لشمش أدد إضافة إلى أختام وآثار أبنية تدل على أن المكان قد استخدم في عصر شمشي أدد تحت اسم شوبات انليل. وتبقى القضية مطروحة للنقاش حتى تتوافر أدلة أكثر دقة.

١٨ ـ ديوران وشاربان :

يقدم هذان الباحثان والأستاذان في جامعة باريس الأولى بحثا آخر في هذا المجلد بعنوان:

«استيلاء زمري ليم على السلطة» ص ٢٩٣ ــ ٣٤٣.

ولهذا الموضوع أهمية خاصة. فهناك مسألة عودة زمري ليم للسلطة وطرد الآشوريين من ماري حيث قتل ملكها السابق يخدون ليم، والجهة التي ساعدت زمري ليم في هذه العودة، وأين كان خلال فترة استيلاء الآشوريين على ماري؟ يحاول كل من شاربان وديوران الإجابة على هذه المشكلات من خلال مراجعة نصوص قديمة سبق نشرها، ومن خلال نصوص لم تنشر بعد.

استمرارية فن العمارة منذ خمسة آلاف سنة حتى اليوم.

١٩ ـ أوليفيه أورانش Aurenche, O. :

ويأتي القسم الرابع ليعالج موضوعات تتعلق بقصر ماري وعلاقته بالمدينة بالذات ويبدأ أورانش بدراسة تحت عنوان:

«الملاحظات البشرية (العرقية) وأثرها في فهم الأوابد القديمة: قصر مارين وقصور الشرق الأوسط المعاصرة». (ص ٣٤٧ ــ ٣٧٤).

إنه لمن النادر أن نقرأ دراسات من هذا النوع، أي مقارنة القديم القديم.. بالحديث الذي نعيش فيه اليوم. هذه الدراسة الجريئة تقدم لنا محاولة جادة لقراءة الفن المعماري القديم من خلال ملاحظات الباحث للفن المعماري الحديث. ويخلص البحث إلى النتائج التالية:

١ ــ إن نتائج الكشف الأول المقارن، بين الفن المعماري القديم في ماري، والهندسة المعمارية القائمة إيجابية.

٢ ــ إن جميع الوظائف لقصر ماري قد وجدت مثيلاتها في مجمعات معمارية معاصرة.

٣ ــ إن نسبة الاختلاف بين وظيفة معمارية أو أخرى هي أقل من نسبة التقارب.

٤ ــ على الرغم من الاختلاف في تكوين الفراغ بين بناء وآخر ومنطقة وأخرى، فإننا نجد دائماً عاملاً يلبي حاجة تنظيم اجتماعي ذي أصول حضارية متشابهة، مثل فصل الجنسين، رجالاً ونساء، وفصل الفراغ وفق الترتيب الاجتماعي: سيد ــ عبد مع كل ما يتطلب ذلك من تكوين.

٥ ــ إن العوامل الاجتماعية التي أثرت على تكوين الفراغ والبناء في حضارات الرافدين نجدها في الحضارة العربية الإسلامية التي تلتها في الوسط الجغرافي ذاته في المشرق العربي.

٦ ــ إن ما تقدم من عوامل مقارنة قد توصل إليه جان مارجورين ــ مدير حفائر ماري ــ في دراسة خاصة نقلها إلينا أورانش، بعد أن أضاف إليها ملاحظتين مهمتين وهي أن البناء التقليدي قديماً وحديثاً (والمقصود بالتقليدي البناء الزراعي، الرافدي والإسلامي)، يترك فراغين للحيوانات، وآخر لوسائط النقل، وثالثاً لممارسة أنشطة فصلية بين الشتاء والصيف. وهذه الملاحظات صحيحة، وهي في صلب تكوين البيت الزراعي. والبيوت العربية بصورة عامة.

تلك هي باختصار أهم العوامل والملاحظات التي توصل إليها أورانش، وقبله جان مارجورين فيما يتعلق بصلة الفن المعماري القديم بالحديث أو استمراريته في الحاضر. لم يكتف الباحثان بمعلومات النصوص وهي الأساس في فهم وظائف الفراغ في بناء لم يبق منه سوى ركام.. بل استندا على معلومات دقيقة مستمدة من مخططات الأبنية القديمة التي تم رسمها بدقة، أثر عمليات التنقيب، ونعلم أن قصر ماري الذي يعتبر أكبر قصر قديم في العالم (أكثر من ٢٠٠ صالة ومكان) ما يزال يقدم المزيد من المعلومات المعمارية القديمة. ولقد أفاد الباحث من كل هذا وقدم مقارنة مع أبنية معاصرة نراها في معظم أرجاء الوطن العربي فأخذ أبنية من اليمن والمغرب، وقارنها مع بقايا قصر ماري، فأتت بنتائج إيجابية. وهذا طبيعي لأن الإنسان لم ينقطع عن التواجد على هذه الأرض منذ وصلتنا أقدم وثائقه المكتوبة. وهو الإنسان الذي تجسده اليوم حضارة العرب، بكل أبعادها وتعدد مذاهبها وأفكارها.

٢٠ ـ دومنيك بيير:

وتأتي دراسته، إلى حد ما، ضمن إطار فن البناء ونظمه، وهي تتعلق بنظام إغلاق الأبواب في قصر ماري الكبير، من خلال النصوص أو الآثار المتبقية التي تشهد على ذلك. والدراسة بعنوان: أغلاق ـ أقفال الأبواب في قصر ماري». ٣٧٥ ــ ٣٨٤.

٢١ ـ جان ماري ديوران :

يعود إلينا، ثانية وثالثة، هذا الباحث الذي ينتج من الدراسات بغزارة ودقة تجعلانه في المرتبة الأولى بين الباحثين المعاصرين عن ماري، بدراسة دقيقة ومفصلة بعنوان: «**نساء قصر ماري في عهد المملكة القديمة في الرافدين ـ الأعلى**»، ص ٣٨٥ ــ ٤٣٦.

تعتمد الدراسة على المعلومات المستخلصة من سجلات توزيع المواد التموينية، وخاصة الزيت. ونعلم من خلال ذلك أن ملك ماري يشمخ أدد قد استقر في قصرها عقب هزيمة يخدون ليم ومقتله مع زوجته وأولاده. ثم نعلم أنه تزوج من ابنة ملك قطنة (قرب حمص) نحصل على معلومات أخرى تتعلق بزيجات بين موظفين كبار ونساء من العائلة الملكية. ونعلم بوجود نساء يحملن أسماء أجنبية: مثل شيوارم، اتوك، ميناز ي. إلخ وهذا طبيعي لأن شمال سورية كان وما يزال موضع التقاء واحتكاك بسكان الأناضول قديماً وحديثاً. ونعلم أن زمري ليم قد حافظ على نساء خصمه يسمخ أدد بعد طرده بالإضافة إلى أخريات كن يعشن في كنفه في قسم الحريم من القصر الكبير.

٢٢ ـ ساسون ، جاك :

دراسة أخرى (بالإنكليزية) لهذا الباحث والأستاذ في جامعة كارولينا. بعنوان: «**سنة قام زمري ليم بتقديم عرش عظيم إلى «الإله» شمش في (مدينة) مختوم**». وهي إعادة نظر في تأريخ إحدى سنوات ماري. وقسمها الأول بعنوان: حضور الملك: ونتعرف على نشاطات الملك خلال هذه السنة، وتشمل مختلف جوانب الحياة في القصر، بالإضافة إلى الغزوات والفتوح التي لم تكن لتهدأ في زمنه، ولا في زمن من سبقه أو أتى بعده.

٢٣ ـ شاربان :

ويأتي هذا الباحث والعالم الشاب في مرتبة ديوران من حيث الإنتاج والبحث والمشاركة في الحفائر، وهو أستاذ مادة الدراسات المسمارية في السوربون، ودراسته

الجديدة بعنوان: «محفوظات أصقدوم Asqudum الورع في بناء المنطقة أ من ماري» ص ٤٥٣ ــ ٤٦٢.

وجدت مجموعة من أكثر من مئة نص تتعلق بهذا الرجل المتدين. وقد درس شاربان هذه النصوص الجديدة من حيث زمنها ومضمونها وما يتعلق بإدارة القصر وملكه، وانتهى إلى النتائج التالية: كان أصقدوم وعائلته وخدمه يعيشون في هذا المكان أو البناء في مدينة ماري في مطلع عهد زمري ليم ثم حل محلهم فيما بعد آخرون لا تتوافر معلومات عنهم. ساعد هذا **الاكتشاف على فهم طبيعة حياة الأسرة في مجتمع ماري**. وتساعدنا بعض النصوص التي تحمل أسماء دينية على عقد مقارنات مع أسماء الإلهة في مدن أخرى.

٢٤ ـ كوبير، جان روبير Kupper, J.R. :

سبق ذكره، وهو من المختصين في علم دراسات ماري وله باع طويل في دراسة حياة البدو في عصرها، وكتاب شهير عن البدو الأموريين في عصر ماري. ويقدم لنا في دراسة جديدة هنا موضوعاً بعنوان:

«المدينة والمملكة في ماري ــ التنظيم المدني في عصر ماري»، ص ٤٦٣ ــ ٤٦٦.

يستعرض فيها النصوص الإدارية المتعلقة بالقصر المدينة والريف وقراه، والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل موظف وفق هذا التسلسل، ويتابع هذا الوضع، وفق معطيات النصوص، منذ العصر الأشوري المبكر في ماري حتى زمري ليم.

* **يأتي القسم الخامس من هذا المجلد الكبير ليضم الدراسات المتعلقة بالفن والعمارة ونشاط الفنانين.**

٢٥ ـ ونيفرد أورتمان Orthmann, W. :

«الفن الاكادي في شمال سورية وماري». ص ٤٦٩.

ونقطة الانطلاق من هذه الدراسة هي مجموعة قطع نحتية لتمثال وجد خلال حفائر حلاوة Halawa ١٩٨١ ــ ١٩٨٢. ويمثل بقايا من ثلاثة مشاهد دينية احتفالية. والمشهد الثالث الأكثر تهشيماً يسمح برؤية قائد مركبة وظهر دابة الجر وهي (حمار) على الأغلب. وهذا المشهد معروف في العصر الأكادي. وتؤدي نتائج الفحص الدقيق للأشخاص وملابسهم وأدواتهم إلى أن المشهد خاص بشمال سورية نفسها ويمكن مقارنته بإنتاج سومري في العصر الحديث (السومري) أي نهاية الألف الثالث ق.م. ونرى وجوه الرجال المضخمة والمخيفة مماثلة لوجوه منحوتات في مناطق أخرى من سورية. مثل إيبلا. من جهة أخرى فإن الفن السوري في العصر الأكادي أقل وفرة منه في عصور أخرى والسبب هو نقص الشواهد لا أكثر. **لأننا نجد أن الفن ينهض في عصور لاحقة وخاصة إيبلا وماري**، وتتوافر كثير من الشواهد عليه.

٢٦ ـ بيير أميه :

ودراسته بعنوان:

«أختام ماري ــ ملاحظات ونقد» ص٤٧٥ ــ ٤٨٥.

تعتبر ماري أقدم موقع أعطى لسورية أكبر مجموعة من الأختام وطبعاتها، وكونت فكرة عن حضارة سورية المبكرة وأعطتها هوية ذات شخصية متميزة عن سومر وأكاد ونلحظ ذلك في اكتشافات لاحقة، في تل خويرا وإيبلا.. مما اثبت أصالة الفن التصويري النحتي السوري القديم. وتعد هذه الدراسة تطويراً لهذه الفكرة من خلال العودة إلى منقوشات ومنحوتات ماري التي تعود للألف الثالث ق.م. ونجد فيها تقديماً مصوراً لمعظم هذه الأختام والنقوش.

٢٧ ـ مارجورون :

ودراسته بعنوان: «**بعض الملاحظات على معابد ماري**» ص٤٨٧ ــ ٥٠٧.

يخلص فيها الباحث للقول: إن المشكلات التي يطرحها فن العمارة الديني، أي فن بناء المعابد، تتعلق بعدم وجود مثال كامل نستطيع فيه التمييز بين **فن عمارة سوري وآخر رافدي!** ورغم هذا فإن معبداً من الطراز الذي وجد في ماري (معبد دجن ويعود للفترة ما قبل شروكين ــ صرجون)، له ما يقابله بالشكل في سورية، في رأس شمرا وفي آلالاخ. ويتابع الباحث قوله: **لا يمكن تحديد استقلالية تامة عن الرافدين في مجال البناء الديني في ماري.** وإذا أردنا البحث في هذه الاستقلالية فعلينا العودة إلى معابد سورية الوسطى والغربية.

٢٨ ـ هنري ليمه Henri Limet :

«**الحلي والمجوهرات في ماري**»

ويبدو أن ماري كانت بارعة في هذا المجال فقد قدمت لنا النصوص ثبتاً بالمواد المستخدمة في صناعة المجوهرات والحلي، وأسمائها ومناسبات إهدائها. وقدمت لنا الحفائر بعض أمثلة منها محفوظة في متاحفنا ومتاحف العالم. أما أهم المعادن والأحجار المستخدمة في التصنيع فهي الذهب والفضة والبرونز. واللازورد والعقيق... إلخ.

* **القسم السادس من هذا المجلد الرابع من M.A.R.I عنوانه: مشكلات دينية.**

٢٩ ـ ويلفرد جورج لامبيرت Lambert, Wilfred. G.

دراسة بعنوان: «مجمع ماري الديني». (بالإنكليزية). ص٥٢٥ ــ ٥٣٩.

من أولى الملاحظات التي يسجلها المرء في الحياة الدينية القديمة في ماري هو **تقديم الأضاحي من الخراف الذكور.** هذا التقليد ما يزال قائماً في حياتنا الدينية ولم يتغير «كعادة» مع تغيير المعتقدات وتطورها. وتقدم لنا نصوص ماري أسماء أكثر من ٢٥ اسماً إلهياً مقدساً، أهمها شمش، سين (القمر) أدد (الرعد والمطر)، عشتار، أيا، نينخور ساجا... إلخ، **وهناك عشرات الأسماء الدينية الأخرى التي تعكس بمعانيها اللغوية فكر الإنسان ومخاوفه وتطلعاته وآماله.**

ونبدأ هذه الدراسة بتقديم دقيق للآلهة وأسمائها وأصولها. وهو ما يقودنا إلى ملاحظة مهمّة مفادها أن إله أية مدينة قد يعبد في مدينة أخرى بغض النظر عن الاختلاف والتناحر السياسي. **فجميع الآلهة مقدسة. والجميع يقدمون لها الأضاحي والابتهالات. ولم يبدأ تميز إله على بقية الآلهة، وبالتالي بروز مجموعة بشرية ومحاولة تفضيلها على أخرى إلا في غضون أواخر الألف الثاني ق.م. وهو الوقت الذي يفترض أن ظهرت فيه فكرة التوحيد.**

والجدير بالملاحظة أن الأضاحي تؤكل بعد ذبحها في بلاد الرافدين لدى سومر وأكاد. في حين تحرق عند الكنعانيين (وفق المؤلف ن. ص٥٢٨) وبهذا المعنى فإن تواصل العادات والتقاليد لما ينقطع في مجتمعنا خلال خمسة آلاف سنة، **وأن الأصالة الاجتماعية والثقافية المعاصرة تمتد إلى تلك الحقب البعيدة في الزمن.** وهو ما لم يدركه البحث المعاصر في الأصالة العربية ــ برأينا على الأقل ــ.

إن مجمع ماري الديني يضم أسماء آلهة من مختلف مناطق شمال سورية وهي بلا شك متأثرة بالثقافة السومرية بشكل واضح بفضل اختراع هؤلاء الكتابة. وقد كان مجمع المدن السورية الشمالية بشكل عام منظماً ومعروفاً في كل مدينة من المدن. إذ إن لكل منها إلهاً رئيساً وإلى جانبه مجمع ديني. ويمكن لنا ترتيب هذه المجمعات الدينية وطقوسها **التواصل الثقافي والروحي بين سورية وسومر** في ذلك الوقت. نجد هذا في أسماء آلهة سومرية في معابد سورية والعكس صحيح أيضاً. ولهذا فإن أي حديث عن مجمع ديني في سورية أو الرافدين لا يكتمل ما لم نتطرق إلى الجانب الآخر.

ويرى الباحث أن للمعبد دوراً اقتصادياً مهماً في حياة سومر. ولذا فقد حظي بتنظيم أدق وأشمل، في حين قام الأكاديون بسحب هذا الامتياز من المعبد. ونقلوا الأنشطة الاقتصادية إلى القصر لا بل أن صرجون ــ شاروكين أسس مدينة جديدة ليدير منها إمبراطوريته. وهكذا يرى المؤلف أن ناطقي الأكادية وفروعها قد أعطوا المعبد ومجماعته أهمية أقل من العهود السومرية السابقة.

ونلاحظ ظهور نصوص جديدة تحمل اسم إله اسمه أتور ـ مـــير Mer–Itur ويستخلص الباحث بعد نقاش طويل أن معناها هو بوابة ـ ماري. وأنها اسم إله قديـــم يكتب هكذا Mer–(d) Itur وهو أصل اسم مدينة ماري. كما يظهر اسم نهر الخـــابور في نصوص قديمة بابلية وسورية هكذا ur–(d) hu – bu أي إله نهر الخابور.

٣٠ ـ أندريه فينيه :

«شمش أجي ـ كور: عين البلاد» ص٥٤١ ـ ٥٤٣:

ربما كان عنواناً غريباً لهذه الدراسة وهي محاولة لغوية مقارنة بين الســومرية والأكادية لمعرفة معنى المقطعين السومريين Kur–Igi أجي ـ كور. وفي النتيجة فإن شمش أجي ـ كور هو إله و «عين البلاد» وهو ملك السماء والأرض.

٣١ ـ بيير بورد روي Bordreuil, P. :

«اشتارت المارية وآلهة أوجاريت»:

وهنا يعبر الباحث عن مقدار انتشار عبادة آلهة ماري «اشتارت» التي وصلـــت إلى أوجاريت على الساحل السوري. وتظهر في النصوص إلى جانب ايل = إله، وبعل Baal فهذه الآلهة الرافدية أشتار Ashtar التي سميت أيضاً فيما بعد إشتار Ishtar، قـــد عرفت في ماري تحت اسم سومري (d) MUS. ZA. ZA وهي اشتار ـ عتارت Attart أو عتارت Ittart المؤنثة في مجمع أوجاريت الديني.

وهكذا نستطيع التأكيد أن الأفكار والعبادات كانت تنتقـــل مـــن الرافديـــن إلـــى سورية وسواحلها ومنها كانت تنتقل إلى عالم بحر إيجه منذ فجر حضارته المتـــأخر بالنسبة لسورية والرافدين.

٣٢ ـ أندريه لومير Lemair, A.

«ماري، التوراة والعالم (السامي) الشمالي الغربي» ص٥٤٩ ـ ٥٥٨.

والغاية هنا محاولة فهم التوراة على ضوء معطيات شواهد مستقلة من مـــاري، ويبدأ الباحث بالملاحظات التالية:

١ ــ التوراة لم تذكر اسم ماري.

٢ ــ نجد في نصوص ماري اسم مدينة تقع على نهر الأردن وهي حاصور Hasura.

٣ ــ اهتمام المتخصصين بالدراسات التوراتية اقتصر فقط على دراسة مسائل النبـــوة والتنبؤ التي تطرقت إليها بعض نصوص ماري. وكذلك قصة الوعد، ليظـــهروا أن الوعد ذو رمز إلهي موجود في تراث حضارة المنطقة منذ أقدم العصور. والوعـــد الإلهي لا يمكن أن يكون وثيقة تملك كما تدعي «الصهيونية».

٤ ــ تذكر نصوص ماري مدينة حران وناحور في أعلى الرافدين، وهي مدن ذكـــرت في نصوص التوراة على أنها من أصول إبراهيم (عليه السلام) وعائلته. ولكن هـــذه المدن بالذات لم تقدم أي شاهد على ذلك.

٥ ــ وجود تواصل لغوي وخاصة على مستوى الأسماء بين بعض أســـماء التـــوراة ومثيلاتها في ماري. وهذا أمر طبيعي وموجود حتى في أسماء وقتنـــا الحـــاضر. وكذلك في كثير من الأفعال والأسماء في العبرية كما هي الحال في العربية.

٦ ــ نلمس على المستوى الاجتماعي وجود تقابل دائم بين بدو متنقلين وحضر مســـتقرين وهي ظاهرة موجودة في التوراة ونصوص ماري والقرآن الكريم (فيما بعد).

٧ ــ ظهور النبوة في وقت مبكر في ماري، كما أن المعجزات لم تكن متوقفة على الكهنـــة والأنبياء بل يمكن أن تحدث مع أناس عاديين كما في أمثلة من نصوص ماري.

أما نقد طريقة التقرب من دراسات التوراة ــ ومعطيات النصوص القديمة كمـــاري وغيرها فهي:

١ ــ أن جميع المعطيات التي تدل على أحداث التوراة التقليدية تدل بشـــكل غـــير مباشر أن أقدمها، لا يعود، لأبعد من الفترة الأمورية (عصر ماري وما قبـــل). وأنه ما من باحث يستطيع أن ينفي أو يؤكد بشكل قاطع صحة هذا الاستنتاج.

٢ ــ لهذا السبب نجد أنه، عقب كل اكتشاف هام لنصوص مسمارية وغيرها مثل أوجاريت، وماري، وإبلا، نجد سعي التوراتيين الحثيث لإيجاد معطيات توراتية، لأسباب معروفة، وهي إثبات قدم التراث التوراتي على غيره.

إن مثل هذه المحاولات التي يمكن أن تسمى «مركزية الثقافة التوراتية» التي يغامر من خلالها بعض المختصين بخيالاتهم فقط تؤذي منهجية البحث العلمي، وتؤدي إلى نتائج مغلوطة.

٣ ــ الحذر والحذر التام هو ما يجب أن يلتزمه دارسو التوراة ومؤرخو النصوص المسمارية. فكل منهم يعمل في عالم مختلف جغرافيا ومنهجياً ومجال المقارنة ضيق جداً.

٤ ــ من وجهة النظر هذه، فإن حران وناحور مذكورتان في النصوص المسمارية وموجودتان قبل تدوين التوراة بقرون طويلة كما أن ذكر حاصور في نصوص ماري لا يعطي أحداثَ التوراة تأريخاً لها في عهد كتابة نصوص ماري... وهكذا. بل بالعكس إن غياب اسم ماري وحاصور من التوراة يدل على حداثة هذا الأخير وقدم ماري وحاصور.

٥ ــ ليس من الضروري أن كل المجتمعات التي تجمع بين البدو والحضر، يجب أن توضع في نفس الزمن. أي مجتمع التوراة القبلي ــ ومقابله في ماري؟. وهكذا الحال بالنسبة لظاهرة النبوءة. فليست النبوءة وقفاً على التوراة. بل نجد صوراً مشابهة في ماري وليس بالضرورة أن تكون الأولى أصل الثانية أو العكس. لنذكر محاولة لجعل زمري ليم نبياً معاصراً لعمون. (انظر ص٥٥٥).

٦ ــ ليست «العبرية» التوراتية هي الوحيدة والأقدم والمهيأة للدراسات المقارنة. فهناك الأوجاريتية والعربية ولهجات الجنوب التي أثبتت مكانتها في صدر العائلة اللغوية القديمة لبلاد الرافدين.

٧ ــ إذا كان لابد من المقارنة مع لغة قريبة وقديمة في آن معاً. فلابد من العودة إلى الآرامية التي تغطي فترة الألف الأول ق.م. وتضم «لهجة التوراة» إلى جانبها.

٨ ــ يجب مقارنة نصوص ماري مع نصوص أوجاريت التي تقع في فترة الألف الثاني وليس مع نصوص التوراة التي كتبت بعد منتصف الألف الأول، ومع الآرامية القديمة في الألف الأول، إذ يجب أن تكون قريبة جداً من لهجة ماري، لأنها استخدمت في الألف الثاني في منطقة ماري.

وهكذا يجب أن لا تخضع الدراسات المقارنة بين النصوص القديمة والتوراة إلى تضخيم يتعدى الحقيقة والواقع. وأن الدراسات المقارنة بين ماري وغيرها تحتاج إلى تحليل دقيق ويجب مقارنتها مع المحيط الأقرب، مع أوجاريت مثلاً، وتل العمارنة، وإيبلا أولاً.

القسم السابع والأخير هو بعنوان «ماري بين سورية والرافدين»

٣٣ ـ ستيفانيا مازوني Stefania Mazzoni :

ودراستها: «فخار الفرات الأعلى في فترة البرونز ٤». ص٥٦١ ــ ٥٧٧.

تظهر مدى التنوع في صناعة الفخار التي كانت منتشرة في سورية في النصف الثاني من الألف الثالث ق.م.

٣٤ ـ هيرمان جاش Gasche, H.

«تل الدير وأبو حبا» Tell -- ed -- Der et Abu Habbah ص٥٧٩ ــ ٥٨٣.

دراسة حول حفائر جديدة قرب بغداد في حوض الفرات.

٣٥ ـ داود أوتز Oates, D.

«شريط من المدن في بلاد الرافدين» ص٥٨٥ ــ ٥٩٤:

تتعلق الدراسة بمجموعة من التلال والمدن المنتشرة في أعلى الجزيرة والفرات من الناحية التاريخية والجغرافية والأثرية.

٣٦ ـ بارتل هرودا Berthel Hrouda :

«حول مشكلة الحوريين» ص٥٩٥ ـ ٦١٣ «بالألمانية».

تتعلق الدراسة بالعناصر الحورية، ذات اللغة الهندو ـ أوربية، والتي تسربت إلى حضارة الرافدين بدءاً من القرن الخامس عشر ق.م. ووجدت آثارها في آلالاخ، ومن ثم في الدولة الميتانية.

٣٧ ـ كريستين كسبنسكي وأوليفيه لوكونت Kepinski, C.: Lecomte, O.

«ماري وحردوم Haraum» ص٦١٥ ـ ٦٢١.

وهو موقع أثري وسط حوض الفرات في العراق، يقدم بعض المعلومات الأثرية عن فترة نهوض ماري.

المجلد الخامس، ١٩٨٥.

يضم المجلد الخامس من هذه المجموعة دراسات تاريخية وأثرية يبدؤها جان مارجورون بدراسة حول حفائر ١٩٨٤ في ماري ص(٥) تليها البحوث:

١ ـ ألفونسو آركي : (لغوي بعثة تل مرديخ ـ إبلا الإيطالية حالياً) .

وعنوان الدراسة: «اللقبان أن En ولوجال Lugal في إبلا وهدية لملك كيش» ص٣٧ ـ ٥٢.

يوضح لنا أركي أن لقب لوجال بالسومرية يقابله ملك بالإبلية.

Nam – en = ma – li – gu – um/malikum

أي ملك ← لوجال. وملك الإبلائية هي ذاتها العربية.

يحلل لنا أركي أكثر من ثلاثين نصاً تسجل مواد نسيجية ومعدنية ثمينة؛ ذهب وفضة. مع ذكر آخر ملكين من ملوك إبلا وهما إبريوم Ibrium وإبي ـ زكير Ibbi–Zikir أحد الإرساليات موجهة إلى «أموتي ملك أرواد»!

Amuti Lugal A- ra – a – du (ki)

وهناك عشرات الأسماء من المدن والملوك لا نعرف أين تقع مدنهم! وبعضها معروف مثل حران. وكيش التي يرد ذكرها أكثر من ثمانين مرة.

٢ ـ ماري تيريز بارليت Barrlet, M.T.,

«على هامش دراسة بعض طبعات الأختام من قصر ماري» ص٥٣ ـ ٦٤:

دراسة مقارنة لقراءة نص ختم يحمل عبارة إله الأموريين / حال سلاح الحوب في يده / المخلص من الخطيئة.

٣ ـ شاربان :

«ألواح ـ مسمارية ـ من ماري، ما قبل شروكين ـ صرجون» ص٦٥ ـ ١٢٧.

وهي أقدم نصوص يتم الكشف عنها من خلال حفائر ماري منذ ١٩٧٤. وتتكون لغتها من لهجة مارية غربية مع السومرية التصويرية. وهي قريبة من كتابة ولهجة إيبلا في الألف الثالث ق.م. ولكنها لا توضح من خلال الأسماء إلى أي عهد أو إدارة يمكن أن ترد، وهي مجرد تسجيلات لمواد تموينية موزعة على أشخاص مجهولي الهوية.

٤ ـ شاربان :

دراسة أخرى بعنوان: «شوبات ـ انليل وبلاد أبوم» ص١٢٩ ـ ١٤٠

Subat Enlil et Lepas d'Apum

وهي دراسة مقارنة هدفها الاستدلال على الاسم الحقيقي القديم لتل ليلان. ويخلص الباحث إلى أن اسم تل ليلان هو على الأغلب شوبات انليل ولكن قبل وصوله إلى هذه النتيجة سال كثير من الحبر.

ونظراً لأهمية هذه العاصمة «شوبات انليل» والتي عرفت بأنها تل ليلان (قوب القامشلي ـ قحطانية) ولأنها أول عاصمة لدولة آشورية بزعامة شمش ـ أدد (القرن التاسع عشر ق.م) فإننا نقدم هنا ملخصاً وافياً لمراحل التعرف عليها كما وردت في دراسة شاربان الآنفة الذكر.

١ ــ عرفت شوبات انليل Shubat ــ Enlil من خلال نصوص ماري. وعدت من أهم عواصم الشرق القديم التي لا تعرف موقعها. وراح الباحثون يفترضون لها مكاناً وفق معطيات النصوص، فظهرت التخمينات التالية: ١ ــ اسم آخر لأشور. ٢ ــ في قلب تل شكر بزر (شمال سورية). ٣ ــ وأول من اقترح لها تل ليلان مكاناً هو فالكنر .Falkner. M وهي الفرضية التي حازت أكثر الأصوات.

٢ ــ تل ليلان، لا يمكن أن يكون شوبات انليل إلا إذا كان شمشي أدد قد استقر فيها بعد أن كانت مسكونة قبله، ولها الاسم ذاته أو اسم قديم آخر. أي أن شمشي أدد لم يؤسسها مجدداً. لأن تل ليلان يحوي طبقات تعود للقرن التاسع عشر أي بداية الألف الثانية ق.م.

٣ ــ الاسم الآخر لـ شوبات انليل: يظهر من خلال بعض النصوص اسم مدينة هامة تدور حولها خصومات وحروب اسمها شخنا Sehna (غير معروفة الموقع) ويقوم على رأسها رجل مسمى كونام Kunnam، ويبدو تارة كزعيم لمدينة شخنا ومرة أخرى زعيماً لمدينة شوبات انليل! وهذا ما يجعل شاربان يعتقد بأن شخنا وشوبات انليل اسمان لمدينة واحدة. زد على ذلك أن شخنا مذكورة في نصوص تعود للألف الثالث ق.م! وهذا هو وضع تل ليلان في طبقاته القديمة.

٤ ــ عثر في تل ليلان عام ١٩٨٢ طبعة ختم تحمل اسم أيا ــ أبوم Haya ــ abum (خادم أدد). وختم آخر باسم ابيل ايليشو بن ألي ــ بانيشو خادم توروم ناكتي! ونعلم فيما بعد من نصوص ماري أن أيا أبوم هو ملك بلاد آبوم (بشد الباء). والسؤال هنا هل تل ليلان هي شوبات انليل أو أبوم؟

٥ ــ عاصمة أيا أبوم (بدون شد الباء): وهو ملك بلاد أبوم (بشد الباء)، ويضاف إلى ذلك أنه ذكر في رسالة إلى زمري ليم أن «أيا أبوم: سليم، وكذلك حال المدينة شخنا، وكذلك مدن بلاد أبوم، وكذلك خدم سيدي، كلُها بحالة جيدة».

والنتيجة هي أن (أيا أبو) يحكم بلاد أبوم من عاصمة اسمها شخنا. من جهة أخرى هناك نص يقول: «وصلني خبر من شوبات انليل: لاوينا ــ أدو قد قتل أيا ــ أبوم وبانوخ ساماز قد تم توقيفه». وهنا نعلم أيضاً أن مقتل أيا أبوم ــ وتوقيف الآخر قد تم في مدينة شوبات انليل! ونعلم قبلاً أن بانوخ ساماز كان محاصراً في شخنا، ممل يقربنا قليلاً من هوية المدينتين (شخنا وشوبات انليل). ونعلم من نصوص ثانية أن شخصاً اسمه شيرام Subram، هو حاكم شوبات انليل، ويتبع رجلاً اسمه أتمروم! ونعلم أن هذا الأخير قد قتل ملك أبوم، وهو أيا أبوم وهكذا نرى أن شيرام **حاكم مدينة شوبات انليل، يمكن أن تعرف بأنها عاصمة بلاد أبوم، وهي بنفس الوقت شخنا، بشكل غير مباشر؟**

٦ ــ توروم ناكتي Turumnakti: هناك معلومة من نص تقول: «هل استطيع قتل توروم ناكتي وأعيد بلاد أبوم إلى جانب شوبات انليل». ومعلومة أخرى تقول: «قرني ــ ليم، قد دفن توروم ناكتي في أبوم. وقد جمع الملوك ناحية شوبات انليل وجعلهم يندبونه أي يحزنون عليه. وبحضور قرني ليم فقد تم تنصيب ابن **توروم كملك على شوبات انليل**».

٧ ــ نهاية قصة شوبات انليل: بعد أن يهزم شمشي أدد وبنوه أمام تصاعد قوة زمري ليم وبابل، تعود المدينة (شوبات أنليل) إلى بلاد أبوم كعاصمة لها تحت سلطة زمري ليم في ماري. بعد معارضة من قبل سامبا «خادم شمشي أدو» وملك أبوم. بعد موت توروم ناكتي يتم تنصيب ابنه ولكنه يهزم من قبل زمري ليم ويضع مكانه أيا أبوم، الذي قتل فيما بعد.

بعد بضعة أشهر، يصبح «كونام» سيد شوبات انليل ويعرف باسم سوكال عيلام. وترتهن بلاد أبوم بمملكة أتامروم، نظراً لتحول شوبات انليل إلى مركز ثانوي. ولم تقدم لنا نصوص ماري معلومات عن شوبات انليل / شخنا بعد غزوها من قبل حمورابي البابلي.

وينتهي شاربان إلى القول بأن الممالة محصورة في طرفين:

ليلان = شوبات انليل أو ليلان = أيوم وهذه لم يعد لها معنى **لأن ليلان لا يمكن أن تكون إلا شوبات انليل:** «**والعلم عند الله**»! لأن الخبر اليقين يبقى بانتظار نتائج حفائر تل ليلان والحصول على مزيد من النصوص التي تؤيد هذه النتيجة كما حدث في ماري وأوجاريت وأخيراً إبلا. فكم من المعطيات قد تبدلت بعد اكتشافات أكثر وضوحاً ودلالة.

٥ ـ دومنيك كولون Collon, D.

دراسة بعنوان: «إشار ـ ليم Isar ـ Lim».

ظهر هذا الاسم (إشار ليم) في محفوظات ماري كموظف كبير في عصر سومو ياما أحد قادة شمشي أدو، وقائد فرقة بابلية في زمن زمري ليم. ويحاول كولون في هذه الدراسة تتبع هذه الشخصية، مفترضاً أنها هي ذاتها في كل مرة، وإثبات ذلك من خلال المقارنة والاستنتاج. ويتوصل الباحث إلى رسم شجرة النسب لهذا الرجل السهام ويجعله ملك /بلاد/ خانا/!

٦ ـ ديوران :

ويعود إلينا بدراسة مطولة بعنوان: «**وثائق تخص تاريخ مملكة الرافدين العليا**» ص١٥٥ ـ ١٩٨.

ينشر ديوران وثيقة هامة: تقول بأن شمشي أدد ملك آشور قام برحلة إلى أجاد / أكاد Agade، وهي عاصمة شروكين ـ الأكادي، ويقول فيها: «أعيش في أجاد» وهذا يعني أن للرحلة أهمية خاصة في نظر العاهل الأشوري. ويبدو أن ابنه يسمخ أدو قد قام، برحلة مماثلة. أضف إلى ذلك مجموعة من المعلومات حول حروب الملك الأشوري في الشمال والشمال الشرقي.

ثلاث طرق من الفرات إلى قطنة ـ قرب حمص ـ عبر البادية:

وقد عبر عن هذه الطرق كاتب النصوص في ماري ـ عصر يسمخ أدو، بأنها: الأول أو الأعلى ـ وهو الأبعد عن ماري. والثاني الأوسط، ثم الأدنى الأقرب من ماري. والأول هو الذي يتبع حوض الفرات الأعلى. وهي الطرق التي استخدمها الرومان ثم العرب سواء في الذهاب إلى الجزيرة العليا أو العودة منها! ومن ثم تعبر البادية، أما عن طريق تدمر ـ قطنة (حمص) أو الرصافة ـ السعن ـ السلمية ـ قطنة.

لقد تمكن ديوران من الكشف عن قطع من الرسائل واستطاع ترجمتها وإلحاقها بأصلها الذي نشر ناقصاً من قبل. وهكذا ينشر رسالة تحت رقم (Arm V 7 + A. 1882) بعد ان اكتملت لتعطينا معلومات أوضح عن نهاية عهد شمشي أدد١ وخصومته مع سومو ابيوخ ملك حلب، وحوار ابنه يسمخ أدو مع حليفه ملك قطنة من أجل مواجهة خطر حلب.

٧ ـ ديوران . ودراسة أخرى بعنوان :

«أشباح مدن في سورية وفي أمكنة أخرى». ص١٩٩ ـ ٢٣٤.

التموين بالملح في الألف الثاني ق.م؟ يقدم لنا ديوران ترجمة ونقداً لبعض النصوص التي تذكر أسماء بعض المدن في شمال سورية وتذكر في الوقت نفسه نقل حمولات (على الحمير) لمادة الملح.. من مدينة «قطّارة» Qattara. والجدير بالذكر أنه ليس بإمكان أي كان أن يذهب إلى المالح ويأخذ ما يشاء بل كانت تخضع ـ إلى حد ما ـ إلى إدارة المدينة او الملك.

وهناك نصوص أخرى تتعلق بأبناء لشمش أدد قبيل وفاته. وأخرى بحصار ماري في عهد يسمخ أدو، وكذلك حصار مدينة تدعى بكرام. بالإضافة إلى نصوص تتعلق بأعمال وأحداث صغيرة ومتفرقة حيث ترد فيها أسماء مدن كثيرة معظمها مجهول الموقع حتى وقتنا الحاضر.

٨ ـ ماريا إلز Ellis, Maria de Jong :

«الإلهة كيتيتوم Kititum تتحدث إلى الملك أبال بي إل» IBALPIEL:

(معجزة إلهية من موقع حفائر Ishchali قرب بغداد) ص٢٣٥ ــ ٢٦٦.

ورد في نصوص الرافدين والشرق بصورة عامة صور أدبية مختلفة لوسائط اتصال العبد بربه، وهي الأحلام، والرؤى، ثم النبوءة. وقد وردت معجزة الإلهة كنتيتوم، التي تكلمت مع الملك أبال بي إل في مدينة أشنونا شرقاً وبذلك يتأكد انتشار هذه الظاهرة؛ النبوءة والمعجزة في بلاد الرافدين وليس في ماري غرباً وحسب.

ونظراً لما قد يثير هذا النص من اهتمام تقدم له ترجمة إلى العربية:

١ ــ إلى الملك أبا بي إل.

٢ ــ هكذا «تحدثت» الإلهة كيتيتوم.

٣ ــ أسرار الآلهة.

٤ ــ قد سكنت بي.

٥ ــ فيما يتعلق بذكر.

٦ ــ اسمي بفمك.

٧ ــ فما كان. (أي لم يحدث من قبل).

٧ ــ ٨ ــ أسرار الآلهة. أفتحهالك.

٩ ــ ١٠ ــ وبرغبة الآلهة وبأمره.

١١ ــ الإله أنو، فالبلاد.

١٢ ــ ١٣ ــ ستعطى لك لتحكمها.

١٤ ــ ١٥ ــ وستجمع البلاد، أعلاها وأسفلها.

١٦ ــ ١٧ ــ وتأخذ خيرات البلاد، أعلاها وأسفلها.

١٨ ــ وثروتك لن تنتقص.

١٩ ــ ٢١ ــ وأينما وضعت يدك، فسيتم الخير والسلام.

٢٢ ــ ٢٤ ــ وأنا، الإلهة كيتيتوم، سأقوي عرشك.

٢٤ ــ ٢٥ ــ لقد أسكنت فيك ملائكة الرحمة (لتحميك).

٩ - بيلو فرنزاروليFronzaroli, P.

«الضمائر في إبلا» ص٢٦٧ ــ ٢٧٤.

وهي دراسة لنصوص جديدة يدرس الباحث الضمائر التي وردت فيها.

ضمير الرفع المفرد: هو (su، شو) و LUM ــ I ــ Su (هو إله) وفق دراسات بعض الباحثين ولكن يعتبر الباحث هذا أنه اسم موصول «سو» كما في المثال التالي:

She/Shu/ u – wa – i – de – an/ul(6)-gal

الشعير الذي وعدت، جاهز.

وبنتيجة البحث نستطيع استخلاص الجدول التالي (ص٢٧٣):

	الفاعل/ضم	المفعول/فتح	المجرور/كسر	
مفرد مذكر	شو Shu	شا Sha	شي She شا ني Sha – ti	
مفرد مؤنث	شا ــ دو Sha – du	شا ــ دا [Sha – da]		
مثنى	شا [Sha]			Sha – a
جمع مذكر	شو ــ دو [Shu – du]			Shu – ti
جمع مؤنث	شا ــ دو Sha – du			Shu – ti

١٠ - برنار جيير وجان ـ ي ، مونشامبير

Bernard Geyer; Y. Menchambert

«قمة السوزا في حوض الفرات الأسفل ــ سورية». ص٢٧٥ ــ ٢٩١.

ويتحدث الباحثان عن المصادفات التي اقتادتهم من ماري إلى هـذا الموقـع قـرب البوكمال حيث كان أحد المهندسين قد كشف عن عدد من الجرار أثناء عمليات البناء ومـن ثم قاد الباحثين الأثريين إلى المكان، وتم الكشف عن مجموعة أخرى من الأواني الفخاريـة وبقايا بناء تدل على قدم الموقع، ومروره بعصور تبدأ من عصر البرونز القديم.

١١ ـ جيير ومونشامبير :

«تقرير عن عمليات كشف أثري وجغرافي في حوض الفرات ـ قـرب مـاري».

ص٢٩٣ ـ ٣٤٤.

وغاية البحث هي معرفة المحيط الجغرافي لماري، والتلال الأثرية المحيطة بها التي نقبت والتي ما تزال مطمورة. وتنظيم خرائط بمجاري المياه وقنواتـها القديمـة والحديثة معاً.

١٢ ـ فرانسيس يوحنا Joannes F.

«نسخ بالمسمارية للمجلد ٢٣ ـ ٢ من محفوظات ماري» ص٣٤٥ ـ ٣٧٩.

وهو نشر حديث لنصوص هذا المجلد مع تصحيح لقـراءة بعـض الإشـارات والنصوص (من الرقم ٩١ ـ ٢٤٥) أي نحو ١٦٤ نصاً ومضمونها اقتصـادي وإداري بحت، ولكنه يضم أسماء أشخاص ومدن كثيرة.

١٣ ـ برنار لافون Lafont, B.

«نسخ بالمسمارية للمجلد ٢٣ ـ ٣ من محفوظات ماري» ص٣٨١ ـ ٤٠٨.

وهو ذات العمل السابق أي إعادة نسخ النصوص باليد وتقديم بعض التصحيحات لقراءاتها السابقة والنصوص تبدأ من الرقم ٢٤٨ ـ ٤٢٧.

١٤ ـ ي . ج . لامبرت :

«عبارات من لغة مجهولة» ص٤٠٩ ـ ٤١٤.

تعددت اللغات واللهجات التي تحدث بها الناس في الشرق القديم، وبخاصة في بلاد الرافدين، مما اضطر الكتاب أو النساخ إلى اقتناء قوائم بالكلمات الأجنبية ومقابلتها من الكلمات المناسبة بلغتهم الأم. وهي ليست معجماً بالمعنى الحديث، وإن كانت هي أقدم المعاجم، بعد قوائم بالكلمات التي يستخدمها الناسخ الأكادي أو غيره.

وكان الحكام والملوك بحاجة إلى مترجمين. وقد حفلت النصوص بأسماء بعضهم وأقدمهم يعود للعصر الكادي وهو: **شو إيليشو** Shu – I – li – shu **مترجم ملوخا** eme – bal me – luh – ha(ki).

ولا نعرف شيئاً عن لغة ملوخا (يظن أنها في وادي السند بالهند) ولا عن موقعها حتى اليوم. ولم نعثر على أي قائمة لعبارات مقارنة مع السومرية أو الأكادية لهذه اللغة.

ويقابل الكلمة السومرية «مترجم» eme – bal، الكلمة الأكادية ترجمانو Turgumannu أي ترجمان التي انتقلت إلى العربية وأخواتها، ويعتقد الباحث أن الكلمة ليست من الجذر رجم Rgm الأكادي وإنما هي من الكلمة الحثية تركميا Tarkummiya التي تعني: أعلن، ترجم..

أما المرات الذي ذكر فيها استخدام «مترجم» في النصوص الأكادية فهو يدلنا بالطبع على عدد اللغات التي كان يتحدث بها الناس آنذاك في منطقة الرافدين وما جاورها.

وقد ورد ذكر قرابة ثلاثة عشر مترجماً لثلاث عشر لغة وهي:

1	Ahlamu	أرامي	8	Kimahi	كنعاني
2	Akkadu	اكادي – بابلي	9	Kutmuhu	؟
3	Amurru	أموري	10	Lullubu	؟
4	Elamtu	عيلامي	11	Marratum	فارسي؟
5	Gutium	غوطي/جوتي	12	Meluhha	؟
6	Hatti	حثي؟	13	Subartu	؟
7	Kassu	كاشي			

وهكذا نجد أن هناك لغات تحدث بها الناس قديماً ولها مترجمون، ولدينا منها بعض العبارات التي جاءت عن طريق القوائم التي استخدمها الكتاب، ولكننا للأسف لا نملك نصوصاً مباشرة تساعدنا على فهمها ولذلك ستبقى خافية علينا إلى أن تحين الفرصة وتظهر من خلال التنقيب الأثري.

١٥ ـ لوبو :

«تقرير أولي عن الفخار في المستوى الأولي من ماري (١٨٧٤ ــ المقسم ب)»، ص٤١٥ ــ ٤٦٢.

وهو تقرير مطول ومصور عن أنواع كسر الفخار التي وجدت في هذه السوية.

١٦ ـ مارجورون :

«جديد... حول باحة النخيل ــ قصر ماري» ص٤٦٣ ــ ٤٨٢.

ويقدم فيه الباحث إعادة وصف لهذه الباحة الجميلة مع صورة حية، وإعادة ترميم تظهر فيه ملامح فن البناء الرافدي، الذي يعد أصلاً لفنون العمارة في الحضارة العربية والعالمية.

١٧ ـ مارجورون :

«البحث عن المدن والمباني حول ماري»، ص٤٨٣ ــ ٤٩٨.

وهي دراسة جغرافية تاريخية جديدة لموقع ماري وللمواقع المحيطة بها.

ويخلص الباحث إلى نتيجة مفادها أن ماري **قد أسست كمدينة جديدة منذ عصر السلالات الباكر (بداية الألف الثالث! في هذا الموقع. وأنها عُمرت وفق مخطط وتنظيم هادفين**، ويشهد على ذلك قناتها وآثار جدار / سور يحيط بها، وأن **منظر المدينة «الحديثة»** في الألف الثالث كان **يدل على تفكير منطقي متجانس**. ويعتقد مارجورون استناداً إلى ملاحظات ميدانية، بوجود مدينة أخرى قريبة من ماري، **كانت تقوم بهذا الدور قبلها**، وأن هذا الموقع **ربما يكون تل الرمادي**. والخلاصة الأخيرة أن

تأسيس ماري يمثل قوة الحضارة وتفتحها التي ظهرت في الألف الرابع وتوجت في بداية الألف الثالث ببناء هذه المدينة.

١٨ - سيسيل ميشيل Michel, C.

«نسخ مسمارية للمجلد ٢٣ ــ ١ من محفوظات ماري».

وتبدأ هذه النصوص من رقم ١٠ ــ ٩٠ وهي نسخ وتنشر بعد تصحيح ما وقع سهواً من قبل أوائل الناسخين عند اكتشاف ماري.

١٩ - لوسيو ميلانو Milano, L.

وعنوان بحثه: «مخصصات الطعام في إيبلا»:

(حسابات أولية لقوائم مخصصات الطعام في قصر إيبلا من خلال المحفوظات رقم I.. 2712) ص٥١٩ ــ ٥٥٠.

ينشر ميلانو عشرات النصوص الإبلائية مترجمة إلى الإنكليزية وهذه النصوص ليست إلا «فواتير قطع» أو تسليم للمواد التموينية وخاصة الحبوب من مستودعات القصر الملكي إلى أصحاب الاستحقاق.

ويرد في جميع النصوص العبارات ذاتها، ولنأخذ هذا النص مثالاً:

1) 8 mi – at 45 She gu – bar — ٨٤٥ جوبار (وحدة كيل بحجم الجرة أو التنكة) حبوب (أو شعير)

2) She-ba e en — حصة قصر الملك

3) 1 mi-at 10 she bar — ١١٠ جوبار حبوب:

4) she- ba dam-Kikken — حصة زوجة الطحان (أو الطحانة)!

5) 50 she bar — ٥٠ جوبار حبوب:

6) She-ba dam Bu-Zu-ga[KI] — حصة «زوجة» أو «امرأة» من بوزوجا (مكان)

7) 20 ½ She bar — ٢٠,٥٠ جوبار حبوب..

وهكذا إذا أردنا أن نجمل العبارات التي تأتي في معظم هذه النصـــوص فـــهي كالآتي:

١ ــ قصر الملك	E en	بالسومرية
٢ ــ امرأة. مؤنث	Dam	بالسومرية
٣ ــ موظف (مرتبة)	ib ــ lb	بالسومرية
٤ ــ موظف (مرتبة)	a ــ Am	بالسومرية
٥ ــ مورّد ــ متعهد ــ	u ــ a	بالسومرية

تأتي أهمية هذه النصوص من خلال دراستها بهدف التعرف على تنظيم الحيـــاة في مجتمع إيبلا، ويأتي هذا النوع من المصادر في طليعة الوثائق المباشرة التي يعتمـــد عليها مؤرخو التاريخ القديم.

فمن خلال هذه الدراسة نتعرف عن نظام توزيع المواد التموينية في القصر. وعلـــى أسماء الموظفين ومراتبهم ويأتي الملك بالمرتبة الأولى. ونتعرف على أسماء بعض المـــدن التي قد تكون موجودة أو معروفة على الأقل... ونستطيع من خلال هذه الكلمـــات أيضـــاً إجراء مقارنة لغوية مع أخوات إيبلا من اللغات الأحدث. إذ نلاحظ ورود كلمـــة mi ــ ar في أكثر من سطر وهي مائة بالعربية. وكذلك She ليست إلا شعيراً.. وهكذا...

٢٠ ـ بياتريس بيير Pierre, B. :

«رسوم تزيينية في ماري والشرق الأدنى» ص٥٥١ ــ ٥٧٦.

يوجد على واجهة إحدى باحات قصر ماري بقايا شريط تزييني مرســـوم علـــى طبقة من الطين تغطي الجدار. ويريد الباحث هنا تحديد عمر زمني تقريبي لهذا الرسم، وفحص نوعية الطين المستعمل في القصر III، وإجراء مقارنة مع رسومات جدارية من الألف الثاني في سورية وبلاد الرافدين وكذلك في بحر إيجه. والغاية من هذه المقارنـــة هي التعرف على رؤية الفنان القديم للفراغ ودور العنـــاصر التزيينيـــة فـــي إعلائـــه وخطوطه العريضة التركيبية مع النظر بعين الاعتبار للفروق الزمنية.

ويخلص الباحث إلى أنه **لا توجد عناصر تصويرية تقليدية وتزيينية** وهو ما يسميه الباحث iconographie ونقول بالعربية «إيقونة» أي صورة مقدسة أو «صمة» وهي نادرة الاستعمال. كما ان ماري لم تكن منفردة بمثل هذا النوع في الشرق ــ وإن كانت أقدم مثال على ذلك ــ بل أحد النماذج التزيينية التي يأتي بعدهاتزيينات قصر الالاخ. أما **مقارنة هذه الرسوم مع رسوم من بحر إيجه (قصر كنوسوس)** الذي يعود إلى فترة أحدث (نهاية الألف الثاني) فالأمر غير جدير بالمقارنة لأنه مختلف كلياً. إذ أن الرسم في هذه الفترة أخذ شكلاً تصويرياً دقيقاً ومعبراً (لا نراه في فترة ماري المبكرة، وسنراه في أعمال فنية أخرى، في آشور وبابل، في عصور لاحقة.

٢١ ـ جاك ساسون J. Sasson,

«سنة تقديم زمري ليم صنماً لمعبد أدد في حلب هي السنة الأولى من حكمه».
ص٥٧٧ ــ ٥٨٩.

من المعروف أن كتّاب النصوص المسمارية كانوا يضعون تاريخ النص في نهايته، والصيغة هي: سنة (ذهب الملك إلى حرب عيلام مثلاً، شهر كذا، يوم كذا.) هذه طريقة وضع التاريخ في ذلك الزمن ولذا فإن علينا أن نجمع هذه السنوات من خلال النصوص التي تخص كل ملك وبالتالي إقامة سلم زمني يمكن ربطه مع التسلسل الزمني لما قبل الميلاد.

يحاول الباحث هنا وضع «سنة تقديم زمري ليم صنماً لمعبد أدد في حلب» في سلم سنوات حكمه.

٢٢ ـ بيير فيلارد P. Villard, :

«صراع بين السلطات حول مياه البليخ».

تروي إحدى رسائل ماري قصة خلاف على مياه نهر البليخ منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة!! نقدم هنا بعض مقتطفات منها نظراً لطرافتها وجديتها في آن معاً:

«إلى مولاي، قل هذا:

هكذا تحدث بسمخ أدو، خادمك.

فيما يتعلق بمدينة توتول، فقد سبق أن:

لاؤم و ماشوم وماشيا قد قابلوا مولاي،

وقد أمرهم مولاي بما يلي:

اعطوا مياه البليخ كلها إلى توتول،

من أجل أن نحصد أرضاً مفلوحة واسعة».

• ولكن ما الذي حدث؟ ... تتابع الرسالة في مكان آخر:

«ولكن» ايلي أوري «قد ذهب إلى (زالباخ) وقام بسد مياه البليخ علينا»... فكتبت له، فكان جوابه كالآتي: هل تعتقد أنني أفعل هذا بدون مشورة مسؤولي/رئيسي «أشكور لوتيل»؟ إنه هو الذي أمرني، وأنا قمت بسد المياه..» ويتسامل كاتب الرسالة موجهاً كلامه إلى مولاه:

«هل يمكن أن تكون هنالك قناة / نهر ويشرف على إدارتها اثنان؟»

ويتابع قائلاً:

«مولاي يجب أن تبعث بأوامرك الصارمة إلى أشكور لوتيل حتى لا يحتج علينا، ويعيد المياه إلى توتول!!».

من الواضح أن توزيع مياه البليخ يخضع لرقابة وإدارة صارمتين بإشراف الملك، فلا يستطيع أحد التصرف بها إلا بمعرفته، وعندما يحدث خلاف ما كما هي الحال بين المسؤولين، فالمرجع هو أوامر الملك!!

* يضم المجلد الخامس إلى جانب البحوث المطولة آنفة الذكر عدداً من زوايا البحوث، التي تنشر أولاً بأول لتعطي لمحة سريعة عما يعده الباحث من عمل. ويأتي ضمن ذلك ترجمات لبعض سطور من النصوص. أو الأختام. وكلها مهمة وجديرة بالمعرفة لباحث التاريخ القديم.

ملحق ٤

إيبلا وماري(*)

أقدم مثال على نمط زراعي متقدم

مقدمة، ثروة إيبلا وماري (من منتصف الألف الثالث حتى نهايتـــه)، ســجلات الإنتاج والاستهلاك في إيبلا، ماري (بداية الألف الثاني) أهم مركز سياسي واقتصادي، الصراع على مياه حوض البليخ (رسالتان من القرنين ١٩ ــ ١٨ ق.م) خاتمة.

١. مقدمة:

كثيراً ما نردد وفي كل مناسبة علمية أو غير علمية أن أهمية نصـــوص إيبـــلا تكمن في أنها الوحيدة من نوعها في الألف الثالث ق.م، في جميع أنحاء الشرق والعـالم قاطبة، وإن مدينة إيبلا كانت تتمتع بنظام اقتصادي منظم وموجه بفضل قيام زراعـــة مستقرة ضمن شروط مناخية وبشرية مناسبة. والأمثلة التي نسوقها تعتبر أقدم مصـــدر للمعلومات المتعلقة بالإنتاج الزراعي واستهلاكه وتصريفه وهي أقدم مثال علـــى مـــا نسميه بدايات علم الاقتصاد وعلم الإحصاء. وما نقدمه هنا ليس إلا أمثلة ضئيلـــة مـــن بحر كبير من المعلومات والنصوص.

وعندما نتحدث عن محفوظات إبلا لابد من أن نصطدم بنمل آخر من المحفوظات يليه من حيث الزمن ويواكبه في مراحل معينة وهو محفوظات ماري التي مضى علـى اكتشافها أكثر من خمسين عاماً ونشرت عنها مجلدات ومجلدات. ونسوق هنا مثـــالين

(*) بفضل اتفاقية التبادل الثقافي والعلمي بين جامعتي دمشق وشيكاغو استطعت أن أقيم فـــي معـــهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو، الأمر الذي ساعد على إعداد هذه الدراسة. فالشكر والتقديـــر للمسؤولين عن تحقيق ذلك في الجامعتين الكريمتين. دراسات تاريخية، العددان ٤٣ و٤٤، أيلـــول ــ كانون الأول ١٩٩٢.

على الصراع على توزيع مياه نهر البليخ شمال سورية وكـــان يحمـــل الاســـم ذاتـــه بالأكادية منذ أربعة آلاف سنة.

٢ . ثروة إيبلا وماري من منتصف الألف الثالث إلى نهايته:

بينت الدراسات المتعلقة بحفائر تل مرديخ ــ إيبـــلا (جنـــوب حلـــب، ٧٠كـــم) وخاصة القصر، وكذلك النصوص الإدارية والاقتصادية التي نشـــرت حتـــى الآن، أن الإنتاج الزراعي والمواد التموينية والثمينة، كانت تتكدس في مستودعات الملـــك فـــي إبلا.

وتجمع أحيانا بحضوره، قبل أن تسجل وتوزع على أماكن التخزين، فقد سمحت جودة الأراضي الزراعية المحيطة بالمدينة بتكديس مثل هـــذا الإنتـــاج إذ أن أغـــلال الحبوب لا تحتاج إلى جهد بشري كبير بفضل توافر أمطار الشتاء، وبفضل تجمعـــات المياه القريبة ومنها نهر قويق (قرب حلب) كما توافرت الأخشاب في المناطق الجبليـــة الساحلية القريبة منها. ومن جهة أخرى سمحت المراعي وتوافر الأعلاف مـــن بقايـــا الإنتاج الزراعي بتربية كثيفة للحيوانات وخاصة الأغنام والأبقار واستخدم الملوك هـــذا الإنتاج الفائض كواسطة لمد سيطرتهم إلى المناطق المجاورة، وتطوير تجارتـــهم. ولا عجب أن رأينا نصوص إيبلا مليئة بأسماء معظم المدن الرافدية الشهيرة إضافة إلـــى مئات من القرى والمدن التي ما يزال موقعها مجهولاً. يمكن القول أنه بفضل التنظيـــم الزراعي واستغلال الأراضي في شمال سورية ووسطها حتى مناطق حماة، أصبحـــت إبلا مركزاً تجارياً رئيساً في المنطقة له علاقات تجارية مع إيمار (مسكنة) ومع مـــاري (أبو كمال) على الفرات الوسط. ولتكوين فكرة عن مدى الثروة التي كدستها إيبلا فـــإن أحد النصوص (MARI 4, 64)[1] يسجل لنا ١٠٢٨ كغ فضة و ٦٣ كغ ذهبا موزعة على مسؤولي مدينة ماري كجزية!.

---

(١) انظر السلسلة الجديدة من منشورات ماري بعنوان:
M.A.R.I. (Mari Annales de Recherches Interdisciplinaires). Paris. I-5 (1982-87).

وهكذا نجد أنه بالمقارنة مع ماري (كما سنرى فيما بعد) فإن إيبلا في موقع أفضل جغرافياً وزراعياً ولهذا كان لها دور اقتصادي مهم في شمال سورية وتعد أقدم مثل موثق بالسجلات للتنظيم والإنتاج الزراعي، ليس في سورية وحسب بل في العالم القديم كله. وكانت بذلك من أوائل المدن الزراعية التجارية. ولعل النصوص التالية تعطينا فكرة عن حرص الإدارة الإيبلائية على تسجيل كل عملية استهلاك وإنتاج تتعلق بالقصر الملكي.

٣. سجلات الإنتاج والاستهلاك في إبلا:

هذه النصوص كغيرها من محفوظات إبلا مكتوبة بالمسمارية وبالتصويرية السومرية ـ الأكادية:

(١)TM. 75. G. 247, MARI. 5, P. 521

ـ ١ ـ

١ ـ ٨٤٥ جوبار من الحبوب (الحنطة).
٢ ـ حصة القصر والملك.
٣ ـ ١١٠ جوبار حبوب.
٤ ـ حصة السيدة كيكن.

ـ ٢ ـ

١ ـ ٥٠ جوبار حبوب.
٢ ـ حصة السيدة من (بوزوجا).
٣ ـ ٢٠,٥ جوبار حبوب.
٤ ـ من أجل الموظف ـ ib.
٥ ـ ١٠,٥ جوبار حبوب.
٦ ـ للموظف a-am.

ـ ٣ ـ

١ ـ ٣٠ جوبار حبوب.
٢ ـ من أجل الرزاق (المسؤول عن التموين).
٣ ـ مجموع ١٠٦٦ جوبار حبوب.

ـ ٥ ـ

١ ـ ٢٠ جوبار حبوب.
٢ ـ حصة امرأة من بوزوكا (مدينة).
٣ ـ ٢٠,٥ جوبار حبوب للموظف ib.

---

(١) ن:
Lucio MILANO, «Food ration at Ebla: a preminilary account on the ration lists coming from the Ebla Palace Archive L.2712,» in M.A.R.I., p. 519 ss.

٤ ــ شهر ٥.

٤ ــ ١٠,٥ جوبار حبوب.

٥ ــ للموظف am-a .

٦ ــ ٣٠ جوبار حبوب.

٧ ــ من أجل الرزاق.

٨ ــ مجموع ١٠٣٦ جوبار حبوب.

٩ ــ حصص شهر، Kur.

ــ ٤ ــ

١ ــ ٨٤٥.

٢ ــ جوبار حبوب.

٣ ــ حصة القصر و الملك.

٤ ــ ١١٠ جوبار حبوب.

٥ ــ حصة (زوجة) الطحان!.

يتم توزيع حصص المؤونة شهرياً ونلاحظ ثبات وزن الكمية في كل قائمة. و.يع هذه الحصص قد صدرت من مكتب او مستودع واحد يتبع القصر الملكي. ونلاحظ أن توزيع الحصص يشمل الملك والحاشية ومن يعمل في القصر، وفي نصوص أخرى بعض السكان من خارج القصر وحكاماً آخرين. ويعكس هذا التوزيع مدى امة النظام الإداري ومركزيته في توزيع المؤن إذ أن الملك بالذات يخضع له وكذلك الحاشية، فهو بالتالي يعكس تنظيماً اجتماعياً قوياً.

نلاحظ من جهة أخرى أن الكميات الموزعة تتفاوت بين المستحقين تبعاً لمراكزهم أو جنسهم، وأن الرجل قد يأخذ ضعف ما تأخذه المرأة أو ثلاثة أضعافه. ويجب أن نفهم من توزيع هذه الحصص، أنها ليست مؤناً للغذاء اليومي فقط، وإنما هي أجور تدفع عيناً لشغيلة القصر وموظفيه. وتدل نصوص توزيع هذه المواد على وجود أكثر من سبعة عشر نوعاً من الحبوب، كانت تزرع في منطقة إيبلا وقراها.

لقد شملت المساحات المزروعة التابعة لإيبلا وفق إحصائيات تقديرية مسافة تصل إلى أكثر من خمسين كيلومترا في ذلك الزمن. ولاشك أن هنالك محاصيل جاءت من مسافات أبعد. ولكي نأخذ فكرة عن عدد القرى التي وزع عليها البذار في نص واحد فقط نسوق المثال التالي:

(١) TM. 76. G. 188 (Pettinato, the Ahchives, p. 157.

ـ ١ ـ

١ ـ ٢٦ (جوبار) حبوب بذار (+x)
٢ ـ ١٣٠
٣ ـ وهي استحقاق.
٤ ـ قرية داجو.
٥ ـ ٦٦ (جوبار) حبوب بذار.
٦ ـ شيم.. (جوبار)

ـ ٢ ـ

١ ـ لقرية شاجو
٢ ـ (جوبار) حبوب بذار
٣ ـ لقرية زباتو
٤ ـ ٣٠ (جوبار) حبوب بذار
٥ ـ ٣٠ (جوبار) حبوب
٦ ـ لقرية أورلوم
٧ ـ ٧٠ (جوبار) حبوب بذار

ـ ٣ ـ

١ ـ ١٢٠ (جوبار)
٢ ـ لـ ـ التي ـ أدا
٣ ـ ٢٠ (جوبار) حبوب بذار
٤ ـ لقرية جوالو
٥ ـ ٢٠ (جوبار) حبوب بذار

ـ ٤ ـ

١ ـ لقرية أ أدا؟
٢ ـ (١٧) جوبار حبوب بذار
٣ ـ لقرية جيدو
٤ ـ ١٠ (جوبار) حبوب بذار
٥ ـ لقرية ايزو

أما المساحات المزروعة التي يذكرها النص أي القرى التي وزع البذار فهي:

---

(١) ن:

Giovanni Pettinato, The Archives of Ebla, New york, 1981, p. 147 ss:

١ ــ .....

٢ ــ ٣ آلاف أكو

٣ ــ في قرية شاجو

٤ ــ ٣ آلاف أكو

٥ ــ في قرية داجو

٦ ــ ألف أكو

٧ ــ في قرية أأدا

٨ ــ وقرية جيدو

٩ ــ ٧ مئات أكو

١٠ ــ في قرية جوالو

ويتابع النص ذكر المساحات التي وزع عليها البذار حتى يبلغ الرقم (١٦) ألف أكو، أي ما يعادل ٥٧ كم٢ تقريباً.

إلى جانب زراعة الحبوب، سجلت النصوص زراعة الكرمة، وصناعة النبيذ والخل. ويأتي الزيتون ثالثاً، وقد صنع منه الزيت في سبع قرى حسب أحد النصوص. ويسجل النص (TM. 76 (G. 28) (ن. نفسه) كميات الزيت المستخرجة من الأشجار الموجودة في بعض القرى التي سبق ذكرها، وهي:

ــ ١ ــ

١ ــ ٢,٢٦٥، أيكو قطعت عن

٢ ــ ألف شجرة زيتون

٣ ــ وهي بإشراف (بعهدة)

ــ ٢ ــ

١ ــ زوبالوم

٢ ــ من قرية خوبارا

٣ ــ قد استلم

٤ ــ ١١٠٠ أيكو محصول

٥ ــ ٥٠٠ شجرة زيتون

ــ ٣ ــ

١ ــ ابتولا

٢ ــ من قرية انا أبل

٣ ــ قد استلم

٤ ــ ٦٠٠ أيكو محصول

٥ ــ ٥٠٠ شجرة زيتون

ــ ٤ ــ

١ ــ لقرية جاسا

وقد ذكر الزيتون في عدد من النصوص كمادة للتصدير كما في الأمثلة التالية:

ـ ١ ـ

١ ـ ٣ سيلا من الزيت الطيب

٢ ـ خارابا

٣ ـ قد أستلم

٤ ـ ٤ سيلا من الزيت الطيب

٥ ـ من أجل

٦ ـ دبوجو ـ ملك

ـ ٢ ـ

١ ـ ٢ سيلا

٢ ـ لقرية ريكا

٣ ـ ٢ سيلا

٤ ـ لقرية ايمار (مسكنة حالياً)

٥ ـ ٢ سيلا

٦ ـ لقرية ثوب

٧ ـ ١ سيلا

٨ ـ لقرية بورمان

ـ ٣ ـ

١ ـ ١ سيلا

٢ ـ لقرية جرمو

٣ ـ ١ سيلا

٤ ـ لـ نومانو

٥ ـ ١ سيلا

٦ ـ لـ اينبوني

ـ ٤ ـ

١ ـ ١ سيلا

٢ ـ لقرية جودادانوم

٣ ـ ٢ سيلا

٤ ـ لقرية أورساوم

لا نعرف مواقع جميع القرى المذكورة أعلاه، ولكن وجود اسم ايمار (مسكنة اليوم) دليل على أن زراعة الزيتون كانت قائمة في تلك الأيام، قبل أكثر من أربعة آلاف عام ولا ندري ما أسباب تراجع هذه الزراعة اليوم.

إن تنوع الزراعات في إيبلا، من الحبوب التي كانت هي الإنتاج الأعظم، إلى الكرمة والزيتون أدى إلى غناها وتكدس ثرواتها.

ونلاحظ أن هذه المزروعات خاصة بمناطق البحر المتوسط، وهذا سبب آخر لاتساع علاقات إيبلا في مجال تبادل المواد الزراعية وتصديرها إلى أماكن بعيدة. أما زراعة التمر، أي النخيل فلقد عوضت عنها إيبلا بقربها من مراكز إنتاجه على الشريط المحاذي للفرات.

ولتكامل هذه المعلومات نذكر نوعاً آخر من الإنتاج، وهو تصنيع الكتان والصوف. ولهما مكانة مهمة في ابلا وفي جميع مدن الرافدين. وتقدم النصوص عن الأغنام أرقاماً تدعو للدهشة. يذكر النص (TM. 75 G 1846) (٧٩٣٠٠) رأس غنم تعود لملك إيبلا، ونجد في النص (TM. 75 G 1629) وما يليه: (ن. نفسه ص١٦٠): ١٢٣٥٤ و ٣٦٨٩٢ رأس غنم مقدمة للآلهة، أو أن ملكيتها تعود للمعبد. وهناك أرقام أكثر غرابة عن أعداد الأغنام، إذ نجد في موسم إحصاء أغنام المملكة ٨٠٠٠٠ رأس غنم، ونجد في نص آخر إحصاءً قد تم في شهر (isi ــ ايشي) ٧٢٢٤٠ رأساً. ولنأخذ الأمثلة التالية:

ــ ١ ــ

١ ــ ٢٢١٦٠ رأس غنم تم إحصاؤها

ــ ٢ ــ

١ ــ ٣١١٤٠ حمل

٢ ــ ٣٠٠٠ رأس غنم

٣ ــ ضريبة

ــ ٤ ــ

١ ــ ١٥٠ رأس غنم

٢ ــ لـ استاعل

٣ ــ ١٥٠ رأس غنم

ــ ٥ ــ

١ ــ ضريبة موتوم

٢ ــ ١٣٢٠٠

٣ ــ رأس تم إحصاؤها

٤ ــ دارميا

ـ ٣ ـ

١ ـ من الجبل (قرية)

٢ ـ أخوشزينو

٣ ـ ٢٠٠ خروف سمين

٤ ـ ٢٠٠ رأس غنم

٥ ـ للمراقب (الكبير)

ـ ٦ ـ

١ ـ ١٦١٠ رأس غنم

٢ ـ للمراقب الكبير

٣ ـ ٤٣٠ رأس غنم

٤ ـ جبل ـ زا ـ ايل

ـ ٧ ـ

١ ـ للملك

٢ ـ السنة الثانية

ـ ٨ ـ

١ ـ ٧٢٢٤٠ رأس أحصيت

٢ ـ في شهر اشي

تأتي أهمية هذا النص[١] من كون أعداد الأغنام تعود لمنطقتين فقط وهما خوشوزينو ودارميا، فإلى جانب الخرفان والنعاج نجد الحملان التي وصل عددها وحدها إلى ٣١١٤٠ حملاً وهذا يعطي فكرة عن مدى الاهتمام بتربية الأغنام.

تذكر نصوص أخرى أنواعاً متعددة من الحيوانات الأهلية: كالماعز والخنزير. ويذكر أحد النصوص ٤١٧ ثوراً فحلاً مما يدل على مكانة هامة لتربية الأبقار، وذكر نص آخر ١٣٠٠ بقرة جاءت من قرية لوايتم. وهناك أسماء عدد آخر من القرى التي صدرت الأبقار إلى ابلا بأعداد أقل أهمية وهي زيدو، زبتو، أورلوم، جوالا. نيزيمو، دا أوا، زورامو.. (ن، نفسه ص١٦٤). ويثير الدهشة أن ذكر كل هذه المواشي لا يصاحبه ذكر للعربات الخاصة بالنقل.

ما تقدم يدعو للاستنتاج بأن هذه النشاطات تؤدي أيضاً إلى قيام صناعات هامة وحيوية مثل صناعة الغذاء وصناعة اللباس وهو مجال واسع ونصوصه كثيرة لا مجال لذكرها الآن.

---

(١) المصدر السابق ص١٦٣، أيضاً للمؤلف نفسه:

Ebla nouvi orizzonti della storia, Milano 1986, pp. 186-190.

كما ان تكدس هذه الثروة يدعو للتساؤل كيف جاءت، وكيف انعكس أثرها على الناس وحياتهم في ذلك الزمن البعيد. لا يمكن الإجابة عن الشق الأول من السؤال إلا بتصورنا أن التنظيم الاقتصادي في ابلا يختلف عما عرفنا من التنظيمات المعاصرة لها، كالسومري أو الأكادي في وادي الرافدين.

يذكر بوتينا تو (ص١٧٩. نفسه)، وهو أول العلماء المشتغلين بنصوص إيبلا، أن اقتصاد ابلا هو اقتصاد دولة وليس اقتصاد قرية أو مدينة، ويلاحظ غياب ذكر الأشخاص الملاك في النصوص. وقد خلق هذا النظام مكتبية (بيروقراطية) أكثر تعقيداً من مثيلاتها آنذاك.

كما أننا لا نعتبر أن هذه النصوص وحدها هي الممثلة لنظام ابلا بالكامل، وأن مسؤولية القيام بأعمال الزراعة وتربية الأغنام لا يقع على عاتق موظفين رسميين كما قد يتهيأ لنا، بل أن الحكام والمراقبين وغيرهم ليسوا إلا متعهدين يقومون بعمل حر ولكنه مراقب، وموجه من قبل الملك. وهؤلاء بمن فيهم الملك يتلقون حصصاً من المحاصيل والثروات من مستودعات المملكة.

إن محفوظات إيبلا المتعلقة بالزراعة وما ينشأ عنها من علاقات تدل على وجود رقابة صارمة على رأسها الملك وعدد من كبار الموظفين والمراقبين والكتبة ولكن هذا لا يعني عدم وجود قطاعات أخرى، وكذلك لا يمكن إسقاط النظرة الحديثة لنظم الاقتصاد والزراعة، على نظام ابلا الاقتصادي الذي يعود لأكثر من أربعة آلاف سنة كما وأن النصوص الاجتماعية والسياسية والشخصية نادرة أو غير متوافرة حتى الآن. وعلى الرغم من هذا فإن النصوص التي تسجل ملكيات الذهب والفضة، تعود بلا شك لأفراد، وهؤلاء لم يصلوا إلى مثل هذه الثروة إلا بفضل مشروع أو ملكية خاصة. إن العمل التجاري بصورة عامة، وهو من أهم القطاعات في دولة إيبلا، كان يقوم على أكتاف تجار يعملون لحسابهم الخاص. وعلى هذا يمكننا أن نستخلص من ذلك أن اقتصاد إيبلا كان يستند إلى القصر ــ الدولة وإدارتها من جهة، وعلى إدارة وأعمال خاصة حرة من جهة أخرى. وهو اقتصاد تراكمي ورأسمالي حر. وأن هذه النتيجة لا

يمكن أن تؤخذ كما هي، إلا بربطها مع معارفنا الدقيقة عن النصوص وما تحويه من معلومات أكثر تعقيداً من هذه النتيجة. كما يجب أن لا ننسى أن جهاز القصر وأعمال الإدارة لم تكن لتقوم وتنمو إلا بفضل عائلات كبرى عرفناها من خلال النصوص.

المقاييس والأوزان[1]:

استخدم الإبلائيون للمقاييس والأوزان وحدات خاصة بهم، وأخرى كانت معروفة في بلاد الرافدين ففي مجال كيل الحبوب والسوائل استخدموا (الجوبار) المذكور سابقاً، وكان على الأغلب على شكل شبه «برميل» أو جرة قياس، كما استعملوا الـ (باريسو Parisou) ويساوي نصف جوبار، ووحدة أخرى تسمى سيلا (Sila) ويقدر بأنها تساوي عشر باريسو أو أكثر تقريباً. أما أصغر وحدة فهي أنزام (Anzam) وتعادل سدس سيلا.

المساحة: من المعروف أن بلاد الرافدين استخدمت وحدة للمساحة هي بور (Bur) وتساوي ٦,٤٨ هكتارات، وهناك الـ (Iku) أيكو ويساوي ٣,٦٠٠م^2. ونجد غياب وحدة الـ (بور) من إبلا وفق بيتيناتو، وهذا لا يعني أنه لا توجد مساحات كبيرة في إبلا، فقد استخدم الإبلائيون وحدة الـ أيكو بالآلاف.

الأرقام: استخدم الإبلائيون الإشارات المسمارية للتعبير عن الأرقام، وأكثر ما يطالعنا في النصوص رقم المئة ويلفظ كما بالعربية وهذا هو جدول الأرقام الابلائية:

مئة = 100

ألف = 1000

عشرة آلاف = 10,0000

مئة ألف = 100.000

٤. ماري (بداية الألف الثاني) أهم مركز سياسي واقتصادي:

كان الوضع السياسي للمدن السورية وحكامها في بداية الألف الثاني قبل الميلاد في غاية التعقيد نلمس ذلك من خلال الحروب والغزوات التي تعكسها نصوص ماري، والنزاع

---

(١) ن. المصدر رقم ٣ ص١٢٨ فيما يتعلق بالمقاييس والأرقام.

على امتلاك الأراضي وزراعتها، ومن خلال الزواج السياسي المتكرر بين عواهل مـــدن سورية الشمالية كزواج يسمخ أدو من ابنة ملك قطنة، وزمري ليم من ابنة ملك حلب[1].

عندما غابت إبلا عن الأفق السياسي والاقتصادي في نهايـــة الألـــف الثـــالث، أضحت حلب التي تجاورها وماري في حوض الفرات، من المراكز الاقتصادية الهامـة في مطلع الألف الثاني وبلغ الغنى وتكدس الثروة في ماري درجة أتاحت لملوكها بنـــاء أكبر قصر يمكن أن يبنى في العصور القديمة، ويعد اليوم وبعد الكشف عنه من قبـــل الأثريين الفرنسيين أكبر قصر قديم حتى الآن، يضم أكثر من مئتي صالة ومســـتودع. وقد لاحظنا منذ عصر ابلا أن ماري كانت تكدس الثروات والذهب خاصة. ففي النـص (ARMXXIV 122)[2] نجد أن الفنان في ماري قد استخدم قرابة كيلو غرام من الذهب لصنع شكل من أشكال البط!! والمصدر المذكور آنفاً ليس إلا سجلاً للمواد الزراعيـــة والمعدنية الثمينة وغير الثمينة التي يمتلكها القصر فقط!!

من جهة أخرى أظهرت نصوص المحفوظات الملكية في ماري التي ما زالت تقـدم النصوص والمعلومات بفضل الحفائر وأعمال التنقيب المســتمرة هنـــاك، اتســـاع الرقعـــة الجغرافية التي امتدت إليها إدارة الأعمال الزراعية في عصر شمشي أدد وزمري ليم فـــي غضون القرن التاسع والثامن عشر ق.م.. نحن نعلم أن الأراضي الزراعية المحيطة بماري محدودة على طرفي نهر الفرات حيث تقترب البادية الشامية فتقلل مـــن إمكانيـــة التوســع الزراعي الذي يتطلب نظام سقاية يصعب تأمينه عن طريق القنوات أو رفع مياه النهر إلـــى السوية المناسبة. في حين أن سهول الجزيرة العليا تكثر فيها السواقي والأنـــهار الصغـــيرة والأمطار فهي أسهل لزراعة كثيفة وواسعة مثل الحبوب. ولهذا فقد حفلت نصوص مـــاري

---

(١) ن:
Dominique CHARPIN, Jean Marie DURAND, «La Prise du Pouvoir par Zimri-Lim» M.A.R.I. 4. (1985) p. 293ss.

(٢) ن: فيما يتعلق بدراسة شاملة عن ماري فإن المجلد الرابع المنوه عنه أعلاه هو أفضل (مصـــدر) عن نتائج الحفائر وترجمة النصوص منذ بدء الحفائر. وقد صدر هذا العدد بمناسبة مرور ٥٠ سنة على اكتشاف ماري.

بسجلات متنوعة لأنشطة الإدارة الرسمية، وحفلت بالوسائل التي تعالج الخلافات الناجمة عن توزيع الأراضي والمياه بين السكان وناظر المنطقة، أو بين أصحاب النفوذ من الرعية الملكية وذوي الشأن. ولنذكر أخيراً تدخل القادة العسكريين الذين يمتلكون من السلطة ما يسمح لهم بفرض نفوذهم وفق رغباتهم(١).

٥. الصراع على المياه في حوض البليخ، رسالتان من القرنين ١٩ ـ ١٨ ق.م:

نشر بيير فيلار في المجلد الخامس من «دراسات متفرقة حول ماري» دراسة مصغرة بعنوان «صراع بين السلطة حول مياه البليخ»، وكان جورج دوسان(٢) قد نشر منذ عام ١٩٧٤ ثلاثة نصوص تتعلق بمشكلة اقتسام المياه في منطقة البليخ، وقد اكتشف فيلار (ن. أعلاه، الملاحظة ٩) أن أحد النصوص الثلاثة ليس إلا الجزء الأعلى المتمم

---

(١) من أجل الوضع الجغرافي التاريخي انظر دراسات المجلد المذكور أعلاه تحت عنوان «ماري والوضع الجغرافي»

Mari dans son conteste geographique.

(٢) ن:

Georges DOSSIN, Le site de Tuttul – sur – Balik, in «RA (Revue d'Assyriologie), 68, p. 25;

نشر دوسان ثلاث قطع على أنها منفصلة عن بعضها. ومن ثم استطاع فيلار أن يضف جزأين إلى بعضهما ليصبحا رسالة واحدة. تتعلق دراسة دوسان ـ عند نشره النصوص الثلاثة ـ بإمكانية تحديد موقع مدينة توتول التي كبرت أهميتها من خلال تكرار ذكرها ويستنتج دوسان آنذاك ـ بعد زيارة ميدانية «لبليخ» أن توتول تقع في الزاوية التي يلتقي فيها البليخ بالفرات قرب مدينة الرقة. كانت المدينة تضم مجموعات مستقرة من أصول أمورية ـ بدوية منذ الصراع بين آشور وحلب أي بين شمشي أدو وسومو ـ ايبوخ وتذكر مدينة ايمار مع توتول في النصوص ونعلم أن ايمار هي ممسكة حالياً. وإذا فإن تحديد موقع توتول على هذا النحو أقرب إلى الصحة. من أجل مزيد من التفاصيل حول الوضع الجغرافي وتحديد موقع توتول.

انظر مجموعة مقالات M. Van Loon وخاصة:

«Hammam el-Turkman on the BALIKH: First results of the University of Amsterdam's Excavation», **AKKADIKA**, 44, 1985, 21-40.

و انظر:

W.W.HALO, «the rood to EMAR» JCS, 18, 1944, pp. 25-88.

لرسالة أخرى (ن. النص أدناه)، فجمع النصين تحت أرقامهما (A. 1487 A. 4188) السابقة كنص رسالة واحدة. وقام بنقله يدوياً وتصويره ثانية وهذه ترجمة له بالعربية:

١ ــ إلى مولاي

٢ ــ قل ما يلي:

٣ ــ هكذا تحدث خادمك

٤ ــ يسمخ أدو

٥ ــ فيما يتعلق بمدينة توتول، فقد كان

٦ ــ «لاؤم ماشوم» وماشيا

٧ ــ في حضرتك

٨ ــ عندما أمرتهم بما يلي

٩ ــ أعطوا مياه نهر البليخ بكاملها

١٠ ــ إلى مدينة توتول حتى تزرع أكبر

١١ ــ مساحة. فالأرض في مدينة صردا

١٢ ــ قاحلة وبعيدة ومن

١٣ ــ سيسلم الحبوب هناك؟

١٤ ــ عوضاً عن صردا

١٥ ــ يجب زراعة أراضي

١٦ ــ توتول». هذا ما أمرهم به مولاي

١٧ ــ والآن، يوجد حصاد مديد

١٨ ــ في منطقة توتول

١٩ ــ ولكن ايلوري قد ذهب

٢٠ ــ إلى مدينة زالبخ

٢١ ــ وسكر (سد) مياه البليخ، وطرد

٢٢ ــ الفلاحين الذين وضعتهم هناك

٢٣ ــ فكتبت إليه بالموضوع

٢٤ ــ فأجابني كما يلي:

٢٥ ــ هل تعتقد بأنني

٢٦ ــ فعلت هذا بدون

٢٧ ــ توجيه من اشكور لوتيل؟

٢٨ ــ إن اشكور لوتيل هو الذي أمرني

٢٩ ــ بتسكير المياه «هذا ما أجابني به»

٣٠ ــ هل يوجد قناة مياه

٣١ ــ يتحكم بها رجلان؟ فبعد أن

٣٢ ــ سكروا مياه البليخ

٣٣ ــ فماذا يمكن أن تفعل توتول بلا مياه؟

٣٤ ــ ويعلم مولاي أن زالبخ

٣٥ ــ تتبع، منذ زمن بعيد

٣٦ ــ توتول، فلماذا

٣٧ ــ تحتج زالبخ الآن؟

٣٨ ــ يجب على مولاي أن يبعث

٣٩ ــ بأوامر صارمة إلى اشكور لوتيل

٤٠ ــ وأن لا تعود وتحتج زالبخ

٤١ ــ وأن تعطي مياه البليخ

٤٢ ــ بكاملها إلى توتول

٤٣ ــ كي تزرع جميع

٤٤ ــ أراضي توتول

قراءة تاريخية للرسالة:

من الواضح أن كاتب الرسالة وهو يسمخ أدو بن شمشي أدو ملك أشور، ونائبه في ماري، يذكر والده بقرار مسبق، مفاده أن مياه نهر البليخ يجب أن تنصب بكاملها لسافية أراضي مدينة توتول التي يفترض أنها تقع على مصب هذا النهر في حوض الفرات، وتحتل رقعة قريبة منه وقابلة للسقاية، وأن هذا القرار قد اتخذ بحضرة أشخاص آخرين من بينهم لاؤم ماشوم وماشيا. وكانت أوامر الملك، أي شمشي أدو، صريحة وواضحة: «أعطوا مياه البليخ بكاملها إلى توتول» كما ورد في مطلع الرسالة، والسبب كي تتمكن المدينة من زراعة أكبر مساحة من الأرض وسقايتها.

ويبدو أن هذا التنظيم في توزيع المياه يعود لأسباب منطقية فالبليخ كما نعلم نهر صغير في شمال سورية يرفد نهر الفرات، ومياهه محدودة، ولا يمكن أن تستجيب لجميع حاجات الأراضي المفلوحة على جانبيه، ولذا فقد وجب توزيعها بكاملها في منطقة توتول على حساب منطقة أخرى أكثر بعداً وأرضها أقل عطاء، وربما كان هذا الإجراء وقتياً وليس دائماً كما يوحي مطلع الرسالة، فالقرار اتخذ بحضرة آخرين فيما يتعلق بالمستقبل القريب وليس بصورة دائمة.

من جهة أخرى فإن صردا المذكورة، والتي يفترض أن تقع في منطقة توتول وقرب زالبخ ليست أرضاً صالحة لزراعة الحبوب إذ أن ثمة ما يدل على وجود الزيتون فيها، وبالتالي فقد عينت السلطة المدعو ايلوري من أجل الإشراف على هذا الوضع الجديد حيث يتم استغلال مياه النهر بكاملها لزراعة أكبر مساحة من الأرض. ويستغنى عن نقل الحبوب من زالبخ إلى توتول، إذ أن هذه الأخيرة تتمتع بأهمية عسكرية وسياسية وتؤمن حماية المحصول لكونها مركز السلطة المحلية ونعلم من نصوص أخرى أن المدينة قامت بدور في الخصومة مع مملكة يمحاض أيام ملكها الأول سومو ايبوخ، ولهذا يمكن تعزيز المنطقة من الناحية العسكرية لمواجهة ضغط مملكة حلب ولكن هذا التنظيم لمياه البليخ لم يرض سكان زالبخ، ونفهم من الرسالة أن

اشكورلوتيل وهو شخصية عسكرية وقائد مجموعة قتالية مهمة، هو الذي أصدر أوامره إلى المدعو ايلوري – وهو على ما يبدو يمثل سلطة محلية في زالبخ – أن يسد ميساه النهر عن توتول، لاستخدامها في سقاية مناطق صردا وقام بطرد جماعة يسمخ أدو الذين يعملون ولا شك لحساب سيدهم في ماري وبذلك فإن سلطة القائد تحدت بشكل واضح سلطتي الملك شمشي أدو ونائبه المقيم في ماري، علماً بأن هذا القائد العسكري مقيم في مدينة أخرى هامة هي شوبات انليل ومع هذا فقد رأى خلاف ما أرتأه لابنه، وهو أن تكون مناطق زالبخ وصردا القريبة من شوبات انليل، مراكز تموينية فيما إذا زرعت. وهكذا نجد أن السلطة العسكرية الموجودة في شوبات أنليل بزعامة أشكور لوتيل قد ضربت عرض الحائط بسلطة الملك ونائبه (وهي تمثل السلطة المدنية)، واتخذت قرارها بناء على واقع حالها؟ وبرز لنا التنازع بين ابن الملك المقيم في ماري وقائد عسكري مقيم في شوبات أنليل، حول هيمنة كل منهما على الأراضي الزراعية في المدن المذكورة من جهة أخرى، يمكن التعرف على نوايا ملك ماري، وهي نوايا ترمي إلى مد نفوذه إلى أعالي الفرات شمالاً، نستنتج من خلال هذا:

أن النزاع قد نشب بين القائد العسكري في شوبات انليل شمالاً وابن الملك المقيم في أواسط الفرات جنوباً من أجل أراضي زراعية يعتبرها الأول واقعة ضمن نفوذ سلطته، وأن قرار الملك ومحاولة ابنه لتنفيذه لا يمكن أن تمر دونما مقاومة.

أما بالنسبة لنائب الملك في ماري فيتساءل في رسالته هل يمكن لرجليس أن يشرفا على توزيع المياه في الوادي؟ فهو بلا شك يذكر أباه بعدم فعالية سلطته أمام القائد العسكري الذي يتحكم بمجرى المياه من الأعلى؟ وأنه لابد من أن يشرف هو على كامل الوادي كي يتم تنفيذ الاتفاق الذي أعلن في مطلع الرسالة. وهو بذلك يحاول حث أبيه على اتخذا موقف إلى جانبه لمواجهة أشكور لوتيل. ولكن للأسف فإن سمعة يسمخ أدو وضعفه بنظر أبيه الذي عبر عنه اكثر من مرة في رسالة (AR MIV, 11) التي تتحدث عن موضوع مشابه

وهو اقتسام أراضي زراعية في منطقة توتول: «أنه لا يستطيع بنفسه إدارة مدينة توتـــول، وأن تحترم سلطته، وهناك من هو أقدر منه على القيام بهذا العمل».

فالملك الأب لا يميل إلى جانب ابنه الضعيف، ولهذا فإن الموظف الذي سد ميـله النهر عن توتول تنفيذاً لأوامر أشكور لوتيل كان يعتبر، ولو بصورة غير مباشـرة، أن السلطة العليا في المنطقة هي للقائد العسكري وليـس لابـن الملـك. وهكـذا نلمـس الصعوبات التي قد تلاقيها سلطة محلية في ذلك الزمن عنـد تنظيـم شـؤون الـري والزراعة من قبل القادة العسكريين وخاصة الناجحين منهم أمثال هذا القائد على الرغـم من عدم تحليهم بالمرونة والمنطق في تصريف الأمور الزراعية في كثير من الأحوال.

ولكن ضعف شخصية نائب الملك، والضرورة التـي تقتضيـها حمايـة المنـاطق الحدودية وفق خطط شمشي أدو، سمحت للسلطة العسكرية أن تتدخل في شؤون الزراعة.

لقد استطاع شمشي أدو أن يوطد سلطته في أعلى الجزيرة والفرات، وحمل لقب «الملك العظيم» وقسم مملكته إلى شرق وغرب، وأقام كل من ولديه في أحد قسـميها، وحدد القسم الذي يحكمه يسمخ أدو جغرافياً باسمي المدينتين ماري +.توتل. ومنحـت الأراضي كلها من الملك الأب إلى ولديه، ومنح كل منهما إدارة مباشرة ومستقلة (. ن. م. ٦) ولكن ابنه يسمخ أدو في ماري لم يكن أهلاً لإدارة هذه الممتلكات فكتـب إليـه شمشي أدو (الرسالة نفسها) قائلاً: «**لقد كتبت لي حول اقتسام أراضي الحبـوب التـي زرعتها في توتول قائلاً: (لماذا سأذهب؟ فليقرر الملك بشأن أراضي الحبوب). هذا ما كتبته لي، ومن ثم فقد أعطيتك هذه المدينة. فلماذا لا تكف عـن إرسـال القـرارات المتعلقة بالموضوع؟ فإن كنت قادراً على إدارة هذه المدينة فافعل**، وإذا لـم تسـتطع، فهنالك الكثير من الناس المؤهلين، القادرين على إدارتها، وفي النهاية سأعطيها لمـن يستطيع إدارتها، فإن لم تستطع أنت، فستفقد هذه المدينة (نعم أنت) هـل تتصـور أن أترك بيتي وأتي كي أدير بيتك؟ سوف لن أترك بيتي ولن أنظم لك بيتك. وكذلك اسـمي نجن لن يترك بيته ولن ينظم بيتك! الرجل الحقيقي هو من ينظم بيته بنفسه..».

من جهة أخرى رفض شمشي أدو إعطاء يسمخ أدو مدينة شوبات انليل، لأنه لا يريد توسيع رقعة إدارة ماري قبل ان يتلمس النتائج الإيجابية لإدارة ابنه في رقعة ماري وتوتول. وحول هذا الموضوع كتب اشمي دجن (AR MIV 27) إلى شقيقه يسمخ أدو: «أخاف أن تقوم: أن أشمي دجن هو ضد إلحاق مدينة شوبات شمش بمنطقة ماري.. ماذا سأفعل أنا في شوبات شمش؟ شوبات شمش بعيدة عن المدينة ٢٠ مرة.. بالعكس هي واقعة في جهتك، قرب منطقة ماري»..

تسمى المناطق التي يديرها كل من الأميرين الشقيقين خالصوم halsum ونملكاتوم namlakatum. فإذا كانت الكلمة الأخيرة تعني مملكة (بالمعنى الإداري) وتتبع ملكوم malkum = ملك، فإن خالصوم تعني إمارة، أو حكومية. ونرى أيضا أن الاسم الإداري خالصوم يشمل عدة حكوميات على رأس كل منها حاكم صغير، وتوضع كلها تحت سلطة حاكم كبير أو نائب للملك، الذي يرأس مملكته من عاصمته في أعلى الجزيرة.

نلاحظ هنا أن جميع الأراضي من ماري إلى أعالي الجزيرة وشرقها قد قسمت بين الشقيقين، ولكننا لا نعلم الخط الجغرافي الفاصل بين أراضي كل منهما.

من جهة أخرى فإن منح هذه الأراضي وإقامة حكومة وإدارة مستقلة تماماً عن المملكة الأم لا يعني أكثر من تأسيس بيت بمفهوم ذلك العصر وهذا لا يعني أن يسمخ أدو كان على أهبة الزواج من ابنة ملك قطنة (قرب حمص) وحسب، بل كان يعد شريكاً لأبيه في الملك وقد منح شمشي أدو ولديه أراضيهما التي تعتبر ممتلكات بيتية أيضاً، ومن جهة أخرى فإن الاستقلال الذي منحه شمشي أدو إلى ولديه لإدارة أراضيهما، يقع ضمن إطار تنفيذ أوامر الملك وتنفيذ سياسته الرامية إلى توسيع الملك والأراضي باستمرار. إذ أن حكم شمشي أدو، ليس إلا فترة توسع وتأسيس لدولة تضم شمال الفرات وأوسطه، دون ان ننسى المحاولات والإعلانات الدعائية عن وصول شمشي أدو إلى «لبنو» أي لبنان منذ ذلك الوقت. ومحاولاته الوصول إلى البحر عن طريق حلب، وصدامه مع ملكها سومو ابيوخ.

ونلمس رغبة شمشي أدو في مراقبة أعمال ابنه وإصراره على تنفيذ رغباته في رسالته (AR MI, 2ا, 3, 5) إلى يسمخ أدو: «لقد كتبت لك نسخة أخرى من رسالتي إلى اشمي أدو، فاقرأها (اسمع قراءتها)، وعلى ضوء المعلومات هذه، اكتب أنت رسالة ــ بعبارات مناسبة وأبعثها له...».

يمكننا أن نتساءل أخيراً ماذا حل بممتلكات شمشي أدو بعد وفاته؟ تلك الممتلكات التي شملت أخصبها على وادي الفرات وأعالي الجزيرة.

نجد في إحدى الرسائل (AR MIV, 20) التي تؤرخ لما بعد موت شمشي أدو، أن أشمي دجن (الابن الأكبر) والوريث الطبيعي لعرش أبيه يقول لأخيه الأصغر في ماري «مملكتك تبقى مملكتك» وقد سبق أن قال في حياة أبيه «لن أحاول أبداً أن أحصل على مدينة شوبات شمش».

تدل وثائق ماري الإدارية أن انتقال السلطة إلى زمري ليم وزوال سلطة يسمخ أدو عن المدينة لم يحدث في ظروف حرب تدميرية؟ إذ نجد أن حريم يسمخ أدو يعشن في كنف زمري ليم، وكذلك الجهاز الإداري ما عدا تبديل كبار الموظفين بالطبع، مما يدعونا للقول أن الحياة استمرت على ما كانت عليه في ماري بعد رحيل ملك ومجيء آخر. ولكن ما الذي حدث لكل تلك الأراضي والممتلكات؟.

يبدو أن زمري ليم قد استطاع الوصول إلى قصر ماري وطرد يسمخ أدو بصورة فاجئة. وقد قضى زمري ليم فترة طويلة من حكمه وهو يحارب في الشمال لبسط سيطرته على أراضي الجزيرة. في النهاية آلت جميع الممتلكات التي سيطر عليها شمشي أدو وابناه إلى زمري ليم، وربما آل قسم منها إلى ملك حلب ياريم ليم. والملك لله فهو الذي يمنح ويأخذ، وفق تعبير النصوص الدينية القديمة.

لم يختلف الوضع كثيراً فيما يتعلق بالصراع على مياه نهر البليخ في عهد الملك الجديد زمري ــ ليم بدليل الرسالة الموجهة إليه، التي تضعنا بأجواء الرسالة

السابقة من حيث الخلاف على توزيع المياه، ولكن مع اختلاف في الظروف وهوية الأطراف المتنازعة.

هذه الرسالة نشرت لأول مرة من قبل جورج دوسان في (AR 68, 1973, 30) إلى جانب الرسالة السابقة (ن. م. ٩). الهدف بالنسبة له آنذاك هو تحديد موقع مدينة توتول من خلال معطيات الرسالتين، ولكننا نلاحظ هنا أن الفائدة الرئيسية تكمن في قضية توزيع المياه. إذ أن السلطة العليا، الملك، لابد لها من التدخل في الموضوع نظراً لخطورته، ونظراً لكثافة استغلال الأرض في الجزيرة وحاجة الزراعة إلى المياه.

وهذه ترجمة الرسالة إلى العربية:

١ ــ إلى مولاي
٢ ــ قل ما يلي
٣ ــ هكذا تحدث لاناسوم
٤ ــ خادمك
٩ ــ وأعلنوا لنا
١٠ ــ الاتفاق التالي
١١ ــ بما أن زمري ليم في الواقع
١٢ ــ لا يريد أن يتخلى عن المياه لكم
١٣ ــ أعطونا موافقتكم التامة
١٤ ــ وسنعطيكم مياه البليخ
١٥ ــ بالكامل
١٦ ــ هذا ما قاله جماعة أوبرابيا
٥ ــ جماعة من الابرابيين (البدو)
٦ ــ قد وصلوا إلى
٧ ــ توتول. فيما يتعلق
٨ ــ بمياه البليخ
١٧ ــ ولهذا السبب
١٨ ــ فإن أهل مدينة توتول قد
١٩ ــ قبلوا الرسالة المعدلة لقرارهم
٢٠ ــ ثانياً: فإن يثوب دجن
٢١ ــ قد حرض المدينة كلها
٢٢ ــ ضد مولاي
٢٣ ــ فليكن بعلم مولاي
٢٤ ــ هذا الأمر

نلاحظ أن موضوع الخلاف واحد وهو الحصول على مياه البليخ بكاملها، سواء في عهد يسمخ أدو السابق كما في عهد زمري ليم اللاحق. وأن تبدل الحكام فالناس يحتاجون لمن يحل خلافاتهم.

ونلاحظ أن سلطة الملك ــ المدنية نظرياً ــ رأت إعطاء مياه النهر بكاملها إلى جماعة الابرابيين وهم بدو مقيمون على الأغلب في منطقة شمال مصب نهر البليخ وربما قطعوا المياه عن مدينة توتول فاستدعاهم المسؤول المسمى لاناسوم ممثل ملك ماري زمري ليم وقام هذا بفض المشكلة ولكن بتنفيذ أوامر الملك وهي مطابقة لرغبات أهل توتول بإعطاء المياه بالكامل لهم، خاصة وان المدعو يشوب دجن قد بدأ يحرض سكانها ضد الملك، لأن الابرابيين قد قطعوا المياه عنهم. نلاحظ تشابه الموقف حول اقتسام المياه مع ما حدث أيام يسمخ أدو، ولكن سلطة هذا الأخير لم تكن قوية بما يكفي لتنفيذ أوامره كما هي الحال زمن زمري ليم.

٦. خاتمة ونتائج:

تفيدنا الدراسة السابقة بما يلي:

١ ــ أن المحفوظات الملكية لمدينتي ابلا وماري ــ هي المصادر الوحيدة والشواهد التاريخية المباشرة عن أقدم مجتمع زراعي منظم في تاريخنا العربي وفي تواريخ العالم بعامة.

٢ ــ إن تحليل الأمثلة النصية لا يسمح لنا بإطلاق تقويمات تصنيفية لنمط الزراعة وفق النظريات الأوروبية. إن ابلا لم تمر في مرحلة الصيد أو البداوة مثلاً. ولا نرى بالضبط متى استقر فيها الإنسان الذي صنع حضارتها.

٣ ــ إذا أردنا أن نتلمس عريضة لنمط الإنتاج والزراعة والتبادل الزراعي فيمكننا الاستدلال على ما يلي:

١ ــ الملوك هم المالكون بالدرجة الأولى للأرض وإنتاجها وهم المشرفون على توزيع الإنتاج أو بيعه.

٢ ــ إن من يعمل في القصر أو المعبد في الإنتاج الزراعي، لا يعمل ضمن قطاع توظيفي بالمعنى الحديث، بل إنه يمارس عملاً حراً مأجوراً ولحسابه الخاص ولذا فإن كبار التجار كانوا يعملون لحسابهم الخاص ولفائدة القصر أو المعبد في آن معاً.

٣ ــ إن المحفوظات تحفل بعقود البيع والشراء للأراضي والمنتجات لحساب أفراد عاديين، ولذا فإن طابع الملكية هو الملكية الفردية. ولكن حصة الملك وحاشيته هي الأكبر.

٤ ــ إن نظام اقتصاد إيلا كما لاحظنا هو نظام تكديس الإنتاج، أي تكديس الثروة وتضخيم رأس المال ومد سيطرته إلى أماكن بعيدة.

٥ ــ إن الدولة، أو القصر، هو المشرف على المشاريع العامة وتنظيم الزراعة او السقاية.


وقل رب زدني علما
Damascus University

بعض أسماء المهن والأشغال باللغة الأكادية التي ذكرت في نصوص الالاخ وماري وإيبلا وأوجاريت

ويلاحظ القارئ التشابه بين الأكادية والعربية

agru: hired labourer	أجير
amtum: (SAL. GEME) slave-girl	أمة
askapu (ASGAB): leather, worker	بستاني
as / ziru: captive, prisoner	أسير
asu: doctor	طبيب، مواس
askapu (ASGAB) leather, worker	اسكافي
atu: janitor	بواب، حارس
ba' iru (SU-HA): fisherman	صياد (سمك)
baru (U. ZU): a priest	بار، راهب
epinn (LU. GIS e-pi-nu): ploughman	حراث أو قائد العربة
hazannu: sheriff	خازن
ikkaru: farmer	مزارع، مكار
mar bi'ti: house – born, slave	امرؤ البيت (عبد)
sarru: prince	أمير
sipru: messenger	مبعوث، سفير
museniqtum: foster, mothers	حاضنة
nagaru: wood worker	نجار
nappahu: smith	الحداد، النفاخ (الذي ينفخ النار)
akli: chief	وكيل
redum (UKUS): a class soldier	طبقة جند
re'um (SIB): shepherd, herdsman	راع
re'um sa sisi:	راعي، سائس الخيل
suhartu: girl slave	عبدة، صغيرة

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

بعض المصطلحات المتعلقة بالتاريخ القديم
بالإنجليزية والفرنسية

الفرنسية	الإنكليزية	العربية
Dinastie	Dynasty	سلالة
Durant	During	عهد
Document	Document	وثائق
Age Bronz Ancient	Eaerly Bronz Age (EBA)	عصر البرونز القديم
Champ des Offrandes		غرف التقدمات
Histoire	History	تاريخ
Ancient	Old	قديم
Royaume Moyen	Middle kingdom	
Archéologie	Archaeology	علم الآثار
Idéogramme	Ideogramme	كتابة رمزية/فكرية
Alphabet	Alphabet	أبجدية (ألف باء)
Site	Sit, emplacement	موقع
Écriture cunéfome	Cuneiforme writing	الكتابة المسمارية

Damascus University

وقل رب زدني علما
Damascus University

دليل عام لأسماء العلم والأماكن

Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

فهرس الكلمات

أ

أبائيل ١٠٧، ١٦٥
أباتوم ١٦٦
أبارسال ٢٨٥، ٢٩٢
أبال بي إل ٣٣٥، ٣٣٦
إبال بيل ١٠٤
إبراهيم ٣٢٧
أبورليم ٢٨٦
أبريوم ٤٣، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٣٣٠
ابلول إيل ٢٨٩، ٢٩٢، ٣١٦
ابني ليم ٤٩
أبي دمو ٢٨٦
ابيج ايل ٨٠
ابي زكير ٤٩، ٥١، ٢٦٣، ٢٨٩، ٣٣٠
أبي سيبيش ٤٢، ٤٦
ابي سين ٥٧، ٦٨
ابيل ايليشو ٣٣٢
ابيلو ٢١٦
اتراخسريس ٢٧١، ٢٧٢
أتمروم ٣٣٣
أتوك ٣٢١
اتوم ٤٢
أثيرات ٢٤٦
أجرش خالام ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩
أجرش خيم ٤٢، ٤٨، ٥٠
أجورليم ٢٨٦
احمس ١٨٥

أحيرام ٢٧١
أخلي ١٦٨
أدا ٤٦، ٢٩٣
أ ــ دام ــ ما ٢٩٤
أداما ٥٤
أدايا ١٩٤
أدد ١١، ١٨، ٣٤، ٧٥، ١٦٦، ١٧٨، ١٨٥، ٢٠٣، ٢١٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٢٤
أدد نيراري ١٥٠، ١٨٥، ١٩٠، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٥٧
أدد نيراري الثالث ٢٦٢، ٢٦٤
أدد نيراري الثاني ٢٦٠
أدد ٢٦
أدراتا ١٨٨
ادريمي ١٣٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦
ادو ١٦٩
اديب يورادا ٣٠٢
اديير ١٦٧
أربا أدو ١٦٧
أرتا ١٦٨
ارتاتما ١٤٩، ١٥٠
أرتاما ١٨٧، ١٩٤
أرزاويا ١٩٢
أرشتي أيا ٨٧
أركبتوم ١١٢
اركب – دمو ٤٢، ٤٨، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٢٨٣، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٢
أركي ٢٨٣
أرلوم ٢٨٨
ارنا ١٦٨

ارين – ونتر ٣٠٣
أرهق دمو ٥٠، ٥١، ٥٢
أريك دين ايلي ١٩٥، ٢٥٦
ازيرو ١٨٨، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥
أسد حدون ٢٦٦، ٢٦٧
الإسكندر المقدوني ١٩، ١٥٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢
أشات فرصيم ١٦٦
اشار ٥٤
إشارا ٤٦
أشارتوم ٤٧
أشاردمو ٢٨٤
أشارليم ٣٣٤
أشاريد ابيل ايكور ٢٥٧
أشتابي ٤٦
أشتار ٣٧، ٤٦، ٥٥، ٨٠، ١٦٦، ١٦٧، ٢٩٤، ٣٢٦
أشتارت ٣٧، ٤٦، ٥٥، ٨٠، ١٦٦، ١٦٧، ٢٩٤، ٢٣٦
أشتوب ٥٥
اشدابيل ٥٤
اشدور ٢٩٥
اشر ٢٨٦
إشردمو ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢
اشكنونو ٢٨٩
أشرملك ٢٥٥
أشكورلوتيل ٣٦١، ٣٦٢، ٣٩٥
اشمي ادو ٣٦٤
أشمي دجن ٧٢، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤
أشور ٤٦
آشور أوباليط ١٩٤، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠١
أشور بانيبال ٢٦٦، ٢٦٧

آشور بانيبال الثاني ٢٦٠
آشور بعل كالا ٢٥٧
آشور دن الثاني ٢٥٩
آشور ندين ايلي ٢٠١
آشورنيرار ٢٦٤
أشيرتوم ٤٧
ألا غوراس ٢٧٢
ألاتا ١٨٨
اكيا ١٥١
اكزنو فون ٢٦٩
اكيت ١٥١
اكيزي ١٩٢
إل ٥٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٩٦
السندرايني ٣٠١
الفونسوا اركي ٣١٤، ٣١٥، ٣٣٠
ألي بانيشو ٣٣٢
اليزابيت كارتر ٢٩٨
اليزابيت ولياس ٣٠٢
اليم اليما ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٨٥
امبيا ١٨٨
أمرسو... ٦٨
امفيلوك ١٥٥
امنابا ١٨٩
آمو ١٦٨
أموتي ٣٣٠
أمور بيل ١٠٤
آمون ١٩٨، ٢٤٧
أمونيرا ١٩٢
امبتكوم ١٦٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٥

امينتمرو ١٨٨
اميفيا راوس ١٥٥
ايمنوفيس الأول ١٨٥
أمينوفيس الثالث ١٥٠
أمينوفيس الثاني ١٤٨، ١٨٧
أمينوفيس الرابع ١٥٠، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٣، ٢٠١
آن ٢٨٦
آن ار، آل آجادمو ٢٨٩
اناتجن ٥٠، ٥٥، ٢٨٥
اندريه بارو ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٨، ٢٠٠، ٢٧٣
اندريه فينه ١٠٩، ٣١٣، ٣٢٦
اندريه لومبير ٣٢٦
اندريو جورج ٢٩٩
انر دمو ٢٨٦
عن ساجي سو ٢٨٧
انكي ٤٦، ٢٠٣
انليل ٢٠٣، ٣٠٢
انليل ناراري ١٩٥
أنو ٢١٧، ٣٣٦
انو بو ٥٥
انو نيتوم ٨٧
أور نامو ٥٧، ٦٨، ٩٦، ٣٠١
أوليفيه أورانشي ٣١٩، ٣٢٠
أوليفيه لوكونت ٣٣٠
أوبيري ١٦٨
أيا ٢٤٤، ٣٢٤
أيا ايوم ٣٣٢، ٣٣٣
ايا باخ – ادو ١٩٢
ايا – ماني ٢٦٦

ايبل – كين ٥٧
ايبلو ايل ٥٥
ايتا ١٩٠
ايتا جاما ١٨٤، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣
أي تيشوب ١٩٠
ايدن بني ٣٠٠
ايديدش ٥٧
ايشبي ت اراء ٦٨، ٦٩
ايفاشترو منجر ١٥
ايكور ساماجن ٨٠
ايل ٥٤، ٧٦، ٢٠٣، ٢١٣، ٢٧٠، ٣٢٦
ايلا فاندا ١٠٤
ايلوري ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١
ايلي اوري ٣٤٤

ب

باجا دمو ٢٨٦
بار نزودا ٣٣٠
بارما ٥٣
باشيشوم ٤٧
باولوماتيه ١٦، ٣٢، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٧، ٢٧٣
باولين البندا ٢٩٨
بايير ٣٠٨
بتنو عام ٢٧٢
بشوم ٦٥
براما ٢٩٣
بزتراند لاخون ٣٠١

برترنا ١٨٤، ١٨٥
برنار جيروجان ٣١٣، ٣٣٧، ٣٣٨
برنار لافون ٣٣٨
بسامتيك الأول ٢٦٧
بعل ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٦٤، ٢٦٧، ٢٨٧، ٢٨٨
بعل شمين ٢٦٣
بناقو ٢٦٥
بعليا ١٩٣
بنتشينا ١٩٦، ١٩٧
بن حدد ٢٦١
بن حدد الثاني ٢٦٣
بهدي ليم ٨٥
بوبو ٦٦
بوتينا ٣٥٤
بوردروي ٢٣٧
بوزر ٥٧
بوسنك ٢٢٨
بول سان لافيل ٣١٣
بيبي الأول ٣٨، ٤٠
بيك م. ويجاند ٣٠٩
بينهاس رتس ٢٩٨
بير ٢٦٨
بيربورد دوري ٢١١، ٣٢٦
بير فيلارد ٣٤٣، ٣٥٧
بير باوزا ١٩٢

ت

تاب ــ ريمون ٢٦١
تاخوس ٢٧١
تاكو ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١
تالما ١٦٨
تجلات بلاصر الأول ٢٠٤، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦
تحوتمس الأول ١٤٤، ١٨٥
تحوتمس الثالث ١٤٥، ١٤٨، ١٥٠، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧
تحوتمس الثاني ١٨٦
تحوتمس الرابع ١٨٧
ترم أورم ٥٧
تريم سكيم ١٢١
تشراتا ١٨٩، ١٩٠، ١٩٤
تكوا ١٩٠
تابينو ١٨٤، ١٩٣، ١٩٤
تلمي شردما ١٩٧
تواتي ١٩٢
توانانا ١٩٦
توت عنخ آمون ١٩٣
تودااليا الثاني ١٨٧
تودخاليا الرابع ١٩٩
تور تافو ديان اشور ٢٦٢
توركانو ٢٣٤
توروم ناكتي ٣٣٣
تو شراتا ١٥٠، ١٥١
توكولتي نينورتا ١٩٩، ٢٠١، ٢٦٠
توناسوميرابا ٢٤٧

توي – تيشوب ١٩٥
تيشوب ١٥١، ٢٠٠، ٢٤٣، ٢٤٥
تينيس ٢٧١، ٢٧٢
تيير ٢٨٨

ث

يثودور الصقلي ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٧١، ٢٧٢

ج

ج، ب. جوزيفوف ٣٠٠
جاد ١٤٣
جاشارو ٢٩٤
جاك ساسون ٣٤٣
جاك م. ساسون ٣٠٧
جاكوب كلاين ٣٠٠
جان أوت ٣١٦
جان بوفل ٣٠٢
جان روبيركوبر ٣١١
جان ماري ديوران ٨٢، ٨٨، ١١١، ٢٧٤، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٣٥
جان مالالاس ١٥٥
جان كوفسكا ٢٩٨
ج، ر، كوبر ١٢٠، ٢٥٦، ٢٥٨
جودبا ٦٨، ١١٨
جوبارو ٢٧١
جورج بكيانو ٤٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٨٥
جورج دوسان ٨٢، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ٢٧٤، ٣٧٥، ٣٦٥

جوزيفوس ٢٧٠
جوليان أشر غرين ٢٩٨
جوليان رد ٣٠٢
جون مار جورون ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٢٠٩، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٤، ٢٧٤، ٢٧٩، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٤٠

ح

حاتور ٢٤٦
حاتوشيلي الأول ١٨٣، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩
حاتوشيلي الثالث ١٩٦
حتشبسوت ١٨٦
حدد ٥٣، ٦٦
حزائيل ٢٦٣
حزيون ٢٦١
حلم ٤٢
حمورابي الأوغاريتي ٢٠٤
حمورابي البابلي ٣٤، ٧٠، ٧١، ٧٨، ٨١، ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٩٤، ٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١١١، ١٣٨، ٢٠٣، ٣٣٣
حمورابي الثاني ١١٢
حمورابي الحلبي ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٣٨، ١٣٩
حورم حب ١٩٥
حوروس ٢٤٧
حورون ٢١٣
حلون دجن ٥٧
حنونو ٢٦٩

خ

خاتوشيلي الأول ٣٢، ١٤٤
خبات ٤٦
خبسيت ٣٠٠
خرمزن ٣٨
خسيرسيس ١٥٦، ٢٠٥
خفرن ٤٠
خطيب ٣٠١
خمازي ٣٠١
خنوم ٢٤٧
خيدار ٥٦

د

دآر ٥٤
داريوس ٢٧١
داود أوتز ٣٢٩
داوود ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٥٩، ٢٩٩
دبوردمو ٥٠
دجن ٣٧، ٤٠، ٤٦، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٧٥، ٧٩، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٤، ٣٣٢
درميا ٢٨٨
دمو ٤٦
دنجر اشدابعل ٢٩٤
دنجر اش دار ٢٩٤
دنجر أمار يجو ٢٩٤
دنجر ايداكول بعل ٢٩٤
دنجر جالشالو ٢٩٤
دنجر جاميش كاموش ٢٩٤
دنجر داجن جان ٢٩٤

دنجر راساب ٢٩٤
دنجر شارا را ٢٩٥
دونيشوب ١٩٥
دوربنغ كاسبر ٣٠٣
دوزيجو ٥١
دوسان ٨٧
دوغلاس فراين ٢٩٩
دومنيك بير ٣١٧، ٣٢٠
دومنيك شاربان ٨٢، ٨٨، ٢٧٤، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٣١، ٣٣٤
دومنيك كولون ٣٣٤
دودو ٦٥، ١٩١، ١٩٣
دياكونوف ٢٧٩
ديتز اوتو ادزار ٣١٥
دينب دولوم ٥١
ديذيب دولوم وارز دو ٥١

ر

ربانو ٢١٠
رب – شقي ٢٦٢
رسب ٢٩٥
رشيانو ١٩٠
رشب ٣٧، ٤٦، ٥٣، ٢٤٧
رشف ٣٧، ٥٣، ٢٤٧
رمسيس الثاني ١٥٢، ١٥٣، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٤٧
رمسيس الثالث ٢٠٤
رمسيس الرابع ١٥٤
ريب أدي ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٢

ريم سين ١٠٤، ١٣٩
ريموش ٥٧
رينيه دوسو ٢٣٥

ز

زاجيري ٦٤
زانازا ١٩٤
زفريدا بن برك ٢٩٩
زمري ليم ٥٢، ٥٥، ٧٢، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٣، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١٣٩، ١٧٨، ٣٠١، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٣، ٣٥٦، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٥
زيدا ١٩٣
زيوس ٢٤٦

س

ساجيزو ٤٩
ساسون جاك ٣٢١
سأمو ٥٥
سترابون ٢٧٢
سرجون الثاني ٢٠٤
سلوقس ١٥٦
سليمان ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٥٩، ٣٠٢
سمسو إيلونا ١١١، ١٦٥، ١٨٣
سمعان ١٥٧
سمورامات ٢٦٢
سمية ١٠٧

سميراميس ٢٦٢
سنحريب ٢٥٦، ٢٦٧، ٢٩٩، ٣٠٢
سواردانا ١٩٢
سوفاجيه ٩٩، ١٠٠
سومو بلي ١٧٣
سيتي الأول ١٩٦
سليفي لاكن باخر ٣١١
سيما نوم ٣٠١
سين ٣٢٤
سيت – جميل ١٠٤

ش

شاتووزا ١٩٤، ١٩٧
شاركالي شاري ٥٧، ٦٥، ٦٦، ١١٧
شاروا ١٧٤
شار ري كوشو ١٩٥
شب ٣٤
شباكو ٢٦٦
شبتو ٨٦، ٨٧، ١٠٥، ١٠٨، ١٠٩، ٣٠٨
شبرام ٣٣٣
شتيوزا ١٨٦
شدو ١٦٨
شروا ١٤٨
شروبخا ١٩٠
شروكين ٣١، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٧، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ١٢٥، ١٣٦، ١٤١، ١٨٠، ٢٩٠، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٣٤

شروكين الثاني ٢٦٦
شلمنصر الأول ١٩٩، ٢٠١
شلمنصر الثالث ٢٦١، ٢٦٢
شلمنصر الخامس ٢٦٦
شلمنصر الرابع ٢٦٤
شلوتزر ٦٣
شمش ٣٤، ٥٣، ٥٨، ٩٦، ١٦٨، ٢٥٨، ٢٩٣، ٣٢٤
شمسي أدد ١٩، ٢٠، ٧١، ٨٤، ٨٩، ٩٠، ٩٣، ٩٩، ١٠٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٧٤، ١٧٩، ٢٠٢، ٢٩٨، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٨، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤
شمشي ادد الخامس ٢٦٢
شوابليشو ٣٣٩
شوبيلولوميا ١٥٠، ١٥١، ١٦٦، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٢٢
شوتاترا ١٨٦، ١٩٠
شوترنا ١٤٩، ١٨٤، ١٩٤
شوشين ٦٨
شولجي ٦٨، ٦٦، ٣٠٠
شيبيت بعل ٢٧٢
شيجانا ١٨٨
شيلحاك انشوشيناك ٢٥٤
شيو ارم ٣٢١

ص

صدقوم ماحي ١٠٩
صدقي لانسي ١٠٩
صلاح الدين الأيوبي ١٥٧
صموئيل نويه كرامر ٣٠١

ط

طهرقا ٢٦٧

ع

عبد الاونيموس ٢٧٢
عبدي – خبا ١٩٢
عبدي – عشتربنا ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠
عتارت ٣٢٦
عرب دمو ٥٠
عشتار ٤٦، ٥٧، ٢٩٤، ٣٢٤
عمون ٣٢٨
عميقة ١٥٥
عنات ٢٤٦، ٢٤٧

غ

غرد شتاينر ٣٠٢

ف

فرانس بينوك ٣١٦
فرانسيس جوانس ٣٠٠
فرانسيس يوحنا ٣٣٨
فلاديميرس تومان ٣٠٢
فلافيوس ٢٧٠
فو ٢٨٨
فيزوليت ٢٧٩، ٢٨٠
فيصل عبد الله ٣٠٣
فيلون الجبيلي ٢٣٧، ٢٣٨

ق

قرني – ليم ٣٣٣
قمبيز ٢٦٧، ٢٧١
قوروش ٢٦٩، ٢٧١، ٣٠٣

ك

كاسوس ١٥٥
كاشتيلياشو ١٨٣
كاموش ٥٤
كبري دجن ٨٥
كدشمان ترجو ١٩٨
كربرئل ٢٨٣
كريستين كسبتمكي ٣٣٠
كلامس فنهوف ٣١٧
كلاوس فيك ٣٠٢
كلود شفر ٢٠٩، ٢٧٣
كميش ٣٧، ٤٦، ٢٩٥
كن – دمو ٥٠، ٢٨٦
كوبير جان روبير ٣٢٢
كورا ٣٧، ٤٦، ٥٣، ٢٩٣، ٢٩٥
كوشوخ ٢٤٥
كونتي ٢٨٤
كيتيتوم ٣٣٥، ٣٣٦
كيرنا ١٨٤
كيلامو ٢٦٣
كينامت ٢٧٩، ٢٨٠
كيكن ٣٤٧

ل

لابايا ١٩٢

لاناسوم ٢٦٥، ٣٦٦

لاوم ٣٤٤، ٣٥٨، ٣٦٠

لبيت عشتار ٩٦

لجي ماري ٨٠

لوبا كي ١٩٢، ١٩٣

لوبو ٣٤٠

لوسيو ميلانو ٣٤١

ليوناردو وولي ٣٢، ٩٩، ١١٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٢، ١٨٣، ٢٧٣

ليلي ٣٠٣

ليم ٤٦، ١٦٩

لوم اشردمو ٢٨٧

م

ماتران ج – ب ٣٠٩

ماتويه ٢٨

ماراتون ١٤٢

مارك جيلر ٣٠٣

مارك لوبو ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٦

مارفن هـ – بوب ٣٠٢

ماريا إلز ٣٣٥

ماريا هانيالوبس ٣٠١
ماري، ٢٦٤
ماري تيريز بارليت ٣٣١
ماشيا ٣٤٤، ٣٥٨، ٣٦٠
ماشوم ٣٤٤، ٣٥٨، ٣٦٠
مانيئ ابلو ٢٦٤
م. بيرو ٨٤
مرجريت بون ٢٠٩
مرخشي ٦٨
مردوك دين اخي ٢٥٦
مرن بتاح ٢٠٤
ملكيلي ١٩٢
م. هيلتزا ٢٩٩
موانالي ١٥٣، ١٩٦
مودو ٢٨٧
مورشيلي الأول ٣٧، ١١٣، ١٨٣
مورشيلي الثاني ١٥١، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦
موسى ٦٤
موش ١٦٨
موريس بيرف ٢٧٤، ٣٠٧، ٣١٧
مونشامبير ٣٣٧، ٣٣٨
مينازوغرافو ٣٠٣

ن

نارام سين ٤٠، ٥٦، ٥٧، ٦٦، ٦٧، ٣١٦
ناصر بال الثاني ٢٥٦
نانا ٢٩٩
نبو ٢١٦، ٢٦٤، ٣٠٧

نبو بلا أدنيا ٢٦٠
نبوخذ نصر الأول ٢٥٥
نبوخذ نصر البابلي ٢٦٧، ٢٦٨
نبو شوما ٢٦٠
نبولا صر ٢٦٦، ٢٦٧
نبونيد ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١
نجار ٧٥
نقم أدو ١٨٨، ١٩٠، ١٩٥
نقمبا ١٤٥، ١٤٨، ١٩٥
نقمي ايبوخ ١١٢، ١٣٨
نقي لاناسي ١٠٥
ننجرسو ١٣٧
نورسن ١١٠
نيتا ٢٩٣
نوزي ١٣٦ – ١٤٨
نيخاو ٢٦٧

هـ

هارفي فايس ٣١٨
هانيبال ٢٠٤
هـ .. ريمان ٣٠١
هدد ٤٦
هنري ليمية ٣٢٤، ٣١١
هوميروس ١٧٠
هيرمان جاش ٣٢٩
هيرودوت ١٩، ١٥٥، ٢٠٥، ٢٣٦، ٢٦٢، ٢٧٠

و

وار ٤٢
وارد سين ٢٩٩

واري ١٦٨
وايزمن ١٣٠، ١٧٤،
ونيفرد اورتمان ٣٢٣
ويلفرد جورج لامبرت ٣٢٤

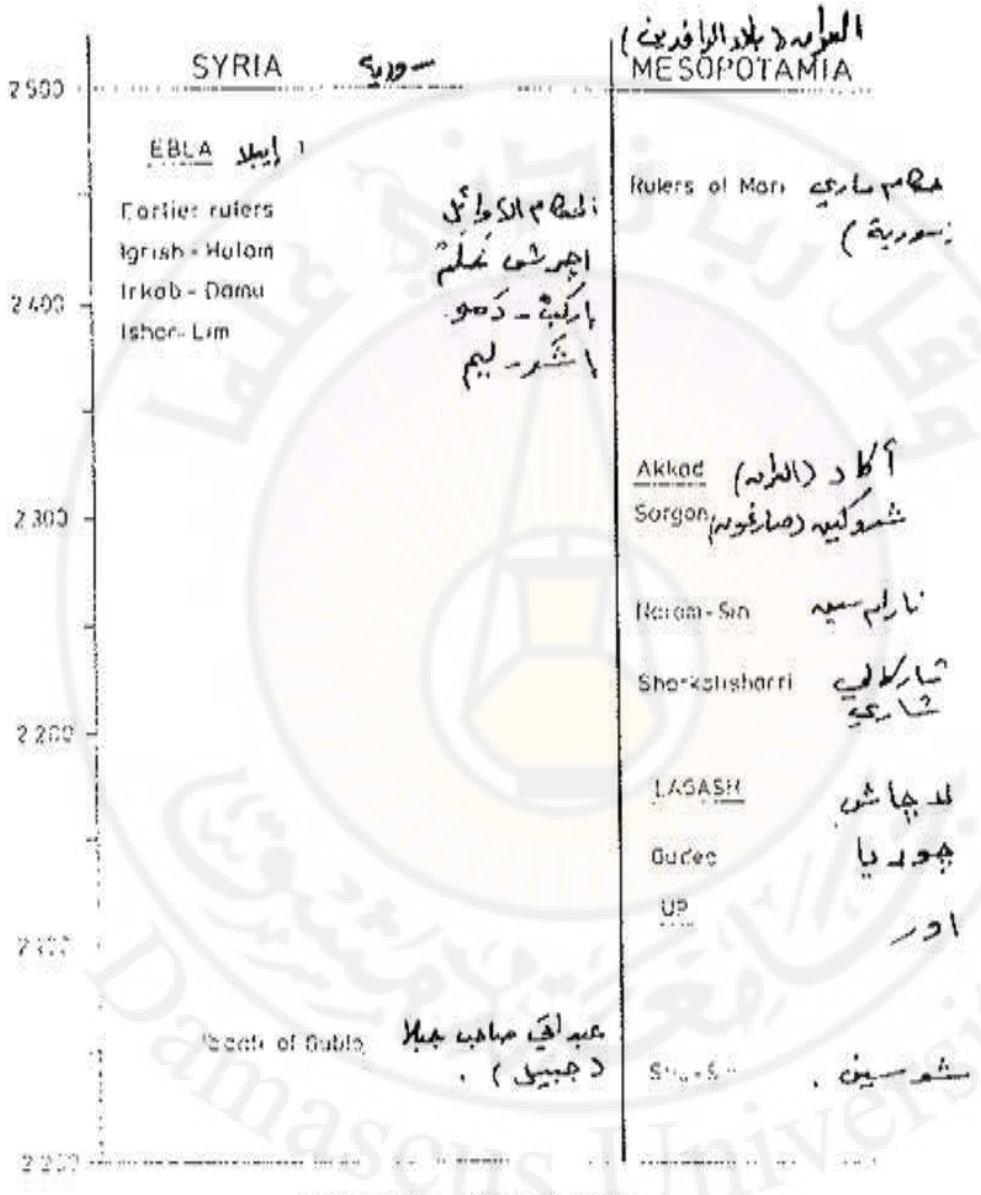
ي

باريم الأول ١٣٩
باريم ليم ٥٢، ٧٥، ٩٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١١٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٥، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٨، ٣٦٤
باريم ليم الثالث ١١٢
باريم ليم الثاني ١١٢
باشوب يخد ١٠٤
بانوح سامار ٣٣٣
بجد ليم ٥٨، ٧٥
بي، جي. لامبرت ٣٣٨
بخدون ليم ٤٧، ٥٨، ٧٣، ٧٥، ١٠٣، ١٢٩، ٣١٠، ٣١٩
بخو ٢٧٢
بدئي ايلو ٢٦٥
بسمخ أدد ٥٨، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٨٤، ٩٣، ٩٥، ١٠٩، ١٢١، ١٢٣، ٣١٠، ٣٢١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦
بشوب دجن ٣٦٥، ٣٦٦
بقيم أدو ٨٥
يم ١١١، ٢١٣
يوحنا غرين فيلد ٢٩٩
يوهنغ – يو ٣٠٣


وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

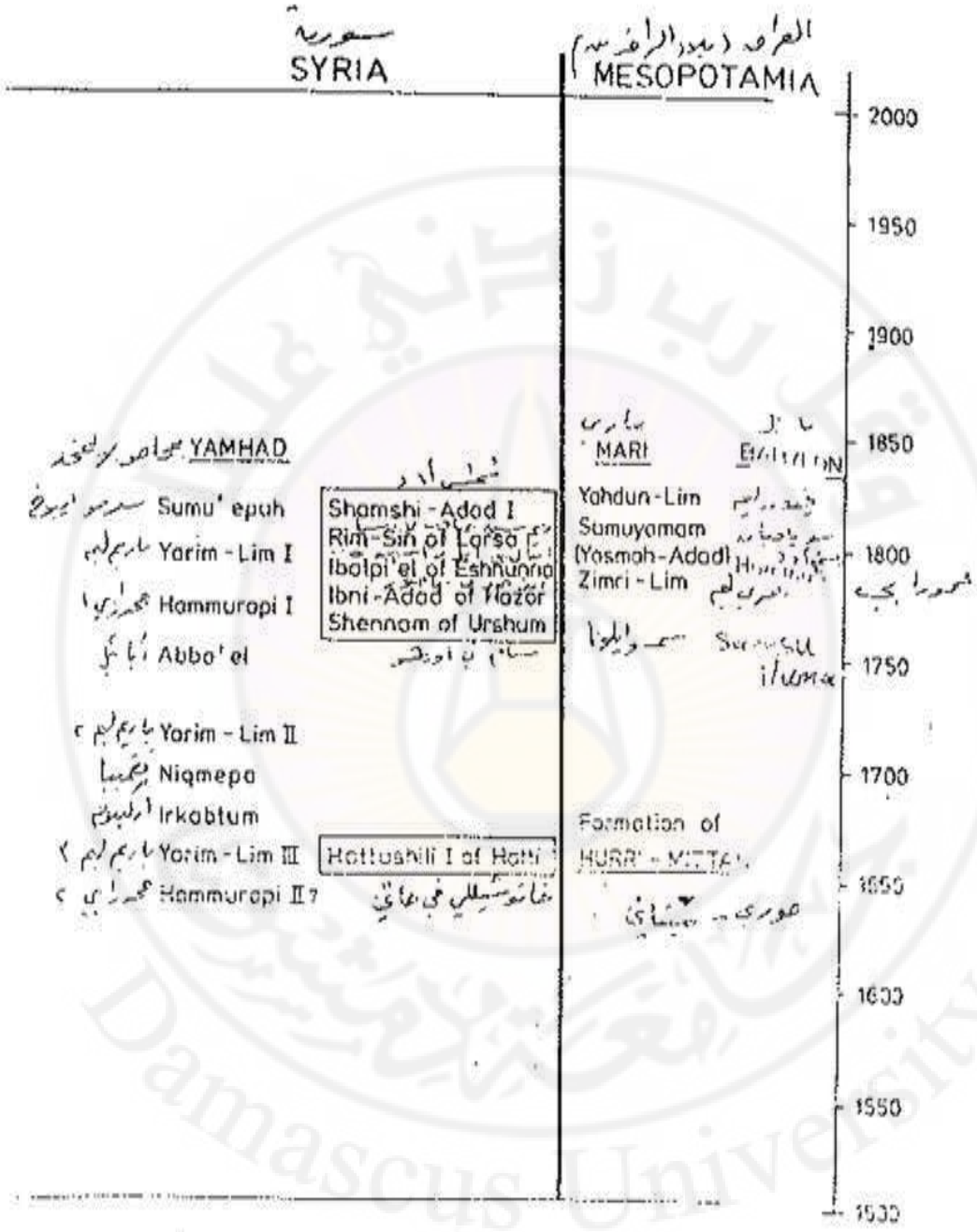
سلم زمني وخرائط
وصور توضيحية


وقل رب زدني علما
Damascus University

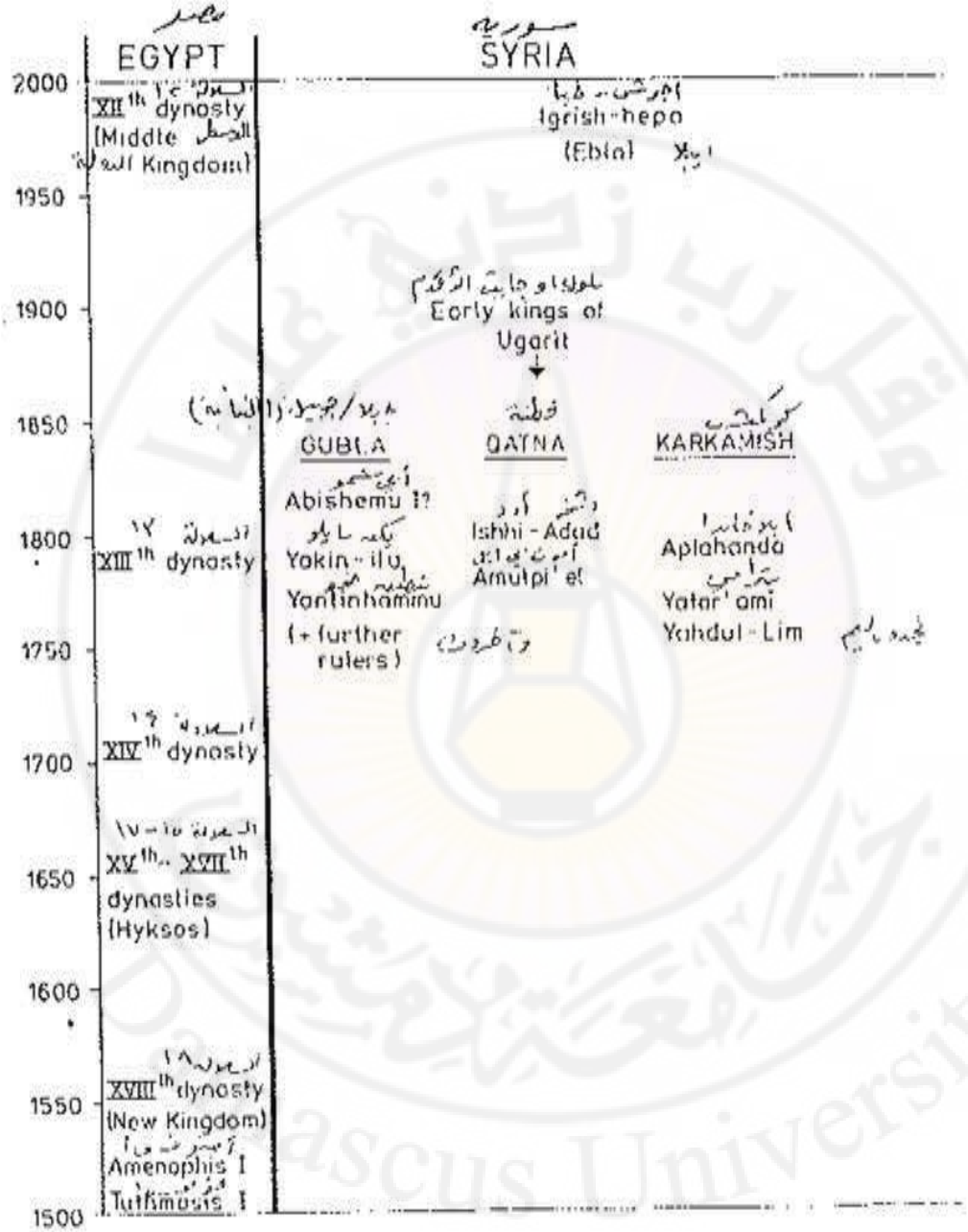


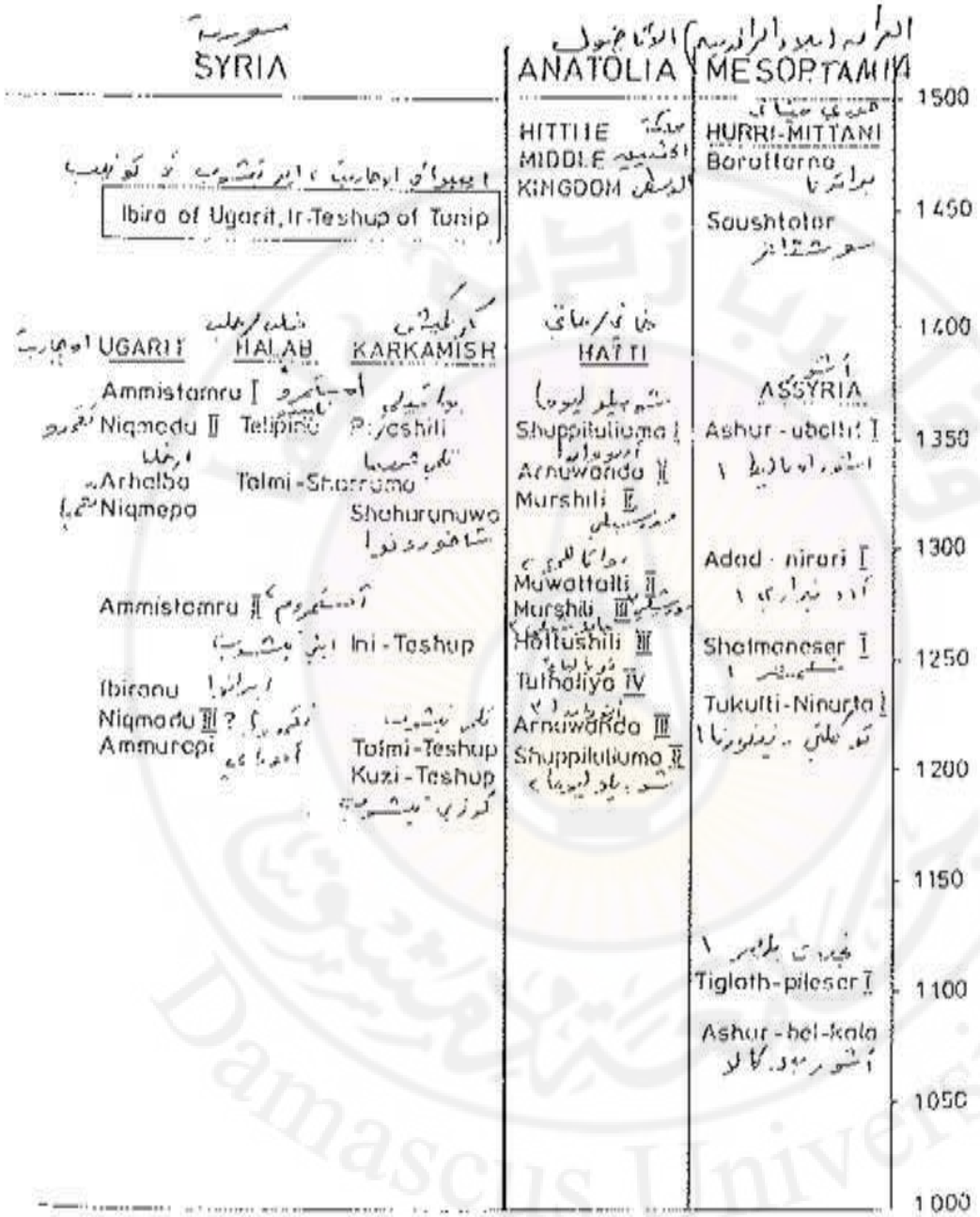
Synchronisms 3rd millennium

الحكام المعاصرون في الألف الثالث

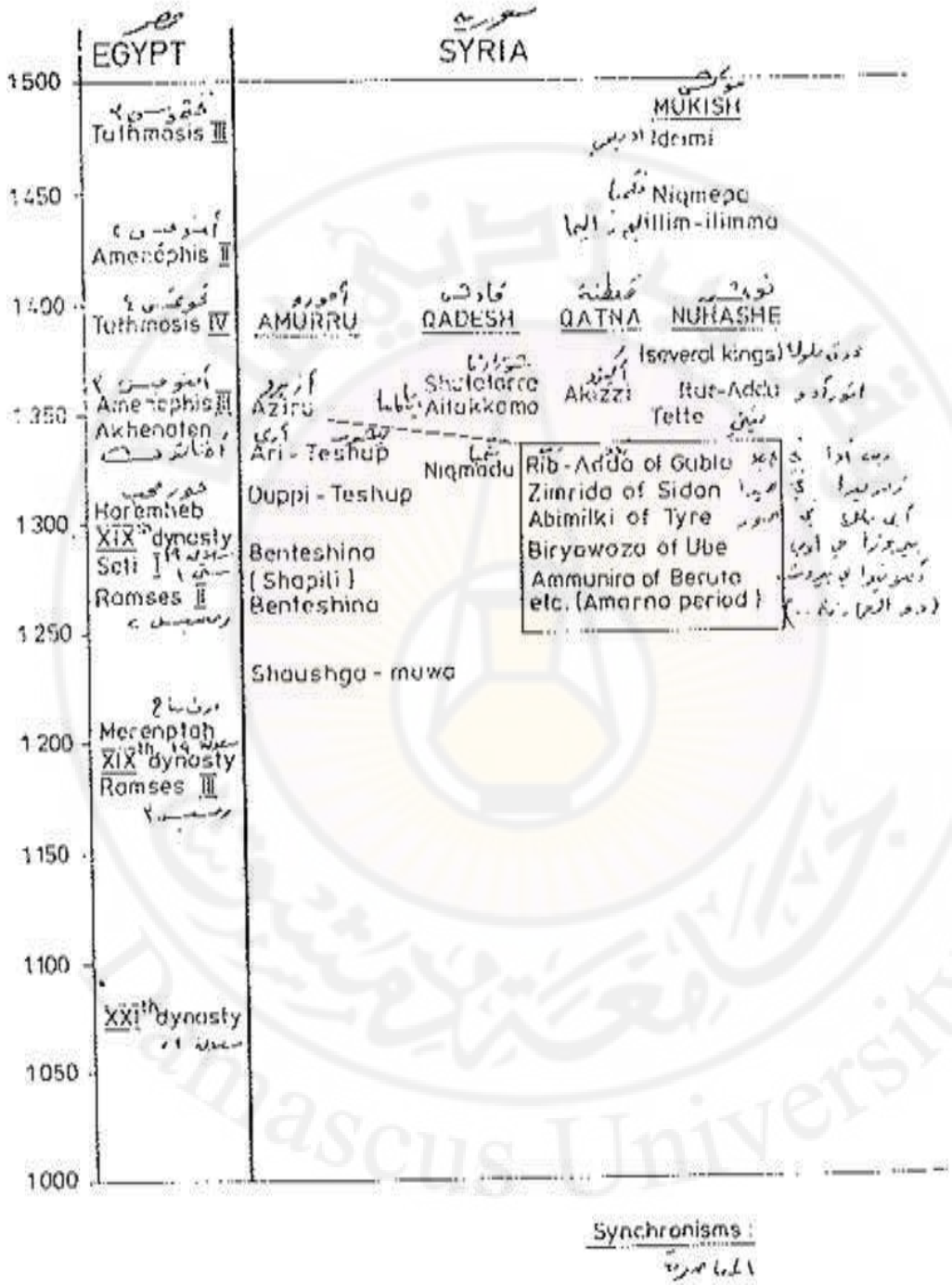


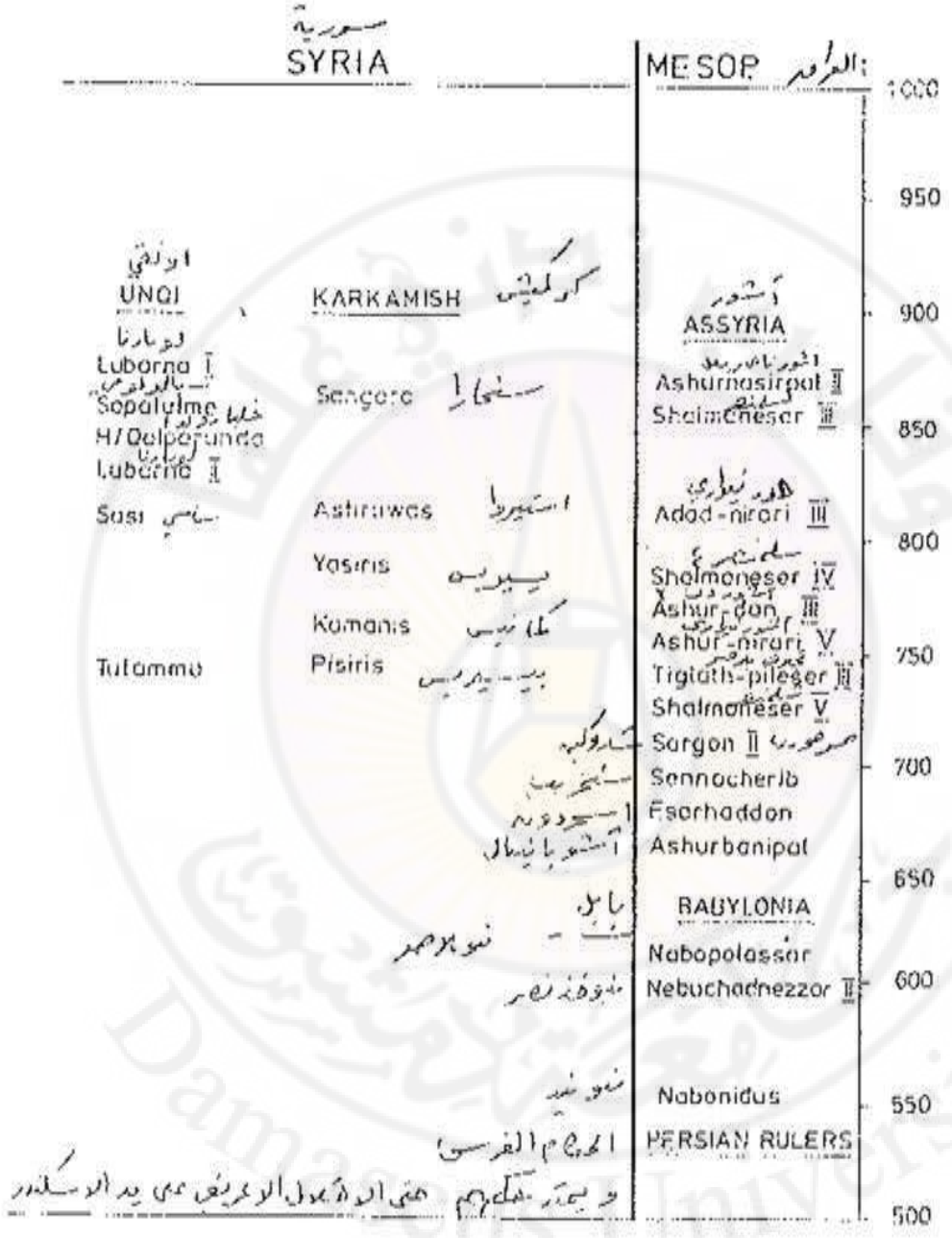
2nd millennium, 1st half


EGYPT
SYRIA
2000
XII th dynasty
(Middle Kingdom)
Igrish-hepa
(Ebla)
1950
1900
Early kings of
Ugarit
1850
GUBLA
QATNA
KARKAMISH
Abishemu II
1800
XIII th dynasty
Yakin-ilu
Yantinhammu
(+ further
rulers)
Ishhi-Adad
Amutpi'el
Aplahanda
Yatar'ami
Yahdul-Lim
1750
1700
XIV th dynasty
1650
XV th., XVII th
dynasties
(Hyksos)
1600
1550
XVIII th dynasty
(New Kingdom)
Amenophis I
Tuthmosis I
1500
Synchronisms

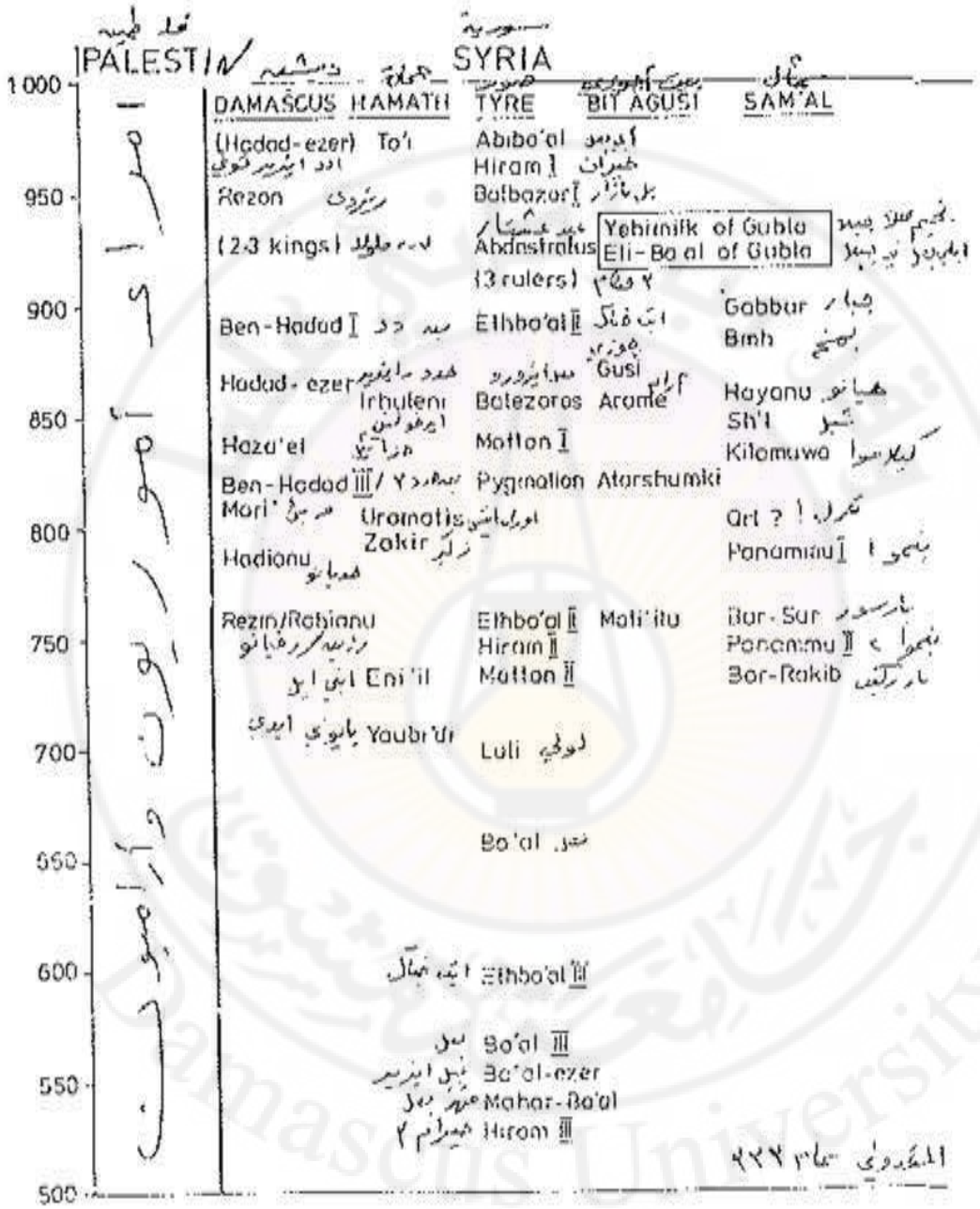


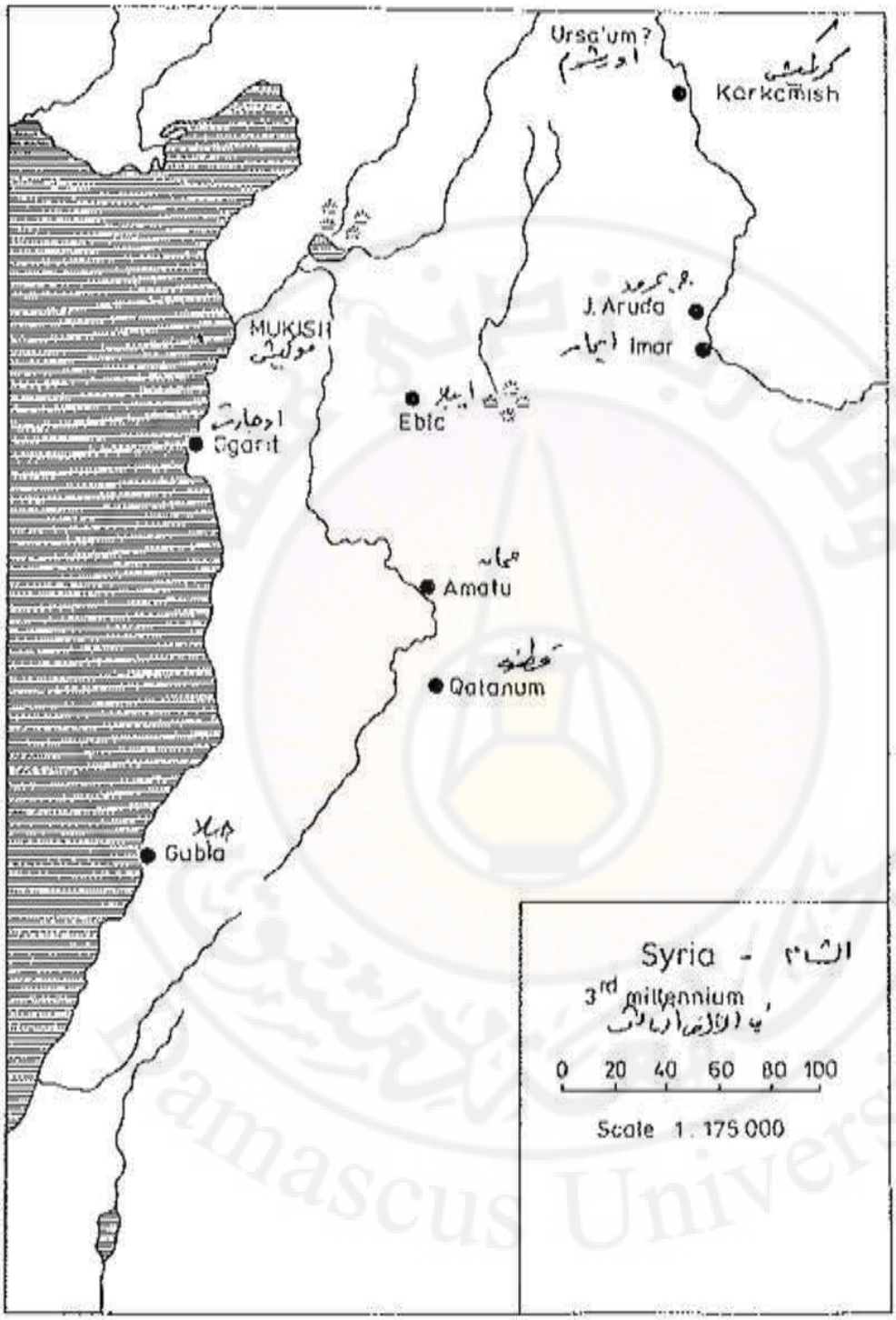
2nd millennium, 2nd half

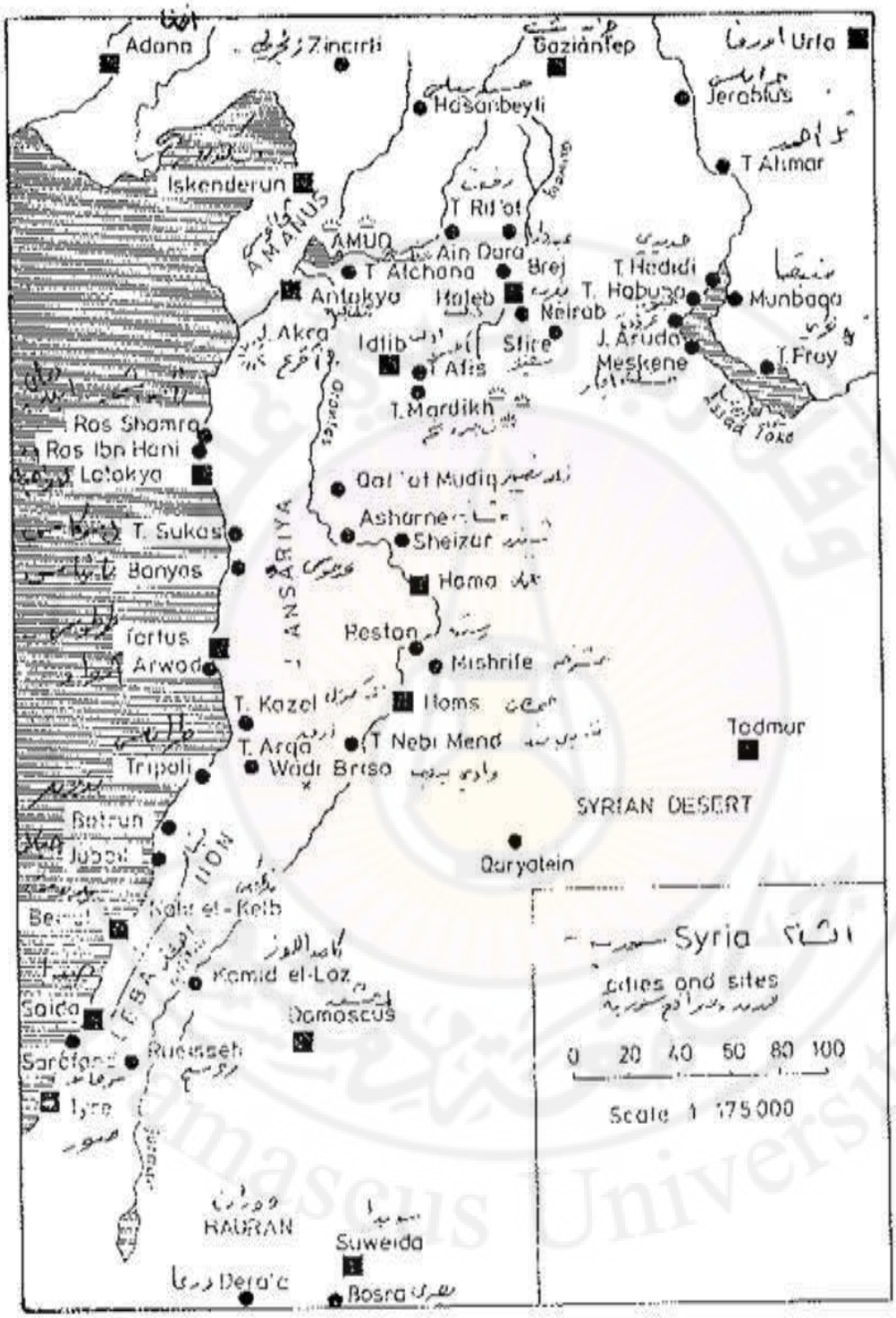

EGYPT
SYRIA
1500
1450
1400
1350
1300
1250
1200
1150
1100
1050
1000
Tuthmosis III
Amenophis II
Tuthmosis IV
Amenophis III
Akhenaten
Horemheb
XIXth dynasty
Seti I
Ramses II
Merenptah
XIXth dynasty
Ramses III
XXIth dynasty
MUKISH
Idrimi
Niqmepa
Ilimilimma-ilimma
AMURRU
QADESH
QATNA
NUHASHE
(several kings)
Shutatarra
Aitakkama
Akizzi
Itur-Addu
Aziru
Tette
Ari-Teshup
Niqmadu
Duppi-Teshup
Rib-Adda of Gubla
Zimrida of Sidon
Abimilki of Tyre
Biryawaza of Ube
Ammunira of Berute
etc. (Amarna period)
Benteshina
(Shapili)
Benteshina
Shaushga-muwa
Synchronisms :



1st millennium, 1st half


PALESTIN
SYRIA
1000
950
900
850
800
750
700
650
600
550
500
DAMASCUS
HAMATH
TYRE
BIT AGUSI
SAM'AL
(Hadad-ezer)
To'i
Abibo'al
Hiram I
Balbazor I
Rezon
(2-3 kings)
Abdastratus
(13 rulers)
Yahimilk of Gubla
Eli-Ba'al of Gubla
Ben-Hadad I
Ethbo'al II
Gabbur
Binh
Hadad-ezer
Irhuleni
Batezoros
Gusi
Aramé
Hayanu
Hazu'el
Mattan I
Sh'i
Kilamuwa
Ben-Hadad III / Y
Pygmalion
Atarshumki
Mari'
Uramatis
Zakir
Art ?
Hadianu
Panamuu I
Rezin/Rahianu
Ethbo'al II
Mati'itu
Bar-Sur
Hiram II
Panamuu II
Eni'il
Mattan II
Bar-Rakib
Yaubi'di
Luli
Ba'al
Ethbo'al III
Ba'al III
Ba'al-ezer
Mahar-Ba'al
Hiram III
Synchronisms:


Ursa'um?
اورشم
Kerkemish
كركميش
J. Aruda
جبل عروده
Imar
ايمار
MUKISH
موكيش
Ebla
ايبلا
Ugarit
اوغاريت
Amatu
حماه
Qatanum
قطنة
Gubla
جبيل
Syria - الشام
3rd millennium
الالف الثالث
0 20 40 60 80 100
Scale 1. 175 000


Adana
Zincirli
Gaziantep
Urfa
Jerablus
Hasanbeyli
T. Ahmar
Iskenderun
AMANUS
T. Rif'at
AMUQ
Ain Dara
T. Hadidi
T. Afchana
Brej
Antakya
Haleb
T. Habuba
Munbaqa
Neirab
Akra
Idlib
Stire
J. Aruda
T. Afis
Meskene
T. Fray
T. Mardikh
Ras Shamra
Ras Ibn Hani
Latakya
Qal 'at Mudiq
Asharne
Sheizar
T. Sukas
Banyas
Hama
ANSARIYA
Tartus
Arwad
Reston
Mishrife
T. Kazel
Homs
Tadmur
T. Arqa
T. Nebi Mend
Tripoli
Wadi Brisa
SYRIAN DESERT
Batrun
Jubail
Qaryatein
Nahr el-Kelb
Beirut
Qamid el-Loz
Saida
Damascus
Sarafand
Ruweiseh
Tyre
HAURAN
Suweida
Dera'a
Bosra
Syria
Sites and sites
0 20 40 50 80 100
Scale 1 175000


Sam'al
SAM'AL
QUE
U'NQI
Hazazu
Arpad
Til Barsip
Korkamish
BIT AGUSI
Kunalua
Kullani?
Halab / Berea
LU'ASH
Hatarikka
USNU
Hamath
SIANU
Arwad
Simirra?
Arqa
Tripolis
Tadmor/Palmyra
Botrys
ZO'BAH
Gubla
ARAM
Sidon
Sarepta
Damascus
Tyre
Ushu
REHOB
Syria
1st millennium
0 20 40 60 80 100
Scale 1: 175 000


KIZZUWATNA
Urshum?
Karkamish
KARKAMISH
Alalakh
MUKISH
Halab
YAM HAD
Mt. Hazzi
Emar
Ebla
ASHTATA
UGARIT
Ugarit
NIYA
Gibala
USHNATU
NUHASHE
Tunip?
SIYANNU
Qatna
Arwad
Sumur
AMURRU
Ullaza
Irqata
Qidshu / Qodesh
Tadmur
Ardata
Batruna
TAHSHI
Gubla
Hazi
Berut
Kumidi
APUM / UBE
Sidunu
Dimashqi
Surri / Tyre
Usu
Busruna
Syria
2nd millennium
0 20 40 60 80 100
Scale 1 175 000


AMEDI (Diarbakir)
Pir Hussain
TUSHKAN (Kurkh)
KUMMUHU (COMMAGENE)
SAMOSATE (Samsat)
QUMMANI
SARQASI (Maras)
Euphrate
CILICIE
Taurus
monts
Seyhan
Ceyhan
Karatepe
Sakcegozu
TARSE (Tarsus)
Adana
SAM'AL (Zencirli)
Gaziantep
Birecik
EDESSE (Urfa)
KARKEMISH (Jerablus)
HADATU (Arslan Tash)
HARRANU (Harran)
Tell BARSIP (T. Ahmar)
TURQUIE
SYRIE
GUZANA (T. Halaf)
Khuera
JAZIRAH
T. Aswad
Membij
HAZAZU (T. Azaz)
ARPAD (T. Rifa'at)
Iskanderun
Amanus
Afrin (Afrin)
Sajur
Balikh (Balih)
T. 'Amiq
T. Zainal
T. Judeideh
Habuba Kabira
ANTIOCHE
ALALAH (Alchana)
HAMEAD-HALAB (Alep)
Mumbeil
EMAR (Meskene)
Raqqa
TUTUL (T. Bi'a)
QARQAR ?
EBLA (T. Mardikh)
Jabboul
Euphrate
NEMRUD
ASHUR
(Zelabiyah)
UGARIT (Ras Shamra)
Lattaquieh
KAR-ASHURNASIRPAL (Himabiyah)
SAGARATUM (T. Suwar)
SIYANNU (T. Sukas)
SHUKSI (T. Sukas)
AMURRU
mont BASAR (Jebel Bishri)
Deir ez Zor
Jebel Ansariyeh
HAMA (Hama)
al-Kowm
USHNU
ARAD (Ruad)
SUMUR (T. Kazel)
QATNA (Mishrifeh)
EMISSA (Homs)
TERQA (T. 'Ashara)
DURA EUROPOS (Salahiye)
PALMYRE (Palmyre)
QADESH (T. Nebi Mend)
Tripoli
LABNANI (LIBAN)
RIBLA
GUBLA-BYBLOS (Jobeil)
LIBAN
SYRIE
Nahr el Kelb
Beyrouth
Nahr Ibrahim
Nahr Litani
SIDUNU-SHON (Saida)
DIMASHQI (Damas)
Ramad
SURU-TYR (Sur)
mont SANIR (Hermon)
HAUTE-MESOPOTAMIE ET SYRIE ANTIQUE
Villes modernes
Mossoul
Villes antiques et nom actuel
MARI (T. Hariri)
Villes antiques de localisation incertaine
KALLATUM ?
Sites préhistoriques
Shanidar
Sculptures et inscriptions rupestres
Bavian


Tigre
Bohtan Su
monts KASHIARI
(Tur-Abdin)
SUBARTU
NAIRI
Izoh supérieur
Izoh inférieur
ZABI ELI
TURQUIE
IRAK
Lac Gindjek
Rezayeh
Hasanlu
Hajji Fuur
Tuptawa
Bukan
monts Zagros
Mardin
Cizre
TURQUIN
IRAQ
Mûs Mergi
Shanidar
Zawi Chemi
Mattai
Baviân
Ieiwan
Barak
Dabkhal
Nasaj
Amuda (URKISH ?)
NASIPINA (Nisibin)
SHUBAT ENLIL ? (Chagar Bazar)
KAHAT (T. Harri)
Brak
Hassaka
Jebel Sinjar
SINGARA (Sinjar)
KARANA (T. Rimah)
Mossoul
Mefaan
NINUA (Ninive)
DUR-SHARRUKIN
(Khorsabad)
T. 'Afar
KALHU (Nimrud)
Hassuna
Imm Dabaghiya
DUR KATLIMMU
(T. Sheikh Hamad)
HATRA
ASSYRIE
ASSUR
(Qala'at Sherqat)
KAKZU (Sandamar)
SIMURRUM
(Altin Köprü)
Rowandus
Kaiwanian
URBIL/GMARBAILL
(Erbil)
Qalinj Agha
SHUSHARRA (Shimshara)
KURDISTAN
IRAN
IRAQ
Zarzi
Sangir
Karim Shehir
Bazda Balka
Chemchemal
Jafmo
Palegawra
Penjwin
Sulaimaniyah
Hazar Merd
ARRAPHA (Kirkuk)
GASUR NUZI
(Yorgan Tepe)
Hasanlu
Marqasi
Tur Kurmatli
Mont Eriyi
(Jebel Hamrin)
MARI (T. Hariri)
Bagouz
Abu Kemal
HANA (Anati)
Tekrit
KALLATUM ?
Samara
T. es-Sawwan
Khanaqin
Sar-i Pul
T. Abada
Radidha
MANKISUM ?
Choga Mami
Mandali
FUTTUL (Hit)
Ramadi
Baghdad
ESHNUNNA
(T. Asmar)
Frontières actuelles
Tell
Lacs asséchés
0 25 50 75 100 km

LES GRANDES PHASES DE L'HISTOIRE DE LA SYRIE

المراحل الكبرى لتاريخ سوريا (عربية)

~1 million

PEUPLEMENT



~12 000

VILLAGES

~6000

CHEFFERIES

~3000

CITÉS-ÉTATS:

Ebla

Mari

Ougarit

Invasion des Amorites

Bataille de Qadesh

-1286

Invasion des «Peuples de la Mer»

-1200

ROYAUMES

~1000

ARAMÉEN

~1000









Damascus University

EMPIRES

~745
ASSYRIEN



~612
NÉO-BABYLONIEN

~538
PERSE

~333
HELLÉNISTIQUE

Mort d'Alexandre le Grand -323



~64
ROMAIN

Règne de Zénobie à Palmyre: 267-272



395
BYZANTIN

Hégire 622

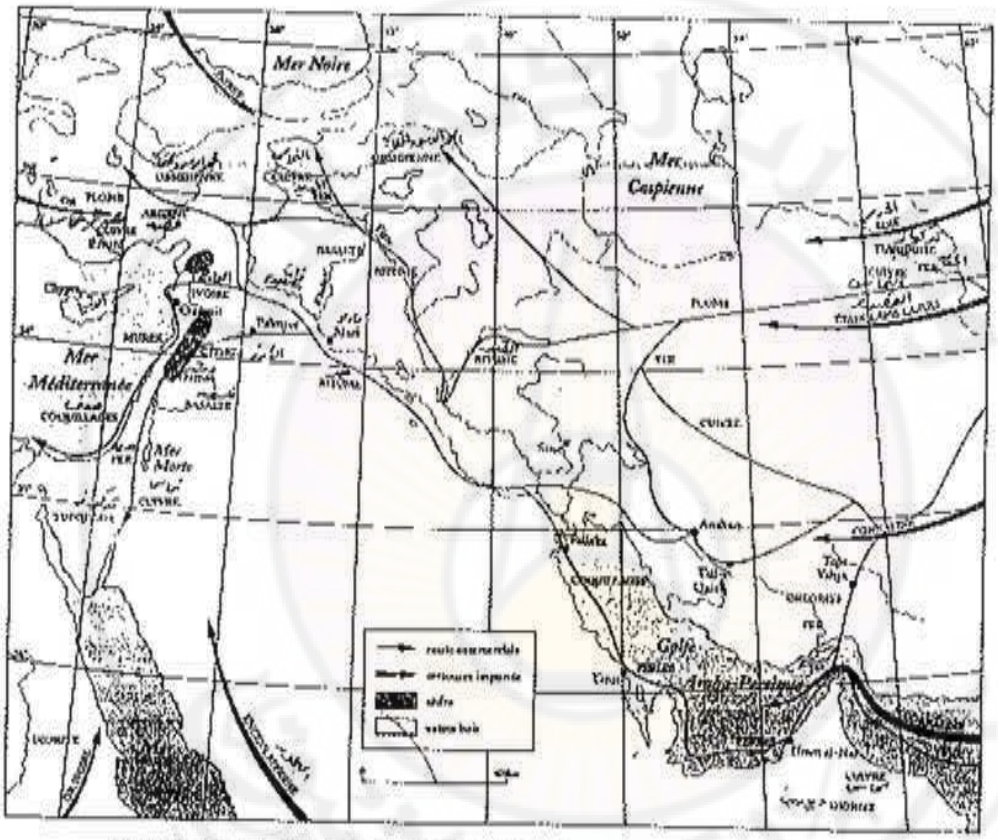


636
ARABE ISLAMIQUE

Dynastie omeyyade 661
Dynastie abbasside 750
Dynastie ayyoubide 1171
Dynastie mamelouke 1250

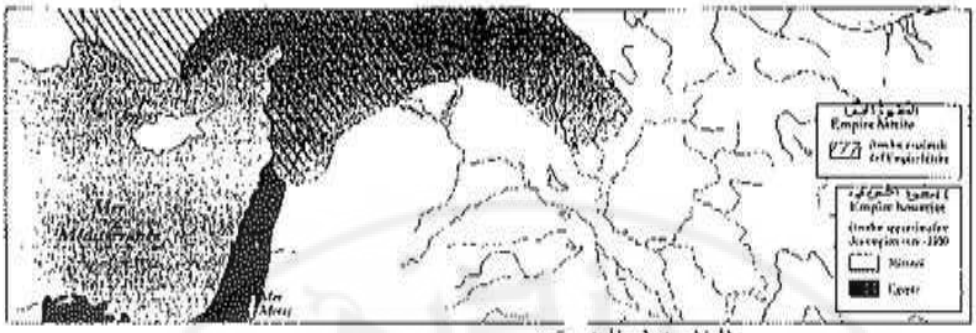
Fin des croisades 1291



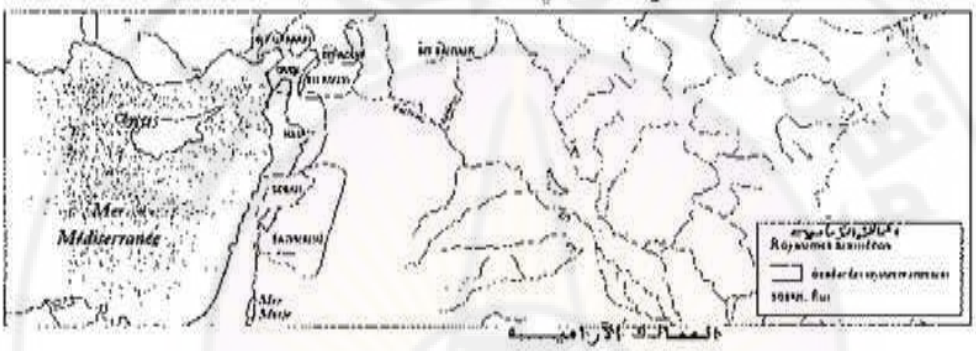


Principales routes commerciales du Proche-Orient ancien et lieux d'approvisionnements connus de certaines matières premières ayant servi à la fabrication d'artefacts royals et d'objets précieux

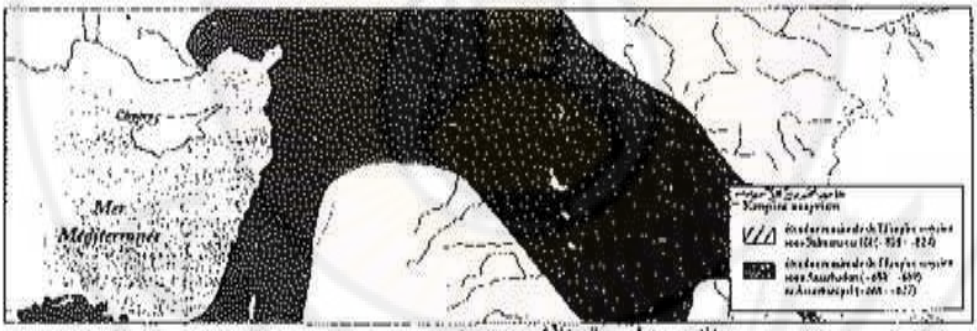
الطرق التجارية الرئيسية في المشرق العربي
والمواد التي كانت تنقل عليها



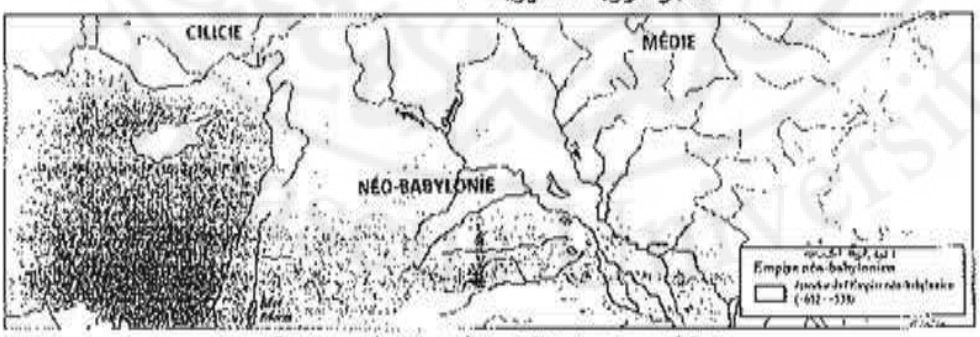
النفوذ الحيثي



الممالك الآرامية



الامبراطورية الآشورية

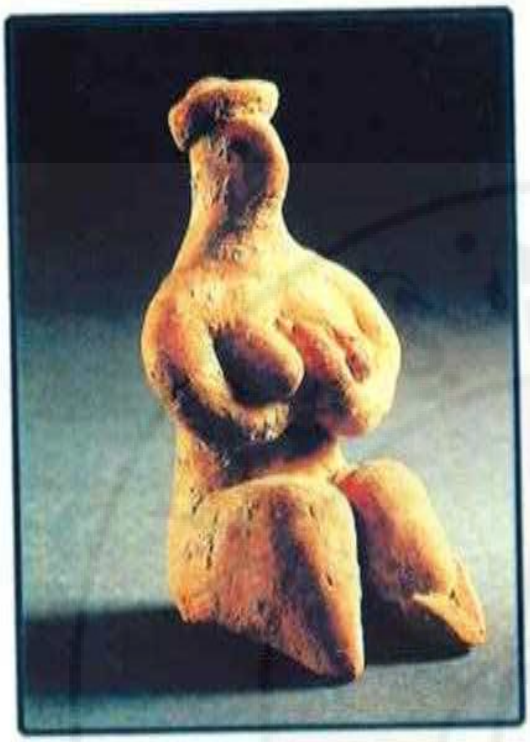


ممالك سورية والامبراطوريات المجاورة

Royaumes dans la Syrie du partie entre ~1500 environ et son intégration à l'Empire néo-babylonien en ~ 612

المدقق اللغوي: د. يوسف الحاج أحمد

حقوق الطبع والترجمة والنشر محفوظة لمديرية الكتب والمطبوعات

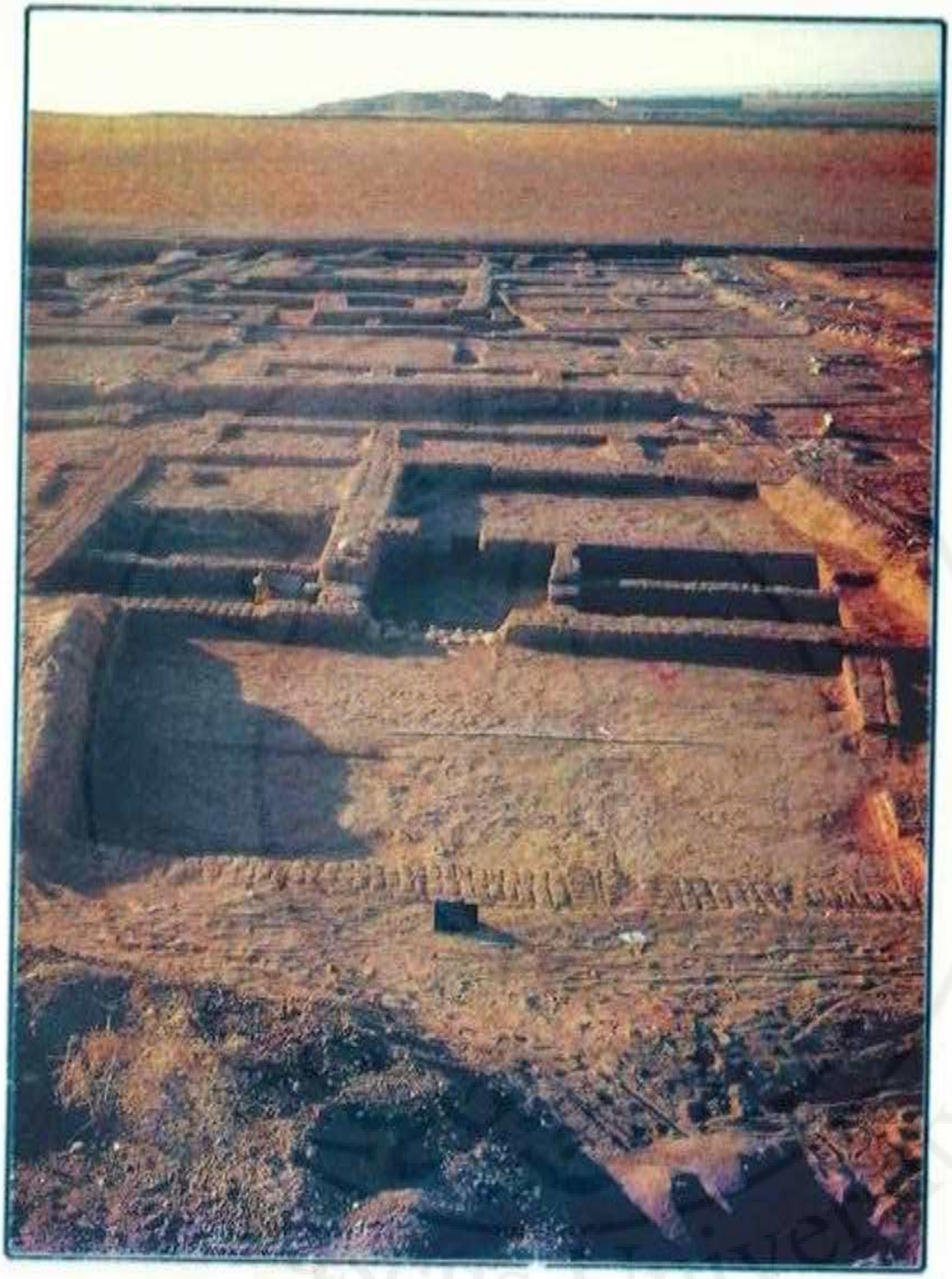




الربة - الأم

بداية التشخيص فيما قبل التاريخ

متحف حلب - تل كشكوك

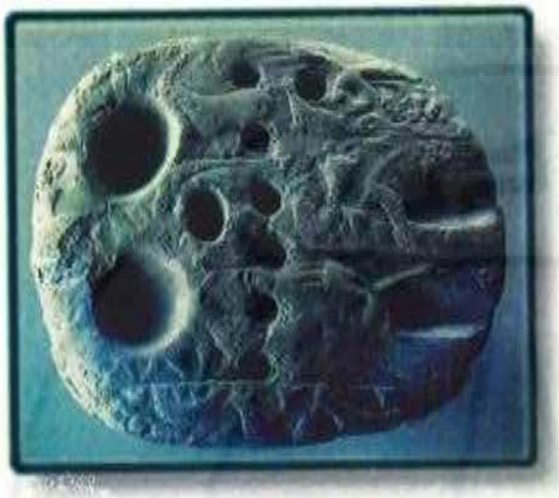


النهضة المدنية في سورية ٣٣٠٠ - ٣١٠٠ ق.م

أقدم مثال على عصر أوروك في سورية

(تل حبوبة الكبيرة - حفائر شتر منجر)











Damascus University

النهضة المدنية في سورية

بداية تدوين المنتجات والتعليم والتختيم الإداري





ماري وإيبلا في الألف الثالث والعصر السومري الأكادي ،

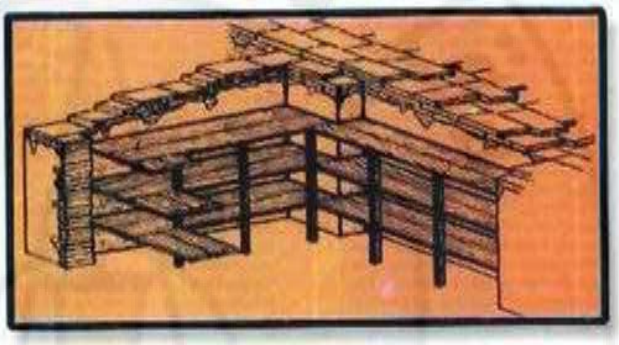
- ظهور الكتابة المسمارية.

- النحت على الصدف من ماري(أحد الملوك)

Damascus University







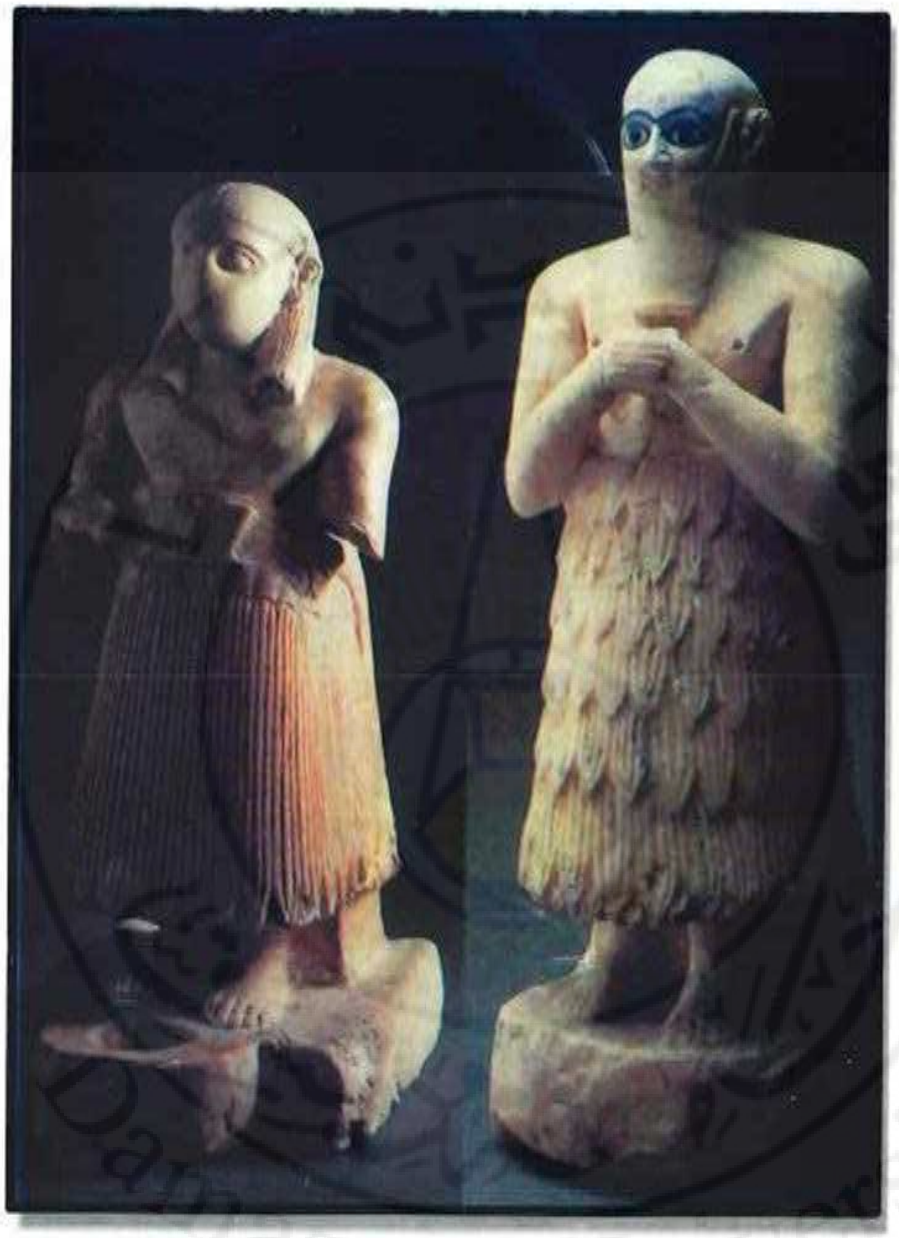


نص مسماري إداري تس جيلي

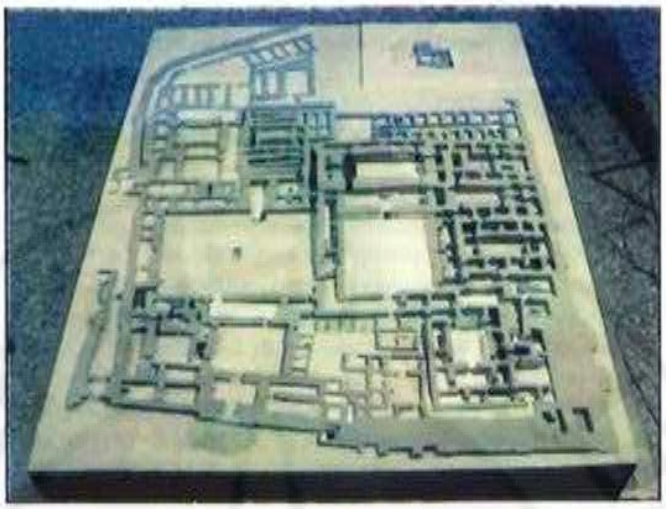


قاعة المحفوظات المسمارية وهي ملقاة على أرضيتها

في قصر إيبلا - تل مرديخ



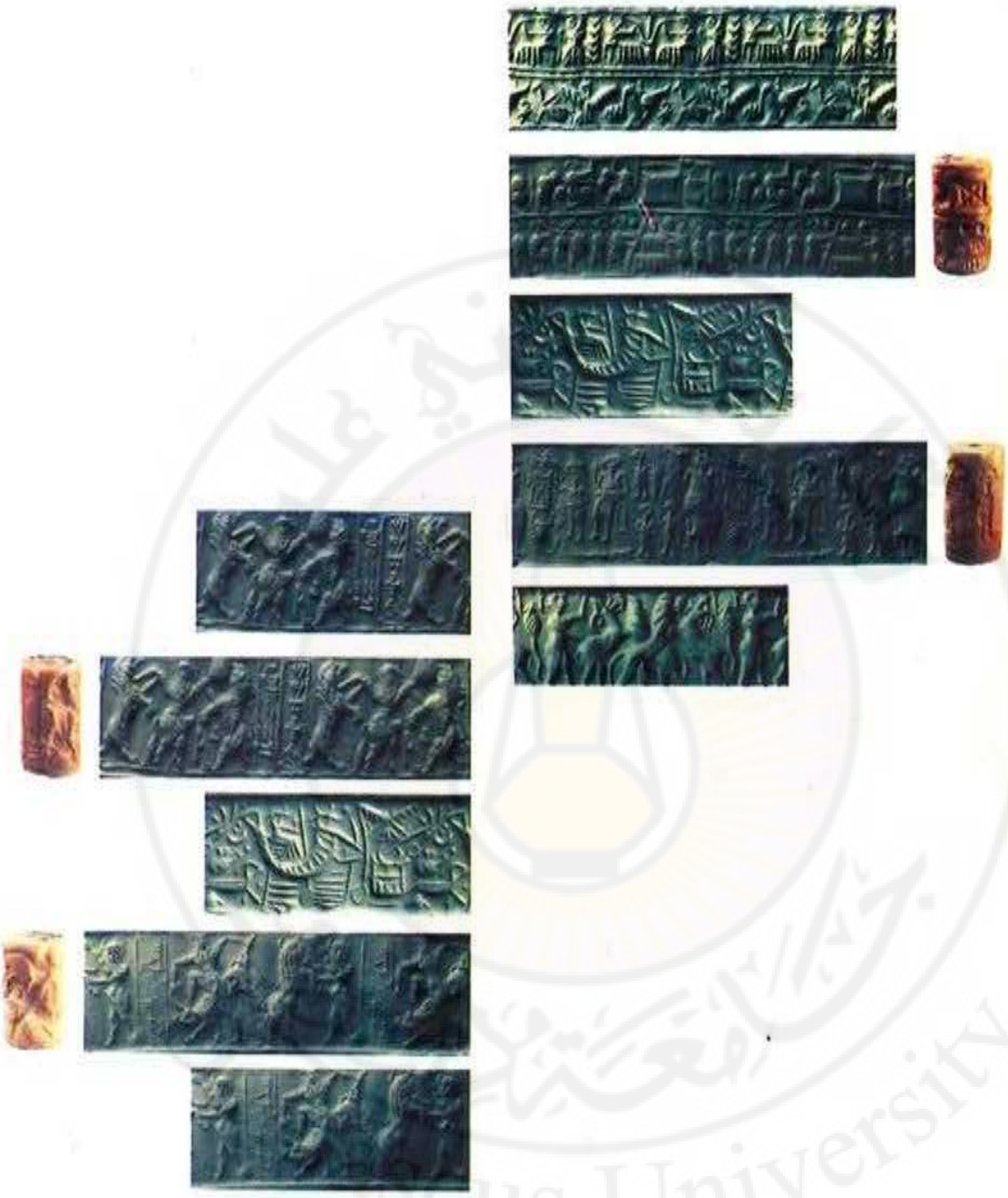
حاكم و (حاكمة) من ماري في وضعية التعبد
اليد اليمنى معقودة على اليسرى والقدمان حافيتان





مجسم مصغر لقصر ماري

Damascus University

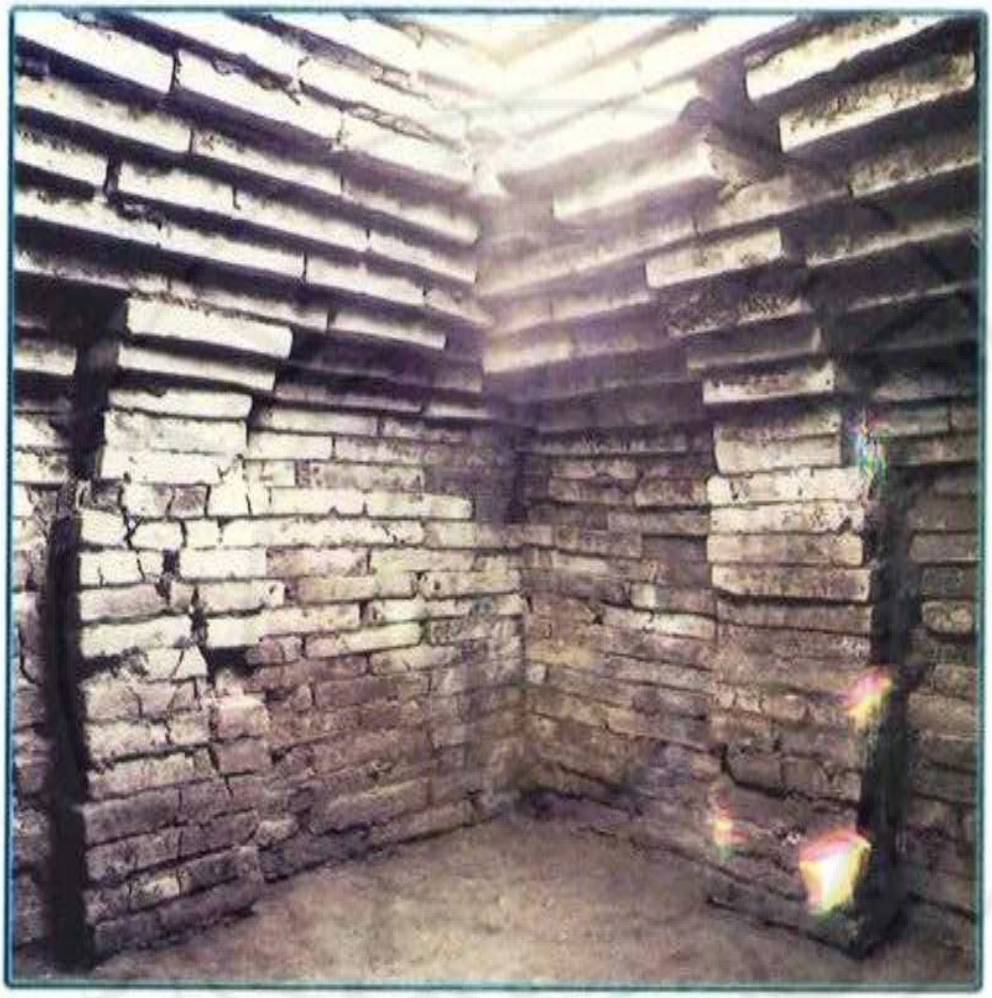


أختام اسطوانية منقوشة بالمسمارية من ماري

تمثل مشاهد خيالية أسطورية من العصر السومري ما قبل الشروكيني

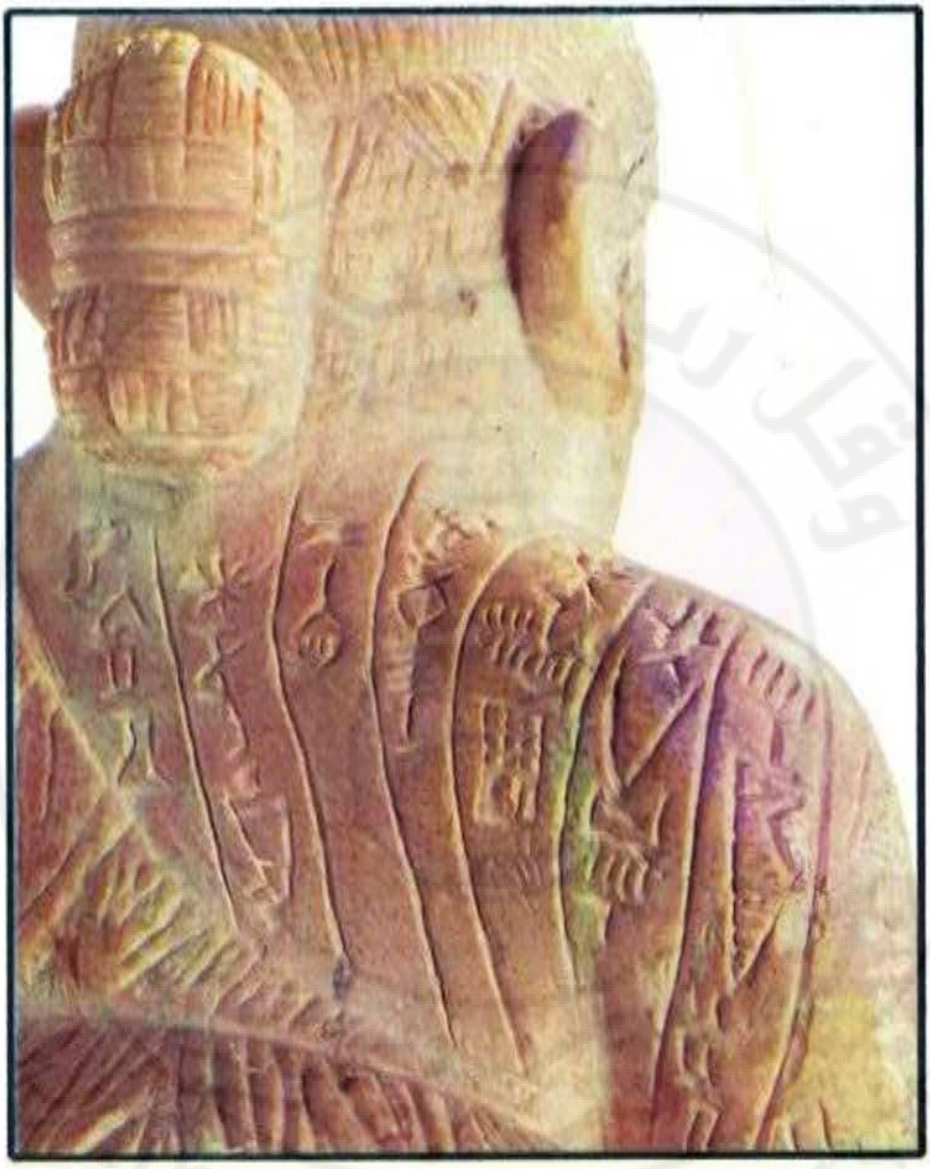


أربعة أعمال نحتية تمثل ملوك سورية من ايمار (أعلى)
ومن ايبلا (يمين) ومن ماري (وسط) ومن أوجاريت (يسار)



قبر ملكي مقوس من ماري

Damascus University



كتابة مسمارية على تمثال
باسم (لمجي - ماري ، ملك ماري)





مصور جوي ورسمي لموقع رأس شمرا - أوجاريت



اختراع الأبجدية في أوجاريت :

الأبجدية منقوشة على قطع فخارية - طينية



بيت من ايمار (مجسم)

Damascus University



الأعلى ،تمثال إيبلا الذي نقش

عليه اسم (إبيت ليم ملك إيبلا)

Damascus University



مل سيد أوجاريت



الاله الأعلى

(اله الأكادي جالس على العرش من اوجاريت)

Damascus University